المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية اللغة العربية

قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

(نماذج الدراسات العليا – ٢٩)

بيانات رسالة علمية

عنوان الرسالة : النظم القرآني في قصة صالح عليه السلام

اسم الباحث : سعد بن عبدالرحمن بن محمد الحمران

المرحلة العلمية : ماجستير تاريخ تسجيل الرسالة : ١٣/ ١/ ١٤٣٠هـ

نوقشت هذه الرسالة في يوم : الأحد بتاريخ : ١٩/ ٢/ ١٤٣٥هـ

العام الجامعي : ١٤٣٤/ ١٤٣٥هـ

–	أعضاء لجنة المناقشة	–	جهة العمل
١	د. أحمد بن صالح السديس	مقرراً	كلية اللغة العربية - جامعة الإمام
٢		مقرراً مساعداً	
٣	د. عبدالعزيز بن صالح الدعيلج	عضواً	كلية اللغة العربية - جامعة الإمام
٤	د. يوسف بن عبدالله العليوي	عضواً	كلية اللغة العربية - جامعة الإمام
٥		عضواً	

* يوضع هذا النموذج قبل صفحة الغلاف الداخلي في النسخ التي يتم إيداعها.

[ختم الكلية]

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

النظم القرآني في قصة صالح عليه السلام

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير) في البلاغة

إعـــداد

سعد بن عبد الرحمن بن محمد الحمدان

إشراف

الدكتور أحمد بن صالح السديس

الأستاذ المشارك في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

١٤٣٤ – ١٤٣٥

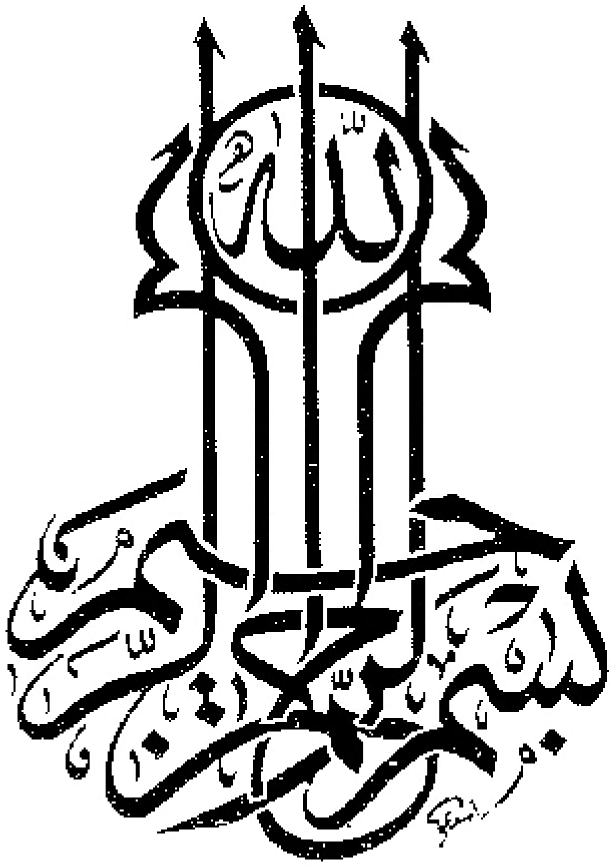
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سـيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، له وأشـهد أنَّ لا إلـه إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أمـا بعد:

فإنَّ علم البلاغة من أجلِّ العلوم وأشـرفها؛ ومـا ذاك إلا لتعلقـه بكتـاب الله ﷻ والكشف عن بلاغته وإعجاز نظمه، والردِّ على الطاعنين فيه، ولما كان علم البلاغة دلـيلاً موصلاً إلى فهم القرآن وإعجازه بلغ من العلوم منزلة رفيعة، حتى عُدَّ من العلوم التي يجـب توافرها فيمن يتصدى لتفسير كتاب الله ﷻ.

ولما كان الأمر كذلك رغبت في أنْ يكون بحثي لنيل درجة الماجستير متعلقًا ببلاغـة الكتاب العزيز؛ إذ هو خير ما تصرف فيه الأوقات، وتبذل فيه الجهود؛ لأنهل مـن معينـه، وأنتفع ببلاغته، فوقع اختياري على دراسة قصةٍ من قصصه التي وردت في مواضع عديـدة بطرق وأساليب مختلفة؛ ساعيًا لتلمّس الفروق بين القصة القرآنية وغيرها؛ لتكـون دراسـة جامعةً بين الإعجاز القرآنيّ الشريف، وأصول البلاغة العالية، وعناصر القصة الفنية؛ فكـان عنوان البحث: (النظم القرآني في قصة صالح عليه السلام). مع رغبتي الجادّة في أنْ يكون العمل في ظلال القرآن وسيلةً لتنمية حسي البلاغيّ، وزيادةِ الإحاطة بمسائل العلم وتفاصيلها وفهمها.

ومن الأسباب التي دعت لاختيار هذا الموضوع أهمية القصة ومكانتـها في القـرآن، وكونها وسيلة من أقوى وسائل الدعوة تأثيراً على المدعوين، مما يدعو إلى تلمس الأسـباب التي أدت إلى ذلك، ثم إنَّ قصة صالح عليه السلام لم يسبق وأنْ دُرِست دراسة مستقلة تُجلي سماتها البلاغية والفنية.

ويهدف البحث إلى إظهار بلاغة القرآن في عرض قصص الأنبياء عمومًـا، وقصـة صالح عليه السلام خصوصًا، وردِّ الشبه المغرضة حول التكرار في القرآن بالوقوف على الإعجـاز في ذلك، والكشف عن الارتباط الوثيق بين أسلوب القصة في القرآن والسياق الذي وردت فيه من خلال تلمس بلاغة المتشابه اللفظي في قصة صالح عليه السلام، ومحاولـة جمـع شـتات الدراسات التي دارت حول موضوع القصة في القرآن، وتطبيقها على قصـة صـالح عليه السلام؛ لإبراز الخصائص الفنية التي تحتوي عليها. وقد سبق بعض الباحثين إلى دراسة بعض قصص

الأنبياء في القرآن من الناحية البلاغية والفنية؛ بعضها في دراسات مستقلة وبعضها تابعة لدراسة القصة القرآنية بشكل عام، فمن تلك الدراسات المستقلة: (بلاغة النظم في قصة إبراهيم عليه السلام) للدكتور الشحات محمد أبو ستيت، و(الإعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام في القرآن الكريم) للدكتور عودة الله منيع القيسي، و(جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف) للدكتور عويض بن حمود العطوي، و(بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم قصة يوسف نموذجًا) للدكتور إبراهيم عبدالمنعم إبراهيم، ومن الدراسات التي كانت تبعًا لدراسة القصة القرآنية بشكل عام ما كتبه الدكتور عبدالكريم الخطيب عن قصتي آدم وموسى عليهما السلام في كتابه (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه)، وكذلك ما كتبه الدكتور فاضل بن صالح السامرائي عن قصتي آدم وموسى عليهما السلام في كتابه (التعبير القرآني)، وهذا البحث الذي نحن بصدده امتداد لهذه الدراسات ولبنة تضاف إلى ذلك البناء، فهي تدور في فلك واحد وترنو إلى الهدف نفسه، وهو إبراز بلاغة النظم في القصة القرآنية وما تتميز به من خصائص فنية محكمة.

وقد اقتضت طبيعة البحث سلوك الدراسة منهجين مهمين:

الأول: المنهج الاستقرائي؛ وذلك بحصر الآيات التي تحدثت عن قصة صالح عليه السلام صراحة، أو ترجَّح أنها قصة صالح عليه السلام كما في سورة المؤمنون، أو كانت تعبر عن مجموعة من الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن ضمنهم صالح عليه السلام كما في سورة إبراهيم. وكذلك حصر الآيات المتشابهات التي وردت في القصة في مواضع مختلفة.

والثاني: المنهج التحليلي؛ وذلك بتحليل آيات القصة آية آية، واستخراج ما فيها من لطائف ونكات بلاغية، والإفادة من ذلك في معرفة سمات القصة في القرآن.

ورغبة في السير على منهج واضح في البحث اعتمدت عددًا من الإجراءات المنهجية؛ علميًّا وتحريريًّا، لعلي أوجزها فيما يلي:

١- اقتصرت الدراسة على رواية حفص عن عاصم المثبتة في مصحف المدينة النبوية، ولم تتطرق إلى القراءات الأخرى التي ذُكِرت في كتب القراءات والتفاسير في بعض آيات القصة.

٢- عند ورود جملة معينة في القصة في موضعين أو أكثر أكتفي بما ذكرته عنها في الموضع الأول وأحيل إليه في الهامش، درءًا للتكرار.

٣- وضعت الأقوال المنقولة نصًّا بين علامتي التنصيص (( ))، وأسماء الكتب بين قوسين ( )، والمصطلحات البلاغية بين العلامتين " ".

٤- عند الإحالة على المرجع في الهامش أكتفي بذكر اسمه والجزء والصفحة، دون أنْ أذكر معلوماته المكتبية؛ اكتفاء بما سيذكر في ثبت المصادر والمراجع.

٥- في تحليل الآيات في الفصل الأول اعتمدت منهجًا رأيت فيه البدء بالعام والانتهاء بالخاص؛ حيث أبدأ ببيان الغرض العام للسورة، ثم مناسبة القصة في سياقها ولغرض السورة، ثم المعنى العام للآيات، ثم تحليل الآيات للوصول إلى ما فيها من أسرار ونكات بتحليل كل آية على حدة.

٦- طلبًا للاختصار لم أترحم على العلماء الواردة أسماؤهم في البحث اكتفاء بالترحم عليهم في المقدمة رحمهم الله جميعًا.

كما اعتمدت في هذا البحث على كتب العلماء - رحمهم الله - في فنون مختلفة لكن كتب التفسير كانت أهم مصادري، حيث يجدر الحذر والاحتياط في الحديث عن معنى آيات القرآن وأسرارها، فحرصت على الاعتماد على كتب التفسير الموثوقة المعتمدة، وكتب علوم القرآن ومعاني مفرداته والمتشابه اللفظي والبلاغة القرآنية التي حوت فوائد جليلة تحتاج إلى جمع وضم. كما أفدت من كتب البلاغة؛ من خلال ما ورد فيها من آيات لها علاقة بالبحث، أو من خلال حديثها عن آيات مشابهة، إضافة إلى الإفادة منها في الفنون البلاغية المختلفة. و لم أَغْفَل عن الإفادة من كتب اللغة والنحو والنقد، وفي كلٍّ خير.

أما خطة البحث فقد اشتملت على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

ففي التمهيد سأتناول مفهوم النظم، وكيف نشأت هذه الفكرة في ظل دراسة إعجاز القرآن من خلال استعراض إشارات العلماء إليها، حتى تكاملت على يد عبدالقاهر الجرجاني، ثم أتحدث عن مفهوم القصة في القرآن، وأغراضها، والفروق التي بينها وبين القصة الأدبية، وسأعرج على قضية تكرار القصة في القرآن وما قاله العلماء في أسبابه ودواعيه، وكيف عدوه وجهًا من وجوه الإعجاز.

أما الفصل الأول فهو بعنوان: (خصائص النظم في قصة صالح ﵇)، وقد خصصت فيه لكل موضع وردت فيه القصة مبحثًا مستقلاً، ورتبت المباحث على حسب ترتيب سور القرآن في المصحف، فاشتمل على تسعة مباحث، وهـي: قصـة صـالح ﵇ في سـورة الأعراف، ثم في سورة هود، ثم في سورة إبراهيم، ثم في سورة الحجر، ثم في سورة المؤمنون، ثم في سورة الشعراء، ثم في سورة النمل، ثم في سورة القمر، ثم في سورة الشمس. وتحـت كل مبحث أتناول الغرض العام للسورة، ومناسبة القصة في سياقها، والمعنى العام للآيات – آيات القصة -، وبلاغة النظم في القصة.

أما الفصل الثاني فعنوانه: (أسرار التشابه اللفظي في قصة صالح ﵇)، وقـد حـوى خمسة مباحث: أسرار التشابه اللفظي في افتتاحية القصة، وأسرار التشابه اللفظي في مقـام دعوته ﵇ لقومه، وأسرار التشابه اللفظي في رد قومه عليه، وأسرار التشابه اللفظي في ذكر الناقة، وأسرار التشابه اللفظي في عذاب قومه، ونجاة المؤمنين.

والفصل الثالث بعنوان: (العناصر الفنية في قصة صالح ﵇)، وسأعرض من خلالـه أربعة مباحث: بداية القصة ونهايتها، والأحداث، والشخصيات، والحوار.

وفي نهاية البحث وضعت خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي خرجت بهـا من البحث، يتلو ذلك ثبت المصادر والمراجع، وضحت فيه ما ورد من معلومـات مكتبيـة على الطبعة التي اعتمدها، وضربت صفحًا عن المعلومات التي لم ترد فلن أشـير إلى عـدم ورودها. وبعد ذلك وضعت فهارسَ، بدأتها بفهرس للآيات القرآنية، واكتفيـت بفهرسـة الآيات الواردة في غير سياق التحليل؛ فأما آيات قصة صالح ﵇ الواردة في سياق تحليلها فلم أشر إليها في الفهرس لوضوح مواضعها، ولتكرار ذكرهـا في الصـفحة الواحـدة وفي الصفحات المتتالية. ثم ختمت البحث بفهرس الموضوعات.

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل بعد شكر الله تعالى لفضيلة الدكتور/ أحمد بن صالح السديس الذي قدم لي العون منذ أن كان لي مرشدا علميا ثم بعد ذلك مشرفا على البحث؛ فكان له أبلغ الأثر في إتمامه وتقويمه، فكم أفدت من توجيهاته ونصحه وإرشاده، وكم صبر علي وبذل من وقته وجهده وعلمه في سبيل إخراج هذا البحث، فجزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول لجميع أساتذتي الكرام الذين أفدت منهم أثناء الدراســـة المنهجيـــة، وللأستاذين الكريمين عضوي لجنة المناقشة على ما بذلاه من وقت وجهد في قـــراءة هـــذا البحث وتقويمه ومناقشته.

كما أتقدم بالشكر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة بقسم البلاغة والنقـــد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية على إتاحة الفرصة لي لإكمال دراستي فيها.

والله أسأل أنْ يتقبل هذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأنْ يتجاوز عما فيه من خطأ وزلل، وأنْ يجعله في ميزان الحسنات، وصلى الله وسلم وبارك على نبينـــا محمـــد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

١ - مفهوم النظم.

٢ - مفهوم القصة القرآنية.

٣ - تكرار القصة في القرآن.

٤ - مواضع ورود قصة صالح عليه السلام في القرآن.

١ - مفهوم النظم:

مادة (نظم) في اللغة تدل على: الجمع، والتأليف، والضم، والاتساق. قال الجوهري: ((نَظَمْتُ اللؤلؤ" أي: جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه: "نَظَمْتُ الشِّعر" و"نَظَّمتُه" ... والانتظام: الاتِّساق))[١]. وقال ابن منظور: ((النظم: التأليف، نَظَمَه يَنظِمُه نَظمًا ونظامًا، ونَظَمَه فانتَظَم وتَنَظَّم... وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نَظَمتَه ... وتَنَاظَمت الصخور: تلاصقت))[٢].

وفي **الاصطلاح**: ((تأليف الكلمات والجمل، مرتبة المعاني، متناسقة الدلالات، بحسب ما يقتضيه العقل))[٣].

ومناسبة المعنى الاصطلاحي للدلالة اللغوية واضحة وجلية؛ من حيث إن النظم هو: تأليف الكلمات والجمل، وجمعها، وضمها، متسقة مع بعضها، ومع المعاني التي تؤديها.

أما نظم القرآن خاصة؛ فقد جاء في (تاج العروس): ((ونظم القرآن: لفظه، وهي العبارات التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة))[٤].

- **نشأة نظرية النظم وتطورها:**

نشأت نظرية "النظم" في ظل دراسة إعجاز القرآن الكريم، والدفاع عنه في وجه الطاعنين فيه وفي بلاغته، وأخذت تتطور شيئًا فشيئًا حتى وصلت إلى أوج ازدهارها، وظهرت على شكل نظرية معتمدة قائمة على يد عبدالقاهر الجرجاني. ومن أشهر العلماء الذين تناولوا بعض مسائل متعلقة بالنظم أثناء حديثهم عن بلاغة القرآن الكريم:

١ - أبوعبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠هـ):

يُعد أبو عبيدة معمر بن المثنى من علماء أهل السنة، وقد ألَّف كتاب (مجاز القرآن) ليثبت أنَّ القرآن جاء على سَنَن لغة العرب، وذلك لأَنَّ الفضل بن الربيع سأله عن

---

(١) الصحاح: ٥/ ٢٠٤١، مادة (نظم).

(٢) لسان العرب: ١٤/ ١٩٦، مادة (نظم)، وينظر: القاموس المحيط: ١٠٧١، مادة (نظم).

(٣) التعريفات: ٢٦١، مادة (نظم).

(٤) تاج العروس: ٣٣/ ٤٩٩، مادة (نظم).

قول الله ﷻ: M o p q r L [الصافات:٦٥]، وقال: ((إنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله، وهذا لم يعرف مثله)). يقول أبو عبيدة: ((فقلت: إنما كلَّم الله تعالى العــرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقــــتلني والمشــــرفي مضـــاجعي ومســـــنونة زرق كأنيـــاب أغـــوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا بـــه، فاستحســـن الفضل ذلك... واعتقدت من ذلك اليوم أنْ أضع كتابًا في القرآن في مثل هذا وأشباهه، وما يحتاج إليه من علمه، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز))(١).

وقد ذكر أبو عبيدة فيه بعض المصطلحات التي لها علاقة بالنظم كالتقديم، والتــأخير، والحذف، والتكرار، والإضمار، والالتفات، والكناية، وغيرها.

لم يكن أبوعبيدة بتأليفه لهذا الكتاب يرمي إلى بيان أسرار إعجاز القرآن الكــريم، و لم يذكر "النظم" بشكل مباشر؛ إلا أنَّه بـــ(مجازه) ((فتح الطريق لدراسات بلاغية تهـــدف إلى بيان الإعجاز القرآني عن طريق نظمه وتأليفه))(٢)، فكان له دوره في تأسيس نظرية "النظم" بتلك المبادرة.

٢- عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـــ):

بعد أبي عبيدة جاء عمرو بن بحر الجاحظ المعتزلي؛ وكان أول من أشـــار إلى قضـــية "النظم"، وأن إعجاز القرآن في نظمه الذي لا يستطيع أن يأتي بمثله البشر. جاء في كتاب (الحيوان) للجاحظ قوله: ((في كتابنا المنْزل الذي يدلنا على أنَّه صِدْق؛ نظمُه البديعُ الذي لا يقدر على مثله العباد))(٣). بل إنَّ الجاحظ تعدى مسألة الإشارة إلى التأليف، فألف كتابًا في (نظم القرآن) قال عنه إنَّه: ((في الاحتجاج لنظم القرآن، وغريب تأليفه، وبديع تركيبه))(٤)، إلا أنَّ هذا الكتاب لم يصل إلينا، فَفُقِد مع ما فُقِد من كتب التراث.

(١) نزهة الألباء: ٨٦ .

(٢) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: ٥٣ .

(٣) الحيوان: ٤/ ٩٠.

(٤) الحيوان: ١/ ٩ .

ويمكن أَنْ نتعرف على آراء الجاحظ في "النظم" من خلال كتبه الأخرى التي وصلت إلينا، فقد تحدث الجاحظ عن عناية القرآن الكريم باختيار الألفاظ، وأنَّ لكل كلمة سـياقها الخاص الذي يناسبها، حيث يقول: ((وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحـق بذلك منها. ألا ترى أنَّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن (الجوع) إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر؟ والناس لا يذكرون (السغب) ويذكرون (الجوع) في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذِكْر (المطر)؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يَفْصلون بين ذِكْرِ (المطر) وبين ذِكْرِ (الغيـث). ولفـظ القرآن الذي عليه نزل أنَّه إذا ذَكَرَ (الأبصار) لَمْ يَقُل (الأسماع)، وإذا ذَكَرَ (سبع سموات) لَمْ يَقُل (الأرضين). ألا تراه لا يجمع (الأرض) أرضين، ولا (السمع) أسماعًا، والجاري علـى أفواه العامة غير ذلك؛ لا يتفقَّدون من الألفاظ ما هو أحق بالذِّكْر وأولى بالاستعمال. وقـد زعم بعض القُرَّاء أنَّه لَمْ يجد ذِكْرَ لفظ (النكاح) في القرآن إلا في موضع التزويج))(١).

كما لاحظ الجاحظ اقتران بعض المعاني ببعضها، ويقول في ذلك: ((في القرآن معـانٍ لاتكاد تفترق، مثل: الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبـة والرهبـة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس))(٢)، وهذا هو ما سُمِّي بعد ذلـك عنـد البلاغـيين بـ"مراعاة النظير".

وتحدث الجاحظ عن شروط اللفظة الفصيحة التي يـبنى عليهـا الـنظم، واشـترط لفصاحتها: أنْ تكون بريئة من تنافر الحروف(٣)، وألا تكون عامِّيَّة، ولا ساقطة، ولا سوقية، ولا غريبة، ولاوحشيَّة(٤).

كما اشترط سلامة التركيب من التنافر، وعدَّ تنافر الألفاظ عيبًا من عيوب الكـلام، حيث يقول: ((ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإنْ كان مجموعةً في بيت شعر لم يسـتطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه))(٥).وأكد الجاحظ على تلاحـم الأجـزاء، وسـهولة

---

(١) البيان والتبيين: ١/ ٢٠.

(٢) البيان والتبيين: ١/ ٢١.

(٣) ينظر: البيان والتبيين: ١/ ٦٧ .

(٤) ينظر: البيان والتبيين: ١/ ١٤٤ .

(٥) البيان والتبيين: ١/ ٦٥ .

المخارج، ونادى بأنْ تكون حروف الكلام وأجزاء البيت متفقةً، لينةَ المعاطف، رطبةً، سلسةَ النظام، خفيفةً على اللسان، حتى كأنَّ البيتَ بأسره كلمةٌ واحدةٌ، وكأنَّ الكلمـــةَ بأســـرها حرفٌ واحدٌ(١).

يبدو لنا من خلال ما مضى أنَّ فكرة "النظم" عند الجاحظ فكرة لفظية تعتمد علـــى حسن الصوغ، وكمال الترتيب، ودقة انتقاء الألفاظ، وحسن اختيارها، وجمال نظمها، ولم يحاول أَنْ يوسِّع فكرة النظم حتى تصبح ذات مدلول أوسع تشمل الأسلوب بمعنى أعم(٢).

هذا ما توصل إليه الجاحظ من ملاحظات في جودة النظم، وهي إشارات لا تزال بداية الطريق إلى نظرية النظم، سيفيد منها من بعده ويضيف إليها.

٣- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هــ):

بعد الجاحظ جاء عالم من علماء أهل السنة، هو: عبدالله بن مسلم بن قتيبة، صاحب كتاب (تأويل مشكل القرآن) الذي ردَّ فيه على الطاعنين في القرآن الكريم وشُبَهِهم، وذكر فيه أنَّ القرآن معجز بنظمه وتأليفه، فقال عنه: ((وقطع عنه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين))(٣).

تحدَّث ابن قتيبة عمَّا في القرآن الكريم من الجمال الإيقاعي الفريد، والنسق الصـــوتي البديع، الذي يُمَكِّن القارئ له من ترجيع صوته والترنم به؛ فيجد بذلك راحةً واستقرارًا، فلا يمل من قراءته ولا يسأم من تلاوته(٤)، وفي ذلك يقول ابن قتيبة: ((وجعله متلـــوًّا لا يُمَـــلُّ على طول التلاوة، ومسموعًا لا تمجه الآذان، وغضًّا لا يَخْلَقُ على كثرة الرد))(٥).

---

(١) ينظر: البيان والتبيين: ١/ ٦٧ .

(٢) ينظر: التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري: ٨٢ .

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٦٧ .

(٤) ينظر: قضية الإعجاز البلاغي وأثرها في تدوين البلاغة العربية: ٢١٣ .

(٥) تأويل مشكل القرآن: ٦٧ .

كما تناول ابن قتيبة قضية "الإيجاز" في القرآن، وأنَّه ((جمع الكثير من معانيه في القليـــل من لفظه، وذلك معنى قول الرسول ﷺ : «أوتيت جوامع الكلم»[1]))[2].

ثم ضرب أمثلة على ذلك ببعض الآيات، وبَيَّنَ ما فيها من الإيجاز مع ما فيها من المعاني الكثيرة، وأظهر أنَّ الإيجاز في القرآن لا يدانيه أي إيجاز في سائر الكلام.

وأكد ابن قتيبة على أنَّه ((إنما يَعرف (فضلَ القرآن) مَن كَثُرَ نظرُه، واتسعَ علمُه، وفهمَ مذاهبَ العرب، وافتنانَها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات؛ فإنَّه ليس في جميع الأمم أمةٌ أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال، ما أوتِيَتْهُ العربُ خِصِّيصَى من الله))[3]. فلا بد إذن من فهم لغة العرب ومعرفة أساليبهم ومذاهبهم في الكلام حتى يـــتمكن المرء من الوقوف على إعجاز القرآن الكريم.

كما استدل على إعجاز نظم القرآن الكريم بأنَّه لا يستطيع أحد أنْ ينقل القـــرآن إلى لغة أخرى؛ لأنَّ نظمه سيختلّ، يقول ابن قتيبة: ((وللعرب المجازات في الكـــلام، ومعناهـــا: طرق القول ومآخذه. ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحـــذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفـــظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة ستراها في أبـــواب المجاز إنْ شاء الله تعالى. وبكل هذه المذاهب نزل القرآن، ولذلك لا يقدر أحد من التـــراجم على أنْ ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نُقِل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والروميـــة، وتُرجمت التوراةُ والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية؛ لأنَّ العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب))[4]. ثم ضرب أمثلة ببعض الآيات التي يختل نظمها حين تنقل إلى اللغات الأخرى.

---

(١) صحيح البخاري: فتح الباري: كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» ٦/١٢٨ (ح٢٩٧٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١/٣٧١ (ح٥٢٣) واللفظ له، كلاهما عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) تأويل مشكل القرآن: ٦٧ .

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٧٤ .

(٤) تأويل مشكل القرآن: ٨٠، ٨٢ .

وقد عقد ابن قتيبة في كتابه أبوابًا للمجــاز، والاســتعارة، والمقلــوب، والحــذف، والاختصار، وتكرار الكلام، والزيادة فيه، والكناية، والتعريض، ومخالفة اللفظ معناه، وهذا يدلنا على أنَّ ((فكرة "النظم" عنده بلاغية على ما يظهر من كلامــه في (تأويــل مشــكل القرآن)، ومن إلحاحه في بسط مذاهب البلاغة المختلفة، دون أنْ يقف أمام التركيب، وضم الكلام بعضه إلى بعض على ما يقتضيه علم النحو))(١).

وعلى كل حال فإن ابن قتيبة قد خطا خطوة إلى الأمام في إيضاح فكرة "النظم"، ولم تزل بعد بحاجة إلى من يجليها ويبينها.

٤ - علي بن عيسى الرماني (ت: ٣٨٦ هـ):

بعد ابن قتيبة جاء عيسى بن علي الرماني المعتزلي، الذي أَلَّفَ رسالة في إعجاز القرآن سماها (النكت في إعجاز القرآن).

ذكر الرماني في رسالته أنَّ القرآن الكريم معجز من سبع جهات، وذكر منها الوجــه البلاغي ((وشغل به أكثر الرسالة، ثم عاد إلى الوجوه الأخرى فأوجز بيانها، وهذا واضــح في أنِّ الوجه البلاغي كان موضع اهتمامه؛ لأنَّه أبرز الوجوه والذي يرجع إليه أكثرها))(٢).

قسم الرماني البلاغة إلى طبقات ثلاث: عليا وهي طبقة القرآن، ودنيا وهي أوفى منْزلة في كلام الناس، ومرتبة بينهما؛ وفيها تتفاوت منازل الشعراء والمتكلمين(٣).

وقد قسم البلاغة إلى ((عشرة أقسام: الإيجاز، والتشــبيه، والاســتعارة، والــتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان))(٤).

أما حديثه عن "النظم" فيظهر جليًّا عند حديثه عن "الإيجاز"، و"التلاؤم"، و"حســن البيان". فقد قسم "الإيجاز" إلى قسمين: إيجاز حَذْف، وإيجاز قِصَر، ومثَّل لكل منهما بآيات من القرآن الكريم(٥). وعند حديثه عن قوله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] قال:

---

(١) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: ٥٧ .

(٢) الإعجاز البلاغي، د. محمد أبو موسى: ٨٦ .

(٣) ينظر: النكت في إعجاز القرآن: ٧٥ .

(٤) النكت في إعجاز القرآن: ٧٦ .

(٥) ينظر: النكت في إعجاز القرآن: ٧٦ .

((وقد استحسن الناس من الإيجاز قولهم: القتل أنفى للقتل، وبينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز، وذلك يظهر من أربعة أوجه: أنَّه أكثر في الفائدة، وأوجز في العبارة، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة، وأحسن تأليفًا بالحروف المتلائمة))(١)، ثم أخذ يُفَصِّل في هذه الأوجه حتى قال: ((وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس وموجود في اللفظ: فإنَّ الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام))(٢)، وبذلك يكون الرماني قد ((لفت إلى أنَّ التعبير الممتاز هو الذي يسخر كل شيء لإيصال المعنى حتى أصوات الحروف، والكلمات، وحسن تجاورها، وامتزاجها امتزاجًا تلين فيه وتطوع، فتجري على اللسان من غير كدر))(٣). ولاشك أنَّ هذه الملاحظة وثيقة الصلة بالنظم، ففيها إشارة إلى تناسب اللفظة مع أختها.

ومما له علاقة بالنظم حديثه عن "التلاؤم"، ويريد به حسن النظم والرصف. و"التلاؤم" عنده ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا؛ وهو القرآن الكريم(٤). وفائدة التلاؤم: ((حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة، وطريق الدلالة))(٥).

كما تطرق الرماني إلى ما سماه "حسن البيان"، وقال عنه: ((حسن البيان في الكلام على مراتب، فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل في النظم حتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة))(٦).

هذه هي أهم المباحث التي ذكرها الرماني في رسالته (النكت في إعجاز القرآن) والتي لها علاقة بالنظم، فإذا نظرنا إلى ما قاله عن ((فائدة "التلاؤم" وغيره من ألوان البلاغة التي ذكرها ومَثَّل لها بكثير من الآي؛ وجدناه جديدًا في مفهوم "النظم" باعتبار سابقيه، يقف

(١) النكت في إعجاز القرآن: ٧١ .

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ٧٢ .

(٣) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: ٦٣ .

(٤) ينظر: النكت في إعجاز القرآن: ٩٥ .

(٥) النكت في إعجاز القرآن: ٩٦ .

(٦) النكت في إعجاز القرآن: ١٠٧ .

عند المعنى، والعبارة، والصورة، ويستنبط النكتة من الآية في إطار من البيان البلاغي... فلـــم يشغل نفسه بصلة النظم بعلم النحو... ولكنه على كل حال حدد مـــا يـــرتبط بـــالنظم، وشرحه، وأفاض فيه، ومَثَّل له، كأنَّه يُعْنَى بالجانب التطبيقي أكثر مـــن عنايتـــه بالجانـــب النظري))(١).

٥ - أبوسليمان الخطابي (ت: ٣٨٨هـ):

وبعد الرماني جاء عالم من علماء أهل السنة، وهو: أبو سليمان الخطابي صاحب رسالة (بيان إعجاز القرآن) الذي يرى فيه ((أنَّ القرآن إنما صار معجزًا لأنَّه بأفصح الألفـــاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمَّنًا أصح المعاني))(٢)، فجمع بين اللفظ، والمعنى، والنظم، والتأليف؛ وذلك لأنَّه كان يرى أنَّ الكلام يقوم ((بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى بـــه قـــائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأمَّلت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشـــرف والفضـــيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه، ولا تـــرى نظمًـــا أحسن تأليفًا وأشدَّ تلاؤمًا وتشاكلاً من نظمه. وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنَّها هي التي تشهد لها العقول بالتَّقدم في أبوابها والتَّرقي إلى أعلى درجـــات الفضـــل مـــن نعوتهـــا وصفاتها))(٣).

ومما يشهد على أنَّ فكرة "النظم" كانت حاضرة عند الخطابي وأنَّه كان متـــذوقًا لهـــا قوله: ((ولَمْ نقتصر فيما اعتمدناه مِن البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ الـــتي منـــها يتركب الكلام دون ما يتضمنه مِن ودائعه التي هي معانيه، وملابسه التي هي نظوم الكلام... فأمَّا المعاني التي تحملها الألفاظ، فالأمر في معاناتها أشدُّ ... وأمَّا رسوم النظم، فالحاجـــة إلى الثقافة والحِذْق فيها أكثر لأنَّها لجام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه يتصل أخذ الكلام ويلتـــئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان))(٤).

(١) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: ٦٣ .
(٢) بيان إعجاز القرآن: ٢٧ .
(٣) بيان إعجاز القرآن: ٢٧ .
(٤) بيان إعجاز القرآن: ٣٦ .

ومع حضور فكرة "النظم" عند الخطابي إلا أنَّه لَمْ يُبَيِّنْهَا تبيينًا شافيًا، ولَمْ يتعمـــق في مدلول وجه الإعجاز البلاغي لا مِن حيث النظم، ولا مِن حيث ما يَسْتَتْبِعْه من وجوه المعاني والبيان، واكتفى بتقرير أساليب الكلام الجيد؛ ليجعل بلاغة القرآن تجمع بينها جمعًا لا يتاح للبشر مثله، وعمود ذلك عنده: وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه تبدل المعنى الذي يفسد بـــه الكلام، أو كان به ذهاب الرونق الذي يختل معه البيان(١).

ومع ذلك فإنَّه مما لا شك فيه أنَّ للخطابي دوره الكبير في تطور مفهوم "النظم"، وتنبيه من جاء بعده إلى النظر في اللفظ والمعنى والنظم بشكل متلازم، وهذا ما حدث بالفعل.

٦- أبوبكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ):

بعد الخطابي نلتقي بأبي بكر الباقلاني الأشعري، ألف الباقلاني كتاب (إعجاز القرآن) حيث يقول فيه عن القرآن: ((إنَّه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحـــد الذي يُعْلَم عَجْز الخلق عنه))(٢).

ثم أخذ يبيِّن وجوهًا مما يشتمل عليه بديع نظمه، فمن ذلك: ((ما يرجع إلى الجملـــة؛ وذلك أنَّ نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود مـــن نظـــام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم))(٣).

ومن ذلك: ((أنَّ عجيب نظمه، وبديع تأليفه، لا يتفاوت، ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها))(٤).

ومنها: ((أنَّ كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتًا بَيِّنًا في الفصل والوصل، والعلو والنُـــزول، والتقريب والتبعيد، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم))(٥)، أمَّا القرآن فإنَّه ((على

(١) ينظر: فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: ٦٤ .

(٢) إعجاز القرآن: ١٠١ .

(٣) إعجاز القرآن: ١٠١ .

(٤) إعجاز القرآن: ١٠٣ .

(٥) إعجاز القرآن: ١٠٤ .

اختلاف ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة، والطرق المختلفة، يجعل المخْتَلِفَ كـــالمؤْتَلِفِ، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الآحاد، وهذا أمر عجيب تتبين به الفصاحة، وتظهر به البلاغة، ويخرج به الكلام عن حد العادة، ويتجاوز العرف))(١).

ومنها: ((أنَّ نظم القرآن وقع موقعًا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الإنس والجن، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا))(٢).

ومنها: ((أنَّه سهلٌ سبيله، فهو خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة، وجعله قريبًا إلى الأفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب، ويسبق المغزى منـــه عبارته إلى النفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب عسير المتناول))(٣).

ومما يراه الباقلاني: أنَّ الفنون البلاغية كـــ"التشـــبيه"، و"التجنـــيس"، و"المطابقـــة"، وغيرها، ليست هي معقد الإعجاز؛ بل بما فيها من نظم وتأليف، ويقول في ذلك: ((وإنمـــا ننكر أنْ يقول قائل: إنَّ بعض هذه الوجوه بانفرداها قد حصل فيه الإعجاز، مـــن غـــير أنْ يقارنه ما يتصل به الكلام، ويفضي إليه، مثل ما يقول: إنَّ ما أقسم به وحده بنفسه معجز، وإنَّ "التشبيه" معجز، وإنَّ "التجنيس" معجز، و"المطابقة" بنفسها معجزة، فأما الآية التي فيها ذُكِر "التشبيه" : فإنِ ادَّعى إعجازها لألفاظها ونظمها وتأليفهـــا؛ فـــإني لا أدفـــع ذلـــك، وأصححه، ولكن لا أدَّعي إعجازها لموضع "التشبيه"))(٤).

فالمعتمد عند الباقلاني قبل كل شيء على النظم والتأليف، وليس على الفنون البلاغية التي ذُكِرَت، ومع ذلك فإنَّ الباقلاني ((لم يستطع أنْ يفسر الإعجاز القرآني من حيث نظمـــه تفسيرًا مُفَصَّلاً دقيقًا))(٥) يحدد لنا مفهوم النظم، ويجليه لنا.

---

(١) إعجاز القرآن: ١٠٤ .

(٢) إعجاز القرآن: ١٠٥ .

(٣) إعجاز القرآن: ١١٥ .

(٤) إعجاز القرآن: ٣٤٢ .

(٥) البلاغة تطور وتاريخ: ١٠٩ .

٧- القاضي عبدالجبار الأسد آبادي (ت: ٤١٥هـ):

بعد الباقلاني جاء القاضي عبدالجبار المعتزلي، وتحدث عن فكرة "النظم" في كتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل)، وكان رأيه هو الأساس الذي قامت عليه نظرية "النظم" عند عبدالقاهر الجرجاني.

يقول عبدالجبار: ((اعلم أنَّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم مِنْ أنْ يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع؛ لأنَّه إمَّا أنْ تعتبر فيه الكلمة، أو حركاتها، أو موقعها، ولا بُدَّ مِن هذا الاعتبار في كل كلمة، ثم لا بُدَّ من اعتبار مثله في الكلمات، إذا انضم بعضها إلى بعض؛ لأنَّه قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها، فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها))(١).

إذن فعبد الجبار لاحظ أنَّ اللفظة لا تظهر فصاحتها إلا إذا ضمت إلى أختها، وجاءت في تركيب على طريقة مخصوصة، وهذه الطريقة يقصد بها النظر إلى اللفظة من نواحٍ ثلاث:

((أولها: مفهومها في ذاتها من حيث وصفها اللغوي الذي لها عند أهلها والناطقين بها.

ثانيها: مفهومها حين تتداول عليها الحركات الإعرابية. فتكون فاعلاً، أو مفعولاً، إلى غير ذلك من مواقع الكلمة في الإعراب.

ثالثها: مفهومها حين تأخذ مكانًا خاصًا في التركيب والأسلوب، فتتقدم أو تتأخر))(٢).

هذه الملاحظات الدقيقة من عبدالجبار جعلت فكرة "النظم" تأخذ طريقًا محدد المعالم، فأصبحت تعني: ((تأليف الألفاظ على صورة معينة تراعي حق المعنى في الكلام))(٣)، وهي الفكرة نفسها التي توسع عبدالقاهر الجرجاني في شرحها في (دلائل الإعجاز)، وفسَّرها

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل: ١٦/ ١٩٩ .

(٢) بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار وأثره في الدراسات البلاغية: ٤٧١ .

(٣) في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: ٨١ .

تفسيرًا دقيقًا، وطبَّقها، واستخرج على أساسها "علم المعاني" المعروف بين علـــوم البلاغـــة العربية[1].

٨- عبدالقاهر الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ):

ننتقل الآن إلى عبدالقاهر الجرجاني الأشعري صاحب نظرية "النظم" الذي فسَّـــرها، وشرح قوانينها، وبين ركائزها، ووضع على أساسها "علـــم المعـــاني" في كتابـــه (دلائـــل الإعجاز).

كان عبدالقاهر يهدف إلى أنْ يُدَلِّلَ على إعجاز القرآن الكـــريم بأســـلوب تحليلـــي تفصيلي، بعيدًا عن العمومات التي لا تقف على سبب الإعجاز ولا تُبَيِّنُه، ولا تشفي غليـــل الباحث عن عِلَّته، يقول عبدالقاهر: ((ولَمْ أزل منذ خدمتُ العلم أنظر فيما قاله العلمـــاء في معنى "الفصاحـــة" و"البلاغة" و"البيان" و"البراعة"، وفي بيان المغزى من هـــذه العبـــارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيحاء والإشـــارة في خفـــاء))[2]. ثم طالـــب عبدالقاهر مَنْ يَصِف الكلام بالفصاحة والبلاغة أنْ يُبَيِّنَ سبب ذلك، ففال: ((ولكن بقي أنْ تُعْلِمونا مكان المزيَّة في الكلام، وتصفوه لنا، وتذكروها ذِكْرًا كما يُنَصُّ الشـــيءُ ويُعَـــيَّن، ويُكْشَفُ عن وجهه ويُبَيَّن، ولا يكفي أنْ تقولوا: "إنَّه خصوصية في كيفية النظم، وطريقـــة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض"، حتى تصفوا تلـــك الخصوصـــية وتبينوهـــا، وتَذْكروا لها أمثلة، وتقولوا: "مثل كيت وكيت"))[3]، وقال أيضًـــا: ((لا يكفـــي في علـــم الفصاحة أنْ تَنْصِبَ لها قياسًا ما، وأنْ تصفها وصفًا مجملاً، وتقول فيها قولاً مرسلاً، بـــل لا تكون مِن معرفتها في شيء، حتى تُفَصِّل القول وتُحَصِّل، وتضع اليد على الخصائص الـــتي تَعرِض في نظم الكلم وتَعُدَّها واحدةً واحدةً، وتسمِّيها شيئًا شيئًا))[4].

(١) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: ١١٨ .

(٢) دلائل الإعجاز: ٣٤ .

(٣) دلائل الإعجاز: ٣٦ .

(٤) دلائل الإعجاز: ٣٧ .

والهدف مِن معرفة أسرار النظم عنده: ((أنْ تعرف حُجَّة الله تعالى من الوجه الذي هو أضْوأ لها، وأنْوه لها))(١)، فحتى تقف على إعجاز القرآن الكريم لا بُدَّ أنْ تــدرك خصــائص نظمه فيَتَبَيَّن لك فضله على سائر الكلام، وذلك لأنَّ العرب لمــا سمعــوا القــرآن الكــريم ((أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتــهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها،... وبهرهم أنهم تأملوه سورةً ســورةً، وعشرًا عشرًا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمةً ينبو بها مكانها، أو لفظةً يُنْكَرُ شأنها، أو يُرَى أنَّ غيرها أصْلَحُ هناك أو أشْبَه، أو أَحْرَى أو أَخْلَق، بل وجدوا اتِّساقًا بهــر العقــول، وأعجز الجمهور، ونظامًا والتئامًا وإتقانًا وإحكامًا))(٢).

والآن لِنَطْرَح السؤال الذي هو صلب موضوعنا: ما "النظم" عند عبدالقاهر؟ وما ركائزه؟

يقوم النظم عند عبدالقاهر على ثلاث ركائز(٣):

١ - ترتيب المعاني في النفس بموجب إعمال العقل:

فالألفاظ تأتي وَفْقَ ترتيب المعاني في النَّفس وتابعةً لها: ((لأنَّك تقتفي في نظمها آثــار المعاني، وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظمٌ يُعْتَبَرُ فيه حال المنظــوم بعضه مع بعض، وليس هو "النظم" الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتَّفَق))(٤).

٢ - مراعاة السياق والموقع في التأليف:

ويقصد به أنْ تأتي اللفظة في موقعها اللائق بها إذا ضُمَّت مع غيرها، ((وهل تجد أحداً يقول: "هذه لفظة فصيحة"، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحُسْنَ ملاءمة معناها لمعــاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: "لفظة متمكنة، ومقبولة" وفي خلافه: "قلقة، ونابية، ومستكرهة"، إلا وغرضهم أنْ يُعَبِّروا بالتَّمَكُّن عن حُسْنِ الاتِّفاق بين هذه وتلك من

(١) دلائل الإعجاز: ٣٧ .

(٢) دلائل الإعجاز: ٣٩ .

(٣) ينظر: نظرية النظم عند الشيخ عبدالقاهر الجرجاني: ٣٢ وما بعدها.

(٤) دلائل الإعجاز: ٤٩.

جهة معناهما، وبالقلق والنُّبُوِّ عن سوء التلاؤم، وأنَّ الأُولى لم تَلِقْ بالثانيــة في معناهـــا، وأنَّ السابقة لم تَصْلُح أن تكون لِفْقًا للتالية في مؤدَّاها))(١).

يتضح من مقال عبدالقاهر أنَّ معرفة لياقة اللفظة لموقعها يعود إلى التلاؤم والانسجام فيمـــا بينها وبين أخواتها من حيث المعنى.

٣- توخي معاني النحو:

بعد أنْ قَرَّرَ عبدالقاهر أنَّ ترتيب الألفاظ يتم حسب ترتيب المعـــاني في الـــنفس، وأنَّ الألفاظ لا بد أنْ تتلاءم مع بعضها أثناء الضم، بَيَّنَ أنَّ الربط بين المعاني والألفاظ يتم عـــن طريق "توخي معاني النحو"، وهذا هو "النظم" الذي يقول عنه: ((اعلم أنْ ليس "النظم" إلا أنْ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعـــرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تُخِلُّ بشيء منها))(٢)، ثم شرح مراده بذلك، فقال: ((وذلك أنَّا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم بنظمه غير أنْ ينظـــر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في "الخبر" إلى الوجوه التي تراها في قولك: "زيد منطلـــق"، و"زيد ينطلق"، و....

وفي "الشرط والجزاء" إلى الوجوه التي تراها في قولك: "إنْ تَخْـــرُجْ أَخْـــرُجْ"، و "إنْ خرجتَ خرجتُ"، و....

وفي "الحال" إلى الوجوه التي تراها في قولك: "جاءني زيد مسرعًا"، و"جاءني يسرع"، و... فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له.

وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلـــك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في خاصِّ معناه، ....

وينظر في الجمل التي تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل....

---

(١) دلائل الإعجاز: ٤٤ .

(٢) دلائل الإعجاز: ٨١ .

ويتصرف في التعريف، والتنكير، والتقديم، والتأخير، في الكلام كلـــه، وفي الحـــذف، والتكرار، والإضمار، والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصِّحَّة وعلى ما ينبغي))(١).

وهكذا أشار عبدالقاهر إلى مراده بـــ"توخي معاني النحو"، فهو يرمـــي إلى أنَّ كـــل تركيب له معنى خاص، وإذا تغيَّر الترتيب فإن المعنى يتغيَّر، فتكون هناك فروق دقيقة بسبب تَغَيُّرِ "النظم"، كما يقول في موضع آخر: ((إذا تَغَيَّرَ "النظم" فلا بد حينئـــذٍ مـــن أنْ يتغيَّـــرَ المعنى))(٢).

إنَّ تَغَيُّرَ "النظم" يكون بما ذَكَرَه من تعريفٍ وتنكيرٍ، أو تقديمٍ وتأخيرٍ، أو ذِكْرٍ وحذفٍ وتكرارٍ، أو إضمارٍ وإظهارٍ، أوعطفٍ. وهذه المباحث هي المباحث نفسها التي انتهى إليهـــا "علم المعاني"(٣).

لقد تَلقَّف عبدالقاهر فكرة "النظم" من القاضي عبدالجبار، ومن جهود من سبقه مـــن العلماء، فأحسن تأصيلها، وشرحها، وبيَّنَها، وطبَّقها على الأمثلة، ووضع لها ركائزها الـــتي تعتمد عليها، فاستحقَّ بذلك أن تُنْسَب إليه.

يقول الدكتور شوقي ضيف: ((عبدالقاهر استطاع في (الـــدلائل) أن يفسِّـــر نظريـــة "النظم" تفسيرًا رَدَّها فيه إلى المعاني الثانية، أو كما قلنا: إلى المعاني الإضافية التي تُلْـــتَمَسُ في ترتيب الكلام حسب مضامينه، ودلالته في النفس، ... فالحق أنَّه ابتكر هـــذه النظريـــة ... نظرية نشأ عنها فيما بعد علم مستقل من علوم البلاغة هو "علم المعـــاني" الـــذي وضـــع عبدالقاهر أصوله، وصور فصوله، وحدودها، وشعبها، تصويرًا دقيقًا))(٤).

هذا هو مفهوم "النظم"، رأينا كيف أنَّ العلماء تحدثوا عنه وهم يبحثون في إعجـــاز القرآن الكريم، فذكروا إشارات ولمحات دلَّهم عليها حِسُّهم البلاغي، وتذوقهم للنصـــوص، واختلفوا مِن حيث قربهم أو بعدهم عن التعبير عنه، ورأينا كيف أنَّ القاضي عبدالجبار قـــد اقترب أكثر مِن غيره إلى فكرة "النظم"، وأنَّ عبدالقاهر الجرجاني تلقَّف الفكرة وخطا فيهـــا خطوة واسعة في (دلائل الإعجاز) الذي أسَّس فيه مباحث "علم المعاني" المعروف في علـــوم البلاغة.

---

(١) دلائل الإعجاز: ٨١، ٨٢ .

(٢) دلائل الإعجاز: ٢٦٥ .

(٣) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: ١٧٠ .

(٤) البلاغة تطور وتاريخ: ١٨٩ .

٢ - مفهوم القصة في القرآن:

مفهوم القصة في القرآن الكريم يختلف عن مفهوم القصة البشرية؛ وذلك لأنَّ قَصَـــصَ القرآن له أهدافه، وغاياته، وطبيعته، وأسلوبه الذي يخصُّه.

وإذا رجعنا إلى مادة (ق ص ص) في اللغة؛ وجدناها تدل على معانٍ، منها: تَتبُّعُ الأثرِ، والخبرُ، والأمرُ، والحديثُ. قال ابن فارس: ((القاف والصاد: أصل صحيح يدل علـــى تَتَبُّـــعِ الشيء. من ذلك قولهم: "اقْتَصَصْتُ الأثر"، إذا تَتَبَّعْتُه))(١).

وقال الأزهري: ((أصل القصِّ: اتِّباع الأثر، يقال: "خرج فلان قَصَصًا في أثـــر فـــلان وقَصًّا"، وذلك إذا اقْتَصَّ أثره، وقيل للقاصِّ: "يَقُصُّ القَصَص"؛ لاتِّباعه خبرًا، وسَوقِه الكلام سوقًا))(٢).

وقال ابن منظور: ((القَصُّ: فِعْلُ القاصِّ إذا قَصَّ القَصَص، والقِصَّة معروفة. ويقـــال: "في رأسه قصة"، يعني: الجمل من الكلام، ونحوه قوله تعالى: M **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ** L [يوسف: ٣]؛ أي: نُبَيِّنُه لك أحسن بيان. والقَاصُّ: الذي يأتي بالقصة من قَصِّها.

ويقال: "قَصَصْتُ الشيء"؛ إذا تَتَبَّعْتُ أثره شيئًا بعد شيء، ومنه قوله تعالى: M { ~ **قُصِّيهِ** L [القصص: ١١] أي: اتْبَعي أثره، ...

والقصة: الخبر، وهو القَصَص. و"قَصَّ عليه خبره يَقُصُّـــه قَصًّـــا وقَصَصًـــا": أَوْرَدَه. والقَصَصُ: الخبر المقصوص، بالفتح، وُضِع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. والقِصَص، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب... وتَقَصَّصَ الخبر: تَتبَّعَه، والقصة: الأمر، والحـــديث ...، والقَصُّ: البيان... و"قَصَّ آثارهم يَقُصُّها قَصًّا وقَصَصًا وتَقَصَّصَها": تَتبَّعَهـــا بالليـــل، وقيل: هو تَتَبُّعُ الأثر))(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ١١، مادة (قص).

(٢) تهذيب اللغة: ٨/ ٢٥٦، مادة (قص).

(٣) لسان العرب: ١١/ ١٩٠، مادة (قص).

والقصة في القرآن الكريم، هي: ((إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنُّبُوَّات الســابقة، والحوادث الواقعة))(١).

ويقول الدكتور عبدالكريم الخطيب: ((أطلق القرآن لفظ القَصَص على ما حَدَّثَ به من أخبار القرون الأُولى في مجال الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بـين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام))(٢).

ومن هذين التعريفين ننطلق لبيان أهم الفروق التي تميز القصة القرآنية عن غيرها من القصص البشري، وأول فرق من هذه الفروق:

١ - الاختلاف في الغاية والهدف:

القصة أسلوب من أساليب القرآن الكريم تهدف إلى الدعوة، والإرشاد، والتوجيــه، فهي ذات غايات دينية بحتة(٣)، ولذلك نجد أنَّ ((القصة القرآنية ليست عملاً فنيًّا مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه؛ كما هو شأن القصة العادية، وإنما هي وسيلة مــن وسائل القرآن الكثيرة إلى إبراز الأغراض الدينية التي تكفل للإنســان الســعادة في الــدنيا والآخرة))(٤).

ومن هنا نلمس سمو الهدف في القصة القرآنية، فهو قَصَصٌ مُوَجَّه يُقَدِّم لنا النمــوذج المثالي للسلوك والأخلاق، والقدوة المتعالية عن الدنايا، ويُثَبِّتُ المؤمنين على الحق، ويقــوي يقينهم.

ولذا كان للغرض الديني للقصة في القرآن الكريم أثره على طريقة عرضها؛ فمن ذلك: أنَّ القصة الواحدة قد تتكرر في أكثر من مواضع؛ ((ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها - غالبًا - إنما هو تكرار لبعض حلقاتها، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيهــا، أمــا جسم القصة كله فلا يكرر إلا نادراً، ولمناسبات خاصة في السياق))(٥).

---

(١) مباحث في علوم القرآن: ٣٠٠.

(٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ٤٠ .

(٣) سيأتي الحديث عن أغراض القصة في القرآن الكريم ـــ إن شاء الله تعالى ـــ في ص ٣٢ وما بعدها.

(٤) القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن: ٢٥ .

(٥) التصوير الفني في القرآن: ١٥٥ .

ومن آثار الغرض الديني على القصة في القرآن: ((أنْ تُعرض بالقدر الذي يكفـــي لأداء هذا الغرض، ومن الحلقة التي تتفق معه؛ فمرة تعرض القصة من أولها، ومرة مـــن وســـطها، ومرة من آخرها))(١). ومن تلك الآثار: ((أنْ تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصة، قبلـــها وبعدها وفي ثناياها))(٢).

كل ذلك يدل على أنَّ الغرض الديني هو الغاية والهدف من القصة في القرآن. وأنبه إلى أنَّ القصص النبوي تأثر بالقرآن في ذلك فسلك المنهج نفسه، واتفق معه في غاياته وأهدافه.

أما القصة البشرية فتخضع في أهدافها وغاياتها لِتَوَجُّه الكاتب، وفكـــره، وفلســـفته، ونظرته للكون، فالكاتب يصب فكره في قالب قصصي، يبثُّه بين الناس، وقد يكـــون هـــذا الفكر فكرًا منحرفًا، كما هو ملاحظ في الكثير من الأعمال القصصية كالقصص الوجودي والفلسفي، الذي تغلغل في أعماق الدين، فتناول مشاكل القدر، والحظوظ الإنســـانية، دون أنْ يعالج هذه القضايا معالجة موضوعية، أو يجد لها حلولها، بل زرع في القارئ أشواك القلق والحيرة والتشكيك في العدالة الإلهية، وفي كثير من القيم الروحية، وجعل الإنسان وحيرتـــه محورًا يعتمد على منطق العقل وحده، ولخلوه من النَّزعة الروحية، والنظرة المتطلعـــة إلى مـــا وراء الطبيعة؛ جاء جافًا قاحلاً ضَيِّق الأفق(٣). وهذا القصص كاد يقضي على القيم الروحية والأخلاقية، في حين أنَّ القصص القرآني خاصة جعل لحياة الإنسان معنى لا يزول، وجعلـــه متصلاً بحياة الكون في أوسع مداه(٤).

أمَّا على مستوى الأخلاق؛ فقد انتشر القصص الذي يدعو إلى الرذيلة، ويســـرف في المادية والانحلال الخلقي بدعوى الواقعية، ومقاصد الفن، فـــأدى ذلـــك: ((إلى الاســـتهانة والسقوط، مع تبرير السقوط والفاحشة، والتماس الأعذار للساقطين، والمنحلين، والمستهترين أخلاقيًّا))(٥).

(١) التصوير الفني في القرآن: ١٦٢ .

(٢) التصوير الفني في القرآن: ١٦٨ .

(٣) ينظر: سيكلوجية القصة في القرآن: ١٢.

(٤) ينظر: سيكلوجية القصة في القرآن: ١٧ .

(٥) القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن: ٢٧ .

هذا هو أول فرق بين القصة القرآنية والقصة البشرية؛ فالقصة في القرآن لها أهـــداف دينية تبني الفرد والمجتمع، وتسمو بالإنسان إلى مقام العبودية لله ﷻ، بينما القصة البشـــرية تتعاورها أهواء المؤلفين كل بحسبه، وقد ينحرف الكاتب عن القيم والمثل والمبـــادئ فيجـــر النفس الإنسانية إلى مهاوي الشك والحيرة، وإلى أتون العبودية للهوى والشيطان.

٢ - الصـــدق المطلق:

من الأمور التي تفترق فيها القصة القرآنية عن غيرها من القصص؛ أنَّ القصة القرآنيـــة كلها صدق وحق، تلتزم بالواقع، وتنقل الأحداث والشخصيات كما هي، كيف لا؛ وقـــد نفى الله ﷻ عن قَصَصِ القرآن الكذب والافتراء والاختلاق صراحة في قولـــه ﷻ: M **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾** L [يوسف:١١١]، قال ابن عاشور: ((وجملة M**مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ** L إلى آخرها، تعليل لجملة M **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ** L أي: ذلك القصص خـــبر صدق، مطابق للواقع، وما هو بقصة مخترعة. ووجه التعليل أنَّ الاعتبار بالقصة لا يحصل إلا إذا كانت خبرًا عن أمر واقع، لأنَّ ترتب الآثار على الواقعات ترتب طبيعي، فمن شـــأنها أنْ تترتب أمثالها على أمثالها كلما حصلت في الواقع، ولأنَّ حصولها ممكن؛ إذ الخارج لا يقـــع فيه المحال، ولا النادر، وذلك بخلاف القصص الموضوعة بالخيال والتكاذيب؛ فإنها لا يحصـــل بها الاعتبار؛ لاستبعاد السامع وقوعها؛ لأنَّ أمثالها لا يعهد))(١).

ومِن الآيات التي تشهد كذلك على صدق القَصَصِ القرآني، وبراءتـــه مـــن الزيـــف والخيال، قولـــه ﷻ: M e f g h i j l m n o p q r s t L [هـــود:٤٩]، وقد وردت هذه الآية بعدما ذكر الله ﷻ قصة نوح ﵇، يقول ابـــن كـــثير: ((يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: هذه القصة وأشباهها M f g h L، يعـــني: مـــن أخبار الغيوب السالفة نوحيها إليك على وجهها، وجليَّتها، كأنَّك شاهدها، ... أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح))(٢).

(١) التحرير والتنوير: ١٣/ ٧١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٢٨.

والصدق صفة حُسْنٍ في القَصَصَ، وقد وصف الله ﷻ قَصَصَ القرآن بأنَّــه أحســن القَصَص؛ فقال ﷻ : M نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ L [يوسف:٣]، قال الشيخ ابن ســعدي: ((وذلك لصدقها، وسلاسة عبارتها، ورونق معانيها))(١)، فهي أحسن القَصَص مــن جميــع الوجوه؛ في البيان والأسلوب، وفي الصدق الفني، وفي الصدق الواقعي، وفي العرض لوقــائع التاريخ، وفي الوصول لمتلقيه، وفي القيام على الحقائق، والنَّأْي عن الخيال، وفي غير ذلك من وجوه الحُسْن(٢).

وهكذا نرى القرآن يؤكِّد صدق قَصَصِه، ويُنَزِّهُها عــن الافتــراء، ويصــفها بأنهــا Mأَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ L [يوسف:٣]، وكفى بذلك دليلاً وبرهانًا.

ومما يؤكِّد ذلك أيضًا: الرجوع إلى المعنى اللغوي لمادة (ق ص ص)، فإنَّنا نجدها تدور حول قصِّ الأثر، وتَتَبُّعِه، واقتفائه، أي: مطابقته للواقع. ((ومن اللافت للنظــر أنَّ القــرآن الكريم يستخدم مادة (ق ص ص) في ستة وعشرين موضعًا، بينما لم يســتخدم أَيًّــا مــن مرادفاتها التي تشيع الآن على ألسنتنا من نحو: الحكاية، والرواية، أو أيًّا من مشتقاتها... وهذا يدفعنا إلى الجزم بأنَّ مفهوم (القصة) في القرآن الكريم كما يُفضي بذلك ما فهمــه العــرب الأوائل في لسانهم حول هذا المفهوم؛ تدور حول الإخبار بالواقع الحقيقي المجرد، وتَتَبُّع آثــار الحقيقة والأخبار الماضية، وسردها بصدق وموضــوعية، دون إضــفاء الخيــال، وتــأليف الحكايات، وتلفيق الوقائع، وانتحال الأخبار المكذوبة، والمتوهمة، تحت اســم الفــن والأداء الفني))(٣).

ولذلك نجد أنَّ القَصَصَ القرآني يلتزم طريقة الرواية، وينقل الحوار مســبوقًا بقولــه: (قال...)، أو(قال الذين ...)، مما يدل على أنَّه حقٌّ ينقل الحوار والوقائع كما هي(٤).

ثم إنَّ القرآن الكريم - كما هو معلوم - أُنْزِل على العــرب، ولم يكــن العــرب في الجاهلية يحفلون بالخيال والأساطير في قصصهم، وكان قَصَصُهم البطولي واقعيًّا، مُسْتَمَدًّا مِن

---

(١) تفسير ابن سعدي: ٣٨٩ .

(٢) ينظر: الإعجاز القصصي في القرآن: ١٤٩ .

(٣) بلاغة السرد القصصي في القرآن: ٩،١٠. وينظر: إعجاز القرآن وعلومه: ٦٤٣،٦٤٤.

(٤) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ٨٠.

واقع الحياة؛ وبناءً عليه فإنَّ القَصَصَ القرآني سيكون على سمت هذا القَصَص العربي الـــذي عرفه العرب في جاهليتهم، الذي هو في طبيعته صورة منتزعة من الواقع، وبعيد عن الخيال، فكان قَصَصُ القرآن ملائمًا للبيئة التي نزل فيها، قريبًا مما اعتادته الأمَّة العربية في حياتها؛ من تسجيل الأحداث وتصوير الوقائع في هذا اللون الملتزم بالواقع، الواقف عند حدوده(١).

وهذا كلُّه على خلاف القصص البشري، أو القصة بوصفها جنسًا فنيًّا إذ تعتمد على الخيال في بنائها وصناعة أحداثها، حتى لو كان لها أصـــل في الواقـــع. جـــاء في قـــاموس (لاروس): ((القصة - قديمًا -: حكاية حقيقية أو مصطنعة، منظومة أو منثورة، مصـــبوبة في قالب قصصي. وهي اليوم: عمل أدبي من نسج الخيال، يصور بـــالنثر أحـــداثًا متخيلـــة، مصطنعة، منمقة، بقصد استثارة القارئ، وجذب اهتمامه))(٢).

ويعرف محمد تيمور القصة الفنية بأنَّها: ((عرض لفكرة مـــرت بخـــاطر الكاتـــب، أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره، فأراد أنْ يعبر عنـــها بالكلام، ليصل بها إلى أذهان القُرَّاء، محاولاً أنْ يكون أثرها في نفوســـهم مثـــل أثرهـــا في نفسه))(٣).

وهناك تعريفات أخرى للقصة البشرية كلها تدور في الفلك نفسه، وتركز على عنصر الخيال، فمن الواضح أنَّ القَصَصَ البشري يخلط الخيال بالحقيقة، وتبعد فيه آفاق التصوير، بل ويَجْمُل وقعه في النفوس بمقدار بُعْدِهِ عن الواقع والحقيقة، ويتخلله كثير مِمَّا لا يطابق الواقع للحاجة إليه في ترويج أمر معيَّن، أو مبالغة في تصوير شيء ما(٤)، أو إثارة الانتباه، وإلهـــاب العواطف، ((أمَّا القرآن الكريم فهو يعتاض عن ذلك الخيال بسحر بيانه... وقوة أخذه، ودقة عباراته في تصويره العجيب))(٥).

---

(١) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ٣٧ .

(٢) نقلاً عن بلاغة السرد القصصي في القرآن: ٨ .

(٣) نقلاً عن التعبير الفني في القرآن الكريم: ٢١٣ .

(٤) ينظر: بحوث في قصص القرآن: ٤٧، ٤٨.

(٥) بحوث في قصص القرآن: ٥١ .

ولقد زلَّت القدم ببعض الدارسين لقَصَصِ القرآن الكريم تحت وطأة فكرة (فنية قَصَصِ القرآن) [1]، فأخذ يطبق المقاييس النقدية للقصة البشرية على قصص القرآن؛ فنتج عن ذلك أنْ نفى عنه صفة الصدق، وزعم أنَّه يشتمل على شيءٍ مِن القَصَصِ الأسطوري، والتمثيلي، والتخيلي، وأنَّه لا يتقيَّد بالحقيقة والواقع، ولا يُعَدُّ وثيقة تاريخية يعتمد عليها.

وما ذكر آنفًا من أدلَّة كافٍ للرد على مثل هذه المزاعم. وأضيف هنا ردًّا على شُـبهة أوردها صاحب هذه المقولة، وهي: أنَّ إنطاق الشخص الواحد في الموقف الواحد بعبـارات مختلفة حين يتكرر القَصَص، يدل على أنَّ القرآن لا يحكي الواقع والحقيقة.

والرد على هذه الشبهة بأنْ يقال: إنَّ هذا ليس بصحيح؛ لأنَّ العبرة بمـدلول الكـلام ومعناه، وهل يريد من القرآن الكريم المعجز بنظمه وأسلوبه أنْ ينقل كلام المـتكلم كمـا هو؟!!. إنَّ القرآن الكريم ينقل ما قالته شخصيات القصة بأسلوبه المعجز الذي يتناسب مـع المقام، والحال، والسياق، وفي ذلك يقول أبو السعود في تفسيره: ((فالكلام الواحد المحكـي على وجوه شتى؛ إنِ اقتضى الحال وروده على وجه معين مِن تلك الوجوه الـواردة عنـد الحكاية فذلك الوجه المطابق لمقتضى لحال، والبالغ إلى رتبة البلاغة دون مـا عـداه مـن الوجوه... إنْ قلت: فإذن لا يكون ذلك نقلاً للكلام على ما هو عليه، ولا مطابقًا لمقتضـى المقام. قلنا: الذي يجب اعتباره في نقل الكلام إنما هو أصل معناه، ونفس مدلوله الذي يفيده، وأمَّا كيفية إفادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل ألْبَتَّه؛ بل قد تراعى، وقد لا تراعـى، حسب اقتضاء المقام، ولا يقدح في أصل الكلام تجريده عنها، بل قد يراعـى عنـد نقلـه كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم أصلاً، ولا يُخِل ذلك بكون المنقول أصل المعنى، ألا يُرَى أنَّ جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم؛ إنما تُحْكَى بكيفيات واعتبارات لا يكـاد يَقْدِر على مراعاتها مَنْ تكلم بها حتمًا، وإلا لأمكن صدور الكلام المعجز عن البشر؟)) [2].

(١) كالدكتور محمد أحمد خلف الله، في رسالته للدكتوراه التي بعنوان:(الفن القصصي في القرآن الكـريم). وقـد ردَّ عليه عدد من العلماء والباحثين، منهم: الأستاذ محمد الخضر حسين، في كتابه (بلاغة القـرآن):٩٤، والأسـتاذ عبدالكريم الخطيب، في كتابه (القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه):٢٨١ وما بعدها.

(٢) تفسير أبي السعود: ٣/ ٢١٨ .

إنَّ القَصَصَ القرآني كما ذُكِرَ يقوم على الصدق والحقيقة ((وإذا خرجت القصة في هذا العصر - لغرض فني أو غير فني - عن هذا الإطار أو الاستعمال فإنَّ العجيب أنْ يُحْكَم على القرآن باصطلاح أو باستعمال وعُرْف حادثٍ بعد نزوله))(١).

إنَّنا لا ننفي سِمَةَ الفن عن القَصَصِ القرآني، ولكن ينبغي أنْ نحفظ للقرآن قُدْسِيَّتَه، وألا نقيسه بالقَصَصِ البشري، ومعاييره النقدية، لأنَّه كلام الله ﷻ، ((فالفن في القرآن: إبداع في العرض، وجمال في التنسيق، وقوة في الأداء، وشيء من هذا كله لا يقتضي أنَّه يعتمد علـــى الخيال والتلفيق والاختراع متى استقامت النفوس، وصحت الأفهام))(٢).

٣- الإعجاز في البلاغة، وحسن النظم، والأسلوب:

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول ﷺ، وقد تحدَّى الله ﷻ به الجن والإنـــس قاطبة، فقـــال: M , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? L [الإسـراء: ٨٨]، أي: لا يأتون بمثله في البلاغـــة، وحُسْـــنِ الـــنظم، والمعاني(٣).

وقال ﷻ عن قَصَصِ القرآن: M نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ L [يوسـف:٣]، قال ابـــن عاشور: ((وقَصَصُ القرآن أحسن من قَصَصِ غيره من جهة حُسْنِ نظمه، وإعجاز أســـلوبه، وبما يتضمنه من العبر والحكم، فكلُّ قَصَصٍ في القرآن هو أحسن القَصَصِ في بابـــه، وكـــل قصة في القرآن هي أحسن من كل ما يقصه القاص في غير القرآن))(٤).

والقصة في القرآن تأتي في مواضع مختلفة دون أنْ يكون فيها ضعف أو خلل أو تفاوت في النظم، بل هي في جميع مواضعها في قِمَّة البلاغة والتناسب مع السياق.

أما القَصَصُ البشري فهو ككلامهم فيه البليغ، وفيه ما دون ذلك، والكـــلام البليـــغ يعتريه ما يعتريه من النقص والخلل، وهو عرضة للنَّقد والتصويب، فهو مهمـــا بلـــغ مـــن

---

(١) علوم القرآن وإعجازه: ٦٤٤ .

(٢) التصوير الفني في القرآن: ٢٥٩ .

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥/ ١٩٣ .

(٤) التحرير والتنوير: ١٢/ ٢٠٣ .

الفصاحة والبيان يبقى في منْزلة البلاغة البشرية؛ ولذلك نجد سِهام النَّقد تُوَجَّه إلى كثير من الأعمال القصصية مع براعة كتابها، وتَبَوُّئِهم المنازل العالية في الفن القصصي.

وكذلك فإنَّنا نجد الكاتب والقاص المُبَرِّز يتفاوت فيما كتب من ناحية الفصاحة والبلاغة في العمل الواحد، والقصة الواحدة، فنجده يُحَلِّقُ في موضع، ويُسِفُّ في موضع آخر، بينما قَصَصُ القرآن الكريم على كثرة وروده وتَكَرُّرِ بعضه لا ينْزل عن مرتبة الإعجاز البلاغي، يقول الباقلاني: ((ومتى تأمَّلت شعر الشاعر البليغ رأيتَ التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى، فإذا جاء إلى غيره قصر عنه، ووقف دونه، وبان الاختلاف على شعره، ولذلك ضُرِبَ المثل بالذين سَمَّيْتُهم[1]؛ لأنَّه لا خلاف في تقدمهم في صنعة الشعر، ولا شك في تبريزهم في مذهب النظم. فإذا كان الاختلال بينًا في شعرهم، لاختلاف ما يتصرفون فيه، استغنينا عن ذكر مَن دونهم، وكذلك يُستغنى به عن تفصيل نحو هذا في الخطب، والرسائل، ونحوها))[2].

ويقول أيضًا: ((وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذِكْرِ القصة الواحدة، فرأيناه[3] غير مختلف ولا متفاوت، بل هو نهاية البلاغة وغاية البراعة))[4].

ولذلك - كما ذُكِر آنفًا - نجد القَصَصَ القرآني غنيًّا بِحُسْنِ نظمه، وأسلوبه المعجز، عن الخيالات والأوهام والأساطير والخرافات وتلفيق الحقائق واختراعها.

وهكذا رأينا كيف أنَّ مفهوم القصة في القرآن الكريم يختلف عن مفهوم القصة البشرية؛ مِن حيث أهدافه وغاياته، ومِن حيث طبيعته وضوابطه، ومِن حيث إعجازه البلاغي.

ومع كونه ذا أهدافٍ وغاياتٍ دينية، ويقوم على الحقائق المطلقة؛ إلا إنَّه يشتمل على ألوانٍ مِن الإثارة والتشويق لا نجدها في غيره من القَصَص[5]، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ** ﴾ [يوسف:٣].

(١) الذين ضرب بهم المثل هم: امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب.

(٢) إعجاز القرآن: ١٠٣ .

(٣) أي: القرآن الكريم.

(٤) إعجاز القرآن: ١٠٤ .

(٥) ينظر: الإعجاز القصصي في القرآن: ٢١٩ .

• أغـــراض القصـــة القـــرآنية:

ذُكِر فيما سبق أنَّ القصة القرآنية ليست عملاً فنيًّا مستقلاً بذاته، وإنما لهـــا أغـــراض دينية، وأهداف تشريعية؛ ((ولذلك نرى القرآن يأخذ مِن كل قصة أشرف مواضيعها ويُعرِض عمَّا عداه؛ ليكون تَعَرُّضُه للقَصَصِ مُنَزَّهًا عن قصد التَّفَكُّهِ بها))[1].

وأغراض القَصَصِ القرآني يصعب استقصاؤها، ولكن نَذْكَرُ هنا أبرز هذه الأغراض:

١ - إثبات الوحي والرسالة وصدق نبوة الرسول ﷺ :

وذلك لأنَّ النبي ﷺ كان أميًّا، ولَمْ يُعرف عنه مخالطة أحبار اليهود والنصارى، فورود القَصَصِ في القرآن الكريم بالدِّقة والإسهاب التي هي عليه؛ يدل علـــى أنَّ هـــذا القـــرآن ليس من عنده، وإنما هو وحي يُوحَى إليه[2]، قال الله ﷻ : M **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ** © **ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾** L [يوسف: ٣]، ويقـــول ﷻ : M e f g h i j l m n o p q r s t L [هود: ٤٩].

٢ - بيان وحدة الدين والرسالة:

وذلك بالتأكيد على أنَّ الأنبياء جميعًا دعوا إلى أمر واحد هو التوحيد، وإفراد الله ﷻ بالعبادة، ولذلك نجد بعض قَصَصِ الأنبياء تأتي تباعًا في سورة واحدة، وقد اتَّحدت كلمتهم، كما ذَكَرَ الله ﷻ عن نوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ، وشعيبٍ عليهم الصلاة والسلام، أنَّهـــم قـــالوا لقومهم: M ; < = > ? @ A B L [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥] ، وفي سورة الأنبياء لما ذَكَرَ الله ﷻ عددًا منهم قال: M - . / 0 1 2 3 4 5 L [الأنبياء: ٩٢]، قال الشيخ ابن سعدي: ((أي: هؤلاء الرسل المذكورون، هم أمتكم وأئمـــتكم الذين بهم تأتمون، وبهديهم تقتدون، كلهم على دين واحد، وصراط واحد، والرب أيضًـــا واحد))[3].

---

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٦٤ .

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ١٤٥ .

(٣) تفسير ابن سعدي: ٥٢٦ .

٣- تسلية النبي ﷺ ممَّا يلقاه من أذى المشركين وتكذيبهم:

فقد كان النبي ﷺ يضيق صدره، ويصيبه الهم والحزن بسبب تكذيب قومه له، حـــتى كاد يُهْلِك نفسه، فيأتي قَصَصُ القرآن لتسليته، وليبين أنَّ طريق الأنبياء في الدعوة واحـــد، وأنَّ ردَّ أقوامهم عليهم متشابه(١)، فالأنبياء يدعون أقوامهم إلى التوحيد، ويـــأتون بالآيـــات والبينات، وأقوامهم يُكَذِّبوهم ويستهزئون بهم، قال الله ﷻ في سورة الأعراف بعـــد مـــا ذَكَرَ عددًا من قَصَصِ الأنبيـــاء: M i j k l m n p q r s t u v w x y z | } ~ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ L [الأعـــراف: ١٠١]، وقـــال الله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 2 3 4 5 6 L [الذاريات: ٥٢-٥٣]، فالابتلاء سنة ماضية، والأنبياء هم أشد الناس بلاءً، ولكـــن العاقبة للمتقين.

ولذلك لما ذَكَرَ الله ﷻ حُزْنَ النبي ﷺ على قومه بسبب تكذيبهم له في قولـــه ﷻ: M ( ) * + , - . L [الشعراء: ٣]، ذَكَرَ بعد ذلك بعضًا من قَصَصِ الأنبيـــاء الذين كُذِّبوا، وافتتح كل قصة بذكر تكذيبـــهم، فقـــال ﷻ: M كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ L [الشعراء: ١٠٥]، وقـــال عن عـــاد: M q r s t L [الشعراء: ١٢٣]، وذكر مثل ذلك عن ثمود، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، كل ذلك تسلية للنبي ﷺ ، وتذكيرًا له بما أصـــاب الأنبياء قبله.

٤- تثبيت قلب النبي ﷺ والمؤمنين:

وذلك بتقوية ثقتهم بنصر الله ﷻ لهم، وخذلان الباطل وأهله(٢)، فـــالله ﷻ ناصـــر أولياءه، ومهلك أعداءه، قال الله ﷻ: M ? @ A B C D E F G H J K L M N O P Q L [هود: ١٢٠]، ويقول ﷻ: M e f g h i j l m n o p q r s t v x y z L [هود: ٤٩]، قال ابن كثير: «فاصبر على تكذيب من كذبك من قومك وأذاهم لك؛ فإنَّا سننصرك، ونحوطك بعنايتنـــا،

---

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ١٥٠ .

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ٣٠١ .

ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة، كما فعلنا بالمرسلين، حيث نصرناهم علـــى أعدائهم))(١).

ولذلك تأتي قصص الأنبياء متتابعة، مختومة بهلاك الكافرين ونجاة المـــؤمنين، كمـــا في سورتي الأعراف وهود.

٥ - الترغيب والترهيب:

وذلك من خلال عرض مصير المؤمنين والكافرين؛ ترغيبًا في الإيمان وعاقبته، وترهيبًـــا من الكفر ونهايته، فتأتي القَصَصُ مصداقًا للتبشير والتحذير، وتعرض نموذجًا واقعًا من هـــذا التصديق، كالذي جاء في سورة الحجر لما قال الله ﻷ: M **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾** L [الحجر: ٤٩-٥٠]، وردت بعد ذلك قصص تصدق ذلـــك الوعد الوعيد(٢).

٦ - بث العبرة والموعظة والتوجيه والإرشاد:

قـــال الله ﻷ: M **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾** L [يوســف:١١١]، ففـــي قَصَصِ القرآن ما يدعو إلى الاتِّعاظ والاعتبار ببيان قدرة الله ﻷ وعظيم سلطانه، والترغيب والترهيب، وتقديم القدوة الصالحة للمؤمنين، والتحذير من المفسدين، والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش، وغير ذلك من الدروس المســتقاة مـــن القَصَصِ القرآني.

ولما كان في القَصَصِ من المواعظ والإرشادات ما يُصلِح شأن العبـــاد؛ أمـــر الله ﻷ نبيه محمدًا ﷺ أنْ يَقُصَّ على أمته القَصَصَ، فقال ﻷ: M **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾** L [الأعراف:١٧٦](٣)، وفي ذلك إشارة إلى مدى تأثير الأسلوب القصصي في النَّفس، وما يُحدِث فيها من وَعْظٍ وتذكير.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٢٨ .

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ١٥٣ .

(٣) ينظر: في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: ١٧٩ .

إنَّ أغراض القصة القرآنية لا يمكن حصرها، وما ذُكِر هنا هي أغراض عامـــة لمجمـــل القَصَص، وفي كل قصة منفردة أهداف وغايات تخصها، فالقرآن لا تنقضي عجائبـــه، ولا يمكن لأحد أنْ يحيط به، ولكن نشير هنا إلى أنَّ هذه الأغراض جميعها ترجـــع إلى أغـــراض دينية بحتة، لها أهدافها العقدية، والتشريعية، والتربوية، وليس لأهداف غير ذلـــك كمـــا في القصة البشرية.

٣ - تكرار القصة في القرآن:

الناظر في القرآن الكريم يجد أنَّ كثيرًا من قصصه قد تكررت في عِدَّةِ مواضع لحكـــم وغايات عظيمة، قال الزركشي عن التكرار: ((وحقيقتُه إعادةُ اللفظِ أو مرادفِه؛ لتقرير معنى؛ خشية تناسي الأول؛ لطول العهد به))(١).

ويرى الخطابي أنَّ التكرار((على ضربين : أحدهما مذموم، وهو ما كان مُستغنَى عنـــه غير مستفاد به زيادة معنى لَمْ يستفيدوه بالكلام الأول؛ لأنَّه حينئذٍ يكون فضلاً من القـــول ولغوًا، وليس في القرآن شيء من هذا النوع، والضرب الآخر: ما كان بخلاف هذه الصفة، فإنَّ تَرْكَ التكرار في الموضع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة إليه فيه؛ بإزاء تكلـــف الزيـــادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، وإنما يُحتاج إليه ويَحْسُن استعماله في الأمور المهمـــة التي قد تعظم العناية بها، ويُخَاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها))(٢).

وقد تحدث العلماء عن أسباب التكرار ودواعيه، والذي يهمُّنا هنا ما يتعلـــق بـــأمر الإعجاز، وكيف عَدَّ العلماء التكرار وجهًا من وجوهه. فمن حِكَمِ التكرار(٣):

١ - إظهار بلاغة القرآن في أعلى مراتبها:

لأنَّ القصة الواحدة ترد في كل موضع بأسلوب جديد؛ وهي مع ذلك أبلغ ما تكـــون في سياقها، قال الزركشي: ((إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة، وأساليب مختلفة، لا يخفـــى ما فيه من الفصاحة))(٤).

وذكر كذلك أنَّ مِن حِكَمِ التكرار: ((ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد، وقد كان المشركون في عصر النبي ﷺ يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير أنواع النظم، وبيان وجوه التأليف، فَعَرَّفَهم الله ســبحانه أنَّ الأمر بما تعجبون منه مردود إلى قدرة من لا تلحقه نهاية ولا يقع على كلامه عدد))(٥).

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٦٢٨ .

(٢) بيان إعجاز القرآن: ٥٢ .

(٣) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ٣٠٢ .

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٦٣٧ .

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٦٣٩ .

ويقول ابن عاشور: ((فإنَّ تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أنْ يَثْقُـل علـى البليغ، فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تفنن في المعاني باختلاف طرق أدائهـا... كـان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة، فذلك وجه من وجوه الإعجاز))(١).

إنَّ التفنن في الأسلوب، والتنوع في النظم، مع عدم التفاوت في البيان؛ مـن أوجـه الإعجاز التي قال عنها الباقلاني: ((قد يتفاوت كلام الناس عن إعادة ذِكْرِ القصة الواحـدة فرأيناه - أي القرآن - غير مختلف ولا متفاوت، بل هو نهاية البلاغة، وغاية البراعة، فعلمنا بذلك أنَّه مما لا يقدر عليه البشر؛ لأنَّ الذي يقدرون عليه قد بَيَّنَّا فيه التفاوت الكثير عنـد التكرار، وعند تباين الوجوه، واختلاف الأسباب))(٢).

وبذلك يكون التكرار في القَصَصِ دليلاً على بلاغة القرآن في أعلى مراتبها.

٢ - قوة الإعجاز والتحدي:

وذلك يظهر في أنَّ المشركين لَمْ يستطيعوا أنْ يعارضوا القرآن مع تنوع أساليبه، وتفننه في إيراد المعنى الواحد، وعجزوا عن ذلك، فكان ذلك أبلغ في التحدي(٣).

قال الباقلاني: ((وأعيد كثير من القَصَصِ في مواضع مختلفة، على ترتيبـات متفاوتـة، ونُبِّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله، مبتدأً ومكررًا، ولو كان فـيهم تَمَكُّـن مـن المعارضة لقصدوا تلك القصة؛ فعبروا منها بألفاظ لهم، تؤدي تلك المعاني وتحويها، وجعلوها بإزاء ما جاء به، وتوصَّلوا بذلك إلى تكذيبه، وإلى مساواته فيما جاء به.

فكيف وقد قال لهم: M 3 4 5 6 7 8 9 L[الطور:٣٤] ؟ فعلى هـذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها إظهار الإعجاز على الطريقين جميعًا))(٤).

وقال الزركشي: ((الله تعالى أنزل هذا القرآن، وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية، لِصِحَّة نُبُوَّة محمد ﷺ ثم بَيَّنَ وأوضح الأمر في عجزهم، بأنْ كرر ذِكْرَ القصة في مواضـع إعلامًـا بأنَّهم عاجزون عن الإتيان بمثله، بأيِّ نظم جاءوا وأيِّ عبارة عبَّروا))(٥) .

---

(١) التحرير والتنوير: ١ / ٦٨ .

(٢) إعجاز القرآن: ١٠٤ .

(٣) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ٣٠٢ .

(٤) إعجاز القرآن: ١٣٥ .

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٦٣٨ .

٣ - اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة، والقوم الذين توجه لهم:

لأنَّ الغرض من القصة المكررة في موضع يختلف عن الغرض منها في الموضع الآخـر، فهي تأتي لتؤدي معنى خاصًّا في السياق، ولتحقق غاية معينة، ((وفوائد القصص تجتليها المناسبات، وتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه))(١).

وكذلك القوم الذين تساق القصة من أجلهم فإنَّنا نجد أنَّ: ((بعض القصة المذكورة في موضع مناسبًا للحالة المقصودة من سامعيها، ومِن أجل ذلك تجد ذكرًا لبعض القصة في موضع، وتجد ذكرًا لبعض آخر منها في موضع آخر؛ لأنَّ فيما يُذْكَر منها مُنَاسَبَةً للسياق الذي سيقت له، فإنها تارة تساق إلى المشركين، وتارة إلى أهل الكتاب، وتارة تساق إلى المؤمنين، وتارة إلى كليهما، وقد تساق للطائفة من هؤلاء في حالة خاصة، ثم تساق إليها في حالة أخرى))(٢). وبناء عليه يتنوع النظم والأسلوب في إيراد القصة على حسب المقام؛ فتارة تكون موجزة، وتارة مطولة، ومرة تبدأ القصة من أولها، ومرة من وسطها، وهكذا حسب الغاية والمقام.

٤ - الاهتمام بشأن القصة؛ لقوة تأثيرها وتمكين عبرها في النفس:

لأنَّ التكرار يدل على التأكيد والاهتمام، وهو أسلوب تربوي للتأثير في النفوس، وترسيخ الأفكار، وتقرير المعاني، يقول الزمخشري: ((في التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس، وتثبيتًا لها في الصدور... ولأنَّ هذه القصص طُرِقَت بها آذان وُقْرٌ عن الإنصات للحق، وقلوب غُلْفٌ عن تدبره، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير؛ لعل ذلك يفتح آذانًا، أو يفتق ذهنًا، أو يصقل عقلاً طال عهده بالصقل، أو يجلو فهمًا قد غطى عليه تراكم الصدأ))(٣).

وقد أكَّد علم النفس الحديث ما نَبَّه إليه الزمخشري من أنَّ للتكرار ((غرضًا نفسيًّا بما له من تأثير في النفوس؛ لأنَّ المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية الـتي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها... يقول علماء النفس: إنَّه متى كَثُرَ تكرار أمر؛ تولد تيار

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٦٨ .
(٢) التحرير والتنوير: ١/ ٦٩ .
(٣) الكشاف: ٧٦٩ .

فكري وعاطفي؛ يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات... ولا شك أنَّ تكرار القول لا يَقِلُّ تأثيرًا في إثارة الانفعال وتكوين العواطف من تكرار الفعل؛ بل إنَّ التكرار في القول مما يدفع إلى الفعل))(١).

ولذلك نجد أنَّ أكثر ما تَكرر في القرآن أمور العقيدة والتوحيد، وبصور متنوعة؛ منها القَصَصُ والأمثال على الخصوص، وذلك لتقريرها وترسيخها في النفوس؛ لأنَّ الأمور العظيمة يُحْتاج إلى تكرارها، بخلاف ما دونها.

٥ - إضافة فوائد ومعانٍ جديدة خلت عنها المواضع الأخرى:

المتأمل في القَصَصِ المتكرر يجد أنَّ كل قصة مع تَمَيُّزها في النظم والأسلوب؛ لا بد أنْ تضيف فائدة جديدة؛ مِن توضيح لما أُجْمِلَ مِن معانٍ، وأوجز مِن أفكار، أو زيادة أحداث جرت في القصة بحسب تفاوتها في الإيجاز والإطناب، يقول الزركشي عن قصص القرآن: ((إنما كررها لفائدة خلت عنه في الموضع الآخر))(٢)، وقال أيضاً: ((إذا كرر القصة زاد فيها شيئًا))(٣)؛ وذلك لأنَّه ((يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان، وتقديم وتأخير، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ؛ فإنَّ كل واحدة لا بد وأنْ تخالف نظيرتها مِن نوع معنى زائد فيه، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها))(٤).

ولذلك نجد أنَّ كل قصة تكررت قد اختُصَّ كلُّ موضع منها بتفصيل جانب مِن جوانبها، ومِن جمع ما في الموضعين معًا يتم عرض القصة عرضًا مُفَصَّلاً مُوَضَّحًا حاويًا جميع أجزائها، وبالاكتفاء بما في موضع واحد منهما يتم عرض القصة عرضًا موجزًا مؤدِّيًا للمقصود، والفائدة مُحَقَّقَة بكاملها في كلا الوجهين، وهذا مِن عجيب نظم القرآن(٥).

ومِن أسباب تفريق معاني القصة الواحدة وأحداثها على مواضعها المختلفة:

١ - أنَّه يُكْتَفَى مِن القصة بما يناسب الغرض من سَوقها، وبما يناسب المقام.

---

(١) سيكلوجية القصة في القرآن: ١١٧ .

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٦٣٧ .

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٦٣٧ .

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٦٣٨ .

(٥) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٢٦٠، ٢٦١ .

٢- إظهار مفارقة القرآن الكريم لغيره من الكتب التي تسوق كل قصة كاملـــة في موضـــع واحد.

٣- تنْزيه القرآن الكريم عن الإعادة بترديد ألفاظ واحدة بأعيانها في كل قصة.

٤- لأنَّ في تفريق معاني القصة الواحدة في عدة مواضع ما يجعل البليغ يتشوَّق إلى قراءتهـــا وسماعها؛ لأنَّ النفوس جُبِلَتْ على حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ به مستأنفة(١).

هذه بعض الحكم التي ذكرها العلماء لتكرار القَصَصِ في القرآن الكريم، وهناك حِكَمٌ أخرى بعيدة عن الجانب البلاغي آثرت عدم ذِكْرِها هنا.

ويجدر التنبيه هنا إلى مسألة تخص التكرار، وهي أنَّ من العلماء والباحثين مـــن نفـــى وجود التكرار في قَصَصِ القرآن الكريم؛ وذلك لأنَّ كل قصة وردت في مواضع مختلفة لا بد وأنْ يكون في كل موضع فائدة زائدة عن غيرها، وأنْ تتنوع ألفاظها وتنفـــرد في أســـلوبها، ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول بعدما ذَكَرَ قصة موسى عليه السلام مـــع فرعون: ((وقد ذَكَرَ الله هذه القصة في عِدَّة مواضع من القرآن، يُبَيِّنُ في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعًا غير النوع الآخر))، ثم قال: ((وكذلك في الجمل التامة، يعبر عـــن القصة بجمل تدل على معانٍ فيها، ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معانٍ أُخَر، وإنْ كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة، ففي كل جملة مِن الجمل معنى ليس في الجمل الأُخَر. وليس في القرآن تكرار أصلاً))(٢)، وقال في موضع آخر: ((وكذلك قصص القـــرآن ليس فيها تكرار كما ظنَّه بعضهم))(٣).

ومن هؤلاء العلماء: ابن عاشور حيث يقول: ((القرآن هو بالخطب والمواعظ أشبه منه بالتأليف. وفوائد القصص تجتلبها المناسبات، وتذكر القصة كالبرهان على الغرض المســـوقة هي معه، فلا يُعَدُّ ذِكْرُها مع غرضها تكريرًا لها؛ لأنَّ سبق ذِكْرِها إنما كـــان في مناســـبات أخرى. كما يقال للخطيب في قوم، ثم دعته المناسبات إلى أنْ وقف خطيبًا في مثل مقامـــه

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٦٣٨، ٦٣٩ .

(٢) مجموع الفتاوى: ١٩/ ١٦٧، ١٦٨ .

(٣) مجموع الفتاوى: ١٦/ ٥٣٧ .

الأول فخطب بمعان تضمَّنتها خطبته السابقة: إنَّه أعاد الخطبة؛ بل إنَّه أعاد معانيها ولَمْ يُعِدْ ألفاظ خطبته))[1].

ويرى الدكتور عبدالكريم الخطيب أنَّ سبب تَوَهُّمِ التكرار هو تَكَــرُّر الشخصــية في القصة، بينما المتأمل يدرك أنَّ الأحداث مختلفة، وبهذا ينتفي وجود التكرار، إذ يقول: ((فإنَّ التكرار الذي يُقال عنه في القَصَصِ القرآني؛ ليس تكرارًا للحدث، ولا إعادة للواقعة بصورها التي عُرِضَت بها أولاً؛ بل إنَّ أكثر القَصَصِ تَتَكرَّر فيه الشخصية، ولا تَتَكرَّر فيه الحادثة))[2].

والذي يظهر - والله أعلم - أنَّه لا خلاف بين القائلين بمصطلح "التكــرار" - مثــل الخطابي والباقلاني والزركشي - والنافين له؛ لأنَّ الجميع يُصرِّح بأنَّه لا يوجــد في قَصَــصِ القرآن تكرار مطلق، ولا يوجد فيه قِصَّتان مُتَّفِقَتَان من جميع الوجوه، وكلا الفريقين متفقان على ذلك، ويَعُدَّان ورود القصة في مواضع مختلفة مع التفنن في النظم والأسلوب مِن إعجاز القرآن.

إذن فمضمون كلام القائلين بالتكرار مع إثبات الإعجاز فيه، يتطابق مع كلام النافين له. وسواءً أخذنا بهذا الرأي أو ذاك؛ فإنَّ ورود القصة في القرآن الكريم في مواضع مختلفة فيه من مظاهر الإعجاز ما لا يخفى، ولا يُنْكِرُ ذلك إلا جاهل بأساليب البلاغة أو مكابر.

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٦٨ .

(٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ٤٢ .

٤- مواضع ورود قصة صالح عليه السلام في القرآن:

وردت قصة صالح عليه السلام في تسعة مواضع من القرآن الكريم، وتأتي القصة مع غيرها من قصص الأنبياء المتتابعة، ولَمْ تَرِدْ منفردة إلا في سورة واحدة؛ هي سورة الشمس.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الآيات التي تقوم عليها هذه الدراسة هي التي وردت فيها قصة صالح عليه السلام وانطبق عليها مدلول القصة العام؛ بحيث تأتي القصة تُصَوِّر حدثًا متكاملاً، له بداية ووسط ونهاية[١].

ولذا لم تشمل الدراسة تلك المواضع التي تُعَدُّ أخبارًا وإشارات سريعة؛ تتحدث عن قوم صالح عليه السلام وإهلاكهم. والمواضع التي وردت فيها القصة هي كالتالي:

١- سورة الأعراف، في سبع آيات: ٧٣ - ٧٩.

٢- سورة هود، في ثماني آيات: ٦١ - ٦٨.

٣- سورة إبراهيم، في سبع آيات: ٩ - ١٥.

٤- سورة الحجر، في خمس آيات: ٨٠ - ٨٤.

٥- سورة المؤمنون، في عشر آيات: ٣١ - ٤١.

٦- سورة الشعراء، في تسع عشرة آية: ١٤١ - ١٥٩.

٧- سورة النمل، في تسع آيات: ٤٥ - ٥٣.

٨- سورة القمر، في عشر آيات: ٢٣ - ٣٢.

٩- سورة الشمس، في خمس آيات: ١١ - ١٥.

وأودُّ أنْ أُشير هنا إلى أنَّه قد ورد خلاف في القصة الواردة في سورة (المؤمنون)؛ فقال أكثر المفسرين: إنَّ القوم المذكورين في القصة هم قوم عاد، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه، وقالوا: إنَّه هو الأوفق؛ لما هو معهود في سائر السُّور الكريمة مِن إيراد قصتهم إِثْرَ قصة قوم نوح عليه السلام[٢].

والقول الثاني: إنَّهم قوم ثمود، واستدلُّوا على ذلك بِذِكْرِ الصَّيحة، والتَّشابه بين القصتين في بعض المواضع، وذهب إليه الإمام الطبري[٣]، وهو اختيار ابن عاشور[٤]، والشيخ ابن سعدي[٥] - رحمهم الله -، ولعلَّ هذا القول هو الراجح - والله أعلم -، وبناءً عليه سأدرس القصة في هذا الموضع.

---

(١) ينظر: القصص في الحديث النبوي، دراسة فنية وموضوعية: ٢١ .

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ٦/ ١٣٢ .

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٨/ ١٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/ ٤٩.

(٥) ينظر: تفسير ابن سعدي: ٥٤٧.

الفصل الأول

خصائص النظم في قصة صالح عليه السلام

مدخل عن علم المناسبات.

المبحث الأول: قصة صالح عليه السلام في سورة الأعراف.

المبحث الثاني: قصة صالح عليه السلام في سورة هود.

المبحث الثالث: قصة صالح عليه السلام في سورة إبراهيم.

المبحث الرابع: قصة صالح عليه السلام في سورة الحجر.

المبحث الخامس: قصة صالح عليه السلام في سورة المؤمنون.

المبحث السادس: قصة صالح عليه السلام في سورة الشعراء.

المبحث السابع: قصة صالح عليه السلام في سورة النمل.

المبحث الثامن: قصة صالح عليه السلام في سورة القمر.

المبحث التاسع: قصة صالح عليه السلام في سورة الشمس.

مدخل عن علم المناسبات

قبل أَنْ ندلف إلى الحديث عن بلاغة النظم في قصة صالح عليه السلام في مواضعها المختلفة، لا بد أَنْ أوضح ما سوف أتحدث عنه في بداية كل مبحث مما له علاقة بنظم القصة وبلاغتها، وهو مناسبة القصة لموضوع السورة ومعناها العام، ومناسبتها كذلك للسياق الذي أتت فيه.

لقد تحدث العلماء عن مقاصد السور وبَيَّنوا أَنَّ لكل سورة قصدًا وموضوعًا عامًّا تدور حوله آياتها، وهدفًا ترمي إليه؛ فذكر الزمخشري أنَّ من فوائد تفصيل القرآن وتقطيعه سورًا: ((أنَّ التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم))(١).

وممن أشار إلى ذلك: الزركشي حيث قال: ((كل سورة نمط مستقل؛ فسورة يوسف تترجم عن قصته، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وكامن أسرارهم، وغير ذلك))(٢).

وقال ابن عاشور في تعريف السورة اصطلاحًا: ((السورة قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في عرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة، ناشئ عن أسباب النُّزول، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة))(٣).

إنَّ وحدة الهدف والموضوع في كل سورة من أبرز مظاهر التناسب المعنوي الذي تحدث عنه البلاغيون وعدوه من أوجه الفصاحة والبيان(٤)، وإن الكشف عن مقصد السورة وموضوعها العام يحتاج إلى كثير من التأني والتدبر للربط بين ما نظنه تعدُّدًا للموضوعات في السورة الواحدة، فإننا نرى أنَّ كثيرًا ((من سور القرآن الكريم متعدد الموضوعات، وذلك يبدو من النظرة الجزئية لكل موضوع في السورة هذه، ولكن النظرة

(١) الكشاف: ٥٩ .
(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٨٧ .
(٣) التحرير والتنوير: ١/ ٨٤ .
(٤) ينظر: التناسب البياني في القرآن الكريم: ٥٥ .

الفاحصة المتأملة للسورة ككل تضع فكر القارئ للقرآن الكريم أو التالي له عند موضوع واحد تدور حوله السورة، وتتشكل موضوعاتها الجزئية بجوهر هذا الموضوع، وتسهم في جوانبه ومجالاته؛ ليؤدي كل منها إلى غاية واحدة، وهدف واحد، هي غاية هذا الموضوع الواحد وهدفه الذي تدور حوله السورة القرآنية... وهذا واضح جد الوضوح في القصص القرآني، إذ القصة الواحدة واردة في أكثر من سورة، ولكنها تختلف في سورة منها عنها في أخرى - كما قلنا - تبعًا لموضوع السورة العام، وغرضها الذي تؤدي إليه))(١).

إنَّ الحديث عن غرض السورة وموضوعها وأهدافها يقودنا إلى الحديث عن تناسب الآيات وارتباطها؛ لأنَّهما مظهران من مظاهر التناسب المعنوي، ولأنَّ الوقوف على تناسب الآيات في السورة الواحدة مبني على معرفة موضوع السورة العام وأهدافها، فقد نقل السيوطي عن أحد العلماء المتأخرين قوله: ((الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنَّك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة...))(٢).

إذن فالأمران متلازمان، ومعرفة تناسب الآيات مرتبط بمعرفة غرض السورة وأهدافها، وقد تحدث الزركشي عن "علم المناسبات" وبَيَّنَ معنى المناسبة، وأوجه الارتباط بين الآيات، وفائدة هذا العلم، فقال: ((والمناسبة في اللغة: المقاربة، و"فلان يناسب فلانًا"، أي: يقرب منه ويشاكله ... ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى رابط بينهما - أي الآيتين- عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني؛ كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه، أو التلازم الخارجي؛ كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر. وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء))(٣).

---

(١) الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية: ٧ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٥/ ١٨٤٦ .

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٣٦ .

ولقد عظَّم العلماء "علم المناسبات" ورفعوا شأنه ومكانته، حتى قال ابن العربي: ((ارتباطُ آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة - متسقة المعاني، منتظمة المباني - علمٌ عظيمٌ))(١).

ونقل الزركشي عن بعض مشايخه وهو قوله: ((والذي ينبغي في كلِّ آية أَنْ نبحث أَوَّل كلِّ شيء عن كونها مُكَمِّلَةً لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علمٌ جمٌّ))(٢).

وقال الرازي: ((أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)) (٣).

وقال البقاعي صاحب السفر العظيم (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وهو من هو في هذا الباب: ((علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النَّفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو))(٤).

وبما أنَّ الحديث هنا منصب حول القصة فإننا نجد أنَّه ينطبق عليها ما ذكر؛ فالقصة تأتي لتؤدي وظيفة في السورة، ومتناسبة تمامًا مع السياق في ارتباط عجيب بما قبلها وما بعدها، ومما يؤكد ذلك ويدل عليه: أنَّه قلَّما تَرِد جميع أحداثها في موضع واحد، وإنما يأتي في سياق كل سورة من الأحداث ما يناسب موضوعها وأهدافها وسياقها. وكذلك نجد أنَّ القصة أحيانًا تعرض من أولها، أو من وسطها، أو من آخرها على حسب الغرض والمناسبة(٥).

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣٧ .
(٢) عن البرهان في علوم القرآن: ٣٨ .
(٣) التفسير الكبير: ١٠/ ١١٣ .
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/ ٦ .
(٥) ينظر: التناسب البياني في القرآن: ٦٧ .

وللبقاعي كلام يُفْهَم منه ما ذكر حيث يقول عن القرآن الكريم: ((فاقتضت حكمته أنْ يكون هذا الذكر جامعًا لكونه ختامًا، وأنْ يكون معجزًا لكونه تمامًا، ونزَّله على حسب التدريج شيئًا فشيئًا، مكررًا فيه ذكر القصص، سابقًا في كل سورة منها ما يناسب المقصود من تلك السورة، مُعَبِّرًا عما يسوقه منها بما يلائم الغرض من ذلك السياق مع مراعاة الواقع، ومطابقة الكائن))(١).

لقد كان أعظمُ هدف للقرآن الكريم غرسَ عقيدة التوحيد في نفس الإنسان وانتزاع ما يخالفها، وكان المنهج القرآني هو الذي يحقق هذا الهدف في أكمل صورة؛ ذلك أنَّه لكي يحمل الإنسان على اتِّباع ما يدعو إليه، يمزج دعوته بالحث على اتِّباعها، ويضرب المثل بمن اتبع فنجا أو ضل فهوى، وقد يورد القرآن الكريم للوصول إلى هدفه الأمثلة التاريخية والقصص الغابرة. ذلك هو منهج القرآن، ينتقل بين الأغراض المختلفة لا اعتباطًا، ولا خبط عشواء، ولكن لصلات وثيقة تربط هذه الأغراض بحيث تتضافر جميعها في الوصول إلى الغاية القصوى وتحقيقها(٢).

وهنا تعبير لطيف وتصوير بديع يُبَيِّنُ مدى ترابط وتناسب آيات السورة في القرآن الكريم ودورانها حول مقصد كلي واحد، وهو من كلام الدكتور عبدالله دراز أُفَضِّل أنْ أنقله بنصه لأختم به هذا التمهيد، حيث يقول: ((أَجَل إنَّك لتقرأ السورة الطويلة المنجَّمة، يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حُشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جُمعت عفوًا؛ فإذا هي لو تَدَبَّرتَ بِنْيَة متماسكة قد بُنِيَت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شُعَب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وُضِع رسمه مرة واحدة، فلا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق؛ بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التَّضام والالتحام. كل ذلك بغير تكلف

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/ ٩٦ .

(٢) ينظر: التعبير الفني في القرآن الكريم: ٢٠٨ .

ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حُسْنُ السِّياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلاً، والمختلف مؤتلفًا.

ولماذا نقول: إنَّ هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا. بل إنَّها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب،كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب. ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية))[1].

إنَّ دراسة مناسبة القصة لمعنى السورة العام والسياق من الأهمية بمكان؛ لما يؤدي إليه ذلك من فهم للقصة وبلاغة نظمها؛ فيكون تأثيرها في النفس أعمق، ولما يؤدي إليه ذلك أيضًا من الوقوف على أسرار المتشابه اللفظي فيها بشكل دقيق، فيكون توجيه المتشابه أقرب إلى الصحة والصواب.

من أجل ذلك كله سأتناول مناسبة القصة لمعنى السورة العام ومناسبتها في السياق قبل تحليل آياتها، سائلاً الله ﷻ الإعانة والتوفيق.

(١) النبأ العظيم: ١٩٥ .

المبحث الأول

قصة صالح عليه السلام في سورة الأعراف

قال الله ﷻ: M وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ © قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ¶
بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , -
. / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = >
? @ A B C D E F G H I J K L N O
P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _
` a b c d e f g h i j k l m n o p
q r s t u v w x y z { | } ~ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ
ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ L [الأعراف: ٧٣ – ٧٩].

أولاً: الغرض العام للسورة:

ترتكز سورة الأعراف على موضوع توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة والنهي عن الشرك، وبيان عاقبة الموحدين الذين اتَّبعوا الرسل وآمنوا بهم وصدَّقوهم، والتحذير من عاقبة المشركين الذين كذَّبوا الرسل، واتخذوا من دون الله أولياء، ومصيرهم في الدنيا والآخرة.

قال البقاعي: ((مقصود السورة الحث على اتِّباع الكتاب، وهو يتضمن الحث على اتِّباع الرسول ﷺ، والدلالة على التوحيد، والقدرة على البعث؛ ببيان الأفعال الهائلة في ابتداء الخلق وإهلاك الماضين؛ إشارة إلى أَنَّ من لم يَتَّبِعْه ويُوَحِّد مَنْ أنزله... أوشك أَنْ يعاجله قبل يوم البعث بعقاب مثل عقاب الأمم السالفة والقرون الخالية، مع ما ادَّخَر له في ذلك اليوم مِنْ سوء المنقلب))(١).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/٣٦٠، وينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٧ .

ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها:

افتتحت السورة بالحديث عن نعمة إنزال القرآن الكريم على النبي ﷺ، والغرض من إنزاله هو: الإنذار والتذكير، قال البقاعي عند قول الله ﷻ: M # $ % & ') (* + , - . / 0 L [الأعراف: ٢]: ((أي نُذرى لكل من بلغه أو المخالفين من سرعة العقاب على نحو ما أوقع الله سبحانه بالقرون الماضية والأمم السالفة))[١]؛ فَمِن بداية السورة ندرك مناسبة القصص التي ذكرت فيها لموضوعها.

ثم أمر الله ﷻ باتِّباع ما أنزل، ونهى عن اتِّباع الأولياء من دونه، وبيَّن ﷻ أنَّه أهلك كثيرًا من الأمم بسبب إعراضهم عن الحق وتكذيبهم له و((لعدم الاتِّباع والركون إلى أوليائهم من شياطين الجن والإنس))[٢]، كما بيَّن ﷻ أنَّ الرسل ومن أُرسلوا إليهم سَيُسألون يوم القيامة؛ أمَّا الذين أُرسل إليهم فسيُسألون عن قبول الرسالة وإجابتهم الرسل، وأمَّا المرسلون فعمَّا أجيبوا به[٣].

ولما أمر الله ﷻ الخلق باتِّباع ما أنزل وطاعة الرسل، وحذَّرهم من عذاب الدنيا والآخرة؛ رغَّبهم بتذكيرهم بنعمه عليهم، وبتمكينهم في الأرض، وتوفير ما ينفعهم في معيشتهم، وذكَّرهم بما كانوا عليه قبل التَّمكين مِنَ العدم، وما خصَّ به آدم عليه السلام مِنَ الكرامة بسجود الملائكة له، والغضب على من عاداه وطَرْده عن محل كرامته، وإسكان آدم عليه السلام الجنة. ومع ما في قصة آدم عليه السلام من تذكير بالنعم إلاَّ أنَّها أيضًا تدور في فلك موضوع السورة، وذلك من خلال بيان عاقبة مخالفة أمر الله ﷻ، فأبليس لعنه الله وطَرَده وأبعده بسبب مخالفته لأمره وعدم سجوده لآدم عليه السلام، وآدم عليه السلام أُخْرج من الجنة بسبب أكله من الشجرة التي نُهي أَنْ يأكل منها، وفي ذلك تحذير من مخالفة ما أنزل الله ﷻ وما أمر باتِّباعه، وتحذير من اتخاذ الشياطين أولياء.

ولما كان لا سبيل إلى النَّجاة إلا بالرسل أمر الله ﷻ باتِّباعهم وطاعتهم وبيَّن عاقبة ذلك في الدنيا والآخرة، فوصف حال المكذبين بهم عند الموت وفي الآخرة ترهيبًا منه، ثم

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٣٤٩ .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٣٥٣ .

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي: ١/ ٣٣٢ .

عطف بذكر حال المؤمنين ترغيبًا فيه. ثم ذكر ﷻ حوارًا مؤثرًا بين أصحاب الجنة وأصحاب النار خُتِم بإقرار الكافرين بصدق الرسل وأَنَّ ما جاؤوا به هو الحق، وتأكدوا أنَّ الذين اتخذوهم شركاء مِنْ دون الله لم ينفعوهم و لم يغنوا عنهم شيئًا .

ولما ((خَتَم بأَنَّ شركاءهم لا تغني عنهم؛ علَّل ذلك بأنَّه الرَّب لا غيره، في سياق دال على الوحدانية التي هي أعظم مقاصد السورة))(١)، فذكر ﷻ تفرده بالخلق والأمر المقتضي لتفرده بالعبادة، وأمر بالدعاء الذي هو العبادة، ونهى عن ضده الذي هو الشرك. ثم أمر أَنْ يكون الدعاء خوفًا وطمعًا في رحمته، ولما كان الغيث من أَجَلِّ أنواع الرحمة ذكر تعالى إنزاله وكيفية ذلك، وتفضله بإحياء البلد الميت وإخراج الثمرات، وجعل ذلك دليلاً على قدرته على البعث وإحياء الموتى، قال البقاعي: ((ولما كان الموت موتين: حسِّيًّا ومعنويًّا ...، فكأنَّه قيل: لا فرق في ذلك عندنا بين أموات الإيمان وأموات الأبدان، فكما أنَّا فاوتنا بين جواهر الأرض بخلق بعضها جيِّدًا وبعضها رديئًا، كذلك فاوتننا بين عناصر الأناسي بجعل بعضها طيِّبًا وبعضها خبيثًا؛ فالجيِّد العنصر يسهل إيمانه، والخبيث الأصل يعسر إذعانه وتبعد استقامته))(٢).

ثم ساق ﷻ قصص الأنبياء دليلاً حسيًّا على أنَّ في الناس الخبيث والطَّيِّب، وتحذيرًا للمشركين وتخويفًا لهم من عاقبة أمثالهم من الأمم السالفة الذين لم يتَّبعوا ما أنزل الله ﷻ و لم يطيعوا رسله.

كما أنَّ مجيء قصص الأنبياء في سياق خلق السموات والأرض والليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم فيه تناسب قويٌّ، فالقرآن: ((يُكثر من الربط بين عبودية هذا الكون لله، ودعوة البشر إلى الاتساقِ مع الكون الذي يعيشون فيه، والإسلامِ لله الذي أسلم له الكون كلُّه، والذي يتحرك مُسَخَّرًا بأمره. ذلك أنَّ هذا الإيقاع بهذه الحقيقة الكونية كفيلٌ بأَنْ يَهُزَّ القلب البشري هَزًّا، وأَنْ يستحثَّه من داخله على أنْ ينخرط في سلك العبادة المستسلمة فلا يكون هو وحده نشازًا في نظام الوجود كلِّه! إنَّ الرسل الكرام لا يَدْعون البشرية لأمرٍ شاذ؛ إنما يَدْعونها إلى الأصل الذي يقوم عليه الوجود كلُّه، وإلى الحقيقة

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٤١٣ .
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٤٢٣ .

المركوزة في ضمير الوجود...، وهي ذاتها الحقيقة المركوزة في فطرة البشر... وهذه هي اللمسة المستفادة من تتابع السياق القرآني في السورة على النحو الذي تتابع به))(١).

كما أنَّ في ذكر قصص الأنبياء تناولاً لقضية العقيدة والتوحيد - التي هي مقصد السورة الأول - من زاوية تاريخية، من لدن آدم عليه السلام حتى محمد ﷺ مرورًا ببقية الرسل الكرام المذكورة قصصهم في السورة، وكيف كان استقبال البشرية لهم؟ وما هو مصير المستكبرين ومصير المؤمنين ؟(٢)

فأوَّل قصة ذكرها الله عز وجل بعد قصة آدم في هذه السورة قصةَ نوح عليه السلام لأنَّه أول رسول إلى أهل الأرض، ثم تلتها قصةُ هود عليه السلام لأنَّ عادًا جاءت بعد قوم نوح في الزمن، وخلفتهم في عمارة الأرض، ولأنَّهم من العرب وعند العرب شيء من أخبارهم، ثم أعقبتها قصة صالح عليه السلام لأنَّ ثمود خلفت عادًا وهم مثلهم من العرب، ومساكنهم قريبة من مشركي العرب يعرفونها ويمرون عليها، وهذا أبلغ في التأثير فيهم، فجاءت القصة في موضعها اللائق بها في تناسب عجيب مع السياق، وتناغم مع ما يكتنفها من آيات شاهدة على ما ذكره الله عز وجل من تنوع الخلق إلى خبيث وطيِّب، ودالَّةً على وجوب توحيد الله في العبادة، وأنَّ اتخاذ الأولياء مِن دونه لا ينفع شيئًا، وأنَّ العاقبة للمتقين والخسار والهلاك للكافرين.

وتستمر القصص بعد ذلك فتأتي قصص لوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام، ثم قصة الذي انسلخ من آيات الله عز وجل ولم يتَّبعها بل اتَّبع هواه فغوى، ويستمر السياق حتى ختام السورة الذي جاء متناسبًا مع مطلعها بتقرير التوحيد وإبطال آلهة المشركين المزعومة(٣).

وهكذا تبيَّن لنا كيف أَنَّ قصة صالح عليه السلام مع بقية القصص المذكورة جاءت في السورة على أتمِّ وجه من وجوه التناسب مع السياق والموضوع.

---

(١) في ظلال القرآن: ٣/ ١٣٠٧ .

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ١٢٤٤ .

(٣) ينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ٥١ .

ثالثًا: المعنى العام للآيات:

يخبر الله عز وجل أنَّه أرسل صالحًا عليه السلام إلى ثمود لما عبدوا الأوثان من دونه، فقام صالح عليه السلام بتبليغ رسالة ربه، ودعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإخلاص العبادة له عز وجل، ودلَّلَ على صدق ما جاء به بما أيَّده الله به من معجزة الناقة؛ لأنَّ قومه سألوه أنْ يأتيهم بآية، فدعا صالحُ عليه السلام اللهَ عز وجل أمامهم، فأخرج الله عز وجل لهم ناقة عظيمة من صخرة صمَّاء آية لهم[1]، وأمرهم صالح عليه السلام أنْ يذروا الناقة تأكل من الأرض وتشرب من الماء، وحذرهم من التعرض لها بأي نوع من الأذى، وأنَّهم متى تعرضوا لها بسوء فَسَيَحِلُّ بهم عذاب الله عز وجل .

وبعد هذا الترهيب رغَّبَهم صالح عليه السلام بتذكيرهم نعمَ الله عز وجل عليهم التي من أعظمها أنْ جعلهم خلفاء الأرض من بعد قوم عاد ومكَّنهم فيها، وسخرها لهم؛ فهم يتخذون من سهولها قصورًا وينحتون من جبالها بيوتًا.

وبعد هذا البلاغ المبين وهذا الترغيب والترهيب، أسقط في يد المكذبين من السادة والكبراء الذين استكبروا من قوم صالح عليه السلام، فاتجهوا إلى المؤمنين الذين استضعفوهم واستهانوا بهم؛ لِيُشَكِّكُوهم في صدق صالح عليه السلام ويصدوهم عن سبيل الله عز وجل، وقالوا لهم على سبيل السخرية والاستهزاء[2]: أتعلمون حقيقة أنَّ صالحًا مرسل من ربه؟ فرد عليهم المؤمنون بكل يقين وثبات معلنين إيمانهم: إنَّا مصدقون بما أرسله الله به متَّبعون لشرعه. فلما سمع المستكبرون هذا الرد اغتاظوا من المؤمنين، وأعلنوا كفرهم، فقالوا: إنَّا بالذي صدقتم به واتبعتموه من نبوة صالح لكافرون.

ولم يكتفوا بذلك بل تعدى الأمر إلى الفعل؛ فعقروا ناقة الله عز وجل التي جاءت معجزة لهم؛ استخفافًا بوعيد صالح عليه السلام واستكبارًا عن امتثال أمر الله عز وجل، وطلبوا من صالح عليه السلام على سبيل التحدي والاستهزاء أنْ يأتيهم بالعذاب إنْ كان صادقًا أنَّه رسول، فأنزل الله عز وجل بهم العذاب، وأخذتهم الرجفة، وزُلزلوا زلزلة شديدة، فهلكوا عن بكرة أبيهم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٨٧/١٠ .

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٧٢٠ .

أما صالح عليه السلام فأعرض عنهم، وقال موبخًا لهم[1]: يا قوم لقد أبلغتكم ما أمرني الله به وبذلت وسعي في نصحكم، ولكنكم لا تحبون الناصحين.

رابعًا: بلاغة النظم في القصة:

قـــال الله ﷻ: M**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ** © **قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ** ¶ **بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٧٣﴾ L [الأعراف:٧٣].

يخبر ﷻ في بداية القصة أنّه أرسل صالحًا عليه السلام بقوله: M**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ** © L وهذه الجملة معطوفة على قوله ﷻ: M 5 6 7 8 9 L [الأعراف:٥٩]، فيكون التقـدير: (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا)، فالجملة مُؤَكَّدة بالقسم الذي دَلَّت عليـه (الـلام) و(قد)[2]، والتأكيد بمؤكِّدَين لا يكون إلا للمخاطب المنكر[3]، وهم أهل مكة ومَن وراءهم مِن العرب؛ إذ كانوا ينكرون الرسالة والوحي[4]، فكان من مقتضى الحـال مجـيء الخـبر مؤكَّدًا؛ لأنَّ ((التأكيد تمكين الشيء في النَّفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشُّكوك وإماطـة الشُّبهات))[5].

كما أنَّ في افتتاح القصة بالقسم والتأكيد دليلاً على أهمية ما سُيلقى، وتشويقًا للنُّفوس إلى متابعة أحداث القصة، وحثًّا للأسماع إلى الإصغاء والمتابعة لما سيرد من أمرٍ عظيم.

وفي قول الله ﷻ: M**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ** © L قُدِّم الجار والمجرور (إلى ثمـود) علـى المفعول (أخاهم) لفائدتين:

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٧٢١ .

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٠/ ٢٦٠، والكشاف: ٣٦٧.

(٣) ينظر: الإيضاح: ٢٣ .

(٤) ينظر: تفسير المنار: ٨/ ٤٩١ .

(٥) الطراز: ٢/ ١٧٦ .

الأولى: وَصْفُ صالحٍ عليه السلام أنَّه أخٌ لثمود ومِن صميمهم من غير احتياج إلى إعادة لفظ (ثمود)(١)، وفي ذلك إيجازًا بالإضمار.

الثانية: أنَّ في تقديم الجار والمجرور (إلى ثمود) مزيد اهتمام وتأكيد على اختصاص الفعل المقدر (أرسلنا) به، أي: قصر رسالة صالح عليه السلام على قومه؛ لأنَّه نبيٌّ أرسل إلى قومه خاصة.

ووصفه بأخوهم في قوله عز وجل: ﴿أَخَاهُمْ﴾؛ للدلالة على أنَّه واحد منهم، يعنيه أمرهم وهمه مصلحتهم، وهم ((أفهم عن رجل منهم، وأعرف بحاله في صدقه وأمانته))(٢)، فيكون ذلك مدعاة لتصديقه واتِّباعه، وأمكن في إقامة الحجَّة عليهم.

ولما أرسل الله عز وجل صالحًا عليه السلام إلى قومه سارع إلى تبليغ رسالة ربِّه ودعوة قومه إلى التوحيد، فقد ذَكَر الله عز وجل عنه أنَّه ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ﴾.

وفُصِلت جملة ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾ للاستئناف البياني؛ لأنَّ المستمع صار مترقِّبًا لمعرفة ما خاطب به صالح عليه السلام قومه حين بعثه الله عز وجل إليهم، فكان ذلك مثار سؤال في نفسه أنْ يقول: إلى ماذا دعا صالح عليه السلام قومه؟ وبماذا أجابوه؟ فوقع الجواب بأنَّه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ﴾(٣). يقول عبدالقاهر الجرجاني عن الفصل في مثل هذه المواضع: ((واعلم أَنَّ الذي تراه في التتريل من لفظ (قال) مفصولاً غير معطوف، هذا هو التقدير فيه، والله أعلم ... جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال. فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: (دخل قوم على فلان فقالوا كذا)، أَنْ يقولوا: (فما قال هو؟)، ويقول المجيب: (قال كذا). أُخْرِج الكلام ذلك المخرج؛ لأنَّ النَّاس خوطبوا بما يتعارفونه، وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه))(٤). ففي ذلك مراعاة للجانب النَّفسي للمخاطب بالإجابة عن التساؤل الذي يختلج في صدره.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/٢٠٠ .

(٢) الكشاف: ٣٦٨ .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٠١ .

(٤) دلائل الإعجاز: ٢٤٠ .

وابتدأ صالح عليه السلام دعوته بنداء قومه فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾، والنداء فيه تنبيه وإيقاظ لهم؛ ليتهيَّؤوا لتلقي دعوته. واستعمال أداة النداء (يا) التي هي للبعيد مع قربهم منه، يُشعِر بقوة ندائه لهم، وعلوِّ صيحته عليهم، لما هم فيه من غفلة ولهو وإعراض عن الحق الواضح[1]. كما أنَّ ذلك يُشعِر ببلوغ دعوته القريب والبعيد من قومه عليه السلام.

وعَبَّر في ندائهم بوصف (القوم) للدلالة على عموم دعوته لهم، وليستعطفهم بتذكيرهم بآصرة القرابة والنسب، ليتحققوا أنَّه ناصح لهم، وحريص عليهم، ومريد للخير لهم. وإضافة (القوم) إلى ضميره للتَّحبيب والتَّرقيق لاستجلاب اهتدائهم، فهم قومه وأهله[2].

وبعد أنْ هيَّأ صالح عليه السلام قومه للاستماع إليه بالنداء والاستعطاف والتلطف وبيان محض النصح لهم، قال لهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾، هذا أوَّل أمر دعا صالح عليه السلام إليه قومه وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وهي الكلمة التي قالها الأنبياء جميعهم لأقوامهم.

وقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أمر بالعبادة التي هي غاية التذلل[3]. و((إيثار اسم الجلالة (الله) على غيره؛ لما فيه من تفخيم وترهيب وتصريح بالألوهية في مقام يقتضي ذلك))[4]؛ لأنَّهم اتخذوا آلهة من دونه، ومعنى الأمر: اعبدوا الله وحده ((وترك التقييد به - أي وحده - للإيذان بأنَّها العبادة حقيقة، وأمَّا العبادة بالإشراك فليست من العبادة في شيء))[5].

ولما أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له علَّل العبادة المذكورة والأمر بها بقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ ولذلك جاءت الجملة مفصولة عمَّا قبلها من باب الاستئناف البياني[6]، لأنَّ الجملة الأولى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، تثير سؤالاً عن سبب الحكم الذي فيها، وهو:

(١) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٢١٦ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ ق٢/ ١٨٨ .

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٢٢ .

(٤) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٨٧ .

(٥) تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٣٥، وينظر: روح المعاني: ٨/ ٥٢٨ .

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٣٥ .

لماذا نعبد الله وحده؟ فجاء تعليل ذلك في الجملة التالية: Mمَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ´ L[١]، فأفاد التعليل زيادةً في تقرير التوحيد وإبطال ما هم عليه من الشرك.

ولما كان قوم صالح عليه السلام ينكرون وحدانية الله ﷻ ويعبدون غيره؛ جاء التعبير القرآني مؤكدًا على هذه القضية بعدة أمور:

الأول: طريق القصر؛ حيث قُصِرت الألوهية على الله ﷻ قصر صفة على موصوف، قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا. وجاء القصر عن طريق النفي والاستثناء؛ لأنَّ الأصل فيه أنْ ((يكــون للأمر ينكره المخاطب ويشكُّ فيه))[٢]، فكانت هذه الطريقة أنسب للمقام.

الثاني: زيادة (من) التي تنص على العموم[٣]، وتفيد التأكيد[٤].

الثالث: تنكير لفظة (إله) الواقعة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم.

فجملة: Mمَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ´ L أفادت تأكيد نفي الشريك عن الله ﷻ وعمومه[٥]، وعمومه[٥]، أي: ليس لهم إله يستحق أنْ يوجه إليه نوع ما من أنواع العبادة غير الله ﷻ[٦].
ﷻ[٦].

ثم قال صالح عليه السلام مدلِّلاً على صِدْق ما جاء بــه: M ¶ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ L، أي: ((آية ظاهرة وشاهدة على صحَّة نُبوَّتي))[٧]، وصحَّة ما أمرتكم به، والمراد بها الناقة.

وفي الآية إيجاز حذف؛ فهذا الكلام صدر من صالح عليه السلام ((في غير الوقت الذي ابتــدأ فيه بالدعوة، لأنَّه قد طُوي هنا جواب قومه وسؤالهم إيَّاه آية كما دلَّت عليه آيات ســورة هود وسورة الشعراء))[٨].

---

(١) ينظر: الإيضاح: ١٥٩ .

(٢) دلائل الإعجاز: ٣٣٢ .

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٦١٤ .

(٤) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ٢٢٦ .

(٥) ينظر: نظم الدرر: ٧/ ٤٤٤ .

(٦) ينظر: تفسير المنار: ٨/ ٤٩٢ .

(٧) الكشاف: ٣٦٩ .

(٨) التحرير والتنوير: ٨/ ق٢/ ٢١٧ .

وفصلت جملة M ¶ ﯖ ﯗ L للاستئناف البياني؛ لأنها جواب عن سؤال تقديره: هل لديك بيِّنة على دعواك؟ فجاء الجواب مفصولاً: M ¶ ﯖ ﯗ L.

وابتداء الجملة بـ(قد) يفيد التأكيد، وتحقيق مجيء البيِّنة على صدق نبوَّته عليه السلام وإقامة الحجَّة عليهم؛ لأنَّ مجيء التأكيد يقوي المعنى، وهم كانوا شاكِّين في صحَّة ما جاء به مترددين في ذلك، ويدل عليه ما ذُكِر عنهم في سورة هود من قولهم: Mوَإِنَّنَا لَفِى ﭢ ﭣ ﭤ تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ L [هود: ٦٢]، فجاءت الآية بمؤكد واحد مناسبة لحالهم وشكِّهم.

ومن دقة التعبير القرآني في اختيار الألفاظ التعبير بالمجيء في قوله: M ﯖ ﯗ L حيث عُبِّر بالمجيء دون الإتيان؛ لأنَّ المجيء أعم، قال الراغب: ((المجيء كالإتيان لكن المجيء أعم؛ لأنَّ الإتيان مجيء بسهولة))(١)، أما المجيء فقد يكون بسهولة وقد يكون بصعوبة، والقرآن يفرق بين استعمال (جاء) و(أتى) فيستعمل الفعل (جاء) في السياق الذي فيه صعوبة ومشقة(٢)، وإذا نظرنا للذي جاء في الآية وجدناه أمرًا معجزًا خارقًا للعادة، فناسب ورود الفعل (جاء). وإذا نظرنا كذلك إلى السياق وجدناه سياق تحذير وإنذار، وفيه وعيد بالعذاب، ففي ختام الآية قال لهم صالح عليه السلام: Mوَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ L، وهذا مناسب للفعل (جاء) الذي يأتي في سياق الموقف الأشق والأشد.

ويمكن أنْ يضاف إلى ذلك أنَّ الآية التي جاءتهم هي الناقة، وهي عين من الأعيان، والفعل (جاء) يقال في الجواهر والأعيان، يقول الزركشي: ((جاء) يقال في الجواهر والأعيان، و(أتى) في المعاني والأزمان))(٣).

ولما أيَّد الله عز وجل صالحًا عليه السلام بمعجزة الناقة وكانت هذه الآية ظاهرة الدلالة على صدقه عليه السلام، وداعية إلى الإيمان به واتِّباعه، ولكون المنتظر أنْ تكون سببًا في إيمان قومه وهدايتهم، وللدلالة ابتداءً على عِظَم تكذيبهم واستكبارهم جاء السياق القرآني لافتًا النظر إلى أنَّه قدم لهم آية تقطع كل شكٍ وريبة، وأنَّها كانت آية عظيمة وحجة قاطعة من ربهم

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٩١ .

(٢) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٩١.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٩٦٩ .

العظيم المحسن إليهم، أفاد ذلك كلَّه النظمُ الكريمُ في قولــه ﷻ : M ¶ ﮋ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ L من خلال ما يلي:

الأول: تأكيد الجملة بـــ (قد)، والتعبير بالفعل الماضي (جاءتكم).

الثاني: حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانـــه في قولـــه: M ﮋ بَيِّنَةٌ L؛ إذ التقدير: جاءتكم آية أو حجة أو موعظة بينة[١]، وقد أفاد هذا الحـــذف الاهتمـــام بشـــأن الصفة، والتأكيد والمبالغة[٢]على أنَّ الآية كانت حجة بينة ظاهرة، واضحة الدلالـــة علـــى صدق الدعوى، لا مرية فيها ولا شك.

ومثل هذا الحذف له فضل ومزية في الكلام البليغ، يقول عبدالقاهر الجرجـــاني عنـــه: ((هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنَّك ترى بـــه تـــركَ الذكر، أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن))[٣].

كما أنَّ في حذف (آية) تجنبًا للتكرار؛ لأنَّ اللفظة وردت بعد ذلك في الآية نفسها في قوله: Mهَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ L.

الثالث: تنكير Mبَيِّنَةٌ L الذي أفاد التفخيم ((أي: بينة عظيمة))[٤].

الرابع: تقييد الصفة بالجار والمجرور في قوله: Mمِّن رَّبِّكُمۡ L، وهذا التقييـــد بالجـــار والمجرور فيه تعظيم لشأن البينة؛ لأنَّها من الرب ﷻ. وإيثار لفـــظ (الـــرب) وإضـــافته إلى ضميرهم فيه تذكير بتربية الله تعالى لهم، وعنايته بهم، وإحسانه إليهم، ومن ذلك أنَّه أرســـل إليهم رسولاً مُؤَيَّدًا بالآيات و لم يتركهم هملاً.

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٧١٨ .

(٢) ينظر: المثل السائر: ٢/ ٢٨٩ .

(٣) دلائل الإعجاز: ١٤٦ .

(٤) روح المعاني: ٨/ ٥٤٤ .

الخامس: الإشارة إليها باسم الإشارة ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الذي أفاد تمييز الناقة أكمل تمييز؛ لإجراء أوصاف الرفعة لها مع تعظيمها وتفخيمها[١]، فهي يشار إليها وعظمتها أمر بَيِّن معلوم، وإيثار اسم الإشارة الدال على القرب يدل على قربها منهم، وأنهم يشاهدونها بِأَعْيُنِهِم[٢]، فهي ماثلة أمامهم، وهذا أحرى أنْ يتأملوا في عظمتها.

السادس: إضافة الناقة إلى لفظ الجلالة ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾؛ ((تعظيمًا لها، وتفخيمًا لشأنها))[٣]، قال الفخر الرازي: ((فإنْ قيل: ما الفائدة في تخصيص تلك الناقة بأنها ناقة الله؟ قلنا فيه وجوه: قيل إضافتها إلى الله تشريفًا وتخصيصًا، كقولك: بيت الله. وقيل: لأنَّه خلقها بلا واسطة. وقيل: لأنَّه لا مالك لها غير الله. وقيل: لأنَّها حجة الله على القوم))[٤]، وكل ذلك محتمل ولا تعارض بينه.

السابع: تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾، وذلك يفيد التخصيص، قال الزمخشري: ((لكم) بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود؛ لأنَّهم عاينوها وسائر النَّاس أُخبِروا عنها وليس الخبر كالمعاينة، كأنَّه قال: لكم خصوصًا))[٥].

الثامن: التأكيد بذكر الحال المؤكدة (آية)[٦].

كل هذه الأمور دلت على عظم هذه الآية، وتفخيمها، والاهتمام بها، والعناية بشأنها، وأكَّدت على أنَّها كافية لإقامة الحجة عليهم، فوجب عليهم الإيمان والإذعان.

وفصلت جملة ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ عما قبلها للاستئناف البياني؛ لأنها جواب لسؤال مقدر بعد قوله ﷻ: ﴿... بَيِّنَةٌ﴾ تقديره: ما هي؟ فقيل: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾[٧].

---

(١) ينظر: تلخيص المفتاح بشرح البرقوقي: ٦١ .
(٢) ينظر: خصائص التراكيب: ٢٣٩ .
(٣) الكشاف: ٣٦٩ .
(٤) التفسير الكبير: ١٤/ ١٦٣ .
(٥) الكشاف: ٣٦٩، وينظر: التفسير الكبير: ١٤/ ١٦٣ .
(٦) ينظر: حاشية الشهاب: ٤/ ١٨٤ .
(٧) ينظر: حاشية الشهاب: ٤/ ١٨٣، واللباب في علوم الكتاب: ٩/ ١٩٢ .

ولما بَيَّن لهم صالح عليه السلام أنَّ الناقة آية لهم من الله عز وجل، وكان ذلك يوجب عدم التعرض لها؛ قال: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾، الفاء للتفريع على كونها آية، وإضافة (الأرض) إلى لفظ الجلالة قطعًا لعذرهم في التعرض لها، وتربية للمهابة في نفوسهم، كأنَّـه قيـل لهـم: ((الأرض أرض الله، والناقة ناقة الله، فذروها تأكل في أرض ربها، فليست الأرض لكم، ولا ما فيها من النبات من إنباتكم))[١]، فللناقة حق في الأكل، ولا يختص أكلـها بـأرض دون أخرى. وفي حَذْف مفعول (تأكل) من الجملة فوائد:

الأولى: الإيجاز.

الثانية: أنَّ الغرض إثبات معنى الفعل نفسه الذي هو الأكل للناقة من غير إرادة العلـم على من وقع[٢]، لأنَّ إثبات المفعول الذي هو (العشب) يوحي بأنَّ ناقة صالح عليه السلام كغيرها من النوق، أما إطلاق فعل الأكل فيوحي بأنَّها ناقة متفردة حتى في طبيعة أكلها، وهذا يدل على عظمتها وعلو شأنها.

الثالثة: إثبات الحرية المطلقة لناقة الله عز وجل وقطع العذر عليهم؛ وذلك لأنَّـه عليه السلام لمـا أمرهم أنْ يذروها تأكل في أرض الله ونهاهم أنْ يتعرضوا لها بسوء دلَّ ذلك على أنَّ هـذه الناقة تتمتع بحرية مطلقة ناسب معها إطلاق فعل الأكل، ولو ذُكِر المفعول لَقُيِّـدت هـذه الحرية بالمفعول المذكور فقط دون غيره.

وبعد أنْ أمرهم بتركها نهاهم عن التعرض لها بسوء، فقـال: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال الراغب في معنى (المسِّ): ((المسُّ كاللمس ...، و(المس) يقال في كل مـا يَمُسّ الإنسان من أذى))[٣]، وفرق أبو هلال العسكري بين (المـسِّ) و(اللمـس)، فقـال: ((الفرق بين اللمس والمس: أنَّ (اللمس) يكون باليد خاصة؛ ليعرف اللين مـن الخشـونة، والحرارة من البرودة، و(المس) يكون باليد والحجر وغير ذلك، ولا يقتضي أنْ يكون باليد،

(١) الكشاف: ٣٧٠ .

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٥٤، والإيضاح: ١٠٦ .

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٤٧٠ .

ولهذا قال تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقـال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الأنعام: ١٧]، و لم يقل: يلمسك))[١].

وبهذا نعرف شيئًا من بلاغة النهي عن المسِّ؛ إذ قال: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾ ، و لم يقـل: ولا تلمسوها، وذلك لأنَّ المسَّ يكون في كل ما يؤذي، والمقام في النهي عن إيذاء الناقـة. ولأنَّ المس يكون باليد وبغيرها فيشمل ذلك النهي عن كل أنواع الأذى، فقد ((نهى عـن المـسِّ الذي هو مقدمة الإصابة بالشر الشامل لأنواع الأذية، ونكر السوء مبالغة في النهي، أي: لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها أصلاً، ولا تطردوها، ولا تريبوها؛ إكرامًا لآية الله تعالى))[٢].

وفي إتباع أسلوب الأمر بالنهي تَرَقٍّ من اللين إلى الشدة؛ لأنَّ ((الأمر ألين في الخطاب من النهي، فالنهي زجر، والأمر طلب))[٣]، وذلك لأنَّ صالحًا عليه السلام فيما حكـى الله عنـه أمرهم أولاً؛ فقال: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ ، ثم نهاهم ثانيًا؛ فقال: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ﴾ ، عطفت هذه الجملة على ما قبلها بـ(الفاء)؛ لدلالتها على الترتيب والتسبيب، قال المالقي عن (الفاء): ((والربط والترتيب لا يفارقاها))[٤]، وقـد تفيد التسبيب كما في الآية، فرُتب أخذهم بالعذاب على مسِّ الناقة بسوء، ((أي: إنْ تمسوها بسوء يأخذكم عذاب))[٥]. كما أفادت (الفاء) التعقيب، أي: أنَّ الثاني جاء بعد الأول بـلا مهلة، جاء في المقتضب: ((وهي توجب أنَّ الثاني بعد الأول، وأنَّ الأمر بينهما قريـب))[٦]، ويدل هذا على سرعة نزول العذاب بهم إذا تعرضوا للناقة، وفي ذلك ما فيه من شدة التهديد والوعيد.

(١) الفروق اللغوية: ٣٠٣ .
(٢) تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٤٢ .
(٣) قضايا التكرار في القصص القرآني: ٢١ .
(٤) رصف المباني: ٣٧٧ .
(٥) التحرير والتنوير: ٨/ ق٢/ ٢١٩ .
(٦) المقتضب: ١/ ١٤٨ .

وقوله عز وجل: Mفَيَأْخُذَكُمْ L، قال الراغب: ((الأخذ: حَوز الشيء وتحصيله))(١)، و((أصل الأخذ تناول الشيء باليد))(٢)، ففي الآية استعارة؛ حيث شُبِّه العذاب بالإنسان الذي يأخذ بجامع الإحاطة بهم والحيازة والتحصيل كما يحيط الآخذ بالمأخوذ ويحوزه ويُحَصِّله، فأفادت الاستعارة تمكن العذاب منهم وإحاطته بهم.

كما أنَّ في الاستعارة تشخيصًا للعذاب، وإظهارًا لحركة الأخذ، فيتصور القارئ والمستمع حركة العذاب وهو يأخذهم ويهلكهم ويدمرهم، وهذا أبلغ تأثيرًا في النفس.

وبالإضافة إلى بلاغة الاستعارة في الآية دلّ التعبير القرآني أيضًا على هول العذاب وعظمته وشدته بثلاثة أمور:

الأول: تنكير لفظة Mعَذَابٌ L الذي يدل على التعظيم.

الثاني: وصف العذاب بأنَّه Mأَلِيمٌ L.

الثالث: أنَّ لفظة Mأَلِيمٌ L على وزن (فعيل)، وهي صيغة مبالغة و((المبالغة تفيد التنصيص على كثرة المعنى كمًّا أو كيفًا))(٣).

فانظر كيف دلت هذه الجملة على سرعة وقوع العذاب، وشدته، وعظمته، وإحاطته بهم، مع إيجازها وقلة ألفاظها.

❁ ❁ ❁

قوله عز وجل: M ! " # $ % & ' ( ) * + , -
. / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; L [الأعراف:٧٤].

قال البقاعي: ((ولما أمرهم ونهاهم ذكرهم ترغيبًا مشيرًا إلى ترهيب، فقال: (واذكروا)))(٤). وفعل الأمر (اذكروا) للوعظ والإرشاد، أي: استحضروا في قلوبكم

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٢ .

(٢) التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٧ .

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني: ٢/ ٢٩٦ .

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٤٤٥ .

وأقوالكم نِعَم الله ﷻ عليكم؛ لأنَّ الذكر ((تارة يقال لحضور الشيء القلب أو القــول))(١)، وفي أمرهم بالذكر دليل على غفلتهم ونسيانهم لنعم الله ﷻ عليهم. و((انتقل مــن أمــرهم بالتوحيد إلى تذكيرهم بنعمة الله عليهم التي لا ينكرون أنَّها من الله دون غيره، لأنَّ الخلــق والأمر لله لا لغيره، تذكيرًا مِن شأنه إيصالهم إلى إفراد الله تعالى بالعبادة. وإنما أمرهم بالذُّكر (بضم الذال) لأنَّ النفس تنسى فتكفر المنعم، فإذا تذكرت النعمة رأت حقًّا عليها أنْ تشكر المنعم))(٢). وكان أول نعمة ذكَّرهم بها نعمةَ الاستخلاف في الأرض من بعد عاد، فقال: M " # $ % & ' L، والتعبير بــ(جعلكم) دون (أصبحتم) ونحوها؛ فيه نسبة نعمة الاستخلاف لله ﷻ وحده، فهو الذي جعلكم خلفاء وصيركم كذلك، ولم يكن بحــولكم وقوتكم.

((وقوله: M% & ' L ولم يقل: خلفاء عاد، مع أنَّه أخصر؛ إشارة إلى أنَّ بينــهما زمانًا طويلاً))(٣)، وفي هذا التذكير بنعمة الاستخلاف تعريض بالنذارة والوعيد؛ فإنَّ قوم عاد إنَّما أهلكهم الله ﷻ وعذبهم بسبب كفرهم، فمَن اتبعهم في صنعهم يوشك أنْ يَحِــلَّ بــه العذاب أيضًا(٤). فانظر كيف انتقل أسلوب القرآن من التصريح بالوعيد في سياق الترهيب - في الآية السابقة - إلى التعريض في سياق الترغيب، وفي ذلك مطابقة لمقتضى الحال، قال الزركشي عن بلاغة التعريض وتأثيرها: ((ووجه حُسْنه ظاهر؛ لأنَّه يتضمن إعلام الســامع على صورة لا تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر، كأنَّك لم تَعْنِه، وهــو أعلــى في محاســن الأخلاق، وأقرب للقبول، وأدعى للتواضع)) (٥).

وقوله ﷻ: M) (* L، أي: ((أنزلكم في الأرض، وجعل لكم فيها مساكن وأزواجًا))(٦)، وجاء في لسان العرب: ((و"أَبَاءَه منْزلاً، وبَوَّأَه إيَّاه، وبوَّأهُ فيه" بمعنى: هَيَّأهُ لــه

(١) المفردات في غريب القرآن: ١٨٤ .

(٢) التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٠٤ .

(٣) حاشية الشهاب: ٤/ ١٨٤ .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٠٥ .

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٨٤ .

(٦) تفسير الطبري: ١٠/ ٢٩٩ .

وأنزله ومكَّن له فيه))[1]، فهذه اللفظة هي المناسبة في هذا السياق الذي فيه التذكير بالنعمة؛ لما يدل عليه معناها وما تدل عليه صيغتها أيضًا؛ حيث جاءت على وزن (فَعَّلَ) الذي ((يفيد التكثير والمبالغة غالبًا ...، ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقت أطول، وأنَّه يفيد تلبُّثًا ومُكْثًا))[2]، فإنَّ الله ﷻ قد هَيَّأ لهم الأرض وأنزلهم ومكنَّهم فيها مدةً طويلةً، وهذا يدل على كمال النعمة وتمام المنَّة.

وبعد أنْ ذكَّرهم صالح عليه السلام بهذه النعمة على سبيل الإجمال والإبهام فصَّل لهم الأمر في قوله: M + , - . / 0 1 L، وهذا الأسلوب يسمى عند البلاغيين "الإيضاح بعد الإبهام"، وله نكت بلاغية جليلة، قال الخطيب عن فائدته: ((ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكن. فإنَّ المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوفت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا أُلقي كذلك تمكَّن فيها فضل تمكُّن، وكان شعورها به أتم. أو لِتَكْمُل اللذة بالعلم به، فإنَّ الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوفت النفس إلى العلم بالمجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة، وبسبب حرمانها عن الباقي ألم، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم))[3].

وفي الآية جاء الإخبار بتبوىء الله ﷻ لهم في الأرض، فاشتاقت النفوس وتهيَّأت لمعرفة تفاصيله وتوضيحه فبَيَّنَه بعد ذلك بقوله: M + , - . / 0 1 L فتمكَّن منها، فكان الشعور به أتم، واللذة بالعلم به أكمل.

وقد فُصِلت جملة: M + , - . L؛ للاستئناف البياني[4]، حيث بينت هذه الجملة المراد بقول صالح عليه السلام: M) (* L، وكيف كان ذلك، فجاءت الإجابة مفصولة؛ لكمال الاتصال.

---

(١) لسان العرب: ١/ ٥٣١، مادة (بوأ).

(٢) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٦٢ .

(٣) الإيضاح: ١٩٦ .

(٤) ينظر: روح المعاني: ٤/ ٥٤٥ .

ومجيء الفعل M + L و M / L مضارعًا يفيد تصوير حـــالهم الواقعـــة، وتجدد فعلهم، واستمرارهم على ذلك، وفي هذا التعبير إشارة إلى عظيم نعمة الله عليهم؛ إذ جعل حياتهم في هذا النعيم حياة متجددة؛ فهم دائمو الاتخاذ والنحت، منشـــغلون بـــذلك مستمرون عليه.

وقُدِّم الجار والمجرور M , - L على المفعول M . L للاهتمام به؛ لأنَّه أليـــق بالسياق وأوثق صلة بغرض الكلام(١)؛ حيث إنَّ فيه بيان لتسخير الأرض لهم الذي ذُكِر قبل ذلك في قوله: M) (* L والسهول والجبال جزء من الأرض فناسب تقديم الجار والمجرور.

ووُصِلت جملة M / 0 1 L بما قبلها لاتفاقهما في الحكم الإعرابي ومناسبة كل منهما للأخرى وليس هناك مانع من الوصل(٢)؛ أما الإعراب فكلا الجملـــتين في محـــل نصب حال، وأما مناسبة كل منهما للأخرى فكلا الجملتين خبريتان تبتدئان بفعل مضارع وتشتركان في كونهما بيان لمعنى التبوىء في الأرض، فبينهما مناسبة وارتباط قوي ولا يوجد مانع من الوصل.

و((النحت نَحْر الشيء الصلب))(٣)، وهو يوحي بالتفنن، ويدل على مبلغ الترف الذي كان يعيش فيه قوم ثمود. ومجيء الفعل مضارعًا يفيد تصوير حالهم الواقعة، وتجدد فعلهم واستمرارهم على ذلك.

وقد ضُمِّن الفعل (تنحتون) ((معنى ما يتعدى إلى مفعولين، أي: تتخذون الجبال بيوتًا لنحت، أي: تصيروها بيوتًا بالنحت))(٤)، والتضمين يُعَدُّ من "الإيجاز"(٥)؛ لأنَّ الفعل تَضَمَّن معنى فعلين بلفظ واحد.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٧٨٩، وخصائص التراكيب: ٤٠٣ .

(٢) ينظر: تلخيص المفتاح: ١٠٨ .

(٣) تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٤٣ .

(٤) حاشية زاده: ٤/ ٢٥١ .

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٨٣٩ .

ولما ذكَّرهم صالح عليه السلام بهاتين النعمتين العظيمتين اللتين هما من أظهر النعم وأخصها عليهم، فرَّع على ذلك الأمر بذكر آلاء الله عز وجل عليهم، فقال: M 3 4 5 L، وهذا ((تفريع الأعم على الأخص، لأنَّه أمرهم بذكر نعمتين، ثم أمرهم بذكر جميع النعم التي لا يحصونها، فكان هذا بمنزلة التذييل))[١] الذي يفيد التأكيد على تذكر النعم. وفيه إشارة إلى عظم نعم الله عز وجل عليهم، وأنَّ نعمه لا تحصى، وفيه التنبيه على فضل النعم التي ذُكِرت أولاً؛ من الاستخلاف بعد قوم عاد، وتسخير الأرض لهم.

ولما ذكَّرهم صالح عليه السلام بنعم الله عز وجل عليهم الخاصة والعامة، وكان تذكر نعم الله يبعث على الشكر والطاعة وترك الفساد، عطف نهيهم عن الفساد في الأرض على الأمر بذكر آلاء الله عز وجل[٢]، فقال: M 6 7 8 9 L و((العيث والعثي أشد الإفساد))[٣]، ويدخل فيه جميع أنواعه، وفي ذلك مبالغة في وصفهم بالإفساد، ثم أكَّد بذكر الحال (مفسدين).

وقد قُيِّد هذا النهي عن الإفساد بمُقَيِّدَين، الأول: الجار والمجرور M 8 9 L. والثاني: الحال M : L، والقيد يأتي في الجملة ((لتربية الفائدة))[٤] أي: تكثيرها، فكلما جاء قيد صار الكلام أكثر فائدة وإيضاحًا عند السامع[٥]، و((تربية الفائدة تعني أيضًا تقرير المعنى وتأكيده))[٦].

أما الجار والمجرور فَذِكْرُه بعد النهي عن الإفساد في قوله: M 6 7 8 9 L؛ مناسب لما جاء قبل ذلك من الامتنان عليهم بنعمة الاستخلاف في الأرض وتسخيرها لهم، ففيه توبيخ لهم؛ إذ كيف يفسدون في الأرض التي سُخِّرت لهم؟!، وفي ذلك مدعاة لأنْ ينتهوا عما نُهوا عنه، وفيه أيضًا إشعار بعظم إفسادهم وكأنَّه قد عمَّ الأرض.

---

(١) التحرير والتنوير: ٨/ ق٢/ ٢٢١ .

(٢) التحرير والتنوير: ٨/ ق٢/ ٢٢١ .

(٣) حاشية زاده: ٤/ ٢٥١ .

(٤) الإيضاح: ٩١ .

(٥) ينظر: خصائص التراكيب: ٣٤٤ ، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٣٦٧ .

(٦) خصائص التراكيب: ٣٥٤ .

وأمَّا الحال فهي مؤكِّدة لــM 7 L ((أي: لا تبالغوا في الإفساد))(١)، وفي تقــديم الجار والمجرور M8 9 L على الحال الذي عمل فيه تناسب مع السياق، وارتباط بغــرض الكلام الذي يتحدث عن نعمة الاستخلاف في الأرض، ومراعاة للفاصلة.

❁ ❁ ❁

وقولـــــــه ﷻ: M > = < ? @ A B C D E F G H I J K L N O P Q R S L[الأعراف: ٧٥].

هنا طيٌّ وإيجاز لبعض الأحداث التي تُفهم من السياق، وهي أنَّ القــوم انقســموا إلى مؤمنين وكافرين، وأنَّ الكافرين لما لم يستطيعوا أنْ يجابهوا صالحًا عليه السلام وما جاء بــه مــن الآيات الواضحات والحجج الباهرات عدلوا عن ذلك ((إلى اختبار تصلب الذين آمنوا به في إيمانهم، ومحاولة إلقاء الشك في نفوسهم))(٢)؛ ليضلوهم عن سبيل الله ﷻ .

وقد فُصلت جملة: M > = < ? L؛ للاستئناف البيــاني، إجابــة عــن سؤال تقديره: فماذا كان رد قوم صالح عليه السلام وما موقفهم من دعوته؟ فجــاءت الإجابــة: M > = L الآية.

وM = L: ((جماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العيون رواءً ومنظرًا، والنفوس بهــاءً وجلالاً))(٣)، وهم ((الأشراف والسادة))(٤). والتعبير بــ (الملأ) يفيد أنَّهم تمالؤوا على الكفــر واتَّفقوا عليه وأنَّهم ذوو مكانة في قومهم.

ووصف (الملأ) بــ(الذين استكبروا) والمؤمنين بــ (الذين استُضْعِفوا) أفاد ذم الكفــار من عدة وجوه:

---

(١) حاشية زاده: ٤/ ٢٥١ .

(٢) التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٢ .

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٤٧٤ .

(٤) الكشاف: ٣٦٧ .

الأول: كون الاستكبار صفة ذم.

الثاني: ما دلَّ عليه الاسم الموصول (الذين) من إشعارٍ بأنَّهم كانوا معروفين بهذا الوصف مشتهرين به؛ لأنَّ الاسم الموصول يُوصَل بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها، وأمر قد عُرِّف له[١].

الثالث: مجيء (استكبروا) على وزن (اسْتَفْعَل)، وهذه الصيغة تدل على التطلب والتكلف، ((أي: أَوجدوا الكبر إيجاد من هو طالب له بغاية الرغبة))[٢]، وهذا فيه غاية الذم لهم.

الرابع: بيان أنَّ استكبارهم كان سبب كفرهم بصالح عليه السلام، قال ابن عاشور: ((واختيار طريق الموصولية في وصفهم ووصف الآخرين بـ (الذين استضعفوا)؛ لما تومئ إليه الصلة من وجه صدور هذا الكلام منهم، أي أنَّ استكبارهم هو صارفهم عن طاعة نبيهم، وأنَّ احتقارهم المؤمنين هو الذي لم يُسِغ عندهم سبقهم إياهم إلى الخير والهدى))[٣].

الخامس: مجيء الفعل (اسْتُضْعِفوا) على صيغة المبني للمجهول أفاد كذلك ذمَّ الكفار بطريق غير مباشر، بَيَّنَ ذلك الرازي بقوله: ((واعلم أنَّه وصفَ أولئك الكفارَ بكونهم مستكبرين، ووصفَ أولئك المؤمنين بكونهم مُسْتَضْعَفِين. وكونهم مستكبرين فعلاً استوجبوا به الذم، وكون المؤمنين مُسْتَضْعَفِين معناه: أنَّ غيرهم يستضعفهم ويستحقرهم، وهذا ليس فِعلاً صادرًا عنهم بل عن غيرهم، فهو لا يكون صفة ذم في حقهم؛ بل الذم عائد على الذين يستحقرونهم ويستضعفونهم))[٤].

كما أنَّ بَيْن اللفظين: (اسْتُضْعِفوا) و(استكبروا) "طباق"، وهو محسن معنوي[٥] أفاد أنَّ القوم قد انقسموا وافترقوا إلى فريقين متضادين متقابلين.

---

(١) ينظر: دلائل الاعجاز: ٢٠٠ .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨/ ١ .

(٣) التحرير والتنوير: ٨/ ق٢/ ٢٢٢ .

(٤) التفسير الكبير: ١٤/ ١٦٥ .

(٥) ينظر: حاشية القونوي: ٨/ ٤٣٠ .

وفي قوله ﷻ: L F E D M "احتراس"؛ لأنَّه ((لما قال: (للذين استُضْعِفوا) كان ربما فُهِمَ أنَّهم آمنوا كلهم، فنفى ذلك بقوله مبدلاً منه: (لمن آمن منهم)، أي: المستضعفين، فهو أوقع في النفس وأروع للجنان من البيان في أول وهلة، مع الإشارة إلى أنَّ أتباع الحق هم الضعفاء، وأنَّه لم يؤمن إلا بعضهم))[١].

وقوله ﷻ على لسان الذين استكبروا: M G H I J K L L، استفهام يراد به الاستهزاء والسخرية والاستخفاف[٢]؛ ((لأنَّهم عالمون - أي المستكبرين - بأنَّهم - أي المستضعفين - عالمون بذلك، ولذلك لم يجيبوهم على الظاهر بل عدلوا عنه))[٣].كما أنَّ الاستفهام أيضًا يحمل معنى الإنكار والتشكيك[٤]؛ لأنَّ معناه ((ما نظنُّكم آمنتم بصالح عن علم بصدقه، ولكنَّكم اتبعتموه عن عمى وضلالة غير موقنين))[٥].

وذِكْر صالح الطَّيْلاَ باسمه لإحضاره بعينه في ذهن المخاطبين، مع ما يشعر به ذلك من الاستهانة والاستخفاف؛ لأنَّ السياق سياق تكذيب له، كما أنَّهم ((سموه باسمه جفاء وغلظة وإرهابًا للمسؤولين؛ ليجيبوهم بما يرضيهم))[٦].

وقولهم: (مِن ربه) بإضافة لفظ (الرب) إلى ضمير صالح الطَّيْلاَ، ولم يقولوا: مِن الله، أو مِن ربِّنا، إمعانًا في تكذيبه والاستقلال عنه، والاستكبار عما جاء به، والتبرؤ منه، وكأنَّ له ربًّا يخصه وحده. فكان أسلوب استفهام المستكبرين واردًا على أسلوب يدل على مدى استكبارهم وتعنتهم، ويطابق ما وُصِفُوا به في أول الآية.

ولما كان هذا الاستفهام يراد به الاستهزاء؛ أجاب المؤمنون بالتصديق والصرامة في دين الله ﷻ، وقد عَبَّر القرآن عن قولهم تعبيرًا بليغًا، فحكى عنهم أنَّهم قالوا للمستكبرين: M O P Q R S L، فاشتمل هذا الرد على ألوان من البلاغة:

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٤٤٦ .
(٢) ينظر: الكشاف: ٣٧٠، والمحرر الوجيز: ٧٢٠، وتفسير البيضاوي: ١/ ٣٤٧ .
(٣) حاشية الشهاب: ٤/ ١٨٤ .
(٤) ينظر: زاد المسير: ٥٠٥، والتحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٣ .
(٥) التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٣ .
(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٤٤٦ .

الأول: "الأسلوب الحكيم"، وهو ((تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، وذلك إما بحمل الكلام على غير ما كان يقصد ويريد ... وإما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، تنبيهًا على أنَّه كان ينبغي له أنْ يَسأل هذا السؤال))(١). قال الزمخشري عن بلاغة جواب المؤمنين: ((فإنَّ قُلتَ: كيف صح قولهم: (إنا بما أرسل به مؤمنون) جوابًا عنه؟ أي عن سؤال الكافرين. قُلتُ: سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمرًا معلومًا مكشوفًا مسلَّمًا لا يدخله ريب، كأنَّهم قالوا: العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تَدخله لوضوحه وإنارته، وإنما الكلام في وجوب الإيمان به، فنخبركم أنَّا به مؤمنون))(٢)، وقال أبو السعود في تفسيره: ((عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأنْ يقولوا: نَعَم، أو نعلم أنَّه مرسل منه تعالى؛ مسارعةً إلى تحقيق الحق وإظهار ما لهم من الإيمان الثابت المستمر الذي تُنْبِئ عنه الجملة الاسمية، وتنبيهًا على أنَّ أمر إرساله من الظهور بحيث لا ينبغي أنْ يُسأل عنه، وإنما الحقيق بالسؤال عنه هو الإيمان به))(٣).

والثاني: ما يدل عليه النظم من المعاني، حيث دل النظم الكريم في جواب المؤمنين على تأكيد إيمانهم بصالح عليه السلام، وصلابتهم في دينهم، وذلك بالإتيان بمؤكِّدَين، هما: (إنَّ) والجملة الاسمية، قال ابن عاشور: ((وقد جيء في جواب الذين استُضْعِفوا بالجملة الاسمية للدلالة على أنَّ الإيمان متمكِّن منهم بمزيد الثبات، فلم يتركوا للذين استكبروا مطمعًا في تشكيكهم؛ بله صرفهم عن الإيمان برسولهم، وأُكِّد الخبر بحرف (إنَّ) لإزالة ما توهموه من شك الذين استكبروا في صحة إيمانهم))(٤).

والتعبير بـ (ما) الموصولة يدل على العموم والشمول(٥)، أي: نحن بكل ما جاء به مؤمنون، وهذا يُبَيِّن قوة إيمانهم وصدق انقيادهم واتباعهم لصالح عليه السلام.

---

(١) تلخيص المفتاح: ١٩٦ .

(٢) الكشاف: ٣٧١، وينظر: حاشية زاده: ٤/ ٢٥١ .

(٣) تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٤٣ .

(٤) التحرير والتنوير: ٨/ ق٢/ ٢٢٣ .

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٤٤٧ معاني النحو: ١/ ١٣٠، و(ما) الموصولة في النظم القرآني: ٩٤٢.

وتقديم الجار والمجرور M P Q R L على الخـبر M S L للاهتمـام بـه والاختصاص؛ لأنَّ مسألة الرسالة هي مدار الجدال والخصومة، وحولها كان النقـاش مـع المستكبرين، وفي ذلك أيضًا تشويق للخبر؛ حيث أُخِّر فتشوفت النفس لمعرفته وتطلعت إليه، مع ما في ذلك من مراعاة للفاصلة، ومجيء الفعل M Q L مبنيًّا للمفعـول ((إشـارة إلى تعميم التصديق، وإلى أنَّ كونه من عند الله أمر مقطوع به لا يحتاج إلى تعيين))(١).

ومجيء الخبر M S L بصيغة اسم الفاعل يفيد الثبوت والدوام؛ ((إذ آمنوا به إيمانًا صادقًا كاملاً صار صفة من صفاهم الراسخة))(٢).

وهكذا كان رد المؤمنين على الذين استكبروا ردًّا قويًّا حاسمًّا دالا على إيمان راسـخ كالجبال بأسلوب موجز بليغ، وقد علَّق ابن عاشور على جواب المؤمنين بقوله: ((وهذا مـن بليغ الإيجاز المناسب لكون نسبة هذه الجملة من حكاية القرآن لا من المحكي من كلامهم، إذ لا يُظَنُّ أنَّ كلامهم بلغ من البلاغة هذا المبلغ))(٣).

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M U V W X Y Z [\ ] L [الأعراف: ٧٦].

لما رأى المستكبرون أنَّه لا يمكنهم أنْ يزعزعوا إيمان المؤمنين؛ حملتـهم الأنفـة علـى مناقضتهم في مقالتهم فأعلنوا كفرهم، وجاء ردُّهم مبيِّنًا مدى إصـرارهم علـى الكفـر، ودوامهم وثباتهم عليه بتأكيد الجملة بـ(إنَّ) ومجيئها اسمية(٤).

وكُرِّر وصفهم بـ(الذين استكبروا) للتسجيل عليهم، وللتأكيد على أنَّهـم كفـروا بسبب استكبارهم عن الحق.

وعُبِّر بالاسم الموصول (الذي) دون (ما) كما في الآية السابقة، لأنَّ (الذي) أخص من (ما) أي أنَّها ((أكثر تحديدًا ووضوحًا))(٥)، وذلك لأنَّ المستكبرين حدَّدوا كفرهم بما آمن به

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٤٤٦ .
(٢) تفسير المنار: ٨/ ٥٠٦ .
(٣) التحرير والتنوير: ٨/ ق٢/ ٢٢٣ .
(٤) ينظر: حاشية القونوي: ٨/ ٤٣٠ .
(٥) معاني النحو: ١/ ١٢٩ .

المؤمنون، فناسب التعبير بـ(الذي) لأنَّها أخص، أما المؤمنون فأرادوا بيان عموم إيمانهم وشموله بما أُرسل به صالح عليه السلام ، فناسب أنْ يُعَبَّر عن ذلك بـ (ما) التي تفيد العموم.

ومن دقة التعبير القرآني في حكاية مقالتهم أنَّه نقل على لسانهم أنَّهم قالوا: M Z] L ولم يقولوا: إنَّا بما أرسل به كافرون. وهذا عدول عن مقتضى الظاهر، ((وفائدته - كما قالوا - : الرد لما جعله المؤمنون معلومًا وأخذوه مُسَلَّمًا، كأنَّهم قالوا: ليس ما جعلتموه معلومًا مُسَلَّمًا من ذلك القبيل))(1)، وكذلك فإنَّ فيه ((حذرًا مما في ظاهره من إثبات رسالته وهم يجحدونها))(2)، فجاء التعبير مطابقًا لاعتقادهم، مع ما يدل عليه ذلك من شدة المفارقة والمخالفة للمؤمنين.

وجاء الفعل M Z L بصيغة الماضي لتحقق وقوعه. وفي تقديم الجار والمجرور M Y Z] L على الخبر M \ L اهتمام به؛ لأنَّه مدار الجدال والخصومة، وفي ذلك أيضًا تشويق للخبر؛ حيث أُخِّر فتشوفت النفس لمعرفته وتطلعت إليه، مع ما في ذلك من مراعاة للفاصلة.

ومجيء الخبر M \ L بصيغة اسم الفاعل يفيد الدوام والثبوت، والتأكيد على أنَّهم مصرُّون على كفرهم وتكذيبهم، ومجيء ردِّ الكافرين على البناء نفسه الذي بُني عليه ردُّ المؤمنين؛ إظهارًا من الكافرين لشدة يقينهم برأيهم ومخالفتهم للمؤمنين المستضعفين، كما أنَّه يمثل صورة من استكبارهم وعنادهم.

ومن جمال النظم في الآية: الطباق بين M Z] L وM \ L، الذي بَيَّنَ مدى الصراع والاختلاف والتضاد بين الكافرين والمؤمنين.

❁ ❁ ❁

قال الله عز وجل: M ^ _ ` a b c d e f g h i j k l L [الأعراف:77].

---

(1) روح المعاني: 4/ 546، وينظر: الكشاف: 371 .

(2) حاشية الشهاب: 4/ 184 .

لما أعلن القوم كفرهم بالقول دعاهم استكبارهم عن الحق إلى إعلانه بالفعل فعقروا ناقة الله التي أرسلها الله ﷻ آية لهم، قال الراغب: ((عَقَرْتُه: أصبت عُقْرَه، أي: أصله، نحو رأسته، ومنه عَقَرْتُ النخل: قطعته من أصله، وعَقَرْتُ البعير: نحرته))[1]. وإطلاق العقر على النحر "مجاز مرسل" علاقته السببية؛ لأنَّ ((العقر سبب النحر، فأُطْلِقَ السبب على المسبب))[2]. وعند ابن عاشور أنَّ ذلك "كناية" حيث يقول: ((العقر: حقيقته الجرح البليغ ...، وكانوا يعقرون البعير المراد نحره بقطع عضو منه حتى لا يستطيع الهروب عند النحر، فلذلك أطلق العقر على النحر على وجه الكناية))[3]، والأقرب أنه "مجاز مرسل" كما ذُكِر، لأنَّ اللفظ المكنى به يكون تاليًا وردفًا للفظ المكنى عنه في الوجود[4] وهنا العكس؛ لأنَّ العقر يكون قبل النحر وسببًا له.

والتعبير عن قتل الناقة بـ(العقر) دون (النحر) فيه نكتة بلاغية، قال البقاعي: ((وأكثر ما يستعمل (العقر) في الفساد، وأما (النحر) فيستعمل غالبًا في الانتفاع بالمنحور لحمًا وجلدًا وغيرهما، فلعل التعبير به دون (النحر) إشارة إلى أنَّهم لم يقصدوا بنحرها إلا إهلاكها؛ عتوًّا على الله، وعنادًا، وفعلاً للسوء، مخالفةً لنهي صالح عليه السلام))[5].

وإسناد الفعل إليهم جميعًا مع أنَّ الذي باشر العقر واحد منهم يقال إنَّه يدعى قدار بن سالف؛ ((لأنَّه كان برضاهم وإنْ لم يباشره إلا بعضهم))[6]، قال أبو السعود: ((وفيه من تهويل الأمر وتفظيعه بحيث أصابت غائلته الكل ما لا يخفى))[7].

وقوله ﷻ: M ` a b c L، العتو: هو ((النُّبُوُّ عن الطاعة))[8]، أي: استكبروا استكبروا عن امتثال أمر الله ﷻ بعدم التعرض للناقة. والتعبير بالعتو يُبرز ما كانوا عليه من

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٤٤ .

(٢) حاشية القونوي: ٨/ ٤٣١ .

(٣) التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٥ .

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز: : ٦٦ .

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٤٤٨ .

(٦) الكشاف: ٣٧١ .

(٧) تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٤٣ .

(٨) المفردات في غريب القرآن: ٣٢٤ .

تجبر وتبجح وغرور أثناء اقترافهم للمعصية. وقد ضُمِّنَ الفعل (عتوا) معنى تَوَلَّوا واستكبروا وأعرضوا[١]، وهذا من الإيجاز.

وفي إضافة (الأمر) إلى (الرب) في قوله ﷻ: M b c L تعظيم لشأن الأمر، وفيه غاية الذم والتشنيع لفعلهم؛ إذ إنَّهم عتوا عن أمر ربهم الذي ربَّاهم بنعمه ويرعاهم بعنايته،كما أنَّ ذِكْر الربوبية الدالة على العناية والرعاية مناسب للسياق؛ لأنَّه تقدم ذكر بعض ما تفضل الله به عليهم من النعم.

وبعد أنْ عقروا الناقة اتجهوا إلى صالح عليه السلام مُتَحَدِّين له باستكبار وصلف ونادوه باسمه M e L باستخدام أداة النداء (يا) الدالة على البعد رغم قربه منهم؛ للدلالة على أنَّه بعيد عن قلوبهم، غير عالق بأذهانهم، لا تربطهم به صلة تستوجب قربه[٢]. وفي ندائه باسمه الصريح عليه السلام تهوين لشأنه، وتعريض بما يظنون من عجزه[٣].

وقوله ﷻ: M f g h L أي: بما تتوعدنا من العذاب، والغرض من فعل الأمر (ائتنا): التعجيز والإفحام والتحدي على زعمهم الفاسد[٤].

والتعبير بـ(ما) الموصولة التي تفيد التعميم المبهم يدل على أنَّهم طلبوا كلَّ ما توعدهم به صالح عليه السلام، وذلك لشدة استكبارهم وفرط تكذيبهم، فهم لا يخشون شيئًا مما توعدهم من الوعيد المجمل[٥].

وإطلاق الوعد على الوعيد في قولهم: M h L استعارة تهكمية، تدل على مدى استكبارهم وتكذيبهم؛ وذلك لأنَّ الوعد يطلق على البشارة، والوعيد يطلق على الإنذار والتهديد، قال البقاعي: ((ولما نَزَّلوا وعيده لهم - حيث لم يؤمنوا به - منْزلة الوعد والبشارة

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب: ٤/ ١٨٥، وروح المعاني: ٤/ ٥٤٧ .

(٢) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام : ١٣٨ .

(٣) ينظر: تفسير المنار: ٨/ ٥٠٧ .

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٤٣ .

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٦ .

قالوا: (بما تعدنا) استخفافًا منهم، ومبالغة في التكذيب...، وحاصله التهكم منهم به، والإشارة إلى عدم قدرته))(١).

وصيغة المضارع L h M تدل على التجدد والحدوث، فتشمل ما توعدهم وما يتوعدهم به بعد عقر الناقة. والإطلاق في قولهم: (بما تعدنا) لأنَّه كان معلومًا لديهم(٢).

وفي قولهم لصالح عليه السلام: L l k j i M عبَّروا في جملة الشرط بـ (إنْ) الشرطية؛ لأنَّها تدل على أنَّ فعل الشرط مشكوك فيه، ويُستَبْعَد تحقق وقوعه، قال الخطيب: ((الأصل في (إنْ) أنْ لا يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه))(٣)، وقال صاحب (مواهب الفتاح): ((وعدم الجزم بالوقوع صادق بالشَّك في الوقوع، وتوهمه، وظنِّه، والجزم بعدمه))(٤)، ولما كانوا يستبعدون كون صالح عليه السلام رسولاً عُبِّر بـ (إنْ) في جملة الشرط، فوافق ذلك اعتقادهم وتحديهم له.

وقالوا: L l k j i M، ولم يقولوا: (إنْ كنت مرسلاً)؛ لما فيه من المبالغة، أي: إنْ كنت ممن يتصف بالرسالة واشتهر وعُرِف بها، فأتنا بما تعدنا به، لأنَّ دأب المرسلين وحالهم أنْ يأتي العذابُ من كذَّبهم، ((إنَّه التبجح الذي يصاحب المعصية، ويُعَبِّر عن عصيانهم بقوله: (عتوا)؛ لإبراز سمة التبجح فيها، وليصور الشعور النَّفسي المصاحب لها، والذي يُعَبِّر عنه كذلك التحدي باستعجال العذاب والاستهتار بالنذير))(٥).

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل: L t s r q p o n M [الأعراف:٧٨].

لما بلغ القوم ما بلغوا من الكفر والاستكبار والعتو عن أمر الله عز وجل بالقول والفعل أرسل الله عليهم العذاب، والعطف بـ (الفاء) يدل على سرعة نزول العذاب بهم و((التعجيل

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٤٤٩ .
(٢) ينظر: الكشاف: ٣٧١، وتفسير أبي السعود: ٣/ ٢٤٣ .
(٣) الإيضاح: ٩١ .
(٤) مواهب الفتاح: ١/ ٣١٦ .
(٥) في ظلال القرآن: ٣/ ١٣١٤ .

بالخبر عن نفاذ الوعيد فيهم فَعَقِبَ عتوهم، فالتعقيب عرفي، أي: لم يكن بين العقر وبين الرجفة زمن طويل،كان بينهما ثلاثة أيام))(١).

كما دلت الاستعارة في قوله ﷻ: M n o L على إحاطة العذاب بهم، وتمكُّنه منهم(٢). وM o L ((هي زلزلة الأرض وحركتها))(٣)، وقال ابن عطية: ((الرجفة) ما تُؤَثِّرُهُ الصيحة أو الطامة التي يرجف بها الإنسان وهو يتزعزع ويتحرك ويضطرب ويرتعد))(٤). ونلاحظ عند النطق بمادة (رَ جَ فَ) حدوث هزة في اللسان نشعر بصداها في القلب؛ فيتعانق المعنى اللغوي مع الجرس الصوتي في إيصال المعنى.

وقوله ﷻ: M p q r s L، هذه هي النتيجة لاستكبارهم وتكذيبهم في الدنيا، والفعل (أصبحوا) أفاد زمان الخبر، أي: أنَّ هلاكهم اقترن بالصباح(٥)، وهذا فيه زيادة فائدة وإيضاح، وجاء في سورة الحجر: M j k l L [الحجر: ٨٣].

وقوله: M s L قال الفيروز آبادي: ((جثم الإنسان والنعام والخشف واليربوع ....: لزم مكانه فلم يبرح، أو وقع على صدره، أو تلبد في الأرض))(٦)، والمعنى أنَّهم أصبحوا ((سقوطًا صرعى لا يتحركون؛ لأنَّهم لا أرواح فيهم، قد هلكوا))(٧).

والتعبير بالجثوم "استعارة تمثيلية" لتصوير حالتهم بعد هلاكهم، قال الراغب: ((M p q r s L استعارة للمقيمين، من قولهم: جثم الطائر إذا قعد ولطيء بالأرض))(٨)، وقال ابن عاشور عن بلاغة هذه الاستعارة: ((والجاثم: المكب على صدره في الأرض مع قبض ساقيه كما يجثو الأرنب، ولما كان ذلك أشد سكونًا وانقطاعًا عن اضطراب الأعضاء؛ استُعمِل في الآية كناية عن همود الجثة بالموت، ويجوز أنْ يكون المراد

(١) التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٦ .

(٢) يراجع ما ذكر آنفاً عن بلاغة الاستعارة في قوله ﷻ: Mفَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ L، ص 63 .

(٣) تفسير البغوي: ٣/ ٢٤٨ .

(٤) المحرر الوجيز: ٧٢١ .

(٥) ينظر: شرح المفصل: ٧/ ١٠٣ .

(٦) القاموس المحيط: ١٠٠٢، مادة (جثم).

(٧) تفسير الطبري: ١٠/ ٣٠٣ .

(٨) المفردات في غريب القرآن: ٩٥ .

تشبيه حالة وقوعهم على وجوههم حين صعقوا بحالة الجاثم تفظيعًا لهيئة ميتتهم، والمعنى أنَّهم أصبحوا جُثَثًا هامدة مَيِّتَة على أبشع منظر لميت))(١).

وتقديم الجار والمجرور M r L على الخبر M s L فيه اهتمام بشأن الدار وإشعار بحقارة الدنيا وسرعة زوالها؛ لأنَّ هذه الدار التي اتخذوا من سهولها القصور ونحتوا في جبالها البيوت لم تغن عنهم شيئًا بل هلكوا فيها، وفي ذلك أيضًا - أي تقديم الجار والمجرور - تشويق للخبر يجعل النفس تتطلع وتتشوف إليه، مع ما فيه من مناسبة للفاصلة.

ومجيء الخبر M s L اسمًا على صيغة اسم الفاعل يدل على الثبوت والدوام، وهذا مناسب لتصوير حالة هلاكهم وسكونهم جثثًا هامدة، ((والرجفة والجثوم، جزاء مقابل للعتو والتبجح. فالرجفة يصاحبها الفزع، والجثوم مشهد للعجز عن الحراك، وما أجدر العاتي أنْ يرتجف، وما أجدر المعتدي أنْ يعجز، جزاءً وفاقًا في المصير))(٢).

❁ ❁ ❁

وقول الله عز وجل: M u v w x y z { | } ~ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ L [الأعراف:٧٩].

كان ذلك بعد أنْ حلَّ العذاب بقوم صالح عليه السلام وأهلكهم الله عز وجل وأبادهم وقطع دابرهم، ويدل على ذلك فاء التعقيب(٣). والتولي: هو الإعراض والمفارقة، قال الراغب عن الفعل (تولى): ((وإذا عُدِّي بـ (عن) لفظًا أو تقديرًا اقتضى معنى الإعراض، وترك قربه))(٤)، والتولي عنهم يدل على الغضب عليهم وعدم الاكتراث بهم(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٧ .

(٢) في ظلال القرآن: ٣/ ١٣١٤ .

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٤/ ١٦٧، وحاشية زاده: ٤/ ٢٥٤ .

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٥٤٨ .

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٨ .

وقد أُكِّد مضمون الجملة بـــ (قد) والقسم الذي دلت عليه (اللام)؛ وذلك للتأكيـــد على التبرؤ من التقصير في معالجة كفرهم، ولدفع توهم تقصـــيره ﷺ في تبليـــغ الرســـالة والنصيحة لانعدام ظهور فائدة الإبلاغ والنصيحة فيهم(١).

وإضافة الرسالة في قوله: M } | L؛ لبيان أنَّها من عند الرب ﷻ، واختيار الربوبية لدلالتها على التربية والرعاية والعناية، وإرسال الرسل من عناية الله ﷻ بخلقه ورحمته بهـــم، وإضافة ياء المتكلم في (ربي) تدل على الاعتـــراف بفضـــل الله ﷻ ، وعنايتـــه الخاصـــة بصالح ﷺ ، ومن ذلك أنْ نجَّاه والمؤمنين من العذاب.

وقوله:M { ~ L تقييد النصيحة بالجار والمجرور (لكم) يدل علـــى تمحـــيص النصيحة لهم، وأنَّ فائدة النصح عائدة إليهم، وأنَّه لن يجني من وراء ذلك فائدة لنفسه.

ولما تَبرَّأ صالح ﷺ من التقصير في تبليغ الرسالة ودفع هذا التوهم بسبب عدم ظهور فائدة ذلك فيهم ((استدرك بقوله: M**وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ** L، إي: تكرهون الناصحين فلا تطيعوهم في نصحهم؛ لأنَّ المحب لمن يحب مطيع، فأراد بـــذلك الكنايـــة عـــن رفضـــهم النصيحة))(٢). وجاء الفعل (تحبون) مضارعًا لحكاية الحال الماضية، ((أي شأنكم الاســـتمرار على بغض الناصحين وعداوتهم))(٣). وصيغة اسم الفاعل في قوله:M**ٱلنَّٰصِحِينَ** L مزيدُ وصفٍ وإشارة إلى أنَّه من الثابتين على النصح، المستمرين عليه، المعروفين به، وهم لا يحبون من هذه صفته.

وجاءت الجملة عامة، فلم يَقُل: (ولكن لا تحبوني)؛ لتفيد التعميم، وأنَّهم لا يحبـــون كل ناصح لهم؛ سواء كان صالحًا ﷺ أو غيره، وفي ذلك مبالغة في وصفهم بالإعراض عن النصح، فهم لا يحبون النصيحة ولا الناصحين، وفي ذلك غاية الذم لهم.

وإذا قلنا إنَّ هذا الخطاب صدر من صالح ﷺ بعد هلاك قومه وهذا ما يـــدل عليـــه التعقيب بـــ (الفاء) في قوله ﷻ: M u L؛ فإنَّ للمفسرين في ذلك قولين:

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٨ .

(٢) التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٨ .

(٣) تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٤٤، وينظر: الكشاف: ٣١٧ .

الأول: أَّنه عليه السلام قال ذلك تحسُّرًا على ما فاته من إيمانهم وتحرُّقًا وأسفًا عليهم، فـإذا ذَكَر ذلك الكلام فُرِّجَ عن قلبه، وخَفَّ عليه أثر المصيبة، ((فيكون لإنشاء التحسر فيصير من قبيل الإنشاء))(١).

والثاني: أنَّ صالحًا عليه السلام خاطب قومه كما خاطب النبي ﷺ أهل قليب بدر(٢)، وبذلك يكون الغرض من الإنشاء التوبيخ والتسجيل عليهم(٣).

وهناك قول آخر للمفسرين: وهو أنَّ هذا الخطاب صدر مـن صـالح عليه السلام لمـا أراد الخروج من أرضهم لأنَّ الله عز وجل أوحى إليه بهلاكهم، فكان توليه عنهم حين رأى علامات نزول العذاب بهم(٤)، فقال ما قال موبِّخًا لهم.

هنا انتهت القصة وقد عرفنا من خلال دراسة نظمها بعض ما فيها من أوجه البلاغـة التي لا يتأتى لأحدٍ أنْ يأتي بمثلها.

---

(١) حاشية القونوي: ٨/ ٤٣٤ .

(٢) رواه البخاري: فتح الباري: كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل ٧/ ٣٠٠ (ح٣٩٧٦)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ٤/ ٢٢٠٤ (ح٢٨٧٥)، كلاهما عن أبي طلحة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: أنَّ نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين من صناديد قريش، فَقُذفوا في طَوِيٍّ من أطواء بدر خبيثٍ مُخْبِثٍ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنَّكم أطعتم الله ورسوله، فإنَّا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا». قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيرًا ونقيمة وحسرة وندمًا.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٧٢١، والتفسير الكبير: ١٤/ ١٦٧، وتفسير البيضاوي: ١/ ٣٤٧.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٠/ ٣٠٤، والكشاف: ٣٧١، والمحرر الوجيز: ٧٢١ .

المبحث الثاني

قصة صالح عليه السلام في سورة هود

قال الله ﷻ: Mوَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ
ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ
أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë وَإِنَّنَا لَفِى î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ! " # $ % & ' ( )
* + , - . / 0 1 2 4 5 6 7 8 9 : ; < =
> ? @ A B C D E F G H I J K L M N O
P Q S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a
b c d f g h i j k l m n o p q r s
t u v w x z { | } ~ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ L [هود: ٦١ – ٦٨].

أولاً: الغرض العام للسورة:

تدور سورة هود حول قضية توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة، والترغيب في ذلك، والتحذير والترهيب من ضده الذي هو الشرك وعاقبته، وتحدي المشركين بهذا القرآن العظيم، وتسلية النبي ﷺ مما يلاقيه منهم بذكر قصص الأنبياء قبله، وكيف كان رد أقوامهم عليهم، وبيان عاقبة الفريقين(١). وقال البقاعي: ((مقصودُها وصفُ الكتاب بالإحكام والتفصيل في حالتي البشارة والنذارة، المقتضي لوضع كل شيء في أتم محالِّه وإنفاذَه مهما أريد، الموجبُ للقدرة على كل شيء))(٢).

ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها:

افتتحت سورة هود بالحديث عن القرآن الكريم؛ فوصفه الله ﷻ بالإحكام والتفصيل وبَيَّن مصدره فهو Mk l m n L [هود: ١]، ((ثم أتبع هذا بالإيماء إلى فصول ثلاثة عليها مدار آي الكتاب، وهي فصل الإلهية، وفصل الرسالة، وفصل التكاليف، أما الأول فأشار إليه

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١١/ ٣١٢، ٣١٣.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ١٧٥.

قوله تعالى: M p q r s t L [هود: ٢] ، وأما فصل الرسالة فأشار إليه قوله سبحانه: M u v w x y L [هود: ٢]، وأما فصل التكاليف فأشار إليه قوله تعالى: M { | } ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ L [هود: ٣]، وهذه الفصول الثلاثة هي التي تدور عليها آي القرآن وعليها مدار السورة الكريمة))(١)، فاجتمع فيما مضى وصف الرسالة، وبيان مصدرها، والحكمة منها، ووظيفة المرسل بها.

ولما جاء ذكر النذارة والبشارة في قوله ﷻ: M p q r s t u v w x y L [هود: ٢]؛ ذَكَرَ ﷻ حال المشركين وموقفهم تجاه هذا التبشير والإنذار، فبيّن أنّهم تولّوا ظاهرًا وباطنًا(٢)، فقال ﷻ: M أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ L [هود: ٥]. وذَكَر من صفاهم أيضًا أنّهم يكذّبون بالبعث: M E F G H I J K L M N O P Q R S T L [هود: ٧]، وأنّهم يستعجلون بالعذاب قال ﷻ: M U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k L [هود: ٨]، وأنّهم يطلبون من النبي ﷺ بعض المطالب على وجه التعنت؛ مثل قولهم: لولا أنزل عليه مال كثير، أو جاء معه ملك يصدقه في رسالته، وكان ﷺ يضيق صدره من ذلك فبيّن له الله ﷻ مسليًا له أنّه لا ينبغي لمثله ﷺ أنْ يتأثر بما يقوله الكافرون ويصده ذلك عما هو عليه ويضيق صدره، فقال ﷻ: M µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢ L [هود: ١٢].

ثم ذَكَر ﷻ إحدى مقولاهم وهي اتهام النبي ﷺ بالكذب والافتراء، فتحداهم أنْ يأتوا بشيء من مثل هذا القرآن، فقال ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 L [هود: ١٣]، وبعد هذا التحدي بَيّن ﷻ أنّهم عاجزون عن ذلك ولن يستجيبوا له، وهذا دليل على أنّ هذا القرآن من عند الله ﷻ، وأنّ

(١) البرهان في ترتيب سور القرآن: ٢٢٦ .
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٢٣٥ .

الله هو الإله الحق؛ فيجب عليهم أنْ يُسْلِموا له سبحانه، قال الله ﷻ: M 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A C D E F L [هود: ١٤].

ثم أنكر ﷻ على من يسوي بين المهتدي والمعتدي، وهدد الكافرين وبيَّن أنَّهم أظلم الظالمين، وذَكَر حالَ عرْضِهم عليه ﷻ وشهادةِ الأشهاد عليهم، وأشار تعـالى إلى قدرتـه عليهم في الدارين في قوله: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . 0 1 2 4 5 6 7 8 9 : ; L [هود: ٢٠]، وبعد أنْ بيَّن ﷻ مآلهم وخسارتهم في الدنيا والآخرة ثنَّى بذكر مآل المؤمنين ترغيبًا في الإيمان، فقـال ﷻ: M N O P Q R S T U V W X Z [\ ] L [هود: ٢٣].

ولما استوفى ﷻ أوصاف الحزبين وجزاءهم؛ ضرب لكلٍ منهما مـثلاً بقولـه: M _ ` a b c d f g h j k l L [هود: ٢٤](١).

ثم ذكر من القصص ما يقرر مضمون هذا المثل، ويثبت النبي ﷺ ويؤيده ويعزيه؛ لئلا يضيق صدره بشيء مما أُمر بإبلاغه حرصًا على إيمان أحدٍ كما تقدمت الإشـارة إليـه في قوله ﷻ: M**وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ** L [هـود: ١٢]، فَوَضَح أنَّ هذه القصص لهذا المعنى سـيقت(٢)، بالإضافة إلى ما تتضمنه من غرس للعقيدة الصحيحة ونبذ للشرك، وموعظـة للمشـركين وإنذار لهم بما أصاب المكذبين قبلهم(٣). فأوَّل قصة ذكرها الله ﷻ قصةَ نوح ﷺ لأنَّه أول رسول إلى أهل الأرض، ثم تلتها قصةُ هود ﷺ لأنَّ عادًا جاءت بعد قوم نوح في الـزمن، وخلفتهم في عمارة الأرض، ولأنَّهم من العرب وعند العرب شيء من أخبارهم، ثم أعقبتها قصة صالح ﷺ لأنَّ ثمود خَلَفَت عادًا وهم مثلهم من العرب، ومساكنهم قريبة من مشركي العرب يعرفونها ويمرون عليها، وهذا أبلغ في التأثير فيهم، فجـاءت قصـة صـالح ﷺ في السياق في أنسب موضع، متعلقة بما قبلها أشد التعلق ومرتبطة بها بأوثق رباط.

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٢٦٣ .
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٢٦٤، ٢٦٥ .
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ٤٣ .

ثم ذكر ﷻ قصص لوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة السلام، ولما كانت هذه القصص على غاية من الترهيب والتحذير بيَّن ﷻ سبب إهلاك الكافرين وأنَّه الظلم والشرك(١)، وأنَّ الآلهة المزعومة لم تنفعهم ولم تدفع عنهم شيئًا، فقال ﷻ: M 7 8 9 : ; < > ? @ A B C D E F H I J K L M N O P Q R S T U V X Y Z [\ L [هود: ١٠٠- ١٠١].

ثم هدَّد ﷻ من سار على نهجهم وسلك مسلكهم في الشرك بالله وتكذيب رسله، فقال ﷻ: M] ^ _ ` a b c d f g h i j L [هود: ١٠٢]. وبعد أنْ ذَكَر ﷻ عذاب الدنيا ذَكَّرهم بعذاب الآخرة مرهِّبًا لهم، ثم رغَّبهم بذكر الجنة وما فيها من السعادة والعطاء الدائم.

وبعد هذه القصص وما تلاها يعود السياق إلى خطاب النبي ﷺ بأَمره بالاستقامة وعدم الركون للكفار وإقامة الصلاة والصبر على ما يصيبه وبيان الحكمة من قص القصص في قوله ﷻ: M ? @ A B C D E F G H J K L M N O P Q L [هود: ١٢٠]، وفي ذلك تناسب وترابط وثيق مع ما جاء في بداية السورة حيث ذُكِر القرآن وهنا أيضًا جاء ذِكْره(٢). وأيضًا جاء ذِكْر ضيق صدر النبي ﷺ في قوله: M**وَضَآيِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ** L [هود: ١٢]، وهنا قال ﷻ: M E F G H L، فجاءت السورة مترابطة متماسكة متسلسلة المعاني من أولها إلى آخرها بما في ذلك قصة صالح عليه السلام التي ذُكرت في سياق القصص الأخرى.

ثالثًا: المعنى العام للآيات:

يخبر الله ﷻ أنَّه أرسل صالحًا عليه السلام إلى ثمود يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فقام صالح عليه السلام بتبليغ رسالة ربه، وقال لقومه متلطفًا في دعوتهم ومتحببًا إليهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره ﷻ، فأخلصوا له العبادة.

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٣٧٢ .

(٢) ينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ٥٢.

ثم رغبهم بذكر نعم الله ﷻ عليهم التي منها نعمة الخلق والاستعمار في الأرض، وأمرهم أنْ يستغفروا الله وأنْ يتوبوا إليه، وبيَّن لهم أنْ الله ﷻ قريب لمن أخلص له العبادة، ورَغِبَ إليه بالتوبة، مجيب له إذا دعاه.

ولكن ثمود جابهوا صالحًا عليه السلام بالكفر والعناد، والتعصب لدين الآباء وما كانوا عليه من الباطل، فقالوا لصالح عليه السلام منكرين عليه وموبخين له: لقد كنَّا نرجوا أنْ تكون فينا سيِّدًا مطاعًا قبل هذه الدعوة التي تدعونا إليها(١)، أتنهانا أنْ نعبد ما كان يعبدها آباؤنا؟ وإننا لفي شكٍّ مريب من دعوتك لنا إلى عبادة الله وحده.

فبيَّن لهم صالح عليه السلام أنَّ الله ﷻ قد منَّ عليه بالنبوة والحكمة، وأنَّه لا بد أنْ يبلغ ما أمره الله به، فمن الذي يدفع عنه عقاب الله ﷻ إنْ عصاه فلم يبلغ رسالته.

ثم جاء بالناقة معجزة من عند الله ﷻ تدل على صدقه فيما يدعوهم إليه، ونهاهم أنْ يتعرضوا لها بسوء وإلا فَسَيَحِلُّ بهم عذاب قريب. ولكن قومه كذبوه وأعلنوا كفرهم وعقروا الناقة، فتوعدهم صالح عليه السلام بوقوع العذاب بعد ثلاثة أيام، فوقع ما توعدهم به، ونزل بهم العذاب، وأرسل الله ﷻ عليهم الصيحة ونجى صالحًا عليه السلام والذين آمنوا معه برحمته، وهلك الظالمون وأصبحوا جثثًا هامدة في ديارهم، ساقطين على وجوههم لا حراك بهم، كأنَّهم في سرعة زوالهم وفنائهم لم يعيشوا ولم يتمتعوا فيها، فكانت هذه عاقبة كفرهم بالله ﷻ .

رابعًا: بلاغة النظم في القصة:

قال الله ﷻ : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود:٦١](٢).

يخبر ﷻ أنَّه أرسل صالحًا عليه السلام إلى قوم ثمود فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وذكَّرهم بقدرته ونعمته عليهم لعل ذلك يبعثهم على الإيمان والتوحيد وإخلاص العبادة لله وحده(٣)،

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/ ٤٥٤، وينظر: الكشاف: ٤٨٩.

(٢) سبق الكلام عن بلاغة النظم فيما يطابق هذه الآية من سورة الأعراف الآية (٧٣) ص ٥٤، فلتراجع في موضعها.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/٢٢٠ .

قال ﷻ على لسان صالح عليه السلام: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾، أي: هو الذي بدأ خلقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها، وجعلكم عُمَّارًا لها.

وتقديم المسند إليه الذي هو الفاعل المعنوي على الخبر الفعلي في قوله ﷻ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يفيد الاختصاص والقصر أي ((لَمْ ينشئكم منها إلا هو، ولم يستعمركم فيها غيره))[1]. قال الشهاب: ((وقد يقال: الحصر مستفاد من السياق لأنَّه لما حصر الإلهية فيه اقتضى حصر الخالقية أيضًا))[2].

والقصر هنا يجوز أنْ يكون قصَر قلب ويجوز أنْ يكون قصرَ إفراد[3]؛ وذلك لأنَّ ثمود لما عبدوا غير الله ﷻ كأنَّهم ((اعتقدوا أنَّ الفاعل لذلك غيره أو هو مع غيره؛ فخوطبوا على وجه قصر القلب أو قصر الإفراد))[4].

وتقييد الإنشاء في الآية بالجار والمجرور ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لأنَّهم كانت لهم منافع من الأرض تناسب نعمة إنشائهم منها؛ فهم كانوا أهل غرس وزرع، وكانوا ينحتون من جبالها بيوتًا ويتخذون من سهولها قصورًا ((فلأجل منافعهم في الأرض قُيِّدَت نعمة الخلق بأنَّها من الأرض التي أُنشئوا منها، ولذلك عطف عليه ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾))[5].

وفُصلت جملة ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لأنَّها في موضع التعليل للأمر بعبادة الله وحده[6]، فيكون الفصل لشبه كمال الاتصال. فكأن المخاطبين تساءلوا: لماذا نعبد الله وحده؟ فجاء الجواب مفصولاً: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾، وفي ذلك مراعاة لحالة المخاطب النفسية وما يختلج في صدره من تساؤلات. وفي التعليل إطناب يقتضيه المقام؛ فالمقام مقام وعظ وإرشاد، والمخاطب بحاجة إلى تذكيره بنعم الله ﷻ وما يبعث في نفسه دوافع شكر المنعم، فناسب المقامَ الإطنابُ.

---

(١) الكشاف: ٤٨٩.

(٢) حاشية الشهاب: ٥/ ١١٠.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢٠.

(٤) روح المعاني: ٦/ ٣٨٦.

(٥) التحرير والتنوير: ١٢/ ١٠٨.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١٠٧.

وقوله عز وجل: ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾، السين والتاء في (استعمركم) للمبالغة[1]، لبيان عظم فضل الله عز وجل عليهم بتمكينهم في الأرض وعمارتهم لها. وفي لفظة (استعمركم) إيجاز؛ لاحتمالها معاني متعددة كلها صالحة ومناسبة للسياق، فقد جاء في معناها: أنَّها من العِمارة، أي: جعلكم تعمرونها وتستغلونها وتسكنون فيها. وقيل: من العُمْر، أي: أطال أعماركم فيها[2]، والإيجاز في هذه السورة وترك التفصيل في بيان كيفية استعمار ثمود في الأرض مناسب لترتيب السور وذِكْر القصة، سواء ترتيب السور في المصحف أو ترتيبها حسب النزول، فسورة الأعراف التي سبقت سورة هود في المصحف وفي النزول[3] قد ورد فيها تفصيل لعمارتهم الأرض؛ حيث بَيَّنَت أنَّهم كانوا يتخذون من سهولها قصورًا وينحتون الجبال بيوتًا فناسب الإيجاز هنا لورود ذلك فيما سبق.

وبعد أنْ ذكَّرهم صالح عليه السلام بنِعَم الله عليهم وإحسانه إليهم دعاهم مرغبًا لهم إلى الاستغفار والتوبة مما كانوا يفعلونه من الشرك والمعاصي قائلاً لهم: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾، (الفاء) هنا للتفريع لأنَّ ما تَقَدَّم من الإحسان يوجب الاستغفار والتوبة[4].

وقُدِّم الاستغفار على التوبة لعدة أسباب؛ الأول: الترتيب الزمني؛ لتعلق الاستغفار بما مضى والتوبة بما يُستقبل، والثاني: للتقديم الرُّتْبي؛ حيث إنَّ التخلية مقدمة على التحلية أي: ((استغفروه من الشرك، ثم ارجعوا إليه بالطاعة))[5]، والثالث: أنَّ طلب السلامة مقدم على الغنيمة[6].

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾، جملة تذييل تعليلية جارية مجرى المثل لتأكيد جملة ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾[7] ولذلك فُصِلَت عنها. ويرى ابن عاشور أنَّ الفصل هنا للاستئناف

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٨/ ١٨، والتحرير والتنوير: ١٢/ ١٠٨.
(٢) ينظر: الكشاف: ٤٨٩، والمحرر الوجيز: ٩٥٤ .
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٣٦ .
(٤) ينظر: روح المعاني: ٦/ ٣٨٧ .
(٥) الكشاف: ٤٧٧.
(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٧٨٠ .
(٧) ينظر: الإيضاح: ٢٠٢.

للاستئناف البياني ((كأنَّهم استعظموا أنْ يكون جرمهم مما يقبل الاستغفار منه، فأجيبوا بأنَّ الله قريب مجيب))(١).

وتأكيد جملة التذييل بـ(إنَّ) يفيد الاستقلال، ويربطها بما قبلها ربطًا معنويًّا دقيقًا(٢). كما أنَّ التأكيد دلَّ على أنَّ المخاطبين قد استعظموا جرمهم، وشكوا في قبول استغفارهم، فجاء ليزيل ذلك الشك(٣). وفيه أيضاً دلالة على كمال يقين صالح الطَّيْلاً بما تضمَّنته الجملة من أنَّ الله ﷻ قريب مجيب، وهذا يدل على كمال علمه بربِّه.

والتعبير بالربوبية في قوله ﴿رَبِّي﴾ مناسب لمعنى الجملة؛ لأنَّ لفظ الرب مُشْعِر بالعناية والرعاية والحفظ للمربوب، وهذا يستدعي أنْ يكون قريبًا مجيبًا. وفي إضافته لياء المتكلم إشارة إلى أنَّ صالحًا الطَّيْلاً أعلم بالله ﷻ من غيره، فهو ربه. وفيه أيضًا تعريض للمخاطبين بأنَّ آلهتهم التي يدعون لا تسمع ولا تجيب(٤).

وتقديم (قريب) على (مجيب) من باب تقديم العلة على الغاية؛ فإنَّه ﷻ لما كان قريبًا كان مجيبًا، قال أبو السعود: ((وقد روعي في النظم الكريم نكتة؛ حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الأمر بالاستغفار والتوبة، وأخر عنه ذكر الغائية المتأخرة عنهما في الوجود؛ أعني الإجابة))(٥).

ومِن اللطف في تقديم (قريب) على (مجيب): أنَّ (قريب) ناظر إلى قوله (توبوا إليه)، و(مجيب) ناظر لقوله (فاستغفروه)، وفي ذلك لفٌّ ونشر غير مرتب(٦)، وهو من المحسنات المعنوية، قال الألوسي: ((كأنَّه قيل: ارجعوا إلى الله تعالى فإنَّه سبحانه (قريب) منكم أقرب من حبل الوريد، واسألوه المغفرة فإنَّه جلَّ وعلا (مجيب) للسائلين، ولا يخلو عن حسن))(٧).

(١) التحرير والتنوير: ١٢/ ١٠٩ .
(٢) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم الطَّيْلاً: ٢٨٤.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١٠٩.
(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٣١٩.
(٥) تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢١ .
(٦) ينظر: حاشية القونوي: ١٠/ ١٢٥.
(٧) روح المعاني: ٦/ ٣٨٧.

وأختم الحديث عن هذه الآية بملحوظة نفسية تتعلق بجملة التذييل، فإنَّ قول صالح ﷺ : Mإِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ L بعد أمْرِه بالاستغفار يُشِيع جوًّا من الاطمئنان إلى استجابته تعالى(١)، ولا شك أنَّ حاجة الداعي لإحسان الظن بالله تعالى ويقينه بالإجابة أمر لابُدَّ منه، وهذه المعاني سَتَقْوى في نفسه إذا علم أنَّ الله ﷻ قريب مجيب.

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: Mقَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَـٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë وَإِنَّنَا لَفِى î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ L [هود:٦٢].

بعد أنْ دعا صالح ﷺ قومه إلى التوحيد، ورغَّبهم فيه، وأمرهم بالاستغفار والتوبة أنكروا عليه ذلك ووبخوه، فقالوا له: Mيَـٰصَـٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَـٰذَآ L، ومناداته بالحرف الدال على البعد مع قربه منهم؛ للدلالة على البعد المعنوي، والإشارة إلى أنَّه بعيد عن قلوبهم، وبعيد عنهم في اعتقادهم ودينهم، والمقصود من النداء كما يقول ابن عاشور: ((التوبيخ والملام والتنبيه ...، وقرينة التوبيخ ... هي قولهم: Mقَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَـٰذَآ L، فإنَّه تعريض بخيبة رجائهم فيه، فهو تعنيف))(٢).

ومناداته باسمه في قولهم: Mيَـٰصَـٰلِحُ L يدل على جفائهم وغلظتهم(٣)، ومدى استخفافهم استخفافهم واستهانتهم بصالح ﷺ.

وقولهم: Mقَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَـٰذَآ L ؛ ((أي: كنا نرجوا أن تكون فينا سيِّدًا مطاعًا قبل هذا القول الذي قلته لنا؛ من أنَّه ما لنا إله غير الله))(٤). وتأكيد مضمون الجملة بـ(قد) والفعل الناقص (كنت) يدل على قِدَمِ رجائهم في صالح ﷺ وعراقته وتَمَكُّنِه، وما له من مكانة عندهم.

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٤/ ١٩٠٧.

(٢) التحرير والتنوير: ١٢/ ١٠٩.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٣١٩.

(٤) تفسير الطبري: ١٣/ ٤٥٤، وينظر: الكشاف: ٤٨٩.

وتقديم الجار والمجرور Mفِينَا L على الخبر L â M يدل على أنَّ رجاءهم فيه كان عن علم به عليه السلام، فهو فيهم وهم محيطون به كما يحيط الظرف بالمظروف؛ ولذلك هو معروف لديهم تمام المعرفة.

واستعمال اسم الإشارة (هذا) يدل على التحقير والازدراء لما جاء به صالح عليه السلام من دعوة إلى التوحيد ونبذ للشرك، ويُبيِّن ما تمتلئ به نفوسهم من كُرْه لما دعاهم إليه.

وقد جعل بعض الباحثين هذا القول من قوم صالح عليه السلام مدحًا له وإنْ كانوا لم يقصدوا ذلك، فمضمونه يدل على (المدح بما يوهم الذم)، يقول الدكتور معن توفيق الحيالي: ((ويأتي هذا الفن البلاغي "مدح يوهم الذم" على لسان القوم في خطاب الأنبياء والمرسلين كقوله تعالى: Mقَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ L à [هود: ٦٢]. جاءت جملة مقول القول من قوم صالح عليه السلام بعد أنْ دعاهم إلى توحيد الله عز وجل وعبادته، فجاء الجواب في مقام الاعتراض عليه مُؤَكَّدًا بالقسم و(قد) في إبراز صفة الرجاء، وهي صفة خيرية تدل على الخير والصلاح في حياته؛ إلا أنَّها وردت على لسان القوم في سياق تُبَيِّن سوء حالتهم، وتكشف عن نواياهم فيما قصدوا منها...، فهو يوهم الذم باعتبار المتكلم، إلا أنَّه يُثْبت له عليه السلام حُسْن الخلق معهم والصفات الخيرية التي تجعله سيِّدًا مطاعاً بينهم ...، فهو مدح له عليه السلام في مقومات شخصيته وأخلاقه مع قومه))(١).

وبعد أنْ وجَّهوا لصالح عليه السلام اللوم والتوبيخ؛ تعجبوا وأنكروا عليه إنكارًا مشوبًا بالتوعد والاستشناع عن طريق الاستفهام(٢)؛ فقالوا: Mأَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë L.

والتعبير بالاسم الموصول ((لما في الصلة من الدلالة على استحقاق تلك الأصنام أنْ يعبدوها في زعمهم اقتداء بآبائهم لأنَّهم أسوة لهم))(٣)، واختيار (ما) الذي يستعمل لغير العقلاء ويفيد العموم يدل على أنَّهمَ معترفون بأنَّها لا تعقل، وأنَّ الدافع لعبادتهم الأصنام هو التعصب للآباء واتباعهم لما هم عليه ليس إلا.

---

(١) المدح والذم في القرآن الكريم: ٨٤، ٨٥.

(٢) المحرر الوجيز: ٩٥٤، وينظر: البحر المحيط: ٦/ ١٧٥.

(٣) التحرير والتنوير: ١٢/ ١١٠.

والتعبير بالفعل المضارع في M ê ë L لحكاية الحال الماضية واستحضارها، قال البقاعي: ((وعبَّروا بصيغة المضارع تصويرًا للحال،كأنَّ آباءهم موجودون فلا تمكن مخالفتهم إجلالاً لهم))(١). وكذلك فإنَّ المضارع يدل على التجدد والاستمرار، فيكون المعنى: ((أتنهانا أنْ نعبد ما كان يعبد آباؤنا مِن قبلنا واستمر فينا لا ينكره ولا يستقبحه أحد؟ فالآباء يشمل الغابرين والحاضرين، ولو قالوا ما عبد آباؤنا لما أفاد هذا))(٢).

وإيثار التعبير بلفظ (آباؤنا) على (قومنا) وما في معناه لما يشير إليه من وجوب طاعتهم والاقتداء بهم وعدم مخالفتهم، فالابن مطيع لأبيه، كما أنَّه يدل على تعصبهم لآبائهم.

ثم بَيَّنوا شدة شكِّهم وريبتهم لما يدعوهم إليه صالح ؑ فقالوا: M**وَإِنَّنَا لَفِى** Î Ï **تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ** L، ولما كان صدق صالح ؑ ودعوته وأنَّ ما جاء به الحق أمر ظاهر جلي، وأنَّ تَطَرُّقَ الشك إليه من البعد بحيث يُنْكَر هذا الشك ويُسْتَغْرَب؛ احتاجوا إلى أنْ يؤكِّدوا شكهم وريبتهم بعدَّة مؤكِّدات فجاء التعبير القرآني بـ(إنَّ)، والجملة الاسمية، و(اللام)، و(في)، ثم وُصِف الشك بأنَّه (مريب) مما يزيد توكيده وتقريره. قال البقاعي: ((فقالوا مؤكِّدين لأنَّ شكهم حقيق بأَنْ يُنْكَر؛ لأنَّه أمر واضح جدًّا لا يحتمل الشك أصلاً: M**وَإِنَّنَا لَفِى** Î L، زادوا التأكيد بالنون واللام وبالإشارة بالظرف إلى إحاطة الشك بهم))(٣) وانغماسهم فيه. وقال القونوي في حاشيته: ((فيه مبالغة، حيث جعلوا الشك ظرفًا لهم ومحيطًا بهم، وأوردوا بكلمة التأكيد لتحقق الرد والتكذيب))(٤). وللمبالغة في بيان عِظَم شكهم جاء الشك مُنَكَّرًا M Î L، والتنكير يفيد التعظيم. وعُبِّر بـ(ما) الموصولة التي تفيد العموم والشمول(٥)؛ لتدل على أنَّ شكهم يشمل كل ما يدعوهم إليه.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/٣٢٠ ، وينظر: تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢١ .

(٢) تفسير المنار: ١٢/ ١٢٢.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/٣٢٠

(٤) حاشية القونوي: ١٠/ ١٢٦.

(٥) ينظر: معاني النحو: ١/١٣٠، و(ما) الموصولة في النظم القرآني: ٩٤٢.

وقولهم ﴿تَدْعُونَآ﴾ بصيغة المضارع الذي يفيد التجدد والحدوث[١]، ولم يقولوا (دعوتنا) يفيد أنَّ صالحًا عليه السلام مستمر في دعوته لهم لا ينقطع عن ذلك، يجددها في كل وقت وحين، لا يفتر في تبليغ دعوة ربه.

وقوله: ﴿مُرِيبٍ﴾، الريبة: ((قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين))[٢]. ومجيء الريبة على صيغة اسم الفاعل (مريب) وإسناده إلى الشك "مجاز عقلي"، لأنَّه يحتمل أنْ يكون اسم فاعل من الفعل (أرابه) المتعدي، أي: أوقعة في الريبة، فهو ((منقول من الأعيان إلى المعنى))[٣].

ويحتمل أن يكون اسم فاعل من (أراب الرجل): إذا كان ذا ريبة، فهو ((منقول من صاحب الشك إلى الشك))[٤]، قال القونوي: ((فإنَّ الرَّيب على هذا المعنى هو الشك، وذو الشك من قام به لا نفس الشك، فَجَعْلُ الشكِّ ذا شكٍّ مجازٌ عقليٌّ للمبالغة، مثل: ظلٌّ ظليل، وهذا أولى ممن جعله مثل: جَدَّ جِدُّه، قال الإمام المرزوقي: إنَّ مِن شأن العرب أنْ يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه ما يتبعونه به تأكيدًا وتنبيهًا على تناهيه، من ذلك قولهم: "ظلٌّ ظليل، وداهيةٌ دهياء، وشِعْرٌ شاعر"، وحاصل المعنى هنا (في شكٍّ شاكٍّ)))[٥]، وعلاقة المجاز العقلي هنا السببية، قال الألوسي: ((لأنَّ وجود الشك سبب لتشكيك المشكِّك، ولولاه لما قدر على التشكيك))[٦]. فالمجاز العقلي هنا أفاد تأكيد الشك والمبالغة فيه، فإذا كان كان الشَّكُّ نفسُه في ريبة فكيف يكون حال الشاك.

وتنكير لفظة (مريب) يدل تعظيم الريبة الحاصلة في نفوسهم[٧]. قال الرازي: ((وإننا لفي شك) يعني به أنَّه لم يترجَّح في اعتقادهم صحة قوله، وقوله (مريب) يعني أنَّه ترجَّح في اعتقادهم فساد قوله، وهذا مبالغة في تزييف كلامه))[٨].

(١) ينظر: الإيضاح: ٩٠.
(٢) الكشاف: ٤٨٩.
(٣) روح المعاني: ٦/ ٣٨٧.
(٤) روح المعاني: ٦/ ٣٨٧.
(٥) حاشية القونوي: ١٠/ ١٢٦.
(٦) روح المعاني: ٦/ ٣٨٧.
(٧) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢١، وروح المعاني: ٦/ ٣٨٧.
(٨) التفسير الكبير: ١٨/ ١٩ .

لقد جاء التعبير القرآني ليقرر مبلغ الشك والتكذيب الذي في نفوسهم، فقد جاءت الجملة مؤكَّدة بعدة مؤكِّدات مع الاسم الموصول (ما)، وتنكير (شك) و(مريب)، والإسناد المجازي، كل ذلك في إيجاز بليغ دال على الإعجاز.

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 4 5 6 7 8 L [هود:٦٣].

عندما أنكروا على صالح عليه السلام دعوتهم إلى التوحيد وصرحوا بكفرهم وشكهم؛ ردَّ عليهم صالح عليه السلام بقوله: M " L، وكرر النداء لمزيد تنبيههم إلى ما سيعرضه عليهم اهتمامًا بشأنه. وإيثار مناداتهم بلفظ (القوم) لاستمالتهم؛ لأنَّه يدل على إخلاصه في نصحه لهم، وكمال شفقته عليهم، ((ولاستنْزال طائر نفورهم تذكيرًا لهم بأنَّه منهم، لا يريد لهم إلا خيرًا))(١).

وقوله: M # L أي: أخبروني. والاستفهام هنا ((استفهام عن الرؤية بمعنى الاعتقاد، وهو استفهام تقريري))(٢). وبالإضافة إلى ذلك فقد حمل هذا الاستفهام معنى التعجب، يقول يقول ابن عاشور عن (أرأيت) ونحوها: ((مثل هذا التركيب يستعمل في التنبيه على ما يجب أنْ يُعْلَمَ على إرادة التعجيب مما يعلم من شأنه))(٣). وعُبِّر بالرؤية دون العلم ونحوه لما في الرؤية من قوةٍ في إثبات الحجة؛ لقيامها على المشاهدة والتأمل(٤).

وفي قوله: M$ % & ' ( ) L خاطبهم عليه السلام بحرف الشك (إنْ) مع أنَّ ((الأصل في (إنْ) ألا يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه))(٥)، وهو عليه السلام كان على يقين من

---

(١) التحرير والتنوير: ١٢/ ٥٠ .

(٢) التحرير والتنوير: ١٢/ ٥١ .

(٣) التحرير والتنوير: ١٩/ ١٤١.

(٤) ينظر: خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام: ٦٣.

(٥) الإيضاح: ٩١.

أمره وبيِّنَة من ربه؛ لأنَّ خطابه كان للجاحدين فتنَزَّل معهم، قال أبو السعود: ((وهذه الأمور وإنْ كانت مُحَقَّقَةَ الوقوع لكنَّها صُدِّرَت بكلمة الشك اعتبارًا لحال المخاطبين، ورعاية لحسن المجاورة لاستنْزالهم عن المكابرة))(١). وقال القونوي في حاشيته: ((وحرف الشك كلمة (إنْ)، وأصلها أنَّها تفيد أنَّ المتكلم متردد في الحكم غير جازم في الوقوع واللاوقوع، وهنا المتكلم وهو صالح عليه السلام غير شاكٍّ في كونه على بيِّنة؛ بل جازم فيه، فالمقام مقام (إذا) لكنه من كلام المنصف، فساق الكلام على زعم المخاطبين الجاحدين، فكأنَّه قال: قد رَأَوني على بيِّنة من ربي وأنِّي رسول على الحقيقة))(٢).

وقوله: M& ' L صفة لمحذوف، وحَذْف الموصوف وإقامة الصفة مكانه يدل على الاهتمام بشأن الصفة؛ وذلك للتأكيد والمبالغة على أنَّه عليه السلام على بيِّنة من الله عز وجل، ((فبدل أنْ يقول: على رسالة بيِّنة من ربي، أو حجة بيِّنة، أو دعوة بيِّنة، أو طريقة بيِّنة، أو عظة بيِّنة، أو حكمة بيِّنة ... إلخ، اختصر كل ذلك بذكر الصفة مرة واحدة، التي تغني عن كل الموصوفات المحتملة التي يمكن أنْ يذهب إليها عقل القارئ))(٣).

والإتيان بحرف الاستعلاء (على) فيه استعارة؛ وذلك بتمثيل حاله عليه السلام وهيئة استقراره وتَمَكُّنه من رسالته البيِّنة بهيأة الراكب في الاعتلاء على المركوب والتَّمكن من تصريفه؛ ((لأنَّ الاستعلاء أقوى أنواع تَمَكُّن شيء من شيء))(٤)، فهي استعارة تمثيلية.

وقوله: M) (L قال ابن عاشور: ((واختيار وصف الرب دون اسم الجلالة للدلالة على أنَّ إعطاءه البيِّنة والرحمة فضل من الله أراد به إظهار رفقه وعنايته به))(٥).

وإضافة ضمير المتكلم يدل على رعاية وعناية خاصة به عليه السلام؛ إذ خصه الله عز وجل بالرسالة والرحمة من فضله.

---

(١) تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢١، وينظر: الكشاف: ٤٨٩.

(٢) حاشية القونوي: ١٠/ ١٢٨.

(٣) الإعجاز اللغوي في قصة نوح عليه السلام: ٤١، ٤٢.

(٤) التحرير والتنوير: ١/ ٢٤٢.

(٥) التحرير والتنوير: ١٢/ ٥٢.

وقوله: M * + , L عُبِّر هنا بالإتيان دون الإعطاء فلم يقل (أعطاني)؛ لأنَّ (الإتيان) أقوى من (الإعطاء)، ولما كان المؤتى هنا هي النبوة وهي شأن عظيم ناسب التعبير بما هو أقوى وهو (آتاني)، قال الزركشي في البرهان: ((قال الجويني: لا يكاد اللغويون يفرقون بين الإعطاء والإتيان، وظهر لي بينها فرق انبنى عليه بلاغة كتاب الله، وهو أنْ الإتيان أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأنَّ الإعطاء له مطاوع، يقال: أعطاني فعطوت، ولا يقال في الإتيان: أتاني فأتيت، وإنما يقال: أتاني فأخذت، والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له... فالإيتاء إذن أقوى من الإعطاء))(١).

وهنا قُدِّم الجار والمجرور M + L على المفعول الثاني لأتى وهو M , L، والنكتة في ذلك هي تخصيص الرحمة من الله عز وجل للدلالة على أنَّه إيتاء خاص، فيه عناية خاصة بصالح عليه السلام، وذلك ردًّا على المشركين لما أساؤوا إليه بما قالوه عنه في الآية السابقة، قال ابن الزبير: ((لِمَ تقدم المجرور في قول صالح عليه السلام: M * + , L على المفعول الثاني من مفعولي (أتى) الذي هو M , L...، والجواب عن ذلك: أنَّ قوم صالح عليه السلام بالغوا في إساءة الجواب حين قالوا: M قَدْ â فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ L، أي: قد كنت مرجوًّا أنْ تسود فينا حتى نقطع عن رأيك ونرجع إليك من أمورنا، فرموا مقامه النبوي بحط مرتبته عنهم، فلما بالغوا في إساءة الجواب جاوبهم عليه السلام ردًّا لمقالهم الشنيع بقوله: M # $ % & ') (* + , L...، وهو عليه السلام العليم بحاله الجليل، وعلى بيِّنة من ربه، وأكَّد بتقديم المجرور في قوله: M * + , L، لما يحرز تقديمه من التأكيد ويعطيه بمفهومه من أنَّ الرحمة منه سبحانه لا يشرك فيها غيره وهو مخصوص لا يحصل مع تأخيره ...، فلما بالغوا في قبح الجواب بالغ عليه السلام في رَدِّ مقالهم، فقدم المجرور لتأكيد أنَّ الرحمة من عند الله تعالى، فقال: M * + , L))(٢).

وكذلك إذا نظرنا إلى سياق الآية وجدناه يتحدث عن الله عز وجل وليس عن الرحمة؛ لأنَّه بعد ذلك قال: M - . / 0 1 2 L، فاقتضى ذلك وناسب أنْ يتقدم الضمير العائد إلى الله عز وجل على المفعول الثاني (رحمة).

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٩٧٢.

(٢) ملاك التأويل: ٢/ ٦٥٢، ٦٥٣، وينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١١١.

وهناك مناسبة لفظية في الآية ناسب معها الفصل بين الفعل والمفعول الثاني بالجار والمجرور في قوله: M % & ') (L؛ حيث فُصل أيضًا بين (كان) وخبرها المحذوف بالجار والمجرور؛ لأنَّ خبر كان كالمفعول[١]. وتنكير M , L يدل على التعظيم والتفخيم، أي: رحمة عظيمة.

وقوله: M - . / 0 1 2 L، المراد من الاستفهام: النفي، أي: لا أحد ينصرني من الله إنْ عصيته. وجاء النفي بأسلوب الاستفهام: ((لِيُبيِّنَ تعجب صالح عليه السلام من هؤلاء المختوم على قلوبهم الذين يريدون أنْ يعصي ربه، ولكي ينبِّه هؤلاء القوم الغافلين، لعل ذلك يوقظ حِسَّهم فيحركهم نحو الحق))[٢]؛ لأنَّ الاستفهام يوقظ العقل، وينبه الغافل، ويستثير الاهتمام. والنصر هنا مُضَمَّنٌ معنى المنع أو الإنجاء، ولذلك عُدِّي بـ(مِنْ)، أي: مَن يمنعني مِنَ الله؟، أو مَن ينجيني مِنَ الله؟[٣]، وهذا نوع من الإيجاز.

والإظهار في موضع الإضمار مع إيثار لفظ الجلالة في قوله: M / 0 L لزيادة التهويل[٤]، وتربية المهابة في النفوس.

وفي جملة الشرط تقديم وتأخير؛ حيث قُدِّم جواب الشرط M - . / 0 L وأُخِّر الشرط M 1 2 L، والأصل: إنْ عصيته فمن ينصرني منه، والنكتة في ذلك هو تقديم واستعجال مايدل على التعجيز والتبكيت لهم[٥]، فلا أحد ينصره من الله عز وجل.

ثم إنَّ في تأخير الشرط M 1 2 L استبعادًا للمعصية وإلغاءً لفكرها إلغاءً تامًّا؛ ((لأنَّ الشرط جاء في آخر العبارة، وهذا يُشعر أنَّ الشرط جاء كفرضٍ من أجل النقاش، أما مجيء الشرط في أول العبارة فيوحي بأنَّ الشرط قد يؤدي إلى نتيجة، وأنَّ عليك بأنْ تلتزم بهذه النتيجة، يوحي بأنَّ قائل الشرط إنما هو يساوم وعنده استعداد لقبول نتيجة الشرط))[٦] وهذا محال في حق الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) ينظر: فتح الرحمن: ٣٣٨.

(٢) الإعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام: ٤٥.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢١، وحاشية الشهاب: ٥/ ١١١.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٣١٢، وتفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢١.

(٥) ينظر: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ٣/ ١٠٧٢.

(٦) الإعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام في القرآن الكريم: ٥٨.

وقوله: M 4 5 6 7 L أي: إنْ أنا أطعتكم وعصيت ربي فَلَمْ أبلغ رسالته فلن تزيدونني إلا خسارة وتبابًا وضررًا[(١)]، وهذا أسلوب قصر موصوف على صفة، حيث قصر زيادتهم له على تخسيره، بمعنى أنَّهم لا يهبونه إنْ أطاعهم إلا هبة خاسرة. وجاء القصر عن طريق النفي والاستثناء بـ(ما) و(غير)، والأصل في هذا الأسلوب كما يقول عبد القاهر الجرجاني: ((للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه))[(٢)]، والقوم قد أنكروا على صالح عليه السلام دعوته إلى التوحيد ونبذ ما كان يعبد آباؤهم، لذا فإنَّ المقام يقتضي أنْ يكون القصر بأسلوب النفي والاستثناء؛ لأنَّهم ينكرون خسارته لو أطاعهم وترك دعوتهم، فأفاد القصر تقرير وتوكيد خسارته إنْ أطاعهم واستجاب لهم. ونلاحظ أيضًا أنَّ لفظة (تخسير) جاءت على وزن (تفعيل) الذي يفيد المبالغة والتكثير في حصول الخسارة بطاعتهم، أي: ((ما تزيدونني إلا خسارة على خسارة ... غضب الله، وحرماني شرف الرسالة، وخزي الدنيا، وعذاب الآخرة، وهي خسارة بعد خسارة، ولا شيء إلا التخسير! والتثقيل والتشديد!))[(٣)].

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل على لسان صالح عليه السلام: M 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J L [هود:٦٤].

بعد أنْ حاجَّ صالح عليه السلام قومه متنزِّلاً معهم في أسلوبه ودعوته فَبَكَّتَهُم وأعجزهم، أشار إلى المعجزة التي أيَّده الله تعالى بها، وهي الناقة، فأمرهم أنْ يتركوها تأكل من أرض الله ونهاهم عن مسِّها بأي نوع من الأذى، وقد سبق الكلام عن بلاغة النظم فيما يطابق هذه الآية[(٤)].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: تفسير ابن سعدي: ٣٨١.

(٢) دلائل الإعجاز: ٣٣٢.

(٣) في ظلال القرآن: ٤/ ١٩٠٨.

(٤) سبق الكلام عن بلاغة النظم فيما يطابق هذه الآية من سورة الأعراف في الآية (٧٣) ص ٦٠، فلتراجع في موضعها.

وقوله ﷻ: M K L M N O P Q S T U V W L

[هود:٦٥].

قوله ﷻ: M K L سبق الكلام عن بلاغة هذا التعبير(١).

وفعل الأمر M M L الغرض منه التهديد، قال الراغب: ((وكل موضع ذُكِر فيه (تمتعوا) في الدنيا فعلى طريق التهديد))(٢). وهو تهديد مشوب بالتهكم، إذ كيف يتمتع من هو متوعد بالعذاب؟ وكيف يطيب عيشه؟!

والتعريف باسم الإشارة في قوله: M S T U V L يُقصد منه تمييز المشار إليه أكمل تمييز؛ وذلك ((لصحة إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة حسًّا))(٣)، فإذا حضر المسند إليه في ذهن السامع وتَميَّز تمييزًا واضحًا فإنَّ ذلك كما يقول الدكتور محمد أبو موسى: ((يمنح الخبر مزيدًا من القوة والتقرير))(٤). وفي الآية جاء اسم الإشارة لِيُمَيِّزَ ويُبرز ويحدد الوعيد الذي دل عليه الأمر بالتمتع ثلاثة أيام؛ فيقع الحكم عليه بعد هذا التمييز بأنَّه حقٌّ وصدقٌ وأنَّه واقع لا محالة فهو M U V L، وفي ذلك قدر كبير من قوة الحكم وصدق اليقين بوقوعه. والتعبير باسم الإشارة للبعيد يفيد تفخيم الوعيد وتعظيمه وتهويله(٥).

وقوله: M U V L أي: صِدْقٌ لابد من وقوعه. وللمفسرين في ذلك عدة توجيهات:

الأول: أنَّه من باب "المجاز العقلي"؛ لأنَّ المكذوب وصف للإنسان لا الوعد(٦)، قال الزمخشري: ((غير مكذوب فيه، فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به))(٧)، وفي ذلك إيجاز ومبالغة بجعل الوعد نفسه غير مكذوب.

---

(١) سبق الكلام عن بلاغة النظم فيما يطابق هذه الجملة من سورة الأعراف في الآية رقم (٧٧) ص ٧٣، فلتراجع.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٤٦٣.

(٣) الإيضاح: ٤٤.

(٤) خصائص التراكيب: ٢٣٦.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢٢.

(٦) ينظر: حاشية القونوي: ١٠/ ١٣٠.

(٧) الكشاف: ٤٨٩، وينظر: تفسير البيضاوي: ١/ ٤٦٢.

الثاني: أنه (("مجاز مرسل" يجعل (مكذوب) بمعنى باطل ومتخلف))[1]، حيث أُطلق اسم المفعول على اسم الفاعل.

الثالث: أنَّ ذلك من باب "الاستعارة المكنية التخييلية"، قال الزمخشري: ((كأنَّه قيل للوعد: نَفِي بك، فإذا وفي به فقد صُدِق ولم يُكذَب))[2]. وقال القونوي في حاشيته: ((توضيحه أنَّ الوعد شُبِّه في العلم بشخص يخاطبه آخر، وأثبت له ما هو من روادف المشبه به وهو (غير مكذوب)، وهي تخييلية))[3].

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j k L [هود:٦٦].

عطفت الجملة على ما قبلها بالفاء لدلالتها على التعقيب وتَرَتُّب ما بعدها على ما قبلها، ((وإنما كانت الفاء مناسبة لما هنا لأنَّ ما قبلها جاء بالفاءات المتعاقبة الواقعة في مواقعها من أمر الإنذار فالوعيد على المخالفة فالمخالفة فتحديد موعد العذاب بثلاثة أيام فالإخبار بإنجازه ووقوعه، فما كان المناسب في هذا إلا أنْ يكون بالفاء تعقيبًا على ما قبله))[4].

وقوله عز وجل: M Y Z L عُبِّر بالمجيء لأنَّه يستعمل لما فيه صعوبة ومشقة، والجائي هنا هو العذاب فناسبه التعبير بالمجيء دون غيره من الأفعال مثل (أتى) ونحوه[5].

وقوله: M Z L ((أي: عذابنا أو أمرنا بنزوله))[6]، فإذا كان المراد هو العذاب فإنَّ التعبير بـ(الأمر) مجاز مرسل علاقته السببية، والنكتةُ – والله أعلم – في ذكر السبب التهويلُ من شأنه فهو بأمر الله عز وجل، وللإشارة إلى أنَّه واجب النفاذ ولا رادَّ له، والإضافة إلى نون العظمة زادته تهويلاً وتفخيمًا.

---

(١) روح المعاني: ٦/٣٩٠.
(٢) الكشاف: ٤٨٩، وينظر: تفسير البيضاوي: ١/ ٤٦٢.
(٣) حاشية القونوي: ١٠/ ١٣٠، وينظر: حاشية زادة: ٤/ ٦٦٣.
(٤) تفسير المنار: ١٢/ ١٢٥.
(٥) سبق الكلام عن الفرق بين الفعل (جاء) و(أتى) ص ٥٨، فليراجع في موضعه.
(٦) تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢٣.

و في قولـــــــــه ﷻ: M [\ ] ^ _ ` a b c d L

ورد الفعل (نجَّيْنا) على صيغة (فَعَّلَ) التي تفيد التكثير والمبالغة(١)،وهذه الصيغة هي أنسب من غيرها في هذا السياق بالنظر إلى من نجاه الله ﷻ، وبالنظر إلى العذاب الذي نجوا منه، أمـــا الذين نجَّاهم الله ﷻ فَهُم صالح عليه السلام والذين آمنوا، وقد أُفْرِد ذِكْر صالح عليه السلام وعطف عليه الذين آمنوا، فكأنَّ التنجية هنا مضاعفة، وهذا يناسب صيغة (فَعَّل) الـــتي تفيـــد التكـــثير والمبالغة.

أما مِن حيث ما نُجُّوا منه فقد نجاهم الله ﷻ ((من العذاب والخزي والفضـــيحة))(٢)، وهذه الأمور مجتمعة النجاة منها مضاعفة، فكأنها تنجية بعد تنجية. بالإضافة إلى أنَّ السياق دل على هول العذاب، وذلك في قوله ﷻ: M X Y Z L، والأنسب أنْ يكون التعبير عن الإنجاء من الأمر المهول والمفخم بصيغة التكثير والمبالغة.

وإسناد التنجية إلى نون العظمة يدل على أنَّها نجاة عظيمة ومِنَّـــةٌ مِنْـــه ﷻ تكريمًـــا وتشريفًا لصالح عليه السلام والذين آمنوا معه.

وعطف (الذين آمنوا) على (صالحًا) من باب عطف العام على الخاص، والنكتـــة في ذلك تمييز صالح عليه السلام والاهتمام به، والتنبيه على فضله وشأنه بتقديمـــه وذكـــره أولاً، وأنَّ المذكورين بعده أتباع له، وذِكْر العام بعده يدل على العموم وشمول بقية المؤمنين بالنجاة(٣).

ثم إنَّ في تخصيص صالح عليه السلام بالذكر تثبيتًا للنبي ﷺ، وإشارة إلى أنَّ الله ﷻ سينصره كما نصر صالحًا قبله، وأنَّ الله ﷻ يحفظ أنبياءه ورسله ويرعاهم ويكلـــؤهم بعنايتـــه وأنَّ العاقبة لهم، وهذا المعنى مرتبط أشـــد الارتبـــاط بقولـــه ﷻ: M v x y z L [هـــود:٤٩]، وقولـــه ﷻ: M ? @ A B C D E F G H J K L M N O P Q L [هود:١٢٠].

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ١/ ٢١٢، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٦٢.

(٢) تفسير ابن سعدي: ٣٨١.

(٣) ينظر: جواهر البلاغة: ٢٠٨.

وتعريف (الذين آمنوا) بالصلة للتعظيم والإشعار بمكانتهم؛ لأنَّها تفيد معيتهم لصالح عليه السلام ، وللتنبيه على أنَّ سبب نجاتهم ورحمة الله عز وجل لهم هو إيمانهم بصالح عليه السلام، كما أنَّ في ذلك تعريضًا بالمشركين بأنَّه لن ينجو من عذاب الله إلا المؤمنون(١).

وقوله عز وجل: M q r L التنوين للتفخيم، أي: ((بسبب رحمة عظيمة))(٢)، وتقييد هذه الرحمة بالجار والمجرور (مِنَّا) يفيد ((أنَّ إحسانه سبحانه لا يكون إلا فضلاً منه))(٣).

وفي الآية حذف بليغ لأنَّ التقدير ((نجينا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا من العذاب النازل بقومه ومن الخزي الذي لزمهم وبقي العار فيه مأثورًا عنهم))(٤). وقال الزمخشري: ((فإنْ قُلتَ: علام عطف؟ قلتُ: على نجينا؛ لأنَّ تقديره: ونجيناهم من خزي يومئذ))(٥). وهذا الحذف من باب "الاحتباك"؛ ((وهو أنْ يجتمع في الكلام متقابلان، فيُحذف من واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه))(٦)، وفي الآية حُذِف ذِكْر المتعلق (من العذاب النازل بقومه) لدلالة قوله: M b c d L عليه، وحُذِف ذِكْر فعل التنجية لدلالة قوله: M] [\ ] ^ L، وهذا من أبلغ الإيجاز.

وفُصِلت جملة: M f g h i j L عما قبلها؛ لأنها جملة تذييلية تفيد التعليل؛ لأنَّ مَن كان قويًّا عزيزًا ينصر أولياءه ويهلك أعداءه، وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم. وجملة التذييل التعليلية إذا أُكِّدت فإنَّ التأكيد يفيد الاستقلال، وهو في الوقت ذاته يربطها بما قبلها ربطًا معنويًّا دقيقًا(٧).

وقد أُكِّد الخبر بعدة مؤكِّدات للاهتمام به(٨)، وهي: إنَّ، وضمير الفصل، وتعريف المسند باللام، وهما يفيدان القصر(٩). فصار المعنى: إنَّ ربك هو القوي العزيز لا غيره.

(١) ينظر: روح المعاني: ٦/ ٣٩٠.
(٢) تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢٣.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٣٢٣.
(٤) التفسير الكبير: ٢١/ ١٨، وينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١١٤.
(٥) الكشاف: ٤٩٠.
(٦) البرهان في علوم القرآن: ٧٠٢.
(٧) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٢٨٤.
(٨) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١١٤.
(٩) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٣٢٥.

والتعبير بالربوبية في خطاب النبي ﷺ لبيان عناية الله ﷻ به وإحسانه إليه كما أحسن إلى الأنبياء قبله[١].

واختيار الاسمين الكريمين (القوي) و(العزيز) لمناسبتهما للسياق، قال أبو حيان: ((ناسب مجيء الأمر وصفه تعالى بالقوي العزيز؛ فإنهما من صفات الغلبة والقهر والانتقام))[٢].

والانتقام))[٢].

وتقديم (القوي) على (العزيز) للعلة والسببية؛ لأنَّ القوة سبب للعزة، والعزة ناشئة من القوة[٣]. وفي الآية مُحسِّن معنوي وهو مراعاة النظير، ((وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والتوفيق أيضًا، وهي أنْ يجمع في الكلام بين أمرٍ وما يناسبه لا بالتضاد))[٤]؛ وذلك لأنَّ قوله ﷻ: M X Y Z L يناسب قوله: M h i L ، وقوله: M [\ ] ^ _ L يناسب قوله: M j L ؛ لأنَّ العزيز يُعِزُّ أولياءه ولا يخزيهم.

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M l m n o p q r s t L[٥] [هود:٦٧].

عُدِل عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله ﷻ : M m n L مع التعبير بالموصول تسجيلاً عليهم بالظلم، والإشارة إلى علة تَرَتُّب الحكم ونزول العذاب بهم[٦]، ((وهو ظلم الشرك. وفيه تعريض بمشركي أهل مكة بالتحذير مِن أنْ يصيبهم مثل ما أصاب أولئك لأنهم ظالمون مثلهم))[٧].

❁ ❁ ❁

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٣٢٥.

(٢) البحر المحيط: ٦/ ١٧٨.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٧٧٩.

(٤) الإيضاح: ٣٥٥.

(٥) سبق الكلام عن بلاغة النظم فيما يشابه هذه للآية من سورة الأعراف في الآية رقم (٧٨) ص ٧٦، فلتراجع في موضعها.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢٣، وروح المعاني: ١٢/ ٣٩١.

(٧) التحرير والتنوير: ١٢/ ١١٤.

وقوله ﷻ: M u v w x z { | } ~ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ L [هود:٦٨].

لما ذَكَر الله ﷻ هلاك ثمود وصف حالهم؛ فشبههم بعد زوالهم وفنائهم واستئصالهم بحال من لم يُقِم في داره ولم تسبق له حياة أصلاً. ثم نبَّه ﷻ على سبب عذابهم في هذه الآية، وقد أُكِّدت الجملة بأداة التنبيه (ألا) و(إنَّ)، مع تصدير (ألا) الخبر وهي ((لا تقال إلا عند الأمور الهائلة))[(١)].

وَوُضِع الاسم الظاهر موضع المضمر في قوله ﷻ: M { | L لزيادة البيان[(٢)] والتشنيع والتسجيل عليهم. وفي قوله: M } ~ L ((صَرَّح بكفرهم مع كونه معلومًا مما سبق من أحوالهم تقبيحًا لحالهم وتعليلاً لاستحقاقهم الدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله ﷻ:
M أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ L))[(٣)].

وعُدِّي الفعل (كفروا) إلى (ربهم) بدون حرف الجر لأنَّه ضُمِّن معنى الجحود، فالتقدير: ألا إنَّ ثمود جحدوا ربهم. وهذا مِن الإيجاز وقيل هو مِن باب حذف المضاف، أي: كفروا نعمة ربهم[(٤)]، وفي حذف المضاف وإنابة المضاف إليه منابه مع التعبير بالربوبية الدالة على الإحسان إليهم والعناية بهم، تفظيعًا لجرمهم وتشنيعًا لحالهم؛ إذ كيف يكفرون بمن رباهم بنعمه وأحسن إليهم. وبعد أنْ سجَّل الله ﷻ عليهم الكفر والجحود لعنهم وأبعدهم من رحمته، فقال ﷻ: M أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ L، وكرر التنبيه بقوله (ألا) في الدعاء عليهم تهويلاً لأمرهم، وتفظيعًا له، وبعثًا على الاعتبار بهم، والحذر من مثل حالهم[(٥)]. وقيل: (بعدًا لثمود) لثمود) دون أنْ يقال: لِتَبْعُد ثمود، طلبًا للتأكيد مع الاختصار، وهو نزول (بُعْداً) منزلة (لِتَبْعُد بُعْدًا)، مع فائدة أخرى وهي استعمال اللام مع (بعدًا) الدالة على معنى أنَّ البعد يحق لهم[(٦)].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٣٢٦.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢٣.

(٣) تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢٣، وينظر: البحر المحيط: ٦/ ١٧١.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٨/ ١٦.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٦/ ١٧١.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ٨٢.

ووضع الاسم الظاهر موضع المضمر في قوله ﷻ : Mبُعْدًا لِّثَمُودَ L مبالغةً في التنصيص عليهم، والتأكيد على استحقاقهم اللعنة والإبعاد(١).

وهنا تنتهي قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود في هذه السورة الكريمة بهذه النهاية الرهيبة، والخاتمة المؤثرة، إنَّ التعبير القرآني ((لا يتركهم قبل أنْ يسجل عليهم حالهم، وسبب ما أصابهم في إعلان عام وتنبيه عالٍ: M z } | { ~ L. ثم يدعو عليهم بالطرد والبعد البعيد: Mأَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ L بهذا التحديد والإيضاح والتوكيد كأنما يحدد عنوانهم للعنة المرسلة عليهم حتى تقصدهم قصداً))(٢).

هذا ما تيسر إيراده عن بلاغة النظم في قصة صالح عليه السلام في هذه السورة ولا يزال فيها الكثير لمتأمل فإنَّ كلام الله ﷻ لا تنقضي عجائبه ولا يحيط به أحد.

(١) ينظر: البحر المحيط: ٦/ ١٧١، وتفسير المنار: ١٢/ ١٢٠.

(٢) في ظلال القرآن: ٤/ ١٩٠١ بتصرف.

المبحث الثالث

قصة صالح عليه السلام في سورة إبراهيم

قال الله ﷻ: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e
g h i j l m n o p q r s t u v w x y
z { | } ~ مُرِيبٍ (٩) ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ © وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ
لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ ´ µ ¸ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) ! " # $ % & ' ( ) * + , - .
/ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C
D E F G H I K L M N P Q R S T U V
W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f
g h i j l m n o p q r s t u v
w x y z { | } ~ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن ©
مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ L [إبراهيم: ٩ – ١٧].

أولاً: الغرض العام للسورة:

ترتكز السورة حول موضوع توحيد الله ﷻ ودلائله(١)، مع بيان حال الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إليه من كمال صبرهم في ذات الله ﷻ، وتوكلهم عليه، وتثبيت الله ﷻ ونصره لهم في الدنيا والآخرة، وبيان حال الكافرين وموقفهم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وصدهم عن سبيل الله، وظلمهم وكفرهم بنعم الله عليهم، وبيان عاقبتهم في الدنيا والآخرة(٢).

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٠/٣٦٩.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٠/٣٨٠، والتحرير والتنوير: ١٣/ ١٧٨.

ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها:

افتتحت السورة بالحديث عن القرآن الكريم، والتنويه بشأنه، وأنَّه منزل من عند الله ﷻ على محمد ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد وعبادة الله وحده، المستحق للعبادة فهو مالك السموات والأرض وما فيهن.

ثم هدد ﷻ من يخالف ذلك من المشركين الذين يستحبون الحياة الدنيا ويقدمونها على الآخرة، ويصدون الناس عن سبيل الله ﷻ ويبغونها عوجًا.

ولما ذكر ﷻ رسالة محمد ﷺ والهدف منها؛ بَيَّن سبحانه أنَّه أرسل الرسل من قبله إلى أقوامهم؛ كلٌّ بلسان قومه ليكون بيانه شافيًا مقيمًا للحجة، فيضل الله من يشاء بعدله ويهدي من يشاء بفضله.

ولما ذَكَر الله ﷻ الرسل بما ذَكَرَه توقَّع السامع تفصيل شيء من أخبارهم فابتدأ بذكر قصة موسى عليه السلام مثلاً لمن أُرْسِل إلى قومه ليخرجهم من الظلمات إلى النور، لأنَّه أُنْزِل إليه كتابٌ كما أنْزل على محمد ﷺ، وفي قصته تسليةٌ للنبي ﷺ وتثبيتٌ وتصبيرٌ له على أذى قومه، ولأنَّ فيها بيانًا لنعمة الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون في يوم من أعظم أيام الله ﷻ .

ولما ذكر الله ﷻ موسى عليه السلام وعاقبة فرعون أنكر على كفار قريش كفرهم وتكذيبهم وإصرارهم عليه وقد جاءتهم أنباء الأمم الماضية قوم نوح وقوم عاد وقوم ثمود ومن بعدهم من الأمم التي لا يحصيهم إلا الله، فكانت هذه القصة بمثابة التفصيل لما أُجْمل في قول الله ﷻ: M f g h i j k l m n p q r s t u v x y z { L [إبراهيم:٤](١).

((وعيَّن منهم الثلاثة الأولى لأنَّهم كانوا أشدهم أبدانًا، وأكثرهم أعوانًا، وأقواهم آثارًا، وأطولهم أعمارًا؛ لأنَّ البطش إذا برز إلى الوجود كان أهول، لأنَّ النفس للمحسوس أقبل))(٢)، فجاءت هذه القصة التي تحكي حال الأقوام السابقين مع رسلهم عليهم السلام

(١) ينظر: حاشية القونوي: ١١/٢٠.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٠/٣٨٩.

وتكذيبهم لهم وما حلَّ بهم من هلاك تذكيرًا لهم بأيام الله، وتعريضًا لهم بأنَّ تلك هي سنة الله ﷻ في الأمم الكافرة، فعليهم أنْ يحذروا من أنْ يصيبهم مثل ما أصاب تلك الأمم.

وبعد أنْ ذكر الله ﷻ عذاب الكافرين في الدنيا استمر السياق في ذكر عذابهم في الآخرة، وتبرؤ بعضهم من بعض، وتبرؤ الشيطان من شركهم، وبعد أنْ ذكر ﷻ موقف الكفار من الرسل وعاقبتهم في الدنيا والآخرة؛ ذكر ﷻ موقف كفار قريش من نعمة إرسال محمد ﷺ ، وأنَّهم كفروا به وكذبوه وأضلوا قومهم وكانوا سببًا في دخولهم النار.

ثم يستمر السياق في وصف حال الكافرين تجاه نعم الله ﷻ الدالة على وحدانيته ويؤكد الله ﷻ أنَّ الكفر والظلم ((طبيعة الإنسان إلا من هداه الله فشكر نعمه وعَرَف حق ربه عليه))(١).

وبعد أنْ ذكر الله ﷻ النعم العامة التي امتن بها على الناس كافَّة، ذكر النعم التي خصَّ بها أهل مكة بسبب دعوة إبراهيم عليه السلام، وكيف أنَّ الكفار أهملوا شكر هذه النعم، وبدلوا اقتداءهم بسلفهم الصالح اقتداء بأسلافهم من أهل الضلالة والشرك(٢).

ثم توجه الخطاب إلى النبي ﷺ؛ لتسليته ولترهيب الظالمين وتَوَعُّدِهم وعيدًا شديدًا، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم:٤٢]، واصفًا حالهم من الخوف والذل والهوان، وتمنيهم الرجوع إلى الدنيا لإجابة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولكنهم يجابون بالتوبيخ وأنَّ الله ﷻ سينتقم لرسله من المجرمين.

ثم ختمت السورة بذكر القرآن الكريم الذي افتتحت به تنويهًا بشأنه(٣)، فقال ﷻ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢].

وامتاز هذا الموضع بأنَّه لم يختص بقصة صالح عليه السلام، وإنما حكى قصص ثلاثة أنبياء بصورة إجمالية، وألحق بهم من بعدهم من الأنبياء الذين لا يعلمهم إلا الله ﷻ. ولعل هذا

(١) تفسير ابن سعدي: ٤٢٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/٢٣٧.

(٣) ينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ٥٢.

يوحي بجو السورة العام الذي لم يتجه إلى تفصيل شيء من أحداث قصص هؤلاء الرسل عليهم السلام، وإنما بيَّن تطابق الرسل في دعوتهم وتشابههم في ردِّ أقوامهم عليهم، وعاقبتهم في الدنيا والآخرة، وهذا يتناغم ويتواءم بصورة جلية مع مطلع السورة الذي أشار إلى قدرة الله ﷻ، وتهديد الكافرين، والإعذار بإرسال الرسل جميعًا بألسنة أقوامهم لتقوم الحجة عليهم، ثم مهد بقصة موسى عليه السلام بإشارات سريعة، وفي وسط السورة بيان لعذاب الآخرة، وتذكير بنعم الله ﷻ ينسجم مع قوله في أولها: M = < > ? @ A B D E F G H I L [إبراهيم:٧]، ثم أورد قصة إبراهيم عليه السلام بإيجاز ينسجم كذلك مع جو السورة المتسم بالإيجاز وسرعة العرض، وختم السورة ببيان عاقبة الظالمين ومصارعهم في الدنيا ثم عاقبتهم في الآخرة.

ثالثًا: المعنى العام للآيات:

يقص الله ﷻ علينا في هذه السورة أحوال بعض الأمم الماضية مع رسلهم مفتتحًا القصة باستفهام تقريري يقرر الله ﷻ به أمة محمد ﷺ بأنَّه نبأهم بخبر الأمم الماضية؛ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم التي لا يحصي عددها إلا الله، وأنَّ هذه الأمم جاءتهم رسلهم من عند الله ﷻ بالبينات والبراهين الواضحات ودعتهم إلى عبادة الله وحده، ولكنَّهم استنكفوا عن قبول الحق وكذبوا الرسل بفعلهم وقولهم، وأعلنوا كفرهم صراحة وأنَّهم يشكُّون فيما يدعونهم إليه، فأنكرت عليهم الرسل عليهم الصلاة والسلام شكَّهم؛ لأنَّ ذلك مما لا يُشَكُّ فيه ولا يتطرق إليه ريبه، وكيف يُشَك في توحيد الله ﷻ وهو خالق السموات والأرض، يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم ويرحمكم ويمتعكم إلى أجل مسمى ؟

ولكنَّ المكذبين أصروا على كفرهم وعنادهم، محتجين بزعمهم أنَّ هؤلاء الرسل بشر مثلهم لا فضل لهم عليهم، ومتعصبين لدين آبائهم، وهذان الأمران قد حالا بينهم وبين الإيمان، فأخذوا يتعنتون ويطالبون الرسل عليهم السلام أنْ يأتوا بمعجزات قاهرة فوق ما أتوا به حتى يؤمنوا بهم.

فأجابتهم رسل الله ﷻ بأنَّهم حقًّا بشر مثلهم؛ ولكنَّ الله ﷻ يَمُنُّ على من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة، وأنَّ الآيات والمعجزات إنما يأتون بها بإذن الله ﷻ وليس من عند أنفسهم.

ولما رأى الرسل عليهم الصلاة السلام موقف الكافرين وأذاهم لهم؛ أعلنوا توكلهم على الله ﷻ وصبرهم على أذاهم، مُتَحَدِّين بذلك إرهاب الكافرين وتهديداتهم.

فلما رأى الكافرون صلابة موقف الرسل عليهم الصلاة السلام وقوة ردِّهم، توعَّدُوهم بأنْ يخرجوهم من أرضهم أو يدخلوا في دينهم وملتهم الكافرة، إلا أنَّ الله ﷻ يأبى إلا أنْ يتم نوره وأنْ ينصر رسله والذين آمنوا، فأوحى إلى رسله بإهلاك الظالمين، وأنَّ العاقبة الحسنة للرسل وأتباعهم، وأنَّه سيسكنهم أرض الكافرين بعد إهلاكهم.

وحينئذٍ دعا الرسل عليهم الصلاة والسلام واستنصروا بالله ﷻ ، فاستجاب الله لهم ونصرهم على أعدائهم بسبب كفرهم وتجبرهم وعنادهم، فأهلكهم الله ﷻ في الدنيا وتودعهم بالعذاب المهين في الآخرة، فتم نصر الله ﷻ للرسل عليهم الصلاة والسلام، وخاب الكافرون.

رابعًا: بلاغة النظم في القصة:

قوله ﷻ: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e g h i j l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ L [إبراهيم:٩].

الخطاب هنا للمشركين، والاستفهام في قوله ﷻ: M X Y L للتقرير والتوبيخ(١)، أما التقرير فلأنهم قد بلغتهم أخبار الأمم قبلهم، فالجواب: بلى قد أتتنا. وهذا النوع من الاستفهام ((يكون المقصود فيه تقرير المخاطب بما يعلمه من مضمون الحكم))(٢)، وفي ذلك تأكيد لإقامة الحجة على المخاطبين لأنها تأتي بعد إقرارهم بها. وأما التوبيخ فلأنهم مستمرون

(١) ينظر: البحر المحيط: ٤١٢/٦.

(٢) دلالات التراكيب: ٢٣٣.

على كفرهم مع ورود أنباء الأمم السابقة إليهم، وعلمهم بما حَلَّ بهم من العذاب، فكان الواجب أنْ يذعنوا للحق ويرعووا عما هم عليه من الكفر والعناد ويتعظوا بغيرهم.

والتعبير بـ(النبأ) في قوله: Z M] \ [L يدل على خطر هذا الخبر والقصة التي ستذكر، لأنَّ (النبأ) كما يقول الراغب: ((خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل (نبأ) حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه (نبأ) أنْ يتعرى عن الكذب، كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي ﷺ))(١). ولما كانت القصة المذكورة خبرًا ذا شأنٍ عظيم لما فيها من ذكر قصة جمع من الأنبياء وما حصل لهم مع أقوامهم، ولما كان هذا الخبر خبرَ صدق لأنَّه من عند الله ﷻ ناسب أنْ يكون التعبير عنه بـ(النبأ).

وفي ذلك أيضًا تشويق للمخاطب وتحفيز وتهيئة له لينتبه لما سيلقى عليه بإشعاره بعظم القصة التي ستذكر قبل إيرادها.

وفي قول الله ﷻ: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e L نوعٌ من الإطناب وهو "الإيضاح بعد الإبهام"؛ فإنَّ الإبهام في قوله: M [ \ ] L جعل المخاطب يشتاق ويتهيأ لمعرفتهم ونبئهم، فجاء الإيضاح في قول الله ﷻ: M ^ _ ` a c d e L فكان الشعور بالعلم بهم أتم، واللذة أكمل، والفائدة أمكن في النفس(٢).

وفي قوله ﷻ: M c d e g h i j L اعتراض، والاعتراض نوع من الإطناب؛ ((وهو: أنْ يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى، بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة))(٣)، والنكتة هنا هي بيان كثرة الأمم السابقة، وأنَّه لا يعلم عددهم إلا الله ﷻ ، قال الزمخشري في هذه الجملة: ((جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضًا،

(١) المفردات في غريب القرآن: ٤٨٢.
(٢) ينظر في بلاغة "الإيضاح بعد الإبهام" ص ٦٠ .
(٣) الإيضاح: ٢٠٦.

أو عطف (الذين من بعدهم) على قوم نوح، (ولا يعلمهم إلا الله) اعتراض، والمعنى: أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله))[1].

فهنا احتمالان: **الأول**: أنَّ الجملة المعترضة هي M c d e g h i j L؛ فيكون المعنى كما يقول الشيخ محيي الدين زاده في حاشيته: ((أنَّ الذين من بعدهم بلغوا من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله، فيكون المقصود الترقي في بيان كثرة من قبلهم؛ كأنَّه قيل: ألم يأتكم نبأ هؤلاء – قوم نوح وعاد وثمود – ومن لا يحصى عددهم ممن بعدهم، فهو بمنزلة أنْ يقال: دع التفصيل فإنَّه لا مطمع في الحصر، وفيه لطف من حيث أنَّه يوهم الجمع بين الإجمال والتفصيل))[2].

والثاني: أنَّ الجملة الاعتراضية هي جملة M g h i j L، وقوله ﷻ: M c d e L معطوف على قوله ﷻ: قوم نوح وعاد وثمود، قال الشيخ زاده: ((والمعنى: ألم يأتكم أنباء الجمع الغفير الذين لا يعلم عددهم إلا الله لكثرتهم))[3]، وبهذا القول جزم ابن عاشور في تفسيره[4]، وهو الراجح – والله أعلم -.

وهذه النكتة المستفادة من الاعتراض تفيد شدة الترهيب والتهديد، وبيان قدرة الله ﷻ ، وأنَّ إهلاك الله للمكذبين سنةٌ دائمة، وأنَّه ﷻ لا يعجزه شيء، ويدل على ذلك كثرة الأمم التي حَلَّ بها العذاب.

وبعد هذه المقدمة التي قرر الله ﷻ فيها الكافرين بمجيء الأنباء إليهم، والتنويه بعظيم شأنها، وبعد أنْ اشتاقت النفوس وتطلعت لمعرفتها قال الله ﷻ: M l m n L، أي بالبراهين الواضحات التي تدل على صدقهم، ثم بيَّن ﷻ كيف كان ردُّ أقوامهم عليهم بفعلهم وقولهم؛ أما الفعل فبحركة أيديهم وردها في أفواههم، وأما القول فبتصريحهم بالكفر.

---

(١) الكشاف: ٥٤٦.

(٢) حاشية الشيخ زاده: ٥/١٤٤.

(٣) حاشية الشيخ زاده: ٥/١٤٤.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/ ١٩٦.

وقد اختلف المفسرون في توجيه قول الله ﷻ: M o p q r L بناء على اختلافهم في عود الضمير في M p L و M r L، وأيضًا اخْتُلِف في معنى (الرَّد) هل هو على حقيقته أم أنَّه مجاز؟ وهذا عرض لأقوال المفسرين وتوجيهاتهم:

القول الأول: أنَّ الضمير في M p L و M r L عائد على الكـــافرين، وأنَّ المراد بـــ (أيديهم) و(أفواههم) الجارحتان المعلومتان، فتفرع عن ذلك ما يلي:

أ- أنَّ المراد: أنَّ الكافرين عضُّوا على أصابعهم تَغَيُّظًا من الرسل، ومما دعوهم إليه(١)، وهذا القول هو الأوجه عند الطبري؛ والرد كناية عن العض(٢)، وفي إطلاق (اليـــد) علـــى (الأصابع) مجاز مرسل علاقته الكلية، وهو يدل على المبالغة في وصف غيظهم، حـــتى أنهم يكادون أنْ يَعَضُّوا على أيديهم ويدخلوها في أفواههم لو استطاعوا ذلك من شدة حنقهم على الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ب- أنَّ المراد بـــ (ردوا) : أي ((أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم: M t u v w x L، أي: هذا جوابنا لكم ليس عنـــدنا غـــيره؛ إقناطًـــا لهـــم مـــن التصديق))(٣)، وقال الزمخشري بعد أنْ ذَكَر هذا الرأي: ((وهذا قولٌ قويٌّ))(٤)، وأيـــده الألوسي(٥)، وعلى هذا فالرد في الآية كناية عن الإشارة.

ج- أنَّ المراد: أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم ((ضحكًا واستهزاء كمن غلبـــه الضـــحك فوضع يده على فيه))(٦)، أو تعجبًا مما جاء به الأنبياء عليهم الصلاة السلام(٧).

د- أنَّ المراد: أنهم أشاروا إلى أفواههم آمرين الرسل عليهم الصلاة والســـلام أنْ يُطْبِقـــوا أفواههم ويَسْكتوا عن كلامهم(٨)، وفيه دلالة على سوء أدبهم مع الرسل عليهم الصلاة الصلاة والسلام.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٦٠٤، والكشاف: ٥٤٦.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٣/٢٤٧.

(٣) الكشاف: ٥٤٦، وينظر: تفسير الطبري: ١٣/٦٠٧.

(٤) الكشاف: ٥٤٦.

(٥) ينظر: روح المعاني: ١٣/٢٤٧.

(٦) الكشاف: ٥٤٦، وينظر: تفسير البيضاوي: ١/٥١٤.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٦٠٧، وتفسير البيضاوي: ١/٥١٤.

(٨) ينظر: الكشاف: ٥٤٦، وتفسير البيضاوي: ١/٥١٤.

القول الثاني: أنَّ الضمير في M p L و M r L عائد على الكافرين، ولكنَّ الأمر ليس على حقيقته وإنما هو من باب المجاز على سبيل "الاستعارة التمثيلية"، فيحتمل المعنى حينئذٍ:

أ- أنهم لم يؤمنوا بالرسل ولم يستجيبوا لهم، قال أبو عبيدة: ((M o p q r L مجازه مجاز المثل، وموضعه موضع "كَفُّوا عما أُمروا بقوله من الحق، ولم يؤمنوا به، ولم يُسَلِّمُوا"، ويقال: "ردَّ يده في فمه"، أي: أمسك، إذا لم يجب))[1]. وقال أبو حيان: ((فعلى ما قاله أبو عبيدة يكون ذلك من مجاز التمثيل كأنَّ الممسك عن الجواب الساكت عنه وضع يده على فيه))[2].

ب- أو أنَّ ذلك تمثيل لحالة المتعجب المستهزئ الذي يضع يده على فيه من شدة الضحك والاستهزاء من كلام الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال ابن عاشور: ((فالكلام تمثيل للحالة المعتادة وليس المراد حقيقة؛ لأنَّ وقوعه خبرًا عن الأمم مع اختلاف عوائدهم وإشاراتهم واختلاف الأفراد في حركاتهم عند التعجب قرينة على أنَّه ما أريد به إلا بيان عربي))[3].

القول الثالث: أنَّ الضمير في M p L عائد على الكفار، والضمير في M r L عائد على الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنَّ الأمر على حقيقته، فيكون المراد حينئذٍ: أنَّ الكافرين كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل؛ ردًّا عليهم قولهم، وتكذيبًا لهم، ومنعًا لهم من الكلام[4]، وفي ذلك غاية الاستطالة على الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام والنيل منهم، ودلالة على سوء أدب الكافرين وشناعة رَدِّهم[5].

القول الرابع: أنَّ الضمير في M p L عائد على الكفار، والضمير في M r L عائد على الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنَّ ذلك من باب المجاز على سبيل

---

(١) مجاز القرآن: ١/٣٣٦، وينظر: تفسير الطبري: ١٣/٦٠٨.

(٢) البحر المحيط: ٦/٤١٣.

(٣) التحرير والتنوير: ١٣/١٩٧.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٦٠٨، والكشاف: ٥٤٦.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٦/٤١٣.

"الاستعارة التمثيلية"، قال البيضاوي: ((على احتمال أنْ يكون المعنى أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه الأنبياء يمنعونهم من التكلم، وعلى هذا يحتمل أنْ يكون تمثيلاً))(١)، قال الشيخ زاده في توضيح ذلك: ((بأنْ يمثل الهيئة الحاصلة في دعوة الأنبياء إياهم إلى التوحيد والإيمان بإظهار المعجزة والبرهان، ورَدَّ هؤلاء ما سمعوا منهم وما رأوا أبلغَ الرد والإنكار؛ بالهيئة الحاصلة من مباشرة أحد بأنْ يتكلم بمراده ويمنعَه الآخر عنه بأنْ يضع يده على فم صاحبه يقسره على السكوت، فإذًا لا يد ولا فم هناك))(٢).

القول الخامس: أنَّ الضمير في M p L و M r L عائد على الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنَّ ذلك من باب المجاز على سبيل "الاستعارة التمثيلية"، فيكون المعنى حينئذٍ: ((الأيدي جمع يد، وهي: النعمة، بمعنى: الأيادي، أي: ردُّوا نِعَمَ الأنبياء التي هي أجلُّ النعم في مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم؛ لأنهم كذَّبوها و لم يقبلوها فكأنهم ردُّوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل))(٣)، قال الشيخ زاده موجِّهًا هذا القول: ((إشارة إلى أنَّ ردَّ الأيدي إلى الأفواه من قبيل التمثيل قطعًا على تقدير أنْ يكون المراد: أيادي الأنبياء إلى أفواههم؛ لامتناع ردِّ أحكام الأنبياء وشرائعهم إلى أفواههم حقيقة، فوجب حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية بأنْ مثَّلَ ردَّ الكفار مواعظ رسلهم بِرَدِّ الكلام الخارج من الفم إلى الفم، فقيل: ردُّوا أيديهم أي مواعظهم في أفواههم))(٤).

ولعل القول الأول الذي رجحه الطبري هو الصحيح؛ لأنَّه معضود بتفسير صحابي وآية كريمة، قال الطبري: ((وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية؛ القول الذي ذكرناه عن عبدالله بن مسعود؛ أنهم ردوا أيديهم في أفواههم، فعضوا عليها غيظًا على الرسل، كما وصف الله عز وجل به إخوانهم من المنافقين فقال: M | { ~ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ L [آل عمران:١١٩]، فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من ردِّ اليد إلى الفم))(٥).

---

(١) تفسير البيضاوي: ١/٥١٤.

(٢) حاشية الشيخ زاده: ٥/١٤٤، وينظر: روح المعاني: ١٣/٢٤٨.

(٣) الكشاف: ٥٤٦، وينظر: تفسير البيضاوي: ١/٥١٤.

(٤) حاشية الشيخ زاده: ٥/١٤٦.

(٥) تفسير الطبري: ١٣/٦٠٩.

وينبغي هنا الوقوف عند إيجاز هذه الجملة القرآنية التي احتملت كل هذه المعاني سواء أخذنا بقول من قال إنها على الحقيقة أو على سبيل المجاز، فمن العجيب أنْ تحتمل هذه الجملة كل هذه التفسيرات والتوجيهات البلاغية وأنْ تتماشى مع السياق بلا تعارض أو تضارب على قِصَرها وقلة ألفاظها، وهذا يدل على كثافة المعنى الذي تحمله الجملة القرآنية، يقول الشعراوي: ((والثراء في القرآن يتحمل كل هذه المعاني، والآية تتسق فيها كل تلك المعاني))[1]. ولعل ذلك راجع إلى التصوير في هذه الجملة؛ فإنَّ التصوير يجعل المخاطب يجول بذهنه وخياله في هذه الصورة وما تدل عليه وما تحتمله من معانٍ تتناسب مع السياق فيعطي غنى معنويًّا وتفسيرات كثيرة ومتنوعة تتناسب مع كثرة الأمم التي تتحدث عنها القصة وردود أفعالهم تجاه دعوة الرسل لهم، ولو أراد أحد أنْ يُعَبِّر ويصف ويُصوِّر مواقف هذه الأمم مع أنبيائهم لاحتاج إلى الإطالة والإسهاب في الكلام، ولما بلغ مدى تأثير هذه الجملة M o p q r L في نفس المخاطب وما تحمله من تأويلات.

وإذا نظرنا إلى نظم هذه الجملة القرآنية؛ فإننا نجد أنها عُطِفت على ما قبلها بـ(الفاء) التي تدل على التعقيب والتسبيب، فهؤلاء الأقوام كفروا بأنبيائهم وردُّوا أيديهم في أفواههم و((جعلوا مجيء أنبيائهم بالمعجزات سببًا لذلك مع أنَّه سبب للهداية والإعراض عن الغواية، وفيه تسفيه لهم جدًّا))[2]. وفيه أيضًا إشارة إلى أنهم بادروا برَدِّ أيديهم في أفواههم فور تلقيهم دعوة رسلهم وسارعوا إلى الكفر بهم وتكذيبهم[3].

وإيثار فعل Mرَدُّوٓا L على غيره من الأفعال مثل (جعلوا) أو (وضعوا) ونحوهما فيه تنبيه أنهم فعلوا ذلك مرة بعد أخرى وكرروه وأعادوه إمعانًا في الكفر والتكذيب[4].

وحرف الجر (في) للظرفية المجازية المراد بها التمكين، فهي بمعنى (على) والمعنى: جعلوا أيديهم على أفواههم[5]، ولكنَّ (في) تدل على المبالغة في رد الأيدي على الأفواه حتى كأنها أصبحت ظرفًا لها.

(١) تفسير الشعراوي: ١٢/٧٤٥١.
(٢) حاشية القونوي: ١١/٢١.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/١٩٧.
(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٩٨.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/١٩٧.

ولما ذكر الله ﷻ فعلهم ذكر قولهم الذي صرحوا فيه بكفرهم؛ فقال ﷻ: M t s u v w x y z { | } ~ مُرِيبٍ L، وذلك إقناطًا للرسل من إيمانهم ومبالغة في كفرهم، وأكدوا مضمون الجملة التي أفادت كفرهم بتصديرها بـ(إنَّ)، ومجيء الفعل M u L ماضيًا[1] لإفادة تحقق وقوعه، ومجيء المسند (كفرنا) جملة حيث تفيد تقوية الحكم[2].

ثم عمموا كفرهم بكل ما جاء به الرسل عن طريق استعمال (ما) الموصولة التي تفيد العموم والشمول، ولم يكتفوا بذلك بل استخفوا بالرسل واستهزؤوا بهم بقولهم: M v w x L حيث ((سموا ما كفروا به مُرسلاً به تهكُّمًا بالرسل))[3]، مع مواجهتهم بهذا القول الشنيع وتوجيه الخطاب لهم مباشرة. وبنوا الفعل M w L للمفعول؛ لأنهم كانوا غير مصدقين بأنَّ المرْسِل لهم هو الله ﷻ[4]، كل ذلك يدل على مدى إصرارهم على الكفر وأنهم بلغوا مبلغًا عظيمًا من التكذيب والاستكبار.

ثم أكَّدوا هذا الكفر بقولهم: M y z { | } ~ مُرِيبٍ L[5]، وثمة سؤال هنا، وهو: كيف بادروا أولاً إلى الكفر وهو التكذيب المحض، ثم أخبروا بأنهم في شكٍّ وهو التردد في الأمر؟ وللجواب عن ذلك يقول أبو حيان: ((كأنهم نظروا بعض نظر اقتضى أنْ انتقلوا من التكذيب المحض إلى التردد، أو هما قولان من طائفتين؛ طائفةٍ بادرت بالتكذيب والكفر، وطائفةٍ شكَّت، والشَّكُّ في مثل ما جاءت به الرسل كفر))[6].

وقد يكون المعنى عائدًا على مدار الكفر والشك؛ فمدار الكفر هو ما جاءتهم به الرسل من البينات؛ لأنَّ الله ﷻ قال قبل ذلك: M l m n L، وهم قالوا: M t u v w x L، أما مدار الشك فهو ما دعتهم إليه الرسل من توحيد الله ﷻ، ولذلك قالوا:

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/١٩٧.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٨٩.

(٣) التحرير والتنوير: ١٣/١٩٧.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٠/٣٩٠.

(٥) قد سبق الكلام عن بلاغة النظم فيما يشابه هذه الجملة في سورة هود، ص ٩١ ، فلتراجع في موضعها.

(٦) البحر المحيط: ٦/٤١٣.

M z y } | } ~ مُرِيبٍ L، فصار المعنى: أهم كفروا ببينات الرسل وهي دلالات صدقهم، وشكوا في دعوتهم.

۞ ۞ ۞

وقوله ﷻ: Mقَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ © وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ ´ µ ¸ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ L [إبراهيم: ١٠].

لما ذَكَر ﷻ وجل جواب الكافرين على الرسل الكرام عليهم السلام وتصريحهم بالكفر والشَّكِّ فيما يدعوهم إليه، ذَكَر ﷻ رَدَّ الرسل عليهم الصلاة السلام عليهم فقال: Mقَالَتْ رُسُلُهُمْ L، وفُصِلت الجملة لشبه كمال الاتصال؛ لأنَّ هنا سؤالاً مقدَّرًا ينقدح في ذهن المخاطب وهو: فماذا قالت لهم رسلهم حين قابلوهم بما قابلوهم به؟ فجاء الجواب مفصولاً.

وقد حمل هذا الرد إنكارًا شديدًا عليهم أفدناه من الاستفهام الإنكاري في قول الرسل عليهم الصلاة والسلام: Mأَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ L، وكان هذا الإنكار قويًّا لعدة أمور:

الأول: دخول همزة الإنكار على الظرف الذي هو متعلق الشك وذلك للاهتمام به(١)؛ ((لأنَّ الكلام ليس في الشك إنما في المشكوك فيه، وأنَّه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه))(٢)، فالرسل عليهم الصلاة والسلام لم يجيبوا الكافرين باستفهام يطابق كلامهم ((بأنْ يقولوا: أأنتم في شك مريب من الله تعالى؟ مبالغة في تتريه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلاً عليهم بسخافة العقول، أي: أفي شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الإيمان به وحده شك ما، وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جليٍّ؟))(٣).

(١) ينظر: حاشية القونوي: ١١/٢٤، والتحرير والتنوير: ١٣/١٩٨.
(٢) الكشاف: ٥٤٦.
(٣) تفسير أبي السعود: ٥/٣٦.

الثاني: حذف المضاف، إذ التقدير: "أفي وجود الله شكٌّ؟"، أو: "أفي وحدانية الله شكٌّ؟"، وفي هذا الحذف إشعار بشدة الجرم الذي ارتكبوه، وتهويل لشكِّهم وتفظيع له وتشنيع عليهم حيث كان هذا الشك في الله ﷻ[١].

الثالث: أنَّه أوثر في الاستفهام الإنكاري إيراد اسم الجلالة (الله) الذي يدل على الذات؛ لتهويل أمر شكهم، قال ابن عاشور: ((والمراد: إنكار وقوع الشك في أهم الصفات الإلهية، وهي صفة التفرد بالإلهية أي صفة الوحدانية))[٢]. كما أنَّ في إيثار اسم الجلالة (الله) تربية للمهابة والخشية في نفوسهم.

الرابع: أنَّ الرسل عليهم الصلاة السلام بعد هذا الإنكار البليغ عَقَّبوا بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنْكَر، ونبَّهوا على الوصف الذي يقتضي ألا يقع في الله شك ألبتة؛ وهو كونه ﷻ منشئ العالم وموجده[٣]، فقالوا: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ لأنَّ وجودهما دالٌّ على أنَّ لهما خالقًا حكيمًا، وذلك يؤيد إنكار وقوع الشك في وحدانية الله ﷻ ؛ ((لأنَّ انفراده بالخلق يقتضي انفراده باستحقاقه عبادة مخلوقاته))[٤]، وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وذلك احتجاجًا على شكِّ الكافرين، قال أبو الزبير: ((ومن المفهوم عن العرب أنَّ المستفهِم إذا قصد التقريع والتوبيخ أطال كلامه إدلاء بحجته وتعنيفًا لمن يخالفه))[٥].

وتخصيص السموات والأرض بالذكر لأنهما ((آيتان هائلتان بارزتان، فمجرد الإشارة إليهما يكفي، ويردُّ الشارد إلى الرشد سريعًا، ولم يزيدوا على الإشارة شيئًا لأنها وحدها تكفي))[٦].

---

(١) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٢٢١.

(٢) التحرير والتنوير: ١٩٨/١٣.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤١٤/٦.

(٤) التحرير والتنوير: ١٩٩/١٣.

(٥) ملاك التأويل: ٨٩٣/٢.

(٦) في ظلال القرآن: ٢٠٩٠/٤.

وبعد أنْ أنكر الرسل عليهم السلام على الكافرين شكَّهم فيما يدعوهم إليه وحاجُّوهم، رغَّبُوهم في الإيمان بتذكيرهم بلطف الله ﷻ بهم والإحسان إليهم فقالوا: Mيَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ ´ µ L.

وفُصِلت جملة Mيَدْعُوكُمْ L عما قبلها وهي جملة Mأَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ L؛ لاختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً؛ فجملة (يدعوكم) خبرية، والتي قبلها إنشائية، وليس في الفصل ما يوهم خلاف المقصود.

والتعبير بصيغة المضارع في قوله ﷻ: Mيَدْعُوكُمْ L تدل على التجدد والحدوث والاستمرار(١)، وفي ذلك بيان عِظَم فضل الله ﷻ على عباده فدعوته لهم مستمرة ولطفه ورحمته لا تنقطع عنهم. وإسناد الفعل إلى الله ﷻ ردٌّ لما يشعره مقال الكفرة: M | } L من التعريض بأنَّ الأنبياء يدعوهم من تلقاء أنفسهم لا من جهته تعالى، فأشاروا إلى أنَّ دعوهم بالوحي والأمر من الله ﷻ لا من تلقاء أنفسهم(٢)، وفي ذلك أيضًا تأدب مع الله ﷻ بنسبة الفضل له وحده.

وفي تعليل الدعوة بمغفرة الذنوب نكتة بلاغية؛ لأنَّ ((الدعوة أصلاً دعوة إلى الإيمان المؤدي إلى المغفرة، ولكنَّ السياق يجعل الدعوة مباشرة للمغفرة؛ لتتجلى نعمة الله ومنته، وعندئذٍ يبدو عجيبًا أنْ يُدعى قوم إلى المغفرة فيكون هذا تلقيهم للدعوة!))(٣). كما أنَّ في هذا التعليل إظهارًا لغنى الله ﷻ عن عبادة العباد، وأنَّ عبادهم لا تزيد في ملك الله شيئًا، وإنما نفعها عائد عليهم، وفي ذلك أيضًا ((الترغيب إلى الإجابة بوعد المغفرة، ومَدِّ أعمارهم إلى أجل مسمى، فإنَّه وعد المنحة مما يوجب الإجابة))(٤).

وبالرغم من وضوح الحق وظهور الحجة إلا أنَّ الكافرين تعصبوا لآبائهم ورددوا حجتهم القديمة الواهية، فقد ذَكَر الله ﷻ عنهم أنهم: M ¸ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ L ، فكذبوا الرسل لأنهم بشر مثلهم، وكانوا

(١) ينظر: الإيضاح: ٨٩ .
(٢) ينظر: حاشية القونوي: ٢٤/١١.
(٣) في ظلال القرآن: ٢٠٩٠/٤.
(٤) حاشية القونوي: ٢٤/١١.

يعتقدون أنَّ الرسل لابد أنْ يكونوا من جنس آخر أفضل من البشر وهم الملائكة، وأنَّ الله عز وجل لا يرسل بشرًا رسولاً، ولذلك قصروا الرسل على البشرية لإنكار أنْ يكونوا رسلاً، فقالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾. وقد تضمنت هذه الجملة ألوانًا من البلاغة:

الأول: أسلوب القصر، حيث قصروا الرسل على البشرية، وهو قصر موصوف على صفة قصر قلب، وجاء القصر عن طريق النفي والاستثناء الذي يكون للأمر الذي ينكره المخاطب ويشكُّ فيه[(١)]، مع أنَّ الرسل عليهم السلام لا ينكرون أنَّهم بشر؛ لأنَّ المعوَّل عليه هنا هو حال المتكلم واعتقاده في المخاطب، فما دام أنَّ الرسل يَدَّعون الرسالة والرسول لا يكون بشرًا؛ إذن فهم عند القوم ينكرون بشريتهم بناء على اعتقادهم[(٢)]، ولذلك جاء القصر عن طريق النفي والاستثناء؛ ((فقد روعي فيه حال المتكلم والمخاطب))[(٣)].

والثاني: استعمال أداة النفي (إنْ) في القصر مع (إلا)، وذلك يعطي قوة للنفي وتوكيدًا للمعنى المراد القصر عليه؛ لأنَّ (إنْ) آكد وأقوى من (ما) في النفي[(٤)]، ولذلك عبَّر القرآن الكريم عن شدة إنكار الكافرين لرسالة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتوكيد معنى بشريتهم باستعمال أداة النفي (إنْ) مع (إلا).

الثالث: توكيد معنى البشرية بقولهم ﴿مِّثْلُنَا﴾، أي: ((لا فضل بيننا وبينكم، ولا فضل لكم علينا فلم تُخَصُّون بالنبوة دوننا؟))[(٥)].

وقوله عز وجل: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[(٦)].

وقوله عز وجل: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: ((بحجَّة بَيِّنة))[(٧)].

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٣٢.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٣٣، والإيضاح: ١٢٨.

(٣) شرح مواهب الفتاح: ١/٤٦٤.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٨/١٧٢، ومعاني النحو: ١/٢٣٩.

(٥) الكشاف: ٥٤٦.

(٦) سبق الكلام فيما يشابه هذا النظم في سورة هود، ص ٩٠، فلتراجع في موضعها.

(٧) الكشاف: ٥٤٦.

وعَبَّروا بالسلطان لأنهم أرادوا من الرسل عليهم السلام حجة وآية تتمكن منهم وتقهرهم؛ لأنَّ ((السلاطة: التمكن من القهر))(١)، وإنما طلبوا ذلك تعنتًا ولجاجًا وتعجيزًا(٢)؛ لأنَّ الرسل قد جاءتهم بالبينات والحجج الواضحات فلا مجال للشك والتردد، وهذا يدل على استكبارهم وعنادهم وأنهم أرادوا أنْ يُرُوا من وراءهم أنَّ ذلك ليس من جنس ما يُطلق عليه السلطان المبين(٣).

❁ ❁ ❁

قوله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2
3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L [إبراهيم:١١].

هذا ما رَدَّ به الرسل عليهم الصلاة والسلام على الكافرين، وما احتَجُّوا به من نفي الرسالة عن البشر. فقوله ﷻ: M ! " # L فُصِل عما قبله للاستئناف البياني، وتقديمُ الجار والمجرور M " L على الفاعل M # L للتخصيص(٤)؛ لأنَّ هذه المقالة خاصة بقومهم قالوها لهم ردًّا عليهم، ويدل ذلك ((على توجه الرسل إلى قومهم بالجواب؛ لما في الجواب عن كلامهم من الدِّقَّة المحتاجة إلى الاهتمام بالجواب بالإقبال عليهم؛ إذ اللام الداخلة بعد فعل القول في نحو: "أقول لك"، لام تعليل، أي: "أقول قولي لأجلك"))(٥).

وفي قوله ﷻ على لسان الرسل: M $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L قَصَر الرسل عليهم الصلاة والسلام أنفسهم على البشرية عن طريق النفي والاستثناء الذي يكون للأمر ينكره المخاطب، ولكنْ في حقيقة الأمر أنَّ الكافرين لا ينكرون بشريَّتهم بل إنهم يحتجُّون بذلك على نفي الرسالة عنهم، إذن لماذا وَرَدَ القصر؟ لقد أجاب الخطيب القزويني عن ذلك فقال: ((وأما قوله تعالى حكاية عن الرسل: M $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L فمن مجاراة الخصم للتبكيت والإلزام والإفحام؛

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٤٤.
(٢) ينظر: الكشاف ٥٤٧، وحاشية القونوي: ٢٩/١١.
(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٣٧/٥.
(٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ٣٧/٥.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٠٢/١٣.

فإنَّ من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه؛ أنْ يعيد كلامه على وجهه، كما إذا قال لك من يناظرك: "أنت من شأنك كيت وكيت". فتقول: "نعم أنا من شأني كيت وكيت، ولكنْ لا يلزمني من أجل ذلك ما ظننت أنَّه يلزم". فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا: إنَّ ما قلتم من أنَّا بشر مثلكم هو كما قلتم لا ننكره، ولكن ذلك لا يمنع أنْ يكون الله تعالى قد مَنَّ علينا بالرسالة))(١).

فالرسل عليهم الصلاة والسلام سلَّموا لهم بمقدمتهم التي رتَّبوا عليها نفي الرسالة عنهم، ثم نقضوها بعد التسليم بها، وأكَّدوا أنَّه لا منافاة بين البشرية والرسالة، يقول ابن عاشور عن أسلوب مجاراة الخصم: ((وفيه إطماع في الموافقة، ثم كرٌّ على استدلالهم المقصود بالإبطال لتبيين خطئهم... وهذا النوع من القوادح في علم الجدل شديد الوقع على المناظر))(٢)، وفي ذلك دليل على قوة حجة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وتبكيتِهم للكافرين، وإفحامِهم بإبطال حجتهم.

ونلاحظ أنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام قد سلكوا في ردِّهم على الكافرين أرقى أساليب الحوار والإنصاف؛ وذلك لأنَّهم ((لم يُسَلِّموا لهم مقدمتهم بمعناها وفحواها فحسب، وإنما بألفاظها، وأنغامها وتراكيبها، كما نطق بها الخصم، وكما دار بها لسانه من غير أدنى تغيير، وفي هذا ما يؤنس نفوسهم ويستميلها نحو سماع الحجة))(٣)، وهذا من كمال أدبهم وسموِّ أخلاقهم عليهم الصلاة والسلام.

وفي قوله ﷻ على لسان الرسل عليهم الصلاة السلام: M (* + , - . / 0 L استدراك أفاده الحرف (لكنَّ) فأضاف إلى الكلام قدرًا من المفاجأة، فبعد أنْ توهم الكافرون موافقة الرسل عليهم الصلاة والسلام لهم؛ فوجئوا بعكس ذلك بإبطال ما توهموه من كون المماثلة في البشرية تمنع من اختصاص بعض البشر بالنبوة، وذلك بسبب الاستدراك الذي أفادته M (L .

(١) الإيضاح: ١٢٨، وينظر: دلائل الإعجاز: ٣٣٣.

(٢) التحرير والتنوير: ١٣/٢٠١.

(٣) دلالات التراكيب: ١٢١.

وأما (المنَّة) الواردة في قوله ﷻ على لسان الرسل: M + , - . L، فقد قال الراغب عنها وعن أمثالها: ((المنَّة: النعمة الثقيلة، ويقال ذلك على وجهين؛ أحدهما: أنْ يكون ذلك بالفعل، فيقال: "مَنَّ فلان على فلان" إذا أثقله بالنعمة...، وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى))(١)، ولما كانت النبوة نعمة عظيمة يخص الله ﷻ بها من يشاء من عباده جاء التعبير عنها بـ(المنَّة).

ومجيء الفعل M + L على صيغة الفعل المضارع تدل على استمرار فضل الله ﷻ على رسله وتجدد نعمه عليهم، وقولهم: M , - . / 0 L ولم يقولوا: (علينا) يفيد هذا التعبير أنَّ النبوة مِنَّة ومنحة وعطية من الله ﷻ يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية يوجبه، وهذا القول منهم عليهم الصلاة والسلام يدل على كمال تواضعهم، وهضمهم لأنفسهم، ونسبتهم الفضل لله ﷻ وحده(٢).

ثم قال الرسل كما حكى القرآن عنهم: M 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; L، إذ أرادوا بعد أنْ نسبوا نعمة النبوة والرسالة إلى مَنِّ الله ﷻ وتفضله عليهم أنْ يتبرؤوا من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته، فالله ﷻ هو الذي يؤيدهم بالآيات من عنده؛ ليظهر صدقهم ويكبت عدوهم، وليس ذلك من عند أنفسهم، فقصروا الإتيان بالآيات والحجج على الله ﷻ قصر صفة على موصوف، وعَبَّروا عن ذلك عن طريق النفي والاستثناء؛ لمناسبة ذلك التعبير لحالهم المنكرة.

ثم فوضوا أمرهم إلى الله ﷻ فقالوا: M < = > ? L، وفي هذه الجملة عدة وقفات بلاغية:

الأولى: تقديم الجار والمجرور M < = L على الفعل M > L ، وهذا يفيد قصر التوكل على الله ﷻ(٣)، فمعناه: توكلوا على الله لا على غيره، وفيه دلالة على كمال توكّل

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٤٧٧.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥/٣٧.

(٣) ينظر:تلخيص المفتاح: ٩١.

الرسل عليهم الصلاة والسلام على الله ﷻ، ((وأنهم لا يرجون نصرًا من غير الله تعالى لضعفهم وقلة ناصرهم، وفيه إيماء إلى أنَّهم واثقون بنصر الله))(١).

الثانية: أنَّ في الجملة إيجاز حذف، يقول ابن عاشور: ((والفاء في قوله: M > ? L رابطة لجملة (فليتوكل المؤمنون) بما أفاده تقديم المجرور من معنى الشرط الذي يدل عليه المقام، والتقدير: إنْ عجبتم من قلة اكتراثنا بتكذيبكم أيها الكافرون، وإنْ خشيتم هؤلاء المكذبين أيها المؤمنون؛ فليتوكل المؤمنون على الله فإنهم لن يضيرهم عدوهم))(٢).

الثالثة: أنَّ جملة M > = > ? L جملة تذييلية، فيها تهييج وإلهاب وحث للمؤمنين على التوكل.

الرابعة: أنَّ في تعميم الأمر على المؤمنين في قولهم: M > ? L إشعارًا بالإيمان الذي يوجب التوكل، وقصدوا به أنفسهم قصدًا أوليًّا(٣).

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M A B C D E F G H I K L M N P Q R S T L [إبراهيم:١٢].

دلَّ النظم في هذه الآية الكريمة على عزم الرسل عليهم الصلاة والسلام، وتصميمهم على الصبر على ما يلاقونه من أذى الكفار وتكذيبهم، والثبات في الدعوة إلى الله ﷻ وإقامة دينه ونصره، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: الاستفهام الإنكاري الذي يحمل معنى التوبيخ والتعجب(٤)، في قوله ﷻ: M A B C D E F L وهو موجه للكافرين؛ لما ((هو معروف من استحقاق الكفار إياهم

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٠٣/١٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠٣/١٣.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٢٥٤/١٣.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١٠٥٠، وحاشية القونوي: ٣١/١١.

في توكلهم على الله، فجاؤوا بإنكار نفي التوكل على الله))(١)، قال القونوي: ((أي لا عذر لنا في ترك التوكل؛ فإنَّه واجب مع التذلل))(٢).

ثانيًا: إظهار لفظ الجلالة (الله) في موضع الإضمار، وذلك ((لإظهار النشاط بالتوكل عليه، والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى))(٣)، واستثارة المهابة والخشية في نفوس المنكَر عليهم.

والجملة الحالية: M G H I L تدل على كمال أدب الرسل عليهم الصلاة والسلام، واعترافهم بفضل الله ﷻ عليهم؛ بالتأكيد على نسبة الهداية إليه وحده، كما أنَّ فيها تعريضًا بالمخاطبين الكافرين؛ إذ لم يهتدوا، ولم يسلكوا سبيل الناجين المهتدين.

ثالثًا: التأكيد بالقسم ونون التوكيد الثقيلة في قوله: M K L لإظهار كمال العزيمة على الصبر؛ وذلك لأنَّ أذى الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل فأكَّدوا صبرهم بالقسم والنون(٤).

رابعًا: استعمال صيغة المضارع الدالة على المستقبل (لنصبرن)، وصيغة الماضي (آذيتمونا) في قوله ﷻ حكاية عن الرسل: M K L M N L يدل على مدى ما تعرض له الرسل عليهم الصلاة والسلام من الأذى المستمر، وأنَّه أذى متنوع وله صنوف عديدة، وأنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام صابرون مصابرون لا يكترثون بما يتعرضون له ولا يثنيهم ذلك عن القيام بواجب الدعوة إلى الله، قال ابن عاشور: ((فصيغة الاستقبال المستفادة من المضارع المؤكَّد بنون التوكيد في قوله: M K L دلت على أذى مستقبل، ودلت صيغة المضي المنتزع منها المصدر في قوله: MM N L على أذى مضى، فحصل من ذلك معنى: نصبر على أذى متوقع كما صبرنا على أذى مضى، وهذا إيجاز بديع))(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: ١٣/٢٠٤.

(٢) حاشية القونوي: ١١/٣١.

(٣) تفسير أبي السعود: ٥/٣٨.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥/٣٨.

(٥) التحرير والتنوير: ١٣/٢٠٤.

خامسًا: تكرار الأمر بالتوكل على الله عز وجل في قوله: M P Q R S L للتأكيد على هذا الأمر، والاهتمام به(١)، وترسيخه في نفوسهم ونفوس أتباعهم، فإنَّ التوكل الأول في قوله تعالى: M > = < ? L أمر باستحداث التوكل، وفي الثاني M P Q R S L أمر في السعي في إبقائه وإدامته والثبات عليه(٢)، وذلك نوع من الترقي. وفي ذِكْر M ? L أولاً ثم M S L ثانيًا؛ مراعاة لسبق الزمن والإيجاد فالاتصاف بالإيمان سابق على الاتصاف بالتوكل(٣)، وكذلك للسبق في العلة والسبب(٤) فالإيمان بالله سبب للتوكل عليه عز وجل.

❁ ❁ ❁

قوله عز وجل: M U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f L [إبراهيم:١٣].

لما أعلن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم على الله وعزمهم على الصبر والثبات في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل لجأ الكافرون إلى التهديد والوعيد ليثنوا الرسل عليهم الصلاة والسلام عما هم عازمون عليه وليصدوهم عن الدعوة إلى الله عز وجل.

فقوله عز وجل: M U V W L وُصِلَت الجملة بما قبلها بـ(الواو)، ويدل ذلك على أنَّ هذا القول صدر منهم بعد مدة وليس متصلاً بالحوار الذي سبقه.

وقد دلت الآية في نظمها وما نقلت عنهم من تهديد للرسل عليهم السلام على مبلغ كفرهم ومدى تعديهم وظلمهم، نأخذ ذلك مما يلي:

---

(١)ينظر: المثل السائر: ٢/١٤٧.

(٢) ينظر: الكشاف: ٥٤٧، والتفسير الكبير: ١٩/٩٩ .

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥/٣٨.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٧٧٩.

أولاً: التعبير بالموصول في قوله ﷻ: M V W L مع وصفهم بالكفر والإظهار في مقام الإضمار كل ذلك للتسجيل عليهم وللتأكيد على اتصافهم بالكفر وتماديهم فيه حتى صار الخصلة التي يعرفون بها(١).

ثانيًا: التقييد بالجار والمجرور في قوله ﷻ: M X L الذي يفيد أنَّهم هددوهم مباشرة، ووجهوا لهم الخطاب علانية، وفي ذلك تشنيع عليهم، وإنباء بسوء أدبهم واستكبارهم.

ثالثًا: تأكيد التهديد بالقسم ونون التوكيد الثقيلة في قوله: M Y L يدل على ضراوتهم في الشر(٢)، وعزمهم على تنفيذ ما هددوا به.

رابعًا: التقييد بالجار والمجرور في قوله: M Z] L فيه دلالة على مدى ظلمهم وهضمهم لحقوق الرسل عليهم الصلاة والسلام وكأنَّ الأرض لهم ولا حق للرسل فيها، فهم يخرجون من يريدون ويبقون من يريدون.

خامسًا: التأكيد بالقسم ونون التوكيد الثقيلة في قوله: M \ [L لتأكيد إصرارهم على التحول إلى ملتهم، فهؤلاء الكفار لم يكتفوا بتكذيب الرسل عليهم السلام بل أمروهم أنْ يتركوا دينهم وما هم عليه من الحق ويتحولوا إلى ما هم عليه من الكفر، وفي ذلك غاية الكبر والغطرسة.

والمراد من العود هنا الصيرورة أي: لتصيرنَّ في ملتنا، قال الزمخشري: ((إنْ قلت: كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها ؟ قلت: معاذ الله، ويكون العود بمعنى: الصيرورة، وهو كثير في كلام العرب"(٣). كما أنَّ الفعل (تعودنَّ) يوحي بأنَّ الكفار يعتقدون أنَّ ملتهم هي الأصل، وأنَّه يجب على كل من خالفها أنْ يعود إليها، وهذا ينبئ عن انتكاس فطرتهم.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/٢٠٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/٢٠٦.

(٣) الكشاف: ٥٤٧.

وإذا نظرنا إلى الفعلين M Y L و M [L المؤكدين بالقسم والنون التوكيد الثقيلة التي تحدث جرسًا وضغطًا عند النطق بها نجد تصويرًا للغضب والتهديد اللذين يسودان في هذا الموقف، بالإضافة إلى أنَّ توالي اللام والنون خاصة يحدث إيقاعًا خاصًّا يتناسب مع قوة المعنى(١)، وفي ذلك ما يدل على دقة اختيار صيغة المفردات في القرآن بحيث يكون إيقاعها منسجمًا مع دلالة الجملة وقوتها.

وقد دل حرف الجر (في) على تضمين الفعل (لتعودنَّ) معنى (لتدخلن) أو (لتصيرن)، وهذا من الإيجاز(٢). كما أنَّ حرف الجر (في) في هذا الموضع أبلغ من (إلى)؛ لأنَّه يدل على الاستقرار والتمكن من التلبس بالشيء المتروك فكأنَّه عاد إليه، ويفيد ذلك أنَّ الكفار لم يرضوا من الرسل عليهم الصلاة والسلام بأنْ يتظاهروا أنَّهم من أهل ملتهم بل أرادوا منهم أنْ يصيروا إليها حقيقة(٣).

وفي قول الكافرين (مِلَّتِنا) ادعاء وافتراء حيث سموا ما هم عليه ملَّة، والملة كما يقول الراغب: ((كالدِّين، وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتواصلوا به إلى جوار الله، والفرق بينها وبين الدين أنَّ الملة لا تضاف إلا إلى النبي عليه السلام الذي تسند إليه... ولا تستعمل إلا في حملة الشرائع دون آحادها))(٤)، فتسمية دينهم ملَّة فيه تلبيس وتضليل، وكأنَّهم أهل شريعة مُتَّبَعة لها أصل معروف. وفي إضافة ضمير المتكلمين إلى الملَّة إشعارٌ باعتزازهم بهذه الملَّة وتعظيمهم لها، كما أنَّ في ذلك نسبةً للملة إليهم، وهذا يدل على مدى ضلالهم، وإعجابهم بأنفسهم، وتزيين الشيطان لهم سوء أعمالهم.

وفي قوله عز وجل: M a b c d e L عُطِفت هذه الجملة على ما قبلها بـ(الفاء) التي تدل على التسبيب والتعقيب(٥)، تفريعًا على ما يقتضيه تهديد الكافرين، ولتفيد سرعة نزول البشارة بالنصر للرسل عليهم الصلاة والسلام تثبيتًا لقلوبهم وطمأنة لهم.

---

(١) ينظر: الإعجاز القصصي في القرآن الكريم: ٢٦٩.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٨٣٦.

(٣) ينظر: روح المعاني: ١٣/ ٢٥٦، والتحرير والتنوير:١٣/ ٢٠٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٤٧٦.

(٥) ينظر: المقتضب: ١٤٨/١.

وقُدِّم الجار والمجرور في قوله: L b M على الفاعل للاهتمام بالموحى إليه؛ حيث إنَّ من طبيعة المهدد الذي يواجه خطرًا أنْ تتطلع نفسه إلى من ينصره ويؤيده.

وإيثار التعبير بالربوبية في قوله: L c M لما يحمله اسم (الرب) من معاني الملك والتدبير والعظمة، ومن عظمة ملكه وتدبيره أنْ يُهلِك أعداءه وينصر أولياءه. وذكر الربوبية في مقام النصرة والتأييد والحفظ هو الأنسب والأبلغ. وإضافة الضمير العائد على الرسل عليهم الصلاة والسلام إشارة إلى عنايته بهم، ورعايته لهم، وأنَّه عز وجل كافيهم وحافظهم.

وفي قوله عز وجل: L e d M تأكيد للوعيد عن طريق اللام، ونون التوكيد الثقيلة مع اتصال الفعل بنون العظمة، ولذلك أثره على الرسل عليهم الصلاة والسلام وعلى الكافرين؛ أما الرسل فيزيدهم ثقة ويقينًا بنصر الله عز وجل، وأما الكافرون ففيه وعيد شديد لهم؛ لتأكد تحقق الإهلاك ووقوعه بهم، وأنَّه سيكون إهلاكًا عظيمًا. وفي وصفهم بالظلم تسجيل عليهم، وبيان لسبب إهلاكهم، وتعريض لمن يتصف بوصفهم.

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل: L r q p o n m l k j i h g M [إبراهيم:١٤].

فيه تأكيد الفعل باللام ونون التوكيد الثقيلة؛ لتأكيد وقوعه وتحقق نصرهم على الكافرين، وضمير المخاطبين يدل على تشريفهم بالخطاب(١).

ودلت L i M التي تفيد الابتداء(٢)، أنَّ إسكانهم الأرض سيكون ابتداء بزمن إهلاك الظالمين، وفي ذلك أيضًا تأكيد لتحقق النصر وقربه وهذا مناسب لمقام التأييد.

والذي يظهر أنَّ القَسَم في قوله عز وجل: L e d M، وفي قوله عز وجل: L h g [مقابلة لقَسَم الكافرين، وعقوبة لهم على قولهم للرسل عليهم الصلاة والسلام: L [Z Y M، ((وفي ذلك دلالة على مزيد شناعة ما أتوا به،

(١) ينظر: البحر المحيط: ٤١٧/٦.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٦٠٨/١، ومعاني النحو: ٦٥/٣.

حيث إنهم لما أرادوا إخراج المخاطبين من ديارهم جعل عقوبتهم إخراجهم من دار الدنيا وتوريث أولئك أرضهم وديارهم))(١).

وقوله ﷻ: M l m n o p q L المقصود باسم الإشارة هنا الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم، وعبَّر باسم الإشارة (ذلك) الدال على البعد لتعظيم هذا الوعد من الله ﷻ، وفي استخدام اسم الإشارة دلالة على تحقق ذلك الوعد من الله ﷻ وثبوته(٢)، حتى لكأنَّه أمر محسوس يشار إليه، ثم إنَّ الإشارة تميِّز المشار إليه تمييزًا واضحًا وتمنح الحكم عليه مزيدًا من القوة والتقرير(٣)، فالوعد بإهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم لما أشير إليه جاء الحكم عليه بأنَّه لمن خاف مقام الله ووعيده على قدر كبير من القوة والتقرير والتحديد.

وقوله ﷻ: M n o L قيل: المراد بالمقام: موقف الحساب(٤)، ((فالمقام اسم مكان وإضافته إلى ضميره تعالى لكونه بين يديه))(٥)، وفي ذلك مبالغة؛ لأنَّ العبد إذا كان يخاف مجرد الوقوف بين يدي الله ﷻ دلَّ ذلك على شدة خوفه منه، وقيل: المعنى: خاف قيامي عليه بالحفظ لأعماله ومراقبتي إيَّاه(٦).

وكُرِّرَ فعل (خاف) في قوله ﷻ: M p q L للتأكيد على معنى الخوف من الله ﷻ وترسيخه في النفوس، وفي ذلك أيضًا ثناء على الرسل عليهم السلام ببيان شدة خوفهم من الله ﷻ، مع ما في ذلك من تعريض للكافرين بأنهم لا يخافون وعيد الله ﷻ(٧).

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M s t u v w x L [إبراهيم:١٥].

(١) روح المعاني: ١٣/٢٥٦.
(٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥/٣٨.
(٣) ينظر: تلخيص المفتاح بشرح البرقوقي: ٦١، وخصائص التراكيب: ٢٣٦.
(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/ ٦١٤، والكشاف: ٥٤٧.
(٥) روح المعاني: ١٣/٢٥٦.
(٦) ينظر: الكشاف: ٥٤٧.
(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/٢٠٨.

L s M أي أنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام استنصروا الله عز وجل على أقوامهم[1]، وقيل: إنَّ المعنى ((استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم، من الفتاحة وهي الحكومة))[2]، وعلى هذين المعنيين يكون وعد الله عز وجل للرسل بإهلاك الظالمين قد سبق دعاءهم؛ وذلك يشعر بقربه عز وجل من أوليائه إلى درجة تحقق سؤلهم ورغبتهم ودعائهم قبل أنْ يحصل منهم، ويدل كذلك على أنَّ العبد ينبغي عليه أنْ يبذل الأسباب التي يستطيعها لطلب النصر، وأعظم أسباب النصر هو الدعاء. وعلى هذا أيضًا يكون في الآية حذف ((بحذف الفاء الفصيحة والمعطوف عليه، أي: استفتحوا ففتح لهم، وظفروا بما سألوه، وأفلحوا، وخاب كل جبار عنيد))[3].

وقيل: إنَّ المعنى ((استفتح الكفار على الرسل ظنًّا منهم أنَّهم على الحق والرسل على الباطل، وخاب كل جبار عنيد منهم، و لم يفلح باستفتاحه))[4]، وهذا يدل على مبلغ كفرهم؛ لأنهم ((لما قوي تكذيبهم وأذاهم و لم يعاجلوا بالعقوبة؛ ظنُّوا أنَّ ما جاؤوا به باطل، فاستفتحوا على سبيل التهكم والاستهزاء))[5]، وهذا المعنى يفيد عظم خيبتهم وخسارتهم بحصول عكس مقصودهم ومطلوبهم باستفتاحهم.

والخيبة بمعنى مطلق الحرمان، وفي إسناد الخيبة إلى كلٍّ منهم ما لا يخفى من المبالغة في حصول الخيبة لعمومهم[6]. قال الراغب: ((والجبار في صفة الإنسان يقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقها، وهذا لا يقال إلا على طريق الذم))[7]. والعنيد المعجب بما عنده، والذي يعاند ويخالف[8]. ووصفهم بالتجبر والعناد لذمهم والتسجيل عليهم

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٦١٤، والكشاف: ٥٤٧.
(٢) الكشاف: ٥٤٧.
(٣) روح المعاني: ١٣/٢٥٧.
(٤) الكشاف: ٥٤٧، وينظر: تفسير الطبري: ١٣/ ٦١٧.
(٥) البحر المحيط: ٥/٤٠١.
(٦) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥/٣٩.
(٧) المفردات في غريب القرآن: ٩٣.
(٨) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٥٣.

((ومقتضى الظاهر أنْ يقال: وخاب الذين كفروا، فعدل عنه إلى M u v w L؛ للتنبيه على أنَّ الذين كفروا كانوا جبابرة عنداء، وأنَّ كل جبار عنيد يخيب))(١).

ومناسبة الجمع بين هذين الوصفين (الجبار والعنيد) أنَّ (الجبار) ذم باعتبار الخلق النفساني، والعنيد باعتبار الأثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجانبًا منحرفًا عن الحق(٢). ومجيء الوصفين على صيغة (فَعَّال) و(فَعِيل) اللذين يدلان على المبالغة يفيد المبالغة في ذمهم.

ومن الجماليات في الآية "الجناس المضارع"(٣) بين (خاب) و(خاف) في الآية التي قبلها، وهو من المحسنات اللفظية.

❁　❁　❁

وقوله ﷻ: M y z { | } ~ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ L [إبراهيم:١٦].

بيانٌ لما ينتظر الجبارَ العنيدَ من العذاب في الآخرة بعد الهلاك والخيبة في الدنيا، وقد دل النظم الكريم على هول هذا العذاب وشدته من خلال ما يلي:

أولاً: التصريح بذِكْر (جهنم) في قوله ﷻ: M y z { L، وفي ذلك ما فيه من شدة التهديد والوعيد، والتعبير بالوراء "استعارة"؛ لأنَّ ((الوراء: مستعمل في معنى ما ينتظره ويحِلُّ به من بَعْد، فاستعير لذلك بجامع الغفلة عن الحصول، كالشيء الذي يكون من وراء المرء لا يشعر به لأنَّه لا يراه))(٤).

ثانيًا: الحذف الذي في الجملة؛ لأنَّ النفس تذهب فيه كل مذهب في تصوير الأهوال التي تتعلق بجهنم، فالفعل M | L معطوف على مقدر في الإجابة عن سؤال سائل، كأنَّه قيل: فماذا يكون إذن؟ فقيل: يلقى فيها ويسقى من ماء صديد(٥)، أو يساق إليها، أو يُدَعُّ إليها، ونحو ذلك من الأفعال التي تدل على الإذلال والإهانة، فالحذف يبعث الفكر وينشط

(١) التحرير والتنوير: ١٣/٢٠٩.
(٢) ينظر: روح المعاني: ١٣/٢٥٧.
(٣) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٧٠، والطراز: ٢/٣٦٦.
(٤) التحرير والتنوير: ١٣/٢١٠.
(٥) ينظر: الكشاف: ٥٤٨، وتفسير أبي السعود: ٥/٣٩.

الخيال، ويثير الانتباه؛ ليقع السامع على مراد الكلام، ويستنبط معناه من القرائن والأحوال، وخير الكلام ما يدفع إلى التفكير، ويستفز الحس والملكات[1].

ثالثًا: "الإيضاح بعد إبهام" في قوله ﷻ: M | { ~ صَكِدِيدٍ L، حيث ((قال: ويسقى من ماء، فأبهمه إبهامًا ثم بَيَّنَه بقوله: صديد))[2]، وفي إبهامه ثم إيضاحه بالصديد تهويلٌ لأمره واستبشاع له؛ لأنَّ ((الصديد: القيح والدم))[3]، وتخصيصه بالذكر من بين أنواع العذاب يدل على أنَّه من أشد أنواعه[4].

وعند ابن عاشور أنَّ ذلك من "التشبيه البليغ" حيث قال: ((وجَعْل الصديد ماء على التشبيه البليغ في الإسقاء، لأنَّ شأن الماء أنْ يسقي. والمعنى: ويسقى صديدًا عوض الماء إنْ طلب الإسقاء))[5].

وقد يكون المشبه هو (الماء المسقى) والمشبه به هو (الصديد)، والجامع هو خبث طعمه ولونه وريحه[6]، والغرض من التشبيه هنا هو بيان حال المشبه؛ لتهويل أمره واستبشاعه والتنفير منه.

وبناء الفعل M | L لما لم يسم فاعله؛ ليتوجَّه المخاطب لنفس الحدث، فإنَّ الغرض هنا هو بيان هول العذاب الذي يتعرض له الجبار العنيد في جهنم، وأنَّه يسقى من ماء صديد دون أنْ ينشغل المخاطب بمن فعل هذا الفعل، إذ ليس هناك كبير فائدة تتحقق من ذكره[7].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: خصائص التراكيب: ١٩٦.

(٢) الكشاف: ٥٤٨.

(٣) تفسير الطبري: ١٣/ ٦١٨.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥/٣٩، وروح المعاني: ١٣/٢٥٨.

(٥) التحرير والتنوير: ١٣/٢١١.

(٦) ينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس: ٣/٥٢٢، روح المعاني: ١٣/٢٥٩، وتفسير ابن سعدي: ٤٢٤.

(٧) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٧٧، وخصائص التراكيب: ٢١٣.

وقوله ﷻ: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾ [إبراهيم:١٧].

في هذه الآية استكمال لوصف أهوال العذاب الذي يعانيه الجبار العنيد في جهنم، وبيان لعظمته وشدته، دل على ذلك أمور:

الأول: استعمال صيغة (تَفَعَّل) في قوله ﷻ: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ تدل على التكلف والتكرار وطول المدة، قال أبو حيان: ((وتَجَرَّع: تَفَعَّل، ويحتمل هنا وجوهًا: أنْ يكون للمطاوعة، أي: جَرَّعَه فتجَرَّع، كقولك: "عَلَّمْتُه فتعَلَّم"، وأنْ يكون للتكلف، نحو: "تَحَلَّمْ"، وأنْ يكون لمواصلة العمل في مهلة، نحو: "تَفَهَّم"، أي: يأخذه شيئًا فشيئًا))(١)، وقال الراغب: ((جَرَعَ الماء يَجْرَعُ، وقيل: جَرَع وتَجَرَّعه إذا تكلف جرعه))(٢)، وهذا يدل على أنَّ المتجرع يعاني من جراء تجرعه لهذا الصديد ما لا يأتي عليه الوصف من تقزز وكراهية؛ لخبثه ونتنه ومرارته. والتعبير بالمضارع في قوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يدل على التجدد، وأنَّ هذا الأمر يتكرر عليه، فيَعْظُم بذلك العذاب.

الثاني: المبالغة في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ فإنَّ دخول (كاد) يفيد المبالغة ((يعني: ولا يقارب أنْ يسيغه، فكيف تكون الإساغة؟))(٣)، قال أبو حيان: ((والظاهر هنا انتفاء مقاربة إساغته إياه، وإذا انتفت انتفت الإساغة))(٤)، أي: لا يسيغه بل يغصُّ به، فيشربه بعد مشقة بالغة، جُرْعَة غِبَّ جرعة، فيطول عذابه بذلك(٥).

ثالثًا: "المجاز المرسل" في قوله ﷻ: ﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ والمراد: تأتيه أسباب الموت(٦)؛ حيث أُطلق المسَبَّب (الموت) وأريد السَّبب(١)، وقيل: إنَّه من باب حذف المضاف(٢)، وقد أفاد ذلك أمورًا:

---

(١) البحر المحيط: ٤١٩/٦، وينظر: حاشية الشهاب: ٢٥٩/٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٩٨.

(٣) الكشاف: ٥٤٨، وينظر: البحر المحيط: ٤١٩/٦.

(٤) البحر المحيط: ٤١٩/٦.

(٥) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ١٣٩/٤.

(٦) ينظر: الكشاف: ٥٤٨.

أ- المبالغة بجعل السبب هو الموت نفسه، فيُشعِر ذلك بقوة السبب حتى كأنَّه هو المسَبَّب(٣)؛ لما يعانيه من الشدائد وألوان العذاب ولو كان قد قُضِيَ عليه بالموت لمات منها.

ب- تشخيص الموت وكأنَّه يتحرك ويأتي؛ وذلك يبعث في النفس الهلع والخوف الشديد.

ج-"الإيجاز" بطي السبب والاكتفاء بالمسبَّب مع الوفاء بالمعنى(٤).

والتعبير بصيغة المضارع في قوله ﷻ : M**وَيَأۡتِيهِ** L أفاد تجدد العذاب والآلام، فهو في عذاب مستمر.

رابعًا: تقييد الفعل بقوله: M**مِن © مَكَانٖ** L يفيد إحاطة العذاب بهم وغشيانه إياهم، قال الزمخشري: ((كأنَّ أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات؛ تفظيعًا لما يصيبه من الآلام، وقيل من كل مكان من جسده))(٥).

خامسًا: التأكيد في قوله ﷻ : M**وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ** L بالجملة الاسمية و(الباء)؛ ((لأنَّه لا تخرج نفسه فيموت فيستريح، ولا يحيا؛ لتعلُّق نفسه بالحناجر، فلا ترجع إلى مكانها))(٦)، وإنما أُكِّد الخبر – والله أعلم – لغرابته؛ لأنَّه ﷻ قال قبل ذلك: M**وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن © مَكَانٖ** L فإتيان أسباب الموت وإحاطتها بأهل النار ثم عدم موتهم أمر مستغرَب، فناسب تأكيد الخبر، وكذلك في التأكيد تقرير للوعيد وبيان لشدته واستمراره، فلا يخفف عنهم العذاب ولا يموتون فيرتاحون.

---

(١) ينظر: الإيضاح: ٢٨٠.

(٢) ينظر: حاشية الشهاب: ٥/٢٦٠.

(٣) ينظر: من أسرار التعبير القرآني: ١٢٣.

(٤) ينظر: التصوير البياني: ٣٦٢.

(٥) الكشاف: ٥٤٨.

(٦) تفسير الطبري: ١٣/ ٦٢١.

سادسًا: "الاحتراس" وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾، قال الألوسي: ((وذِكْر هذه الجملة لدفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا))(١)، فالعذاب لا يخفف عنهم مهما طالت الأزمان.

سابعًا: التأكيد على هول العذاب، وعظمته، وشدته في قوله ﷻ: ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ودل على ذلك:

أ- تنكير لفظة ﴿عَذَابٌ﴾ وذلك يفيد التعظيم والتفخيم.

ب- وصف العذاب بأنَّه ﴿غَلِيظٌ﴾، ((ووصف العذاب بالغلظة كناية عن قوته واتصاله؛ لأنَّ الغلظة تستوجب القوة، وتستدعي أنْ يكون متصلاً تتصل به الأزمنة كلها، فلا انفصال بينها))(٢).

ج- مجيء الوصف على وزن (فَعِيل) الذي يفيد المبالغة.

د- تجسيم العذاب بوصفه بالغِلَظ، فينتقل العذاب من معنى مجرد إلى شيء ذي غِلَظٍ وسمك(٣)، قال الراغب عن (الغلظ): ((وأصله أنْ يستعمل في الأجسام، لكن قد يستعار للمعاني كالكبير والكثير))(٤)، والمعنى: ((عذاب بالغ في الشدة، ووصفه بما يوصف به المحسوس؛ ليفيد أنَّ هذا العذاب لضراوته كأنَّه شيء يُرى بالعين، ويلمس باليد، وهذا ضرب من ضروب البيان الكاشف الذي نرى به المعاني المعقولة تبرز في صور مشاهدة محسوسة))(٥).

وهنا تنتهي هذه القصة بتصوير حال هؤلاء الكفار وما ينتظرهم من العذاب الشديد الذي لا ينقطع في الآخرة بعد هلاكهم في الدنيا بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسل الله عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) روح المعاني: ١٣/٢٦٠.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤/١٣٨.

(٣) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ٨٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٣٦٦.

(٥) من أسرار التعبير القرآني: ٨٧.

المبحث الرابع

قصة صالح عليه السلام في سورة الحجر

قال الله ﷻ: M X W Z Y [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t L [الحجر: ٨٠-٨٤].

أولاً: الغرض العام للسورة:

تدور سورة الحجر حول موضوع إثبات تتريل القرآن الكريم من عند الله ﷻ على الرسول ﷺ، وأنَّه معجزة ظاهرة بيِّنة كافية لبيان صدق الرسول ﷺ ، وتهديد المكذبين به وترهيبهم بذكر قصص المكذبين قبلهم وما حلَّ بهم بسبب كفرهم بآيات الله ﷻ التي جاءتهم بها رسلهم، قال البقاعي: ((مقصودها وصف الكتاب بأنَّه في الذروة من الجمع للمعاني الموضحة للحق من غير اختلاف أصلاً، وأشكل ما في هذا المعنى قصة أصحاب الحجر؛ فإنَّ وضوح آيتهم عندهم وعند كل من شاهدها أو سمع بها كوضوح ما دلَّ عليه مقصود هذه السورة في أمر الكتاب عند جميع العرب لاسيما قريش، وأيضًا آيتهم في غاية الإيضاح للحق، والجمع لمعانيه الدائرة على التوحيد المقتضي للاجتماع على الداعي))(١).

ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها:

افتتحت سورة الحجر بالتنويه بشأن القرآن الكريم وإعجازه والتعريض بذلك عن طريق الحروف المقطعة، ثم تهديد الكافرين والإخبار عن ندمهم وتمنيهم لو كانوا مسلمين، وأنَّ الله ﷻ سيهلكهم كما أهلك من قبلهم في وقت معلوم مكتوب، وذكر ﷻ تعنت هؤلاء الكفار بطلبهم من النبي ﷺ أنْ يأتيهم بالملائكة، مع أنَّ الله ﷻ أنزل إليهم القرآن الكريم وهو آية كافية دالة على صدق الرسول ﷺ، فبيَّن ﷻ أنَّ الملائكة لا تتزل إلا بالحق على الرسل بالرسالة، وعلى الكافرين المنذَرِين بالهلاك والعذاب، فلو نزلوا لقضي الأمر وهلكوا، فقال ﷻ: M] ^ _ ` a b c d e f L [الحجر: ٨].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/١١، وينظر: من بلاغة القرآن: ٢٣٤.

ثم ردَّ الله ﷻ على استهزاء الكافرين في قـولهم: K M L N M O P Q R S L [الحجر: ٦] بأنَّه نزَّل القرآن الكريم وأنَّه سيحفظه من كيد الكافرين، فقال ﷻ : M g h i j k l m n L [الحجر: ٩].

ثم ذكر ﷻ أنَّ التكذيب والاستهزاء هو ديدن هؤلاء المجرمين، وأنهم لو جاءهم كـل آية عظيمة لم يؤمنوا من ظلمهم وعنادهم، فقال ﷻ : M وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم ´ µ ¶ ¸ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ L [الحجر:١٤-١٥].

ولما كان سبب كفر الكافرين بآيات الله ﷻ هو تمسكهم بآلهتهم الباطلة وتكذيبهم بالبعث؛ بيَّن الله ﷻ دلائل تفرده بالإلهية ثم أعقبها بدلائل إمكان البعث[1]، فذكر ﷻ السموات والأرض وما فيهما من آيات عظيمة، والتي منها إنزال المطر الذي هو سبب للإحياء في الجملة، فلما ذكر ﷻ إحياء الأرض بالغيث تهيأت النفوس للانتقال منه إلى الإحياء الحقيقي قياساً، فقال ﷻ : M e f g h i j k L [الحجر: ٢٣].

ولما ثبت بذلك قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى كان ذلك دليلاً على البعث، فقال ﷻ : M t u v w y z { | L [الحجر: ٢٥].

ولما كان ابتداء الخلق دليلاً على قدرة الله ﷻ على الإعادة فصَّل ﷻ في ابتداء الخلق الذي هو أدل دليل على البعث[2] وذلك بذكر قصة خلق آدم عليه السلام، ثم تكريم الله ﷻ لـه، وإهانة إبليس بسبب تكبره وعصيانه وتوعُّده ومن تبعه بجهنم، ثم ذكر عباده المخلصين وجزاءهم، وبعد أنْ هدد الكافرين وتوعَّدهم، ووعد المؤمنين ورغبهم قال ﷻ : M نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ L [الحجر: ٤٩ – ٥٠]، فلما وصف الله ﷻ نفسه بالغفور الرحيم وأنَّ عذابه هو العذاب الأليم؛ شرع في ذكر قصص الأمم الماضية تمثيلاً لنبأ الرحمة، وتمثيلاً لنبأ العذاب؛ ليزدجر المخاطبون[3]، وفي ذلك أيضًا تناسب مع مطلع السورة الذي جاء فيها الإنذار والتهديد في قولـه ﷻ : M 1 2 3

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٧/١٤.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٢/١١.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤٤٦/٥، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٦٥/١١.

H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 | 5 4

I J L [الحجر: ٣-٥]، فهذه نماذج من القرى المهلكة بعد النُّذُر حلَّ بها جزاؤها بعد انقضاء الأجل[١].

فجاءت قصة إبراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام أولاً لورود مجيء الملائكة فيها، وفي ذلك زجر للكافرين عن طلب الإتيان بالملائكة الذي في أول السورة[٢] في قوله ﷻ:

VUTM W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f L

[الحجر: ٧ – ٨].

ثم أتبعت قصتي إبراهيم ولوط عليهما السلام بقصة أصحاب الأيكة وأصحاب الحجر (قوم ثمود)، وقد جُمِعت قصص هؤلاء الأمم الثلاث: قوم لوط وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر – والله أعلم – لأمرين:

الأول: لتماثل حال العذاب الذي سُلِّط عليها وهو عذاب الصيحة والرجفة والصاعقة[٣].

الثاني: أنهم كانوا جميعًا في منطقة واحدة، وأمكنة متقاربة في شمال الجزيرة العربية.

وبعد أنْ ذكر الله ﷻ قصص المهلَكين عاد السياق بنا إلى ذكر القرآن الكريم والامتنان بإنزاله على النبي ﷺ، وتهديد الكافرين الذين كذبوا به، فقال ﷻ: M وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ´ µ L [الحجر: ٨٧]، وختمت السورة بتسلية النبي ﷺ بأنَّ الله كافيه المستهزئين، وأَمْره بالتسبيح والصلاة والعبادة حتى يأتيه الموت.

وفي ختم السورة بالحديث عن القرآن الكريم تناسب مع مطلعها الذي جاء فيه أيضًا ذِكْر القرآن الكريم[٤]، وهذا يؤكد أنَّ السورة تدور حول موضوع القرآن وحجيته وتهديد من لم يؤمن به.

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٤/٢١٤٦.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١١/٦٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/٧٢.

(٤) ينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ٥٢.

ثالثًا: المعنى العام للآيات:

يخبر الله عز وجل أنَّ أصحاب الحجر وهم قوم ثمود قد كذبوا صالحاً عليه السلام، بالرغم من أنَّ الله عز وجل آتاهم آياتٍ عظيمةً دالَّةً على صدق صالح عليه السلام وصحة ما جاء به، ومن ذلك آية الناقة، ولكنهم كانوا عنها معرضين، منشغلين بدنياهم، ينحتون من الجبال بيوتًا وهم آمنون من عذاب الله عز وجل، ولكن ذلك كله لم ينفعهم ولم يدفع عنهم العذاب، فقد أخذهم الصيحة وقت الصباح فأهلكتهم، ولم يغن عنهم ما كسبوا من الأموال والحصون في الجبال، ولا ما أُعْطوه من قوة وجاه.

رابعًا: بلاغة النظم في القصة:

قال الله عز وجل: M W X Y Z] [\ L [الحجر:٨٠].

يخبر الله عز وجل عن تكذيب قوم ثمود لصالح عليه السلام مؤكدًا هذا الخبر بلام القسم و(قد)، وفائدة التأكيد هنا هو الاهتمام بالخبر واستعظامه(١)، والإشارة إلى إنَّ هذا التكذيب منهم للمرسلين مما ينكر؛ فيحتاج إلى توكيد. وفي افتتاح القصة بالقسم والتأكيد تشويق للنفوس إلى متابعة أحداثها، والاستماع إلى وقائعها.

وفي تسميتهم بـ M Y Z L دون (قوم ثمود) تذكير لكفار قريش بقرب مكانهم منهم، فهم يمرون بديارهم ويرون آثارهم(٢)، وهذا أدعى لأنْ يعتبروا بما حَلَّ بهم.

وقال عز وجل: M] L مع أنَّهم إنما كذبوا صالحاً عليه السلام ؛ لأنَّ من كذب نبيًّا فقد كذب الأنبياء كلهم؛ لأنَّهم على دين واحد وجاءوا بدعوة واحدة. وفي التعبير بالجمع إشارة إلى شناعة تكذيبهم وضخامة جريمتهم، فهم كذبوا المرسلين كلهم وليس رسولاً واحدًا(٣).

(١) ينظر: خصائص التراكيب: ١٣٠.

(٢) ينظر: قصص القرآن الكريم: ٩٠.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١٠٧٨، وفي ظلال القرآن: ٤/١٩٠٠.

قوله ﷻ: M] ^ _ ` a b L [الحجر:٨١].

بيَّن الله ﷻ في هذه الآية أنَّه قد آتى قوم ثمود الآيات الدالة على صِدق صالح عليه السلام، وبيَّن حالهم معها. ووُصِلت الجملة بما قبلها لتناسبهما واشتراكهما في الحكم المعنوي وهو الإخبار عن أصحاب الحجر.

وقد دل النظم في هذه الآية الكريمة على عظمة الآيات التي آتاهم الله ﷻ وفخامتها، واستعظام موقفهم منها وإعراضهم عنها؛ فالتعبير بالفعل (آتينا) الذي هو بمعنى الإعطاء الدال على الإكرام والمنَّة(١)، مع إسناد الإيتاء إلى نون العظمة ثم ذِكْر الضمير العائد عليهم يدل على أنَّ الله ﷻ امتن عليهم بهذه الآيات العظيمة؛ لتكون سببًا في هدايتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، ولإقامة الحجة عليهم، فكان الواجب أنْ يشكروا الله ﷻ لا أنْ يكفروا ويعرضوا.

والتعبير بصيغة الجمع في قوله ﷻ: M ^ L يدل على أنَّها آيات متعددة وذلك قطعًا لعذرهم، وإضافة الآيات إلى نون العظمة يدل على أنها آيات عظيمة كافية لمن تدبرها طالبًا للحق.

ولكن هؤلاء القوم قابلوا هذا الإيتاء وهذه الآيات العظيمة بالإعراض، قال ﷻ مُشَنِّعًا عليهم: M _ ` a L، وقد دلَّ النظم في هذه الجملة على شنيع فعلهم، وشدة إعراضهم من خلال ما يلي:

أولاً: (الفاء) في قوله ﷻ: M _ L تدل على سرعة كفرهم ومبادرتهم إلى الإعراض عن الآيات.

ثانيًا: الفعل الناقص (كان) ومجيء خبرها M a L اسماً؛ إذ يدل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر في اسمها(٢)، و((الاتصاف بالحدث في الزمن الماضي على وجه الثبوت))(٣)، أي أنَّ القوم متَّصفين بصفة الإعراض عن آيات الله ﷻ على وجه الثبوت، فهم راسخون في الإعراض، وفي ذلك غاية الذم لهم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/٧٩.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١١/٨١، التحرير والتنوير: ١/ق ٢/ ٤٢٧.

(٣) معاني النحو: ١/١٩٤.

ثالثًا: تقديم الجار والمجرور M ` L على الخبر M a L؛ للاهتمام بشأن الآيات التي أعرضوا عنها واستعظام إعراضهم، كما أنَّ تقديم الجار والمجرور أليق بالسياق؛ لأنَّ الآية تتحدث عن الآيات التي آتاهم الله عز وجل فأصبحت نصب العين والتفت إليها الخاطر(١)، فناسب تقديم الجار والمجرور الذي هو الضمير العائد على الآيات، وأيضًا في تأخير الخبر تشويق إليه، ومراعاة للفاصلة القرآنية.

❁ ❁ ❁

قوله عز وجل: M c d e f g h i L [الحجر:٨٢].

يخبر عز وجل عن قوم ثمود أنهم كانوا من أَشَرِهم وبطرهم ينحتون من الجبال بيوتًا، مُغْتَرِّين بقوتهم وآمنين من نزول العذاب بهم.

ووُصِلَت الجملة بما قبلها لتناسبهما واشتراكهما في الحكم المعنوي، وهو الإخبار عن طغيان أصحاب الحجر. و(كان) هنا لما جاء خبرها M d L فعلاً مضارعًا دلَّ ذلك على ((الماضي المعتاد أو الدلالة على العادة في الماضي، أي كأنَّ الفاعل يعتاد الفعل))(٢) فهو ديدنه وعادته، والفعل هنا هو نحت البيوت في الجبال، ((والنحت نجر الشيء الصلب))(٣)، وهو يوحي بالتفنن، ويدل على مبلغ الترف الذي كان يعيش فيه أصحاب الحجر، وما أنعم الله عز وجل به عليهم من القوة.

وتقديم الجار والمجرور على المفعول في قوله عز وجل: M e f g L للاهتمام به؛ لكونه أمرًا عجيبًا يدل على قوتهم وما سخره الله عز وجل لهم.

وتقييد الجملة بالحال M h L يفيد تربية الفائدة(٤)، والفائدة هنا – والله أعلم – هو ذمُّهم باعتقادهم أنَّهم آمنون من عذاب الله عز وجل(٥)، فكان الأمر بعكس ما أمَّلوه،

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٢١٥.

(٢) معاني النحو: ١/١٩٥.

(٣) تفسير أبي السعود: ٣/٢٤٣.

(٤) ينظر: الإيضاح: ٩١.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٠٤.

ويحتمل أنْ يكون الذم من جهة أنَّهم كانوا في نعمة وأمن فلم يشكروا هذه النعمة بل كفروا بالله ﷻ ، وقد يكون ذمهم من جهة أنَّهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا ((من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشرًا وبطرًا وعبثًا، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوهم))(١).

۞　۞　۞

وقوله ﷻ: M j k l m L [الحجر:٨٣].

قوله ﷻ : M j L(٢).

وM k L: الصاعقة أو الصوت العظيم الهائل المفزع، سمعوه فماتوا جميعًا(٣).

والتقييد بالحال في قوله ﷻ: M l L يشعر بأنَّ العقوبة في هذا الوقت كانت عليهم أشد وقعًا وألمًا(٤)؛ لأنَّ ((الله يترل العذاب في هذا الزمان في الصباح المبكر، وفي أول خيوط النهار، ومع الإشراقة الوليدة الوئيدة وذلك قبل أنْ يتحرك المجرمون من أماكنهم ، وقبل أنْ ينتشروا ويتفرقوا في شؤوهم ومسالكهم، وحتى تأخذهم الصيحة جميعًا ولا تستثني منهم أحدًا! ولعلها لا تقع في الليل حتى يشاهدوا عذاب الله ويبصرونه واقعًا فيهم فيزداد وقعه عليهم، ويكون تعذيبًا فوق تعذيب))(٥).

وفي التقييد أيضًا تأكيد على صدق صالح عليه السلام فيما توعدهم به حينما قال لهم: M M N O P Q S T U V L [هود: ٦٥]، فترل العذاب بهم في صباح اليوم الرابع مصداقًا لقوله، فلم يتمتعوا إلا ثلاثة أيام فقط(٦).

۞　۞　۞

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/٥٤٥.

(٢) سبق الكلام فيما يشابه هذا التعبير في سورة الأعراف، آية (٧٨)، ص٧٦، فلتراجع في موضعها.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٨/ ٢٢، وروح المعاني: ١٤/ ٤٢٨.

(٤) ينظر: تفسير ابن سعدي: ٤٣٣.

(٥) بحوث في قصص القرآن: ٥٩.

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣/٤٤٢.

وقوله ﷻ: M n o p q r s t L [الحجر:٨٤].

يحتمل أنْ تكون (ما) نافية، وحينئذٍ يكون المعنى: لم يدفع عنهم ولم ينفعهم ما كانوا يكسبون من الأموال وبناء البيوت الوثيقة والعدد المتكاثرة[١]، ويحتمل أنْ تكون استفهامية، والمراد من الاستفهام النفيُ المشوبُ بالتعجب[٢].

وقوله ﷻ: M q r s L (ما) هنا موصولة بمعنى (الذي)[٣]، وهي تفيد العموم والشمول، أي كل شيء مما كسبوا لم ينفعهم. و(كَسَبَ) كما يقول ابن فارس: ((أصل صحيح يدل على ابتغاءٍ وطلبٍ وإصابة))[٤]، ويفيد ذلك أنهم كانوا حريصين على الدنيا وطلبها، وصيغة المضارع تدل على التجدد وتكرار ذلك منهم، فطلب الدنيا والحرص عليها هو ديدنهم وعادتهم ومبتغاهم.

والتعبير بالموصول والصلة هنا ((أبلغ من موقع لفظ (بيوتهم) مثلاً، ليدل على أنَّ الذي لم يغنِ عنهم شيئًا مُتَّخَذ للإغناء، ومن شأنه ذلك))[٥]، وفي ذلك ما فيه من التهكم بهم[٦].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٥/٤٥١، وتفسر ابن كثير: ٤/٥٤٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٥/٤٥١.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٥/٤٥١.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٥/١٧٩، مادة (كسب).

(٥) التحرير والتنوير: ١٤/٧٤.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥/٨٨.

المبحث الخامس

قصة صالح عليه السلام في سورة المؤمنون

قال الله ﷻ: M B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T V
W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l
m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَكُنتُمْ تُرَابًا
وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ © تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ´ µ ¶ ¸
إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ
نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ L [المؤمنون: ٣١-٤٢].

أولاً: الغرض العام للسورة:

ترتكز سورة المؤمنون على موضوع التوحيد والإيمان بالله ﷻ والدعوة إليه[١]، وذكر الآيات التي تحث عليه، وبيان صفات المؤمنين وجزائهم وفلاحهم[٢]، وبيان صفات ضدهم من الكافرين الذين لم يؤمنوا، وأسباب عدم إيمانهم، وإنكارهم للنبوة؛ لأنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام بشر مثلهم، مع إقامة الحجة عليهم[٣]، وذكر عاقبتهم في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها:

افتتحت سورة المؤمنون بالتأكيد على فلاح المؤمنين وذكر صفاتهم التي أهلتهم لهذا الفلاح، ثم بيَّن ﷻ جزاءهم فقال: M Z [\ ] ^ _ ` a b c
d L [المؤمنون: ١٠-١١]، ولما ذكر ﷻ الجنة المتضمن ذكرُها للبعث؛ استدل على القدرة عليه

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/٦.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/١٠٥.

(٣) ينظر: الموافقات: ٤/٢٧٠.

بابتداء خلق الإنسان ومراحله وأطواره[١]؛ للاعتبار بذلك والاستدلال به على تفرده ﷻ بالخلق وعظيم القدرة ومن ثم إبطال الشرك[٢].

وبعد أنْ ذَكَرَ ﷻ خلق الإنسان ودلالة ذلك على عظيم القدرة؛ أتبعه دليلاً آخر وهو خلق ما هو أكبر منهم من العوالم العلويَّة؛ لأنَّ أمرها أعجب[٣]، فقال ﷻ : M **وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾** L [المؤمنون: ١٧].

ولما ذَكَرَ ﷻ خلق السماء ذَكَرَ إنزال المطر منها؛ لأنَّ فيه دليلاً على القدرة على البعث، وفيه كذلك تذكير بهذه النعمة العظيمة وما نتج عنها من إنشاء أنواع الأشجار والثمار التي هي من أجل النعم التي يجب شكرها فالكلام اعتبار وامتنان.

ثم ذَكَرَ ﷻ مِنَّة أخرى تدلُّ على تفرده بالخلق وتمام القدرة وسعة العلم، وهي نعمة تسخير الأنعام وما يخرج منها من لبن، و ما يُؤكل منها من لحم، وما يُنتفع به منها من منافع كثيرة التي منها حمل الأثقال.

ولما ذَكَر ﷻ نعمة حمل الأثقال على الأنعام في البر، ذَكَر نعمة الحمل في البحر وتسخير الفلك، فقال ﷻ : M Y Z [\ ] L [المؤمنون: ٢٢] .

ولما ذكر الله ﷻ نعمه العظيمة على عباده وما امتن به عليهم؛ ذكر أنَّ كثيرًا من الأمم قد كفروا بهذه النعم، وجهلوا قدر المنعم، وعبدوا غيره، وكذبوا رسله، فكانت عاقبتهم الهلاك، وفي ذلك تهديد لكفار قريش وتخويف لهم بأنَّه سيحل بهم ما حل بالأمم السابقة إنْ أصروا على الكفر والتكذيب لرسول الله ﷺ [٤]، فَذُكِرت قصة نوح عليه السلام أولاً؛ لأنَّه أول رسول أرسله الله ﷻ إلى أهل الأرض ولأنَّ نجاته عليه السلام ومن آمن معه كانت في الفلك الذي امتن الله به على الخلق في الآية السابقة، فكان ذلك من حسن التخلص[٥].

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٦/٣٦٨، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/١١٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/٢١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/٢٦.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٦/٣٢٧، وتفسير المراغي: ١٨/١٨.

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/١٢٩، والتحرير والتنوير: ١٨/٤٠.

وبعد قصة نوح عليه السلام وردت قصة قوم ثمود[١] وأقوام آخرين؛ لبيان أنَّ من جاؤوا بعد قوم نوح لم يعتبروا بما حَلَّ بهم، فارتكبوا مثل أفعالهم وأقوالهم، ووافقوهم في تعليل كفرهم بالرسول وتكذيبه لكونه بشرًا[٢]، ولبيان أنَّ ((ما أصاب قوم نوح على تكذيبهم له لم يكن صدفة، ولكنَّه سنَّة الله في المكذبين لرسله؛ ولذلك لم يُعَيِّن القرن ولا القرون بأسمائهم))[٣].

ولما ذكر الله عز وجل قصص بعض الأنبياء عَقَّب ذلك بأنَّ دين الأنبياء واحد، ولكن الأمم الكافرة قد فرقت دينها شيعًا، فكل أمة فرحة بما تدين به كما هو حال كفار قريش.

ولما ذكر عز وجل فرح الكفار بما لديهم وظَنَّهم أنَّهم على خير ثم أبطل ذلك؛ ذكر صفات المؤمنين المخلصين الذين يسارعون في الخيرات وبيَّن عز وجل أنَّ ما كُلِّفوا به سهل يسير لا يخرج عن الوسع والطاقة، وأنَّ أعمالهم محفوظة لهم سيجازون عليها[٤].

ثم أردف ذلك بذكر بعض صفات المشركين وأعمالهم؛ من الغفلة، والطعن في القرآن، والاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وإيذاء المؤمنين، ثم ردَّ عليهم وبيَّن عز وجل أنَّ ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق ولكنهم عن الحق ناكبون وعما جاء به معرضون.

ثم إنَّ الله عز وجل لما ذكر إعراض الكفار عن سماع الأدلة ورؤية العبر، والتأمل في الحقائق؛ امتن على عباده بأنَّه قد أعطاهم السمع والأبصار والأفئدة ليستعملوها في التعرف على الله عز وجل وآياته الدالة عليه، فمن لم يُعمِل هذه الأعضاء في ما خلقه الله عز وجل وتدبَّر ما أودعه فيها من دلائل الوحدانية وكمال القدرة فهو كعادم هذه الأعضاء[٥].

ثم يعود السياق بنا إلى ذِكْر مقولة من مقولات المشركين وافقوا فيها من سبقهم من الأمم، وهي إنكار البعث واستبعاده والتكذيب بحصوله. فرد الله عز وجل عليهم وفنَّد شبههم وذكر الأدلة التي تؤكد وقوعه يوم القيامة وما يحدث في ذلك اليوم من انقطاع العلاقات،

(١) ينظر الخلاف في تحديد القوم المقصودين في القصة ص ٤٢.
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/١٣٦.
(٣) التحرير والتنوير: ١٨/٤٩.
(٤) ينظر: تفسير المراغي: ١٨/٣٥.
(٥) ينظر: البحر المحيط: ٦/٣٨٥.

ووزن الأعمال، ودخول الجنة والنار، وعذاب أهلها وتوبيخهم في ذلة وصغار، وندمهم على ما كان منهم من إنكار البعث.

ثم ختمت السورة بالتأكيد على خسارة الكافرين وعدم فلاحهم في قوله: M إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ L [المؤمنون: ١١٧]، وفي ذلك تناسب مع أول السورة الذي ذكر فيه فلاح المؤمنين في قوله عز وجل: M ! " # $ L [المؤمنون:١] [1].

وبعد هذا الاستعراض الموجز لموضوعات السورة وتناسبها؛ يظهر لنا مدى ارتباط القصة بها ارتباطًا وثيقًا فيما يتعلق بإنكار الكفار للرسالة والبعث وعاقبتهم في الدنيا والآخرة.

ثالثًا: المعنى العام للآيات:

يخبر الله عز وجل أنَّه أنشأ بعد قوم نوح عليه السلام قومًا آخرين – والراجح أنَّهم قوم ثمود كما مرَّ[2]– فأرسل فيهم رسولاً منهم يعرفونه ويعرفهم، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وأمرهم بالتقوى.

ولكن أشرافهم ووجهاءهم الذين كفروا وكذبوا بسبب طغيانهم وترفهم وتعلقهم بالدنيا لم يستجيبوا للرسول، وأخذوا يُحَذِّرون منه ويقولون لأتباعهم: إنَّه بشرٌ مثلكم يأكل كما تأكلون ويشرب كما تشربون، وأكدوا أنَّ طاعته خسارة، وأنكروا البعث بعد الموت واستبعدوه، واتهموا رسولهم بالافتراء والكذب على الله عز وجل وصرحوا بأنهم لن يؤمنوا به، وبعد هذا الكفر والعناد والاستكبار دعا رسولهم صالح عليه السلام عليهم وطلب النصر من الله عز وجل بسبب تكذيبهم، فاستجاب الله عز وجل له ووعده بأنَّ هؤلاء الكفار سيصبحون نادمين بعد زمن قريب، فلم يلبثوا إلا وقد أخذهم عذاب الصيحة، فهلكوا وأصبحوا كغثاء السيل الملقى في جنبات الوادي، وأتبعوا مع هذا العذاب البعد واللعنة والذم بسبب ظلمهم وكفرهم[3].

(١) ينظر: الكشاف: ٧١٧، ومراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ٥٦.

(٢) ينظر: ص ٤١.

(٣) ينظر: تفسير ابن سعدي: ٥٥٢.

رابعًا: بلاغة النظم في القصة:

قوله ﷻ: L H G F E D C BM [المؤمنون:٣١].

يخبر الله ﷻ أنّه لما أهلك قوم نوح الطَّيْكِلاً ونجّى نوحًا ومن آمن معه أنشأ بعدهم أمة أخرى. والعطف بـ(ثم) التي تفيد الترتيب مع التراخي أي بمهلة[١]، يدل على طول المدة بَيْن هلاك قوم نوح الطَّيْكِلاً وإنشاء هذه الأمة.

وقوله ﷻ : L C M ((الإنشاء: إيجاد الشيء وتربيته))[٢]، فالإيجاد يدل على أنَّ هذه الأمة أُحْدِثت بعد قوم نوح المهلكين وليست بقايا منهم[٣]، والتربية تدل على رعاية الله ﷻ لهم وعنايته بهم، وأنَّه قد منَّ على هذه الأمة بنعم عظيمة، ومن عناية الله ﷻ بهم أنْ أرسل إليهم رسولاً يدعوهم إلى التوحيد و يحذرهم من الشرك. والإسناد إلى نون العظمة يفيد أنَّ هذا الإنشاء كان إنشاءً عظيمًا.

و(القرن): ((القوم المقترنون في زمن واحد))[٤]، وذكر ابن منظور أنَّ من معاني (القرن): ((الأمَّة تأتي بعد الأمَّة))[٥]، وهذا المعنى مناسب هنا لأنَّ هؤلاء القوم أتوا بعد قوم نوح في الزمن.

وتقييد الجملة بالصفة في قوله ﷻ: L G M لتأكيد الإنشاء، وأنَّهم قوم أُحدِثوا بعد هلاك قوم نوح الطَّيْكِلاً.

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: L X W V T S R Q P O N M L K J I M [المؤمنون:٣٢].

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٣/٢٢٧، الجنى الداني في حروف المعاني: ٤٢٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٤٩٤.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/١٣٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٤٠٣، وينظر: لسان العرب: ١١/١٣٧.

(٥) لسان العرب: ١١/١٣٧.

لما أنشأ الله عز وجل القرن الآخر وقعوا في الشرك الذي وقع فيه قوم نوح عليه السلام قبلهم، فأرسل الله عز وجل إليهم صالحًا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويحذرهم من عاقبة شركهم.

وقد أفاد النظم في قوله عز وجل: L L K J I M عدة أمور تقتضي الإيمان بالرسول واتباعه والاستجابة لدعوته؛ فإسناد فعل الإرسال إلى ضمير العظمة، يدل على عظمة المرسِل وعظمة رسوله والرسالة التي جاء بها، وفي ذلك حثٌّ على الاستجابة للرسول. وتعدية الفعل بـ (في) في قوله عز وجل: L J M دون (إلى)، وجَعْلُ الأمة موضِعًا للإرسال؛ ((للإيذان من أول الأمر بأنَّ من أُرْسل إليهم لم يأتهم من غير مكانهم، بل إنما نشأ فيما بين أظهرهم))(١)، فهم يعرفونه تمام المعرفة، وهذا أدعى أنْ يستجيبوا لدعوته. كما أنَّ التعدية بـ (في) تدل على أنَّ الرسول قد ((عمَّهم بالإبلاغ كما يَعُمُّ المظروف الظرف، حتى لم يدع واحدًا منهم إلا أبلغ في أمره))(٢)، وفي ذلك مبالغة في قيام الحجة عليهم. وتنكير لفظة (رسول) في قوله عز وجل: L K M للدلالة على التعظيم، فهو عظيم لعظمة من أرسله، وعظيم لعظمة الرسالة التي يحملها، وعظيم لما يتمتع به من صفات دالة على الكمال البشري، ومَنْ هذه صفاته أحرى أنْ يُتَّبَع. والتقييد بالجار والمجرور L L M؛ ((لأنَّهم أفهم عن رجل منهم، وأعرف بحاله في صدقه وأمانته))(٣)، وعلمهم بشفقته عليهم ونصحه لهم، فيكون ذلك مدعاة لتصديقه واتباعه.

ولما ذكر الله عز وجل الرسول بيَّن مضمون الرسالة بقوله: L T S R Q P O N M M(٤).

وقوله عز وجل على لسان صالح عليه السلام: L W V M الهمزة للاستفهام الإنكاري، حيث ينكر عليهم صالح عليه السلام عدم تقواهم، وقلة خوفهم من الله عز وجل، ويستقبح ذلك منهم. و(الفاء) للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: أتعرفون أنَّه ما لكم من إله غير الله عز وجل فلا

---

(١) تفسير أبي السعود: ١٣٣/٦.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣٧/١٣.

(٣) الكشاف: ٣٦٨.

(٤) سبق الكلام عن بلاغة النظم فيما يشابه هذه الآية في سورة الأعراف آية رقم (٧٣)، ص ٥٦، فلتراجع في موضعها.

تتقون عذابه بسبب إشراككم به، فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه[1]، ومواجهتهم عن طريق الفعل المبدوء بالتاء يدل على قوة الإنكار وشدة التوبيخ[2]، وفيه تعريض بوعيدهم إن استمروا على ذلك[3].

وحُذِف مفعول M W L؛ لدلالة الحال عليه حيث يفهم من قوله ﷻ: M N OP Q R S T L، ولأنَّ المراد نفي أصل الفعل عنهم وتجريدهم من الاتصاف بالتقوى مطلقًا[4]؛ مبالغة في بعدهم عنها وانسلاخهم منها، كما أنَّ في الحذف نوعًا من الإيجاز ومراعاة للفاصلة.

۞ ۞ ۞

وقوله ﷻ: M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r L [المؤمنون:٣٣].

لما خشي كبراؤهم أنْ تؤثر دعوة صالح عليه السلام في عامتهم، أرادوا أنْ يَحُولوا دون تأثر نفوس قومهم بدعوته، وأنْ يصدوهم عن سبيل الله، وجعلوا ذلك أولى من أنْ يجابهوا صالحًا عليه السلام[5]؛ لضعف حجتهم وتهافتها، ولذلك قالوا مقالتهم.

ووُصِلت الجملة بما قبلها بـ(الواو) ولم تأت مفصولة على أسلوب الاستعمال في حكاية أقوال المحاورات؛ لأنَّ قولهم هذا لم يتصل بكلام صالح عليه السلام، ولم يكن ردًّا عليه؛ بل كان موجَّهًا إلى قومهم[6]، وهناك سبب آخر؛ وهو أنَّ كلام رسولهم لم يُحْكَ بصيغة قول؛ بل حُكِي بـ (أنْ) التفسيرية لما تضمنه معنى الإرسال في قوله ﷻ: M I J K L L[7].

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ٦/١٣٠.

(٢) ينظر: خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام: ٥٤٨.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/٢٠٢.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٥٥.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/٥١.

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢/ ١٠٣، وحاشية الشهاب: ٦/٣٢٧.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/٥١.

ومن أسباب الوصل كذلك أنَّه ((قُصد في الواو العطف على ما قاله، أي: اجتمع قوله الذي هو حق وقولهم الذي هو باطل، كأنَّه إخبار بتباين الحالين))[١].

وتقديم الجار والمجرور M t u L على الصفة M r s L لأنَّ في تأخيره إخلالاً بالمقصود، قال السكاكي: ((فَقُدِّم المجرور لعارض صَيَّره بالتقديم أولى، وهو أنَّه لو أُخِّر عن الوصف - وأنت تعلم أنَّ تمام الوصف بتمام ما يدخل في صلة الموصول، وتمامه: M b c d e L - لاحتمل أنْ يكون من صلة الدنيا واشتبه الأمر في القائلين به؛ أهم من قومه أم لا؟))[٢].

وقوله ﷻ: M] ^ _ ` a b c d e L وصف للملأ فيه غاية الذم لهم؛ لأنَّ التعبير بالموصول (الذين) يشعر بشهرتهم بهذه الأوصاف المشينة: الكفر والتكذيب والترف، وأنهم أصبحوا يُعْرفون بها[٣]. كما أنَّ في تعدد الأوصاف الواردة في صلة الموصول دلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم فيه[٤].

وإذا قلنا: إنَّ جملة M b c d e L حالية؛ فإنَّ الذم يكون أقوى؛ لإفادتها الإساءة إلى من أحسن إليهم[٥]، بدل أنْ يشكروه على نعمه العظيمة.

وفي وصف الملأ بالتكذيب بالآخرة والترف ((إيماء إلى أنهما الباعث على تكذيبهم رسولهم؛ لأنَّ تكذيبهم بلقاء الآخرة ينفي عنهم توقع المؤاخذة بعد الموت، وثروتهم ونعمتهم تغريهم بالكبر والصلف، إذ ألفوا أنْ يكونوا سادة لا تبعًا))[٦].

ولما وصف الله ﷻ الملأ بأوصاف الذم الدالة على شدة الكفر والتكذيب؛ ذكر قولهم عن صالح عليه السلام: Mf g h i j k l m n o p q L، وهي الشبهة التي ينكرون بها رسالته عليه السلام، وبها يصدون أتباعهم عن الإيمان به، وقد اشتمل تعبير القرآن

(١) البحر المحيط: ٦/٣٧٣.
(٢) مفتاح العلوم: ٢١٧، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٧٧١.
(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٠٠.
(٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ٦/١٣٣.
(٥) ينظر: حاشية الشهاب: ٦/٣٣٠، وحاشية القونوي: ١٣/١٦٩.
(٦) التحرير والتنوير: ١٨/٥٢.

الكريم عن قولهم وتكذيبهم لصالح (عليه السلام) على أساليب عدة تؤكد صفة البشرية له وتقويها؛ لأنَّهم يريدون بذلك نفي الرسالة عنه، فجاء النظم الكريم بما يلي:

أولاً: أسلوب القصر، حيث قصروا الرسول على البشرية، قصر موصوف على صفة، وجاء القصر عن طريق النفي والاستثناء الذي يكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه[١]؛ لأنَّهم أنزلوا قومهم إنْ هم صدَّقوا برسالة صالح (عليه السلام) منزلة من ينكر أنَّه بشر؛ لأنَّهم ينكرون أنْ يكون الرسول بشرًا.

الثاني: توكيد معنى البشرية بقولهم: M j L أي: في الصفات والأحوال فلا فرق بينكم وبينه ولا يفضل عليكم بشيء، ((وصفوه (عليه السلام) بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة))[٢]، وقالوا: M j L ولم يقولوا: (مثلنا) للمبالغة في تهوين أمره (عليه السلام)[٣]، وهذا يدل على مدى استكبارهم وتغطرسهم.

الثالث: الإشارة إلى صالح (عليه السلام) باسم الإشارة (هذا)، وذلك يفيد أمرين؛ الأول: تمييز المشار إليه أكمل تمييز لمزيد العناية بالحكم الواقع بعده[٤]. والثاني: تحقيره عند المخاطبين؛ كي لا يتقبلوا دعوته[٥].

الرابع: "الإطناب" في قولهم: M k l m n o p q L، وذلك لتقرير المماثلة والتأكيد عليها[٦]. وفُصِلت الجملة عما قبلها؛ لأنها تعليل لها، ودليل عندهم على بشرية رسولهم (عليه السلام)[٧].

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٣٢.

(٢) روح المعاني: ١٨/٣١٠.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٦/١٣٣.

(٤) ينظر: الإيضاح: ٤٤، وخصائص التراكيب: ٢٣٦.

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/١٣٨، والتحرير والتنوير: ١٨/٤٢.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود: ٦/١٣٣.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/٥٣.

الخامس: التعبير بالفعل المضارع في قولهم: L k M و L o M الذي يدل على التجدد والحدوث، أي أنَّ ذلك يتكرر منه ويدل على حاجته إليه، وفي ذلك مبالغة في التأكيد على وصفه بالبشرية.

السادس: التقييد بالجار والمجرور في قولهم: L n m l M و L q pM لتأكيد المثلية، ((وحُكْمٌ بالتساوي بينه وبينهم، وأنْ لا مزية له عليهم))(١) حتى فيما يأكله ويشربه.

وحذف المفعول في قوله ﷻ: L q pM من الإيجاز؛ لدلالة ما قبله عليه في قوله ﷻ: L n m M، ولمراعاة الفاصلة(٢).

۞ ۞ ۞

وقوله ﷻ حكاية لقول الكافرين: L z y x w v u t s M [المؤمنون:٣٤].

لما أراد الكبراء والسادة صدَّ قومهم عن اتباع صالح عليه السلام بالطعن في نبوته عن طريق شبهة بشريته، أوهموهم أنهم متى اتبعوا بشرًا مثلهم فإنهم سيبوؤون بالخسران المؤكد، فأكدوا الخبر بعدة مؤكدات؛ للتأثير على اتباعهم والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وهي: القسم الذي دلت عليه اللام في قولهم: L u t s M، و(إنَّ)، واللام، و(إذًا)(٣)، والجملة الاسمية في في قوله ﷻ حكاية عنهم: L y x w M.

ومعنى L y M أي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم وحظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا باتباعكم إياه(٤)، قال أبو السعود: ((انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم إلى سعادة الدارين خسرانًا دون عبادة الأصنام التي لا خسران وراءها، قاتلهم الله أنى يؤفكون))(٥).

۞ ۞ ۞

---

(١) البحر المحيط: ٥٥٩/٧، وينظر: التحرير والتنوير: ٥٣/١٨.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٥٥٩/٧، وحاشية القونوي: ١٦٩/١٣.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٠٣٦.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٤١/١٧، والكشاف: ٧٠٧.

(٥) تفسير أبي السعود: ١٣٣/٦.

وقوله ﷻ حكاية لقول الكــافرين: M } | { ~ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ L [المؤمنون:٣٥].

فُصِلت جملة M } L عما قبلها لاختلافهما خبرًا وإنشاء، فبينهما كمال انقطــاع. وتدل الآية على أنَّ الكفار لما طعنوا في رسالة صالح عليه السلام وكذَّبوا بها انتقلوا إلى تكذيبــه في المرسل به فأنكروا الإيمان بالبعث(١)، وقد دل النظم الكريم على شدة تكذيبهم لعقيدة البعث واستبعادهم لها، فالاستفهام في قولهم: M } L استفهام إنكاري ((بمعنى التوقيف على جهة الاستبعاد، وبمعنى الهزء بهذا الوعد))(٢) والتعجب منه.

وتقديم (التراب) على (العظام) في قولــه ﷻ حكايــة عنــهم: Mوَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا L؛ للاهتمام به وذلك لعراقته في الاستبعاد، فإن الإعادة بعد انقلاب الأجساد ترابًا أبعــد مــن كونهم عظامًا، و لم يكتفوا بالتراب؛ لأنَّ غرضهم استبعاد الأمرين(٣).

ونلحظ أنَّ الوعد بالبعث الذي أخبرهم به صالح عليه السلام جاء مؤكَّدًا بعدة مؤكِّــدات، وهي: (أنَّ)، ثم تكرارها مرة أخرى مع الخبر في قوله ﷻ : Mأَنَّكُم مُّخْرَجُونَ L، قال أبو حيان: ((وذهب الفراء والجرمي والمبرد إلى أنَّ (أنكم) الثانية كُرِّرت للتأكيد، لما طال الكلام حسن التكرار))(٤)، والمؤكَّد هنا هو المستفهم عنه استفهام استبعاد؛ تأكيدًا لاســتبعاده(٥). وقــال الزركشي: ((إذا طال الكلام وخُشي تناسي الأول؛ أعيد ثانيًا تطرية له، وتجديدًا لعهده))(٦)، ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ الآية ليس فيها تكرار؛ لأنَّ (أنَّ) الأولى تأكيــد للجملــة الشرطية الكبرى، والثانية تأكيد لجملة الجزاء؛ إذ هي المقصودة، فلا يقــال في هــذا: (أنَّ) أعيدت لطول الكلام، فهما تأكيدان مقصودان لمعنيين مختلفين(٧)، وهذا القول يعطي الجملة تأكيدًا أقوى من القول بالتكرار؛ لأنَّ لدينا تأكيدين. أما المؤكِّد الثالث فهو: مجــيء الخــبر

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٩٨/٢٣، والتحرير والتنوير: ٥٣/١٨.

(٢) المحرر الوجيز: ١٣٢٩.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ١٣٤/٦، وحاشية القونوي: ١٧٠/١٣.

(٤) البحر المحيط: ٣٧٤/٦.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٣/١٨.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ٦٣٠.

(٧) ينظر: التفسير الكبير لابن تيمية: ٥/ ٢٢٩، ٢٣٠.

﴿مُّخْرَجُونَ﴾ اسمًا. وثمة مؤكد معنوي؛ وهو: مجيء فعل الوعد ﴿يعدكم﴾ بصيغة المضارع الذي يفيد التجدد والحدوث يدل على أنَّ صالحًا عليه السلام كان يكرره ويعيده؛ ليرغبهم ويرهبهم بما في ذلك اليوم من الوعد والوعيد؛ فإنكار خبر اجتمعت فيه كل هذه المؤكدات يدل على غلوِّهم في الكفر وتماديهم فيه وإصرارهم عليه.

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل حكاية لقول الكافرين: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المؤمنون:٣٦].

هذه الآية تحكي مقالتهم التي يؤكدون بها إنكارهم البعث واستبعاده، فهي تأكيد وبيان لقولهم: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾[1]، ولذلك فصلت عنه؛ لأنَّ بينهما كمال اتصال.

و(هيهات) اسم فعل بمعنى (بَعُد)[2]، والتعبير باسم الفعل يفيد المبالغة والتأكيد على استبعاد البعث والنشور؛ لأنَّ اسم الفاعل أبلغ وآكد من معنى الفعل الذي هو بمعناه، قال الرضي: ((ومعاني أسماء الأفعال أمرًا كانت أو غيره أبلغ وآكد من معاني الأفعال التي يقال إنَّ هذه الأسماء بمعناها))[3]، وكذلك فإنَّ اسم الفعل إذا ((كان بمعنى الخبر يفيد التعجب إضافة إلى المبالغة والتوكيد))[4]، فالتعبير باسم الفعل: ﴿هَيْهَاتَ﴾ أبلغ من قولنا: (بَعُد)؛ لأنَّه بمعنى: ما أبعد ما توعدون، ففيه المبالغة والتأكيد والتعجب. وكُرِّر اسم الفعل ﴿هَيْهَاتَ﴾ لتأكيد معنى البُعْد[5]، ((أي: بَعُدَ بَعُدَ جدًّا، بحيث صار ممتنعًا))[6].

وفُصِل قوله عز وجل: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ عن قوله عز وجل حكاية عنهم: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾؛ للتفخيم، قال البقاعي: ((ولم يرفع ما بعده به بل قطع عنه تفخيمًا له، فكان كأنَّه قيل: لأي

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٤/١٨ .

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٣٥/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٣/٤ .

(٣) شرح الرضي على الكافية: ٨٩/٣ .

(٤) الجملة العربية والمعنى: ١٧٩ .

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٥٦٢/٧، وتفسير أبي السعود: ١٣٤/٦.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣٩/١٣.

شيء هذا الاستبعاد؟، فقيل: M© تُوعَدُونَ L))[١]. ومجيء الفعل (توعدون) من (أَوْعَد)، وفي الآية السابقة جاء الفعل (يعدكم) من (وَعَدَ) - مع أنَّ الموعود به شيء واحد - من الاحتباك، قال ابن عاشور عن بلاغة ذلك: ((عبَّر مرة بالوعد ومرة بالوعيد على وجه الاحتباك، فإنَّ إعلامهم بالبعث مشتمل على وعد بالخير إنْ صدَّقوا، وعلى وعيد إنْ كذَّبوا، فذكر الفعلان على التوزيع إيجازًا))[٢].

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل حكاية لقول الكافرين: M إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ´ µ ¶ L [المؤمنون:٣٧].

فصلت الجملة عما قبلها لأنها تأكيد لما جاء فيها من إنكارٍ للبعث واستبعادٍ له؛ فبينهما كمال اتصال.

وقوله عز وجل على لسان المكذبين: M إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا L تأكيد لإنكار البعث عن طريق أسلوب القصر، وهو قصر موصوف على صفة قصرًا إضافيًّا، حيث قصروا الحياة على الحياة الدنيا قصر قلب؛ إنكارًا للبعث.

ومجيء القصر عن طريق النفي والاستثناء يُشْعِر بأنَّ فئة من قومهم تأثروا بدعوة صالح عليه السلام وبدأ التصديق بالبعث يدبُّ فيهم، فأراد كبراؤهم صدَّهم عن ذلك بتأكيد القصر وتقويته عن طريق النفي والاستثناء مع التعبير بأداة النفي (إنْ) التي هي آكد وأقوى من (ما) في النفي[٣].

ومن التأكيد في الآية الإيضاح بعد الإبهام، فالضمير (هي) عائد على مذكور بعده قصدًا للإبهام ثم التفصيل؛ ليتمكن المعنى في ذهن السامع[٤].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/١٣٩.

(٢) التحرير والتنوير: ١٨/٥٥.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٨/١٧٢، معاني النحو: ١/٢٣٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/٥٥.

وفصلت جملة M نَمُوتُ وَنَحْيَا L عما قبلها من قولهم: M إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا L ؛ لأنها مفسِّرة ومبيِّنة لها، فبينهما كمال اتصال. والجملة المفسِّرة المبينة تُعَدُّ من "الإطناب"، والقصد منها تقرير المعنى في ذهن السامع والتأكيد على إنكار البعث[1]، والتأثير على الأتباع؛ لأنَّ المقام مقام إقناع فيحتاج إلى إطالة.

وبين هذين اللفظين (نموت) و(نحيا) "طباق"، وهو محسن معنوي أفاد تعاقب الأمرين، وحصر نظرة هؤلاء الكفار إلى الحياة الدنيا بأنَّها: أناس يموتون وآخرون يحيون وهكذا. والتعبير بصيغة المضارع في قولهم: M نَمُوتُ وَنَحْيَا L يفيد التجدد والحدوث مع الاستمرار لقرينة القصر، أي: شأن الحياة كذلك ((البعض يموت والبعض يحيا ولا إعادة ولا حشر))[2].

وقوله عز وجل حكاية لقولهم: M ´ µ ¶ L وُصِلت الجملة بما قبلها وهي جملة M نَمُوتُ وَنَحْيَا L ؛ لأنهما خبريتان وتشتركان في الحكم وهو إنكار البعث. وتُعَدُّ هذه الجملة تذييلاً للآية للتأكيد على نفي البعث والتصريح بذلك، وتأُكِّيد الجملة بـ(الباء) ومجيء الخبر اسمًا يفيد ((استمرار النفي وتأكيده))[3].

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل حكاية لقول الكافرين: M إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ L [المؤمنون:٣٨].

قال الرازي: ((ولما فرغوا من الطعن في صحة الحشر؛ بنوا عليه الطعن في نبوته، فقالوا: لما أتى بهذا الباطل فقد افترى على الله كذبا))[4].

وقد دلَّ النظم في الآية الكريمة على مدى كفرهم وتطاولهم على صالح عليه السلام وشدة طعنهم فيه؛ لِصَدِّ أتباعهم عن الإيمان به من خلال ما يلي:

---

(١) ينظر: المثل السائر: ٢/١٦١. وجواهر البلاغة: ٢٠٨.

(٢) التفسير الكبير: ٢٣/٩٨.

(٣) روح المعاني: ١٨/٣١٤.

(٤) التفسير الكبير: ٢٣/٩٨.

الأول: تأكيد فريتهم وزعمهم الباطل بأنَّ صالحًا عليه السلام مفترٍ على الله عز وجل من خلال أسلوب القصر، بقصر صالح عليه السلام على الافتراء والكذب قصر موصوف على صفة قصراً إضافيًّا[١]، وهو قصر قلب ((أي: لا كما يزعم أنَّه مرسل من الله))[٢]. ونلحظ كذلك أنَّ أسلوب القصر جاء عن طريق النفي والاستثناء الذي يعطى المعنى فضل تقرير وتوكيد[٣]، وأنَّ أداة النفي التي عُبِّر بها هي (إنْ)، وهي آكد في النفي[٤]، وبالتالي فإنها تكسب القصر قوة في المعنى.

الثاني: تنكير لفظة ﴿رَجُلٌ﴾ يفيد التحقير وقلة الشأن، أي: ((الرجل لا ينبغي له مثل ذلك، أو هو واحد وحده، أي: لا يلتفت إليه)) [٥].

الثالث: التعبير بالافتراء في قولهم: ﴿افْتَرَىٰ﴾ دون (كَذَب) ونحوه، لأنَّه يدل على المبالغة في الذم من وجهين:

أ- أنَّ المفتري قد تعمد الكذب، قال أبو هلال العسكري: ((افترى: قطع على كذب وأخبر به))[٦]، أما الكذب فقد يكون المخبر به معتقدًا بوقوعه لشبهة أو سوء تأمل، وذلك لا يُحَقِّر المخبِر به[٧].

ب- أنَّ (افترى) على وزن (افْتَعَل)، وهو وزن يدل على المبالغة مع تعمد وإرادة عامدة للفعل[٨].

الرابع: تقييد الفعل ﴿افْتَرَىٰ﴾ بالجار والمجرور ﴿عَلَى اللَّهِ﴾، وفائدة ذلك استعظام هذا الافتراء واستشناعه كونه على الله عز وجل .

---

(١) ينظر: حاشية القونوي: ١٧٤/١٣.
(٢) التحرير والتنوير: ٥٧/١٨.
(٣) ينظر: دلالات التراكيب: ١١٣.
(٤) ينظر: معاني النحو: ٢٣٩/١.
(٥) ينظر: الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤٠/١٣.
(٦) الفروق اللغوية: ٤٧٢.
(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠/٤.
(٨) ينظر: دروس في علم الصرف: ١١٢، وشذ العرف في فن الصرف: ٣٩.

الخامس: في قولهم: M كَذِبًا L توكيد للافتراء؛ لأنَّ الافتراء نوع من الكذب، وذلك لترسيخ المعنى لدى المخاطب، ومبالغة في الذم.

السادس: تنكير لفظة (كذبًا) للتعظيم، أي: افترى كذبًا عظيمًا بادعائه أنَّه رسول، وزعمه أنَّ الناس يبعثون.

ولما ألقى الكافرون شبههم التي يزعمون أنَّها تطعن في نبوة صالح عليه السلام وكان القوم كالتبع لهم؛ قالوا: M وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ L، وهي ((جملة تذييلية مقررة لمضمون ما قبلها))(١) يؤكدون بها عدم إيمانهم بصالح عليه السلام، قال ابن عاشور: ((وإنما صرحوا بأنهم لا يؤمنون به مع دلالة نسبته إلى الكذب على أنهم لا يؤمنون به؛ إعلانًا بالتبري من أنْ ينخدعوا لما دعاهم إليه، وهو مقتضى حال خطاب العامة))(٢).

وقد أُكِّدت هذه الجملة بعدة مؤكدات:

الأول: تقديم المسند إليه M نَحْنُ L المسبوق بحرف النفي (ما)، وذلك يفيد تقوية حكم الجملة والتأكيد عليه، والمبالغة في ذلك(٣).

الثاني: الجملة الاسمية، والجملة الاسمية المنفية تفيد استمرار النفي وتأكيده(٤)، أي: لسنا لسنا له بمؤمنين في وقت من الأوقات، بل مستمرين على عدم الإيمان.

الثالث: (الباء)، وتفيد زيادة النفي وتأكيده.

ومن البلاغة في هذه الآية "التضمين"؛ وذلك باستعمال حرف الجر (اللام) بدل (الباء)، فقال عز وجل حكاية عنهم: M وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ L، ولم يقولوا: (وما نحن به بمؤمنين)؛ وذلك لتضمين الإيمان معنى الانقياد، وهذا نوع من الإيجاز.

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل عن صالح عليه السلام: M قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ L [المؤمنون:٣٩].

---

(١) حاشية القونوي: ١٣/١٧٤.

(٢) التحرير والتنوير: ١٨/٥٧.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٤، عند تفسيره لقوله عز وجل: M D E F L [البقرة: ٨]، والإيضاح: ١٠٣.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٨/٣١٤.

لما أعلن قوم ثمود كفرهم وأصروا على تكذيبهم بصالح عليه السلام دعا الله عز وجل عليهم واستنصر به. وفُصِلت هذه الجملة عما قبلها للاستئناف البياني، فهي جواب عن سؤال مقدر تقديره: لما كذَّب قومه ماذا فعل؟، والجواب: دعا عليهم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٦﴾، فجاء الجواب مفصولاً لشبه كمال الاتصال[(١)].

ونلحظ في دعاء صالح عليه السلام استشعاره قرب الله عز وجل منه، والافتقار إليه مع كمال التأدب معه؛ فحذف حرف النداء يدل على أنَّ صالحًا عليه السلام يستشعر قرب الله عز وجل منه، ويستحضر معيته له[(٢)]، ثم إنَّ النداء في بداية الدعاء يُشْعر بالافتقار إلى الله عز وجل والضراعة والابتهال إليه، وفي ذلك كمال العبودية لله عز وجل .

وإيثار دعاء الله عز وجل باسم (الرب)؛ لأنَّ إجابة الدعاء من مقتضى الربوبية[(٣)]، ولما فيه من معاني الرعاية والعناية والتربية فهو المناسب لمقام طلب الاستغاثة والنصر[(٤)].

وذِكْر المفعول وهو ياء المتكلم في قوله عز وجل على لسان صالح عليه السلام: ﴿ٱنصُرۡنِي﴾ يُشْعر بمدى المعاناة التي عاناها نبي الله صالح عليه السلام من قومه، حتى أنَّه خص نفسه بطلب النصر، ويُشْعر كذلك بثقة صالح عليه السلام بربه ويقينه بنصره.

وقوله: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾، أي: ((بسبب تكذيبهم إياي))[(٥)]، فـ (الباء) هنا تدل على السببية، والفائدة من التقييد بالجار والمجرور كما يقول القونوي: ((احتراز عن إيذائهم))[(٦)]، فدعاء صالح عليه السلام على قومه وطلبه النصر من الله عز وجل كان بسبب تكذيبهم وتعديهم على شرائع الله عز وجل وإصرارهم على ذلك، وليس انتصارًا لنفسه بسبب إيذائهم له، وفي ذلك كمال الأدب مع الله عز وجل بتقديم حقه عز وجل على النفس.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/٥٧، وأيسر التفاسير: ٩٧١.
(٢) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٣٠، ومن بلاغة الدعاء في القرآن الكريم: ٤٧.
(٣) ينظر: من بلاغة الدعاء في القرآن الكريم: ٥١.
(٤) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٧٤.
(٥) تفسير البيضاوي: ٢/١٠٤.
(٦) حاشية القونوي: ١٣/١٧٤.

وحَذْف ياء المتكلم من قوله: M كَذَّبُونِ L للإيجاز، وهـذا يتناسـب مـع حالـة صالح عليه السلام النفسية، وترقبه لسرعة نزول النصر عليه، وإيضًا لأنَّ ياء المتكلم جاءت مع فعل (انصرني)، فأغنى ذلك عن تكرارها ها هنا، كما أنَّ من دواعي الحذف مراعاة الفاصلة.

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل: M قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ L [المؤمنون: ٤٠].

لما دعا صالح عليه السلام على قومه بقلـب كلـه حرقـة وألم بسـبب تكذيبـهم لـه؛ استجاب الله عز وجل دعاءه، وقد دل النظم الكريم على سرعة هذه الإجابة والتأكيد على نزول النصر من الله عز وجل بعدة أمور:

الأول: فصل الجملة عما قبلها، قال ابن عاشور: ((وجاء جواب دعاء هذا الرسول غير معطوف؛ لأنَّه جرى على أسلوب حكاية المحاورات))(١)، وهذا يفيد أنَّ الوعد بالإجابة كان مباشرًا؛ ليطمئن قلب صالح عليه السلام .

الثاني: مجيء (ما) وهو حرف زائد أفاد ((توكيد قلة المدة وقصرها))(٢).

الثالث: حذف الموصوف، لأنَّ التقدير: ((عن زمان قليل))(٣)، وذلك للاهتمام بشـأن الصفة، والتأكيد على معنى القلة والمبالغة(٤) في تعجيل النصر.

الرابع: تنكير لفظة (قليل) لزيادة معناها قلة.

الخامس: تأكيد وقوع النصـر لصـالح عليه السلام وندامـة الكـافرين في قولـه عز وجل : M لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ L وذلك بالقسم الذي دلت عليه (اللام)، ونون التوكيـد، ومجـيء الخـبر M نَٰدِمِينَ L على صيغة اسم الفاعل الذي يدل على ثبوت هذا الوصف لهم(٥) وتحققه فـيهم،

---

(١) التحرير والتنوير: ١٨/٥٨.
(٢) الكشاف: ٧٠٨، وينظر: البحر المحيط: ٧/٥٦٢.
(٣) تفسير أبي السعود: ٦/١٣٤، وينظر: الكشاف: ٧٠٨.
(٤) ينظر: المثل السائر: ٢/٢٨٩.
(٥) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٤، ومفتاح العلوم: ١٩٣.

وهذا التأكيد في الجملة يُشْعر بتحقق الوعيد وقوته، ويبعث الاطمئنان في نفس صالح عليه السلام وتأكيد إجابة دعوته.

❁ ❁ ❁

قوله عز وجل: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المؤمنون:٤١].

بعد أنْ دعا صالح عليه السلام على قومه، ووعده الله عز وجل بالإجابة، لم يلبثوا إلا وقد نزل العذاب بهم فأهلكهم.

وتقييد الجملة بالجار والمجرور ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ لتربية الفائدة[١]، والنكتة تختلف باختلاف تفسيرها، قال المفسرون إنَّ معنى ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالوجوب[٢]، أو بالعدل من الله عز وجل، أو بالوجه الثابت، أو بالوعد الصدق[٣].

فإذا قلنا إنَّ معنى ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالوجوب، أفاد ذلك أنهم قد استوجبوا الهلاك بكفرهم وتكذيبهم[٤].

وإذا قلنا إنَّ المعنى: بالعدل من الله عز وجل، أفاد التقييد أنَّ العذاب أخذهم أخذًا ملابسًا للحق، ((أي: لا اعتداء فيه لأنهم استحقوه بظلمهم))[٥].

وإذا قلنا إنَّ المعنى: بالوجه الثابت، ففائدة القيد هنا أنَّه لا دافع للعذاب، كما أنَّه لا رافع له[٦].

وإذا قلنا إنَّ المعنى: بالوعد الصدق، أفاد القيد تأكيد نصر الله عز وجل لصالح عليه السلام، واستجابة دعائه، وتحقق وعده له. وكل هذه المعاني واردة ولا تناقض بينها، وذلك يدل على كثافة الدلالة في الجملة القرآنية.

(١) ينظر: الإيضاح: ٩١.
(٢) ينظر: الكشاف ٧٠٨.
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢/١٠٤، وتفسير أبي السعود: ٦/١٣٥.
(٤) ينظر: الكشاف: ٧٠٨.
(٥) التحرير والتنوير: ١٨/٥٩.
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢/١٠٤، وحاشية القونوي: ١٣/١٧٥.

وتعريف لفظة (الحق) يفيد بأنَّه الحق الثابت المقطوع به، الذي لا حق سواه في هذه القضية[1].

وقوله ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ وصف لحالتهم بعد هلاكهم ودمارهم، شبههم الله ﷻ بالغثاء وهو: ((ما يحمله السيل من زبده ومعتاده الذي لا ينتفع به، فيشبه كل هامد وتالف بذلك))[2]، قال ابن عاشور: ((فالكلام على التشبيه البليغ للهيئة، فهو تشبيه حالة بحالة، أي جعلناهم كالغثاء في البلى والتكدس في موضع واحد فهلكوا هلكة واحدة))[3].

وأشار الشيخ زاده إلى وجه شبه آخر بين المهلَكين وغثاء السيل، فقال: ((أخصُّ أوصاف الغثاء أنْ يذهب به السيل فلا يظفروا به أبدا، فَشُبِّهوا به تشبيهًا بليغًا في ذلك))[4].

والخلاصة أنَّهم شُبِّهوا بالغثاء وهو حميل السيل في تلفه، وبِلاه، وتكدسه، وذهابه غير معتد به، وفي ذلك غاية التحقير لهم،((وهؤلاء لما تخلفوا عن الخصائص التي كرمهم الله بها، وغفلوا عن حكمة وجودهم في الحياة الدنيا، وقطعوا ما بينهم وبين الملأ الأعلى... لم يبق فيهم ما يستحق التكريم، فإذا هم غثاء كغثاء السيل، ملقى بلا احتفال ولا اهتمام، وذلك من فرائد التعبير القرآني الدقيق))[5].

وقوله ﷻ: ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يحتمل أنْ يكون دعاء أو إخبارًا[6]، فعلى القول بالدعاء يكون المعنى: ((أتبعوا مع عذابهم البعدَ واللعنةَ والذمَّ من العالمين))[7]، فالداعي هنا كل من يتأتى منه الدعاء، وفي ذلك ((دلالة على بغض كل شيء للظالمين، فلذلك يدعو عليهم بالبعد غير مأسوف عليهم))[8]. وعلى قول أنَّه خبر؛ يكون حكمًا من الله ببعد الظالمين من رحمته، وهذا يتضمن لعنة من الله عليهم، وقد رجح هذا الوجه الدكتور

(١) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٢٩٧.

(٢) المحرر الوجيز: ١٣٣٠، وينظر: الكشاف: ٧٠٨.

(٣) التحرير والتنوير: ١٨/٥٩.

(٤) حاشية زاده: ٦/١٦٤، وينظر: حاشية الشهاب: ٦/٣٣١، وحاشية القونوي: ١٣/١٧٦.

(٥) في ظلال القرآن: ٤/٢٤٦٨.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود: ٦/١٣٥.

(٧) تفسير ابن سعدي: ٥٥٢.

(٨) إصلاح الإيضاح: ٨٨.

عبدالمحسن العسكر عند حديثه عن قوله ﷻ: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، وجعل من أسباب ترجيحه له: ((أنَّ الحكم من الله ببعد الظالمين وطردهم من رحمته أعظم في الوعيد والذم من دعاء الخلق عليهم))(١).

ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير في قوله: ﴿لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ للتعليل(٢)، قال ابن التمجيد: ((ظاهر المقام يقتضي أنْ يقال: فبعدًا لهم، لكنْ وضع الظالمين موضع ضميرهم؛ ليُبيِّن أنَّ بُعدَهم عن رضى الحق لأجل ظلمهم))(٣)، وبيَّن البقاعي فائدة مثل هذا الأسلوب فقال: ((أظهر الضمير تعميمًا وتعليقًا للحكم بالوصف؛ تحذيرًا لكل من تلبس به))(٤).

واختيار وصف ﴿الظَّالِمِينَ﴾ هنا مناسب جدًّا للسياق لأنَّهم ظلموا أنفسهم بالإشراك ومنعوها من النعيم الأبدي، وظلموا رسولهم صالحًا عليه السلام فوصفوه بالافتراء والكذب على الله ﷻ كما مر بنا آنفًا، فالظلم شيء عاملوا به أنفسهم وعاملوا به غيرهم(٥)، وإطلاقه وإطلاقه يُشْعِر بعمومه وتناوله كل نوع. وتعريف لفظة ﴿الظَّالِمِينَ﴾ للاستغراق، فيشمل القوم المعذبين جميعًا(٦). ومجيء الوصف على وزن اسم الفاعل الذي يدل على الثبوت يفيد أنَّ وصف الظلم ثابت لهم، ومتحقق فيهم، وهم مستمرون عليه، وفي ذلك ذمٌّ عظيم لهم.

وبعد أنْ نصر الله ﷻ رسوله وأهلك الظالمين وأبعدهم؛ تنتهي القصة شاهدة بنظمها وبلاغتها على إعجاز هذا القرآن العظيم لمن تدبره ووعاه.

---

(١) إصلاح الإيضاح: ٨٩.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢/١٠٥.

(٣) حاشية ابن التمجيد على حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: ١٣/١٧٦.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/١٤٠.

(٥) ينظر: درة التنزيل ٣١٦، وملاك التأويل: ٢/٨٧٨، والتحرير والتنوير: ١٨/٥٩.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/٥٩.

المبحث السادس

قصة صالح عليه السلام في سورة الشعراء

قال الله ﷻ: M > ? @ A B C D E F G H I J K L M N
O P Q R S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f
g h i j k l m n o p q r s t u v w x
y z { | } ~ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ © الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ ´ µ ¶ ¸ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ à الرَّحِيمُ â L [الشعراء: ١٤١ – ١٥٩].

أولاً: الغرض العام للسورة:

((موضوع هذه السورة الرئيسي هو: إثبات الهدف الأساسي الذي أتى لتحقيقه رسل الله؛ وهو تقوى الله ﷻ وطاعتهم، وأنَّه من الطبيعي أنْ يُكَذِّب بهؤلاء الرسل كثير من أقوامهم، وفي ذلك تسلية لرسول الله وتثبيت له؛ فقومه لم يشذوا عن الأمم السابقة في موقفهم من رسالته، وليس في إعراضهم تقصير منه))(١) كي يشتد أساه وحزنه على عدم إيمانهم. ومن مقاصد السورة أيضًا: تحذير المشركين وتخويفهم مما حَلَّ بالمكذبين قبلهم بسبب إعراضهم عن آيات الله ﷻ (٢).

ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها:

افتتحت السورة بالتنويه بالقرآن الكريم والإشارة إلى إعجازه، قال ﷻ: M ! " # $ % & ' L [الشعراء: ١ – ٢]، ولما كان القرآن الكريم بهذه الصفة وعلى هذا القدر ثم أعرض عنه المشركون ولم يؤمنوا به؛ فكان ذلك يحزن الرسول ﷺ ، ويضيق صدره

---

(١) الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية: ٦٨، وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/٩٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/٩٠.

به، حتى يكاد يُهلك نفسه؛ قال الله ﷻ ((يسليه، ويزيل من أسفه ويعزيه على سبيل الاستئناف؛ مشيراً إلى أنَّه لا نقص في إنذاره ولا في كتابه الذي ينذر به يكون سبباً لوقوفهم عن الإيمان، وإنما السبب في ذلك محض إرادة الله تعالى))(١): M) (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : L[الشعراء: ٣ – ٤].

ثم بيَّن ﷻ حال المشركين مما ينْزله من القرآن الكريم من الإعراض والاستهزاء والتكذيب فهددهم وتوعدهم على ذلك، فقال ﷻ: M ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O L[الشعراء: ٥ – ٦].

ولما ذكر ﷻ حزن النبي ﷺ على عدم إيمان قومه وحالهم مع آيات الله ﷻ ؛ شرع في ذكر قصص الأنبياء قبله مع بيان عناد أقوامهم، وتمردهم على ما جاء به رسلهم، ومناصبتهم العداء لهم(٢)؛ تسليةً للنبي ﷺ، وتحذيرًا للمكذبين به من أنْ يصيبهم ما أصاب الأمم المكذبة قبلهم.

ولعل مجيء قصة موسى عليه السلام أولاً ((لأنَّ السورة نزلت للرد على المشركين في إلحاحهم على إظهار آيات من خوارق العادات في الكائنات زاعمين أنَّهم لا يؤمنون إلا إذا جاءتهم آية، فضرب لهم مثلاً بمكابرة فرعون وقومه في آيات موسى إذ قالوا: M ? @ A B L(٣)))(٤)، ولأنَّ التسلية فيها أظهر من غيرها؛ لما فيها من نجاة موسى عليه السلام وإهلاك فرعون وجنوده، ((وإقرار عينه بهداية قومه، وحفظهم بعده بالكتاب، وسياسة الأنبياء المجددين لشريعته، وعدم استئصالهم بالعذاب، والانتقام بأيديهم من جميع أعدائهم، وفتح بلاد الكفرة على أيديهم بعده ﷺ إلى غير ذلك مما شابهوا به هذه الأمة))(٥).

ثم ذكر الله ﷻ قصة إبراهيم عليه السلام، قال ابن عاشور: ((عقبت قصة موسى مع فرعون وقومه بقصة إبراهيم، وقدمت هنا على قصة نوح على خلاف المعتاد في ترتيب قصصهم في

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٦/١٤.

(٢) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٥٥.

(٣) الصحيح أنهم قالوا: M ﴿هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ L [الشعراء: ٣٤]، والآية المذكورة وردت في سورة يونس آية رقم (٢).

(٤) التحرير والتنوير: ١٠٣/١٩، وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/١٤.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/١٤.

القرآن لشدة الشبه بين قوم إبراهيم وبين مشركي العرب في عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، وفي تمسكهم بضلال آبائهم وأنَّ إبراهيم دعاهم إلى الاستدلال على انحطاط الأصنام عن مرتبة استحقاق العبادة ليكون إيمان الناس مستندًا لدليل الفطرة، وفي أنَّ قوم إبراهيم لم يسلط عليهم من عذاب الدنيا مثل ما سُلِّط على قوم نوح وعلى عاد وثمود وقوم لوط وأهل مدين فأشبهوا قريشاً في إمهالهم))(١).

ثم تتابعت قصص الأنبياء بعد ذلك نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وشعيبٍ عليهم السلام؛ تسلية للنبي ﷺ، وتخفيفًا لحزنه على تكذيب قومه ومبشرة له بأنَّ العاقبة للمتقين.

وبعد أنْ ذكر الله ﷻ قصص الأنبياء بيَّن أنْ هذا القرآن الذي جاء بهذه القصص وحي مُنَزَّل من الله ﷻ أنزله على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين، وذِكْرُ الإنذار هنا مناسب لجو السورة المشحون بالتكذيب والإهلاك، وفي ذلك تعريض بكفار قريش أنَّهم إذا استمروا على تكذيبهم فسوف ينْزل بهم العذاب كما نَزل بالأمم قبلهم.

((ولما كان القصد من السورة التسلية عن عدم إيمانهم بأنَّه لسفول شأنهم لا لخلل في بيانه، ولا لنقص في شأنه قال تعالى موضحاً لتمكنه من قلبه: M s t u v L))(٢)،

فصِدْق القرآن والرسول ﷺ مذكور في كتب الأنبياء السابقين ويشهد به علماء بني إسرائيل.

ثم رد الله ﷻ على الكفار الذين يتهمون النبي ﷺ بالكهانة وأنَّه جاء بهذا القرآن من الشياطين، وأبطل اتهامهم فقال ﷻ: M5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D L [الشعراء: ٢١٠ – ٢١٢].

وبعد أنْ أثبت الله ﷻ أنَّ القرآن الكريم منزَّل من عنده وبرَّأ ساحة محمدٍ ﷺ مما يتهمه به المشركون من أنَّه كاهن؛ لم يبق إلا إبطال قولهم: هو شاعر، وأنَّ القرآن شعر، فنفى هذه التهمة عنه وأبطلها، وتوعد الظالمين في قوله ﷻ: Mوَٱلشُّعَرَآءُ © ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾L [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخر السورة.

(١) التحرير والتنوير: ١٩/١٣٧.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/٩٧.

قال البقاعي: ((وقد انعطف آخرها - كما ترى بوصف الكتاب المبين بما وصف به من الجلالة والعظم بأنَّه من عند الله متنَزِّلاً به خير مليكته على أشرف خليقته، مزيلاً لكل لبس، منفيًّا عنه كل باطل، وبالختام بالوعيد على الظلم - على أولها في تعظيم الكتاب المبين، وتسلية الرسول الكريم ﷺ ، ووعيد الكافرين الذين هم أظلم الظالمين، واتصل بعدها في وصف القرآن المبين، وبشرى المؤمنين ووعيد الكافرين، فسبحان من أنزله على النبي الأمي هدى للعالمين، وآية بينة بإعجازه للخلائق أجمعين، باقية إلى يوم الدين))(١).

ثالثًا: المعنى العام للآيات:

يخبر الله ﷻ أنَّ قوم ثمود كذبوا الرسل جميعهم وذلك بتكذيبهم لرسولهم صالح عليه السلام وما ذاك إلا لأنَّ دعوتهم واحدة فمن كَذَّب واحدًا منهم فقد كذب بهم جميعًا.

فقوم ثمود جاءهم صالح عليه السلام ودعاهم إلى تقوى الله ﷻ وبيَّن لهم أنه مرسل منه أمين على رسالته، وأنَّه لا يريد منهم أجرًا ولا جزاء على دعوتهم وإنما يريد الأجر من الله ﷻ فَنُصْحُه خالص لوجهه الكريم.

ثم حذرهم عليه السلام من عقوبة الله ﷻ وأنَّهم لن يتركوا فيما هم فيه من النعيم العظيم آمنين من العذاب والزوال والموت، وكرر أمرهم بالتقوى، وحثهم على طاعته، وحذرهم ونهاهم عن طاعة المسرفين المتمادين في الإفساد في الأرض بالظلم والمعاصي.

وبعد هذا الجهد من صالح عليه السلام في دعوة قومه وإنذارهم؛ كذبوه واتهموه بأنَّه مسحور بسحرٍ عظيم غلب على عقله، وأنَّه بشر مثلهم لا يستحق أنْ يكون رسولاً من عند الله ﷻ ولا يتميز عنهم بشيء، وسألوه سؤال تعجيز وتهكم أنْ يأتيهم بآية تثبت لهم صدقه.

فأيد الله ﷻ صالحًا عليه السلام بمعجزة الناقة، وقال لهم صالح عليه السلام: هذه الناقة آية لكم، لها نصيب من الماء في يوم معلوم، ليس لكم أنْ تشربوا فيه، ونهاهم عن مسها بالسوء وحذرهم إنْ هم فعلوا ذلك بإنّ الله ﷻ سيهلكهم بعذاب عظيم.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/١٢٠.

إلا أنَّ قومه أبوا إلا أنْ يكفروا ويستخفوا بوعيد صالح عليه السلام فعقروا الناقة، فأصبحوا نادمين على فعلهم لما أيقنوا العذاب.

ونزل بهم عذاب الله عز وجل الذي توعدهم به صالح عليه السلام فأهلكهم، وكان في هلاكهم عبرة للمعتبرين[1].

رابعًا: بلاغة النظم في القصة:

قوله عز وجل: M < ? @ A L [الشعراء:١٤١][2].

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل: M B C D E F G H I L [الشعراء:١٤٢].

(إذ) مفعول به منصوب بفعل محذوف تقديره: اذكر[3]، أي: اذكر وقت قول صالح لقومه ألا تتقون، قال أبو السعود: ((وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصود بالذات؛ للمبالغة في إيجاب ذكرها لما أنَّ إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني، ولأنَّ الوقت مشتمل عليها فإذا استُحْضِر كانت حاضرة بتفاصيلها كأنَّها مشاهدة عيانًا))[4].

وتقديم الجار والمجرور M C L على الفاعل يدل على مزيد اهتمام وتوكيد على اختصاص قوله ودعوته لهم؛ لأنَّه رسول أُرسل إلى قومه خاصة، وأنَّ صالحًا عليه السلام قد بلَّغ الرسالة لهم، وأقبل عليهم مهتمًّا بهم، ولم يدخر وسعًا في ذلك؛ لأنَّ ((اللام الداخلة بعد فعل القول في نحو: "أقول لك"، لام تعليل، أي: "أقول قولي لأجلك"))[5].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري:١٧/٦١٨ وما بعدها، وتفسير ابن كثير: ٦/١٥٥ وما بعدها.

(٢) سبق الكلام فيما يشابه هذه الاية في سورة الحجر آية (٨٠) ص١٤٠، فلتراجع في موضعها.

(٣) ينظر: الكشاف: ٧٠، والبحر المحيط: ٧/٧، ومغني اللبيب: ١/١٦٦.

(٤) تفسير أبي السعود: ١/٧٩.

(٥) التحرير والتنوير: ١٣/٢٠٢.

وقوله ﷻ: L F E M يدل على أنَّه واحد منهم، يعنيه أمرهم، وتهمه مصلحتهم، وهم ((أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته))(١)، فيكون ذلك مدعاة لتصديقه واتباعه، وأمكن في إقامة الحجة عليهم.

وقوله ﷻ: L H GM ((أي: ألا تتقون فتحذروا عقابه على كفركم به، وتكذيبكم رسله))(٢). وLGM ((للعرض المضمن الحض على التقوى))(٣)، ويدل ذلك على ترفق صالح عليه السلام بهم وتلطفه معهم(٤)، وقد جمعت هذه العبارة من المعاني نفي التقوى عنهم مع عرضها عليهم(٥). وحُذِف مفعول L H M؛ لدلالة الحال عليه، والإشارة إلى نفي أصل الفعل عنهم وتجريدهم من الاتصاف بالتقوى مطلقًا(٦)، وذلك يشعر بالمبالغة في بعدهم عنها وانسلاخهم منها، وفي الحذف أيضًا نوع من الإيجاز، ومراعاة للفاصلة.

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ حكاية لقول صالح عليه السلام: Mإِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ L [الشعراء:١٤٣].

أي: ((إني لكم رسول من الله أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره، أمين على رسالته التي أرسلها معي إليكم))(٧)، وقيل: إن المعنى ((مشهور بالأمانة فيكم))(٨).

وفُصِلت الجملة عما قبلها لاختلافهما خبرًا وإنشاءً، وأكدت بـ (إنَّ) لأنَّ صالحًا عليه السلام توقع حدوث الإنكار منهم(٩)، ويحتمل أنْ يكون قد أنزلهم منزلة من يشك في أمانته لما رآهم لم يستجيبوا لدعوته، فأكد بمؤكد واحد لأنَّ ذلك يناسب حالهم(١٠).

---

(١) الكشاف: ٣٦٨.
(٢) تفسير الطبري: ١٧/٦٠١.
(٣) روح المعاني: ١٩/٨٥، وينظر: البحر المحيط: ٨/١٧٥.
(٤) ينظر: البحر المحيط: ٨/١٧٥، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/٧٣.
(٥) ينظر: المحرر الوجيز:
(٦) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٥٥.
(٧) تفسير الطبري: ١٧/٦١٨.
(٨) تفسير البيضاوي: ٢/١٦٠.
(٩) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/١٥٨.
(١٠) ينظر: روح المعاني: ١٩/١٣٨.

وتقديم الجار والمجرور M لَكُمْ L يدل على الاهتمام بشأنهم وما ينفعهم(١)، وأنَّ الله أرسله أرسله لمصلحتهم، وفي ذلك استمالة لهم، ويدل كذلك على أنَّه عليه السلام أرسل إليهم خاصة.

وقوله: M رَسُولٌ أَمِينٌ L أي: معروف بالأمانة مشتهر بين الناس بذلك، وإنما جيء بالجملة الاسمية دلالةً على الثبات والاستمرار، وإيذانًا بأنَّ هذا حاله لا يحوم حوله شائبة الكذب(٢)؛ لأنَّ: ((M أَمِينٌ L وصف يجمع الصفات التي تجعله بمحل الثقة من قومه، ومن ذلك إبطال كونه من الكاذبين))(٣).

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل حكاية لقول صالح عليه السلام: M فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ L [الشعراء:١٤٤].

أمر بالتقوى عن طريق الترقي؛ لأنَّه عرض عليهم التقوى أولاً وحضهم عليها ثم أمرهم أمرًا مباشرًا بها ثانيًا، قال أبو حيان: ((ولما عرض عليهم برفق تقوى الله فقال: M أَلَا تَتَّقُونَ L؛ انتقل من العرض إلى الأمر فقال: فاتقوا الله وأطيعون في نصحي لكم وفيما دعوتكم إليه من توحيد الله وإفراده بالعبادة))(٤).

وإيثار لفظ الجلالة لإظهار المهابة والخشية في نفوسهم، وفي ذلك حث لهم على التقوى.

وتقديم الأمر بتقوى الله عز وجل على الأمر بطاعته عليه السلام من باب تقديم السَّبَب على المسبَّب؛ لأنَّ تقوى الله عز وجل سبب لطاعته عليه السلام(٥).

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/ ق ٢/٢٠٤.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٣٨/٣.

(٣) التحرير والتنوير: ١٨/ ق ٢/ ٢٠٤.

(٤) البحر المحيط: ١٧٥/٨.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ١٧٥/٨.

وقوله عز وجل حكاية لقول صالح عليه السلام: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٤٥].

هذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، ((أي علمتم أني أمين لكم، وتعلمون أني لا أطلب من دعوتكم إلى الإيمان نفعًا لنفسي))(١)، قال البقاعي: ((ولما أثبت ما يوجب الإقبال عليه؛ نفى ما يستلزم عادة الإدبار عنه))(٢).

ونلحظ أنَّ النظم الكريم أفاد المبالغة في نفي طمع صالح عليه السلام بما عندهم، وقطع التطلع إلى أي منفعة منهم، وأنَّ القصد من دعوته عليه السلام ابتغاء وجه الله عز وجل، دلَّ على ذلك ما يلي:

أولاً: التعبير بـ (ما أسألكم)، وذلك مُشْعر بأنَّه لا يفاتحهم في مجرد سؤال الأجر فكيف يأخذه منهم؟!(٣).

ثانيًا: تنكير لفظة (أجرًا) يفيد العموم والشمول، أي: لا أسألكم أجرًا ما، قليلاً كان أو كثيرًا(٤).

ثالثًا: استعمال أسلوب القصر للتأكيد على أنَّ مراده ومبتغاه ما عند الله عز وجل من الأجر، وهو قصر صفة على موصوف قصر قلب، ويدل مجيء القصر عن طريق النفي والاستثناء على أنَّهم كانوا يعتقدون أنَّ صالحاً عليه السلام يريد بدعوته عَرَضًا من الدنيا، فجاء قَصْرُ ابتغاء الأجر من رب العالمين من هذا الطريق مناسبًا لحالهم المنكرة لذلك.

وإيثار ذكر الربوبية هنا لأنها تتضمن معاني العناية والرعاية، ومن عناية الله عز وجل بخلقه ورعايته لهم أنْ يحفظ لهم أعمالهم ويجازيهم على إحسانهم والذي من أَجَلِّها الدعوة إليه، فمنه وحده يرتجى الأجر والثواب، وكذلك في ذكر الروبية تعريض بالكافرين لأنَّ الربوبية تتضمن معنى الملك، فكأن صالحًا عليه السلام يقول لهم: كيف أسألكم أجراً وأجري على الله عز وجل الذي يملك العالمين وله كل شيء، فهل يؤمِّل ما عند العبد المملوك ولا يرجو ما عند ربهم ومالكهم؟!! هذا لا يمكن أبدًا.

❁ ❁ ❁

(١) التحرير والتنوير: ١٩/١٥٩.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/٧٣.

(٣) ينظر: خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام: ٢٤٠.

(٤) ينظر: خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام: ٢٤٠.

وقوله ﷻ حكاية لقول صالح عليه السلام: M ` a b c d e L [الشعراء:١٤٦].

لما أمر صالح عليه السلام قومه بتقوى الله ﷻ ((شرع ينكر عليهم أكل خيره وعبادة غيره))(١)، فقال لهم: M ` a b c d L؛ فالاستفهام للإنكار والتوبيخ والتخويف، ((والمعنى: أتظنون أنكم تتركون في الذي استقر في هذا المكان من النعيم وأنْ لا دار للمجازاة؟))(٢)، ويجوز أن يكون الاستفهام تقريريًّا غرضه الامتنان عليهم(٣)؛ بأنْ ((يكون تذكيرًا بالنعمة في تخلية الله إياهم، وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك من الأمن والدَّعَة))(٤). والأول أرجح؛ لأنَّ الحديث هنا عن تكذيب قوم ثمود، والإنكار والتوبيخ والتخويف في سياق التكذيب أنسب.

وحرف الجر (في) يدل على أنَّ النعيم قد أحاط بهم كما يحيط الظرف بالمظروف وهم منغمسون فيه. وM c L ((إشارة إلى بلادهم، أي: في جميع ما تشاهدونه، وهذا إيجاز بديع))(٥)، وفيه أيضًا تفخيم وتعظيم للنعم التي يعيشون فيها، فهي نعم عظيمة وظاهرة للعيان يشار إليها، وتكفي الإشارة إليها لمعرفتها.

وقوله: M d L قال ابن عاشور عنها: ((حال مُبيِّنَة لبعض ما أجمله قوله: Mab c L، وذلك تنبيه على نعمة عظيمة لا يدل عليها اسم الإشارة لأنَّها لا يشار إليها؛ وهي نعمة الأمن التي هي من أعظم النعم، ولا يتذوقون طعم النعم الأخرى إلا بها))(٦).

---

(١) السراج المنير: ٣/٢٧.

(٢) حاشية زاده: ٦/٣٥٤، وينظر: تفسير الطبري: ١٧/ ٦١٨، والكشاف: ٧٦٦.

(٣) ينظر: حاشية زاده: ٦/٦٥٤.

(٤) الكشاف: ٧٦٦.

(٥) التحرير والتنوير: ١٩/١٧٥.

(٦) التحرير والتنوير: ١٩/١٧٥.

وقوله: L i h g fM [الشعراء:١٤٧].

هذه الآية مع الآيتين اللتين بعدها تفصيل لما أُجْمل فيما سبق من الإشارة إلى ما هم فيه من النعيم وتفسير له(١)، ((فإن المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم))(٢)، وهذا البيان لما أُجْمل تذكير لهم بنعم الله عليهم من الأمن وتسهيل أسباب العيش ورفاهيته ليشكروا الله عز وجل عليها(٣). ((إنهم ليعيشون هذا المتاع الذي يصوره لهم أخوهم صالح عليه السلام، ولكنهم يعيشون في غفلة عنه لا يفكرون فيمن وهبهم إياه، ولا يتدبرون منشأه ومأتاه، ولا يشكرون المنعم الذي أعطاهم هذا النعيم، فيأخذ رسولهم في تصوير هذا المتاع لهم ليتدبروه، ويعرفوا قيمته، ويخافوا زواله))(٤).

فقوله: L g M ((الجنة: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض))(٥)، وصيغة الجمع تدل على كثرة الجنان وتنوعها، وهذا من عظيم نعمة الله عليهم.

ولما ذكر الجنان ذكرهم بما امتن الله به عليهم من سبب وجودها واستمرارها وهو وفرة الماء؛ فقال: L h M، جمع عَيْنٍ، ((والعين: ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري))(٦)، ويدل ذلك على أنَّ الله عز وجل قد رزقهم الماء بلا كلفة ولا مشقة، فهو ينبع من الأرض ولا يحتاجون إلى حفر كي يحصلوا عليه.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: الكشاف: ٧٦٦، والتفسير الكبير: ١٥٩/٢٤.

(٢) الإيضاح: ١٩٦.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧٤/١٤، وحاشية القونوي: ٢٨٨/١٤.

(٤) في ظلال القرآن: ٢٦١/٥.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ١٠٥، ينظر: لسان العرب: ٣٩١/٢، مادة (جنن).

(٦) لسان العرب: ٥٠٦/٩، مادة (عين).

وقوله: M j k l m n L [الشعراء: ١٤٨].

تذكيرًا لهم بنعمة أخرى، والتنصيص على النخل مع أنَّه داخل في قوله: (جنات) في الآية السابقة من باب "ذكر الخاص بعد العام"، قال الزمخشري: ((فإن قلت: لِمَ قال: M k L بعد قوله: M f g L، والجنة تتناول النخل أول شيء كما يتناول النَّعَم الإبل كذلك من بين الأزواج، حتى أنهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون إلا النخيل، كما يذكرون النَّعَم ولا يريدون إلا الإبل،... قلت: فيه وجهان: أنْ يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر؛ تنبيهًا على انفراده عنها بفضله عليها، وأنْ يريد بالجنات غيرها من الشجر لأنَّ اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل))(١)، ويضاف إلى ذلك أنَّ النخل ذُكِر ليتوصل به إلى بيان نعمة جديدة مما مَنَّ الله ﷻ به عليهم وهي جودة ثمره، لذلك قال: M l m L، قال الطبري بعد أنْ ذكر أقوالاً في معنى (هضيم): ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أنْ يقال: إنَّ الهضيم هو المنكسر من لينه ورطوبته، وذلك من قولهم: "هضم فلان فلانًا حقه": إذا انتقصه وتحيَّفه، فكذلك الهضم في الطلع؛ إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه؛ إما بمس الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضًا))(٢)، قال الزمخشري في فائدة ذلك: ((فذكَّرهم نعمة الله في أنْ وهب لهم أجود النخل وأنفعه...، ويجوز أنْ يريد أنَّ نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات؛ فحملت الحمل الكثير وإذا كثر الحمل هضم))(٣).

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ على لسان صالح عليه السلام: M o p q r s L [الشعراء: ١٤٩].

---

(١) الكشاف: ٧٦٦.

(٢) تفسير الطبري: ١٧/٦٢٠.

(٣) الكشاف: ٧٦٦.

تذكيرًا لهم بنعمة أخرى، ومعنى M s L ((حاذقين بنحتها، متخيرين لمواضع نحتها، كيِّسين من الفراهة))(١). وفائدة هذا التقييد الامتنان بما أنعم الله عليهم من التمكين في الأرض وإعطائهم من العلم والقوة والقدرة والمهارة ما جعلهم ينحتون الجبال ببراعة.

ونلحظ في الآيات الثلاث السابقة أنَّها توحي بجمال المكان الذي كان يعيش فيه قوم ثمود؛ سواء كان جمالاً طبيعيًّا مما حباهم الله به من الجنات والعيون، أم جمالاً مصطنعًا من نحت الجبال والمهارة في ذلك والتفنن فيه.

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ على لسان صالح ﷺ: M فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ L [الشعراء:١٥٠].

تكرار الأمر بالتقوى "إطناب" فائدته التأكيد عليها والاهتمام بشأنها، والتحذير من عقوبة الله ﷻ بسلب ما ذُكِر من النعم منهم، قال الزمخشري: ((ومعنى M فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ L: فاتقوا الله في طاعتي، وكرره ليؤكده عليهم، ويقرره في نفوسهم، مع تعليق كل واحد منهما بعلة؛ جعل علة الأول: كونه أمينًا فيما بينهم، وفي الثاني: حسم طمعه عنهم))(٢). ويدل ذلك على أنَّ صالحًا ﷺ قد بذل وسعه في نصحهم، واستنفد طاقته لردهم عن غيِّهم، وأنه أقام الحجة عليهم فلا عذر لهم.

وفي تكرار الأمر بالتقوى أيضًا تناسب مع جو السورة الذي يغلب عليه التكذيب والإنذار والعقاب(٣).

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ على لسان صالح ﷺ: M y z { | } L [الشعراء:١٥١].

---

(١) تفسير الطبري: ٦٢٤/١٧، وينظر: المحرر الوجيز: ١٤٠٦.

(٢) الكشاف: ٧٦٥، وينظر: البحر المحيط: ١٧٥/٨.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٥٨٤/٥.

قال الألوسي: ((كأنَّه عنى بالخطاب جمهور قومه، وبالمسرفين كبراءهم وأعلامهم في الكفر والإضلال وكانوا تسعة رهط))[1]، قال ﷻ: S R Q P O N M M L W V U T [النمل: ٤٨]. و((السرف: تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان))[2]، فهؤلاء الرهط قد تجاوزوا الحد في الكفر وارتكاب المعاصي، وفي هذا الوصف ذم لهم، وتنفير من طاعتهم.

وقد جَوَّز المفسرون عدة توجيهات في وقوع الطاعة على الأمر:

الأول: أنَّ ذلك من باب "الاستعارة" حيث استعيرت (الطاعة) للامتثال؛ لأنَّ الطاعة تكون للآمر، والامتثال يكون للأمر، فشبه الامتثال بالطاعة ((من حيث إنَّ كل واحد منهما يفضي إلى وجود المأمور به، فأطلق اسم المشبه به وهو الطاعة وأريد الامتثال، ثم اشتق منه قوله: (ولا تطيعوا) على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، فالمعنى: ولا تمتثلوا أمرهم))[3].

وجَوَّز بعض العلماء أنْ تكون استعارة مكنية تخييلية[4]، وذلك بتشبيه الأمر بالآمر، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الطاعة.

الثاني: أنَّ ذلك من باب "المجاز العقلي"[5] وعلاقته السببية؛ ((لأنَّ الإطاعة لا تقع على الأمر وإنما على صاحبه، والتقدير: ولا تطيعوا المسرفين بسبب أمرهم))[6].

الثالث: أنَّ ذلك "مجاز مرسل" علاقته السببية، بإطلاق الأمر على الآمر لأنَّه سبب طاعته[7].

---

(١) روح المعاني: ١٩/١٤٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٢٣٦.

(٣) حاشية الشيخ زاده: ٦/٣٥٥، وينظر: الكشاف: ٧٦٧.

(٤) ينظر: حاشية الشهاب: ٧/٦٣، وروح المعاني: ١٩/١٤٨.

(٥) ينظر: الكشاف: ٧٦٧، وحاشية زاده: ٦/٣٥٥.

(٦) المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم: ١١١.

(٧) ينظر: حاشية الشهاب: ٧/٢٣، وروح المعاني: ١٩/١٤٨.

ونلحظ أنَّ إيقاع الطاعة على الأمر فيه إيجاز ظاهر يتبين من إجراء الاستعارة(١) أو تقدير المعنى على القول بالمجاز العقلي أو المرسل(٢)؛ فالمعنى: لا تطيعوا المسرفين بسبب أمرهم.

وكذلك أفاد المبالغة في النهي عن طاعة المسرفين؛ لأنَّ النهي عن امتثال أمرهم فيه نهي عن طاعتهم فيما يدعونهم إليه أو يحثونهم عليه مما هو دون الأمر من باب أولى، وقد تكون المبالغة بالنظر إلى زاوية أخرى؛ وهي طاعة المخاطبين أنفسهم، فهم من شدة امتثالهم لأمر المسرفين وتقيدهم به أصبحوا وكأنهم طائعين للأمر نفسه، فنهوا عن طاعة الأمر ليتنبهوا إلى ما هم واقعون فيه من الغلو في طاعة المسرفين ويحذروا من ذلك.

وفيه أيضًا إلهاب للمخاطبين للاستجابة للنهي؛ لأنَّ الإنسان لا يحب أنْ يؤمر بل يحب أن يكون آمرًا، فإيقاع الطاعة على الأمر يُنَفِّر من الامتثال له.

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل على لسان صالح عليه السلام: ﴿ ~ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الشعراء:١٥٢].

قال الألوسي: ((لعل المراد ذمهم بالضلالِ في أنفسهم بالكفر والمعاصي، وإضلالِهم غيرهم بالدعوة لذلك، وللإيماء إلى عدم اختصاص شؤم فعلهم بهم؛ حَثًّا على امتثال النهي))(٣).

واستعمال الاسم الموصول (الذين) يدل على أنَّهم قد عُرِفوا بالإفساد واشتهروا به(٤). ومجيء الفعل ﴿يُفْسِدُونَ﴾ بصيغة المضارع الذي يفيد التجدد والحدوث يدل على تجدد الإفساد منهم وتكراره واستمرارهم عليه(٥). وتقييد الفعل بالجار والمجرور ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ((للتربية

(١) ينظر: أسرار البلاغة: ٤٣.

(٢) ينظر: التصوير البياني: ٣٦٢.

(٣) روح المعاني: ١٩/١٤٨.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٠٠.

(٥) ينظر: الإيضاح: ٩٠.

((لتربية الفائدة))(١)، والفائدة هنا – والله أعلم – بيان كثرة فسادهم واتساعه وانتشاره، فهو إفساد عظيم كأنَّه قد عَمَّ الأرض.

ولما كان إفساد بعض الناس مشوبًا بشيء من الإصلاح أكَّد صالح عليه السلام خلوص إفسادهم في الأرض بنفي ضده(٢) فقال: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، قال الزمخشري: ((فإنْ قلتَ: ما فائدة قوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾؟، قلتُ: فائدته أنَّ فسادهم فساد مُصْمَت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح))(٣)، وهذا عند البلاغيين نوع من الإطناب يسمي "التتميم"، وهو((أنْ يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة؛ لنكتة كالمبالغة))(٤)، وفي ذلك غاية التنفير منهم، وفيه أيضًا تعريض بالمخاطبين؛ إذ كيف يطيعون من هذه حاله ويأتمرون بأمره؟!

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ١٥٣﴾ [الشعراء:١٥٣].

هذه الآية شروع في بيان تكذيب قوم ثمود المذكور في بداية القصة، وفُصِلت الجملة عما قبلها جريًا على أسلوب المحاورات، فكأنَّ سائلاً يسأل: ماذا كان رد قوم صالح عليه؟ فكان الجواب: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ١٥٣﴾.

وقد ذكر المفسرون أنَّ الآية تحتمل معنيين: الأول: إنما أنت من المخلوقين(٥)، وعلى هذا التفسير يكون معنى (المسَحَّرين): ((الذين يُعلَّلون بالطعام والشراب))(٦)، أو ((من ذوي السَّحر وهي الرئة))(٧)، وذلك كناية عن أنَّه مخلوق، وإنما كنَّوا ولم يصرحوا بذلك لِيُكْسِبُوا

(١) الإيضاح: ٩١.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/١٧٦.
(٣) الكشاف: ٧٦٧، وينظر: تفسير أبي السعود: ٦/٢٥٩.
(٤) تلخيص المفتاح: ١٢٨.
(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٧/٦٢٦، والكشاف: ٧٦٧.
(٦) تفسير الطبري: ١٧/٦٢٦، وينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٢٨٢.
(٧) تفسير البيضاوي: ٢/١٦٣، وينظر: معاني القرآن للنحاس: ٥/٩٧.

دعواهم الباطلة في نفي رسالة صالح عليه السلام شيئًا من التوكيد والمبالغة، يقول عبد القاهر الجرجاني: ((أما "الكناية" فإنَّ السبب في أنْ كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح، أنَّ كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أنَّ إثباتَ الصفة بإثبات دليلها، وإيجابَها بما هو شاهد في وجودها، آكدُ وأبلغُ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجًا غفلاً؛ وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يُشك فيه، ولا يُظنُّ بالمخبر التجوز والغلط))[١]. وعلى هذا التفسير يكون قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ إنكارًا منهم لرسالة صالح عليه السلام ، محتجين بأنَّه مخلوق وبشر مثلهم، فهم لا يؤمنون بأنَّ الرسول يمكن أنْ يكون بشرًا.

أما المعنى الثاني للآية: إنما أنتَ من المسحورين[٢]. وصيغة (المفَعَّلين) تدل على التكثير والمبالغة، فيكون المعنى: ((من الذين سُحِروا كثيرًا حتى غلب على عقولهم))[٣]، وقال الزجاج: ((من المسَحَّرين) من المُفَعَّلين من السِّحر، أي ممن قد سُحِر مرة بعد مرة))[٤].

ونلحظ أنَّ القوم وصفوا صالحًا عليه السلام بأنه (من المسحرين) فجعلوه فردًا من طائفة أو جماعة؛ وذلك يُفْهِم أنَّ الصفة المذكورة أصبحت كالسِّمة له، وأنها ثابتة العلوق به، كأنَّها لقب، وكأنَّه من طائفة صارت من هذا النوع المخصوص المشهور بأنَّه مُسَحَّر[٥].

والتعبير بأسلوب القصر لتأكيد معنى الجملة والمبالغة في قصر صالح عليه السلام على صفة المسحَّرين، ومجيء القصر عن طريق (إنما) للإشعار بأنَّ كونه من المسحرين - بزعمهم- من الأمور المعلومة الواضحة لديه[٦]، ((فإن موضوع (إنما) على أنْ تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزَّل هذه المنْزلة))[٧].

❁ ❁ ❁

(١) دلائل الإعجاز: ٧٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٧/٦٢٥، والكشاف: ٧٦٧، ومعاني القرآن للنحاس: ٥/٩٧.

(٣) تفسير البيضاوي: ٢/١٦٣، وينظر: حاشية الشهاب: ٧/٢٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٤/٩٧، وينظر: حاشية الشهاب: ٧/٢٣.

(٥) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٥/٤٤٤.

(٦) ينظر: حاشية القونوي: ١٤/٢٩٠.

(٧) دلائل الإعجاز: ٣٣٠.

وقوله ﷻ حكاية لقول المكذبين: M مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ ´ µ ¶ ¸ ﴿١٥٤﴾ L [الشعراء:١٥٤].

القصد من قولهم هذا تأكيد إنكارهم وتكذيبهم بصالح عليه السلام ونفي رسالته، وسبب فصل الجملة عما قبلها عائد إلى معنى (من المسَّحرين) في الآية السابقة؛ فإذا قلنا إنَّ معناها: من المخلوقين كانت الجملة التي بعدها تأكيدًا لها[١] فصلت عنها لكمال الاتصال. وعلى قول إنَّ معناها: (من المسحورين) تكون الجملة تعليلاً لها؛ ففصلت عنها لشبه كمال الاتصال، ((أي أنت مسحور لأنَّك بشْر مثلنا لا تمييز لك علينا، فدعواك إنما هي لخلل في عقلك))[٢]، وفي ذلك غاية التطاول على صالح عليه السلام وبيان لشدة كفرهم وتكذيبهم.

أما القصر في الآية فقد سبق الكلام عما يشابهه في مبحث سابق[٣]، والأمر في قولهم: Mفَأْتِ بِـَٔايَةٍ L إنما هو للتعجيز؛ لأنَّهم قد أكَّدُوا سابقًا أنَّ الرسالة والبشرية متنافيتان[٤].

وتنكير (آية) للتعظيم، أي: أئت بآية عظيمة واضحة بيِّنة، وقولهم: M ´ µ ¶ ¸ L ((أي: العريقين في الصدق))[٥]، ولم يقولوا: (إنْ كنت صادقًا) لما فيه من المبالغة، أي: إنْ كنت ممن يتصف بالصدق واشتهر وعُرِف به، فأتنا بآية تدل على صدق دعواك. وعبَّروا في جملة الشرط بـ(إنْ) الشرطية؛ لأنَّها تدل على أنَّ فعل الشرط مشكوك فيه، ويستبعد تحقق وقوعه وهو ما يوافق زعمهم وقصدهم، قال الخطيب: ((الأصل في (إنْ) أنْ لا يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه))[٦]، وقال صاحب (شرح مواهب الفتاح): ((وعدم ((وعدم الجزم بالوقوع صادق بالشك في الوقوع، وتوهمه، وظنِّه، والجزم بعدمه))[٧].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢/١٦٣، وتفسير أبي السعود: ٦/١٥٩.

(٢) حاشية الشهاب: ٧/٢٣.

(٣) ينظر: ص ١١٩ عند الكلام عن قوله تعالى: Mإِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا L [إبراهيم: ١٠]، وص ١٥٢ عند الكلام عن قوله قوله تعالى: Mf g h i j L[المؤمنون: ٣٣].

(٤) ينظر: حاشية القونوي: ١٤/٢٩١.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/٧٧.

(٦) الإيضاح: ٩١.

(٧) شرح مواهب الفتاح على تلخيص المفتاح: ١/٣١٦.

وقوله ﷻ: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ١٥٥﴾ [الشعراء:١٥٥].

قال أبو حيان: ((وفي الكلام حذف، تقديره: قال آتي بها، قالوا: ما هي؟، قال: هذه ناقة))(١)، وهذا الإيجاز يُشْعر بسرعة تأييد الله ﷻ لصالح عليه السلام بهذه الآية العظيمة، فما إنْ تحدوا صالحًا عليه السلام إلا وأشار إليها مدللاً على صدقه وما جاء به.

وقد دل النظم الكريم على تعظيم هذه الآية وتفخيمها من خلال أمرين:

الأول: الإشارة إليها باسم الإشارة ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الذي أفاد تمييز الناقة أكمل تمييز؛ لإجراء أوصاف الرفعة لها مع تعظيمها وتفخيمها(٢)، فهي يشار إليها وعظمتها لمن يراها بينة معلومة، وإيثار اسم الإشارة الدال على القرب يدل على قربها منهم يشاهدونها بأَعْيُنِهِم(٣)، وهذا أحرى أنْ يتأملوا في عظمتها فهي ماثلة أمامهم.

الثاني: تنكير لفظة (ناقة) تنكيرًا دالاً على تعظيمها.

و(الشِّرب): ((الحظ والنصيب من الماء))(٤)، وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ﴾ يفيد الاختصاص(٥)، أي ((ليس لكم في يوم وردها أنْ تشربوا من شِرْبها، ولا لها أنْ تشرب في يومكم مما لكم شيئًا))(٦).

و(معلوم) صفة لـ(يوم) ويفيد التقييد أنَّ يوم شِرْب الناقة ويوم شربهم معلوم لديهم، فلا عذر لهم إنْ اعتدوا على يومها ونوبتها، وفي ذلك تحذير لهم.

❁ ❁ ❁

(١) البحر المحيط: ١٨٢/٨.
(٢) ينظر: تلخيص المفتاح بشرح البرقوقي: ٦١.
(٣) ينظر: خصائص التراكيب: ٢٣٩.
(٤) تفسير الطبري: ٦٢٨/١٧، وينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٢/٢.
(٥) ينظر: حاشية القونوي: ٢٩١/١٤.
(٦) تفسير الطبري: ٦٢٨/١٧.

وقولـه ﷻ علـى لسـان صـالح عليه السلام: M وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦ L [الشعراء:١٥٦].

قد سبق الكلام فيما يشابهه(١).وفي إسناد العِظَم إلى اليوم مجاز عقلي علاقته الزمانيـة، لأنَّ العِظَم للعذاب وليس لليوم، قال البيضاوي: ((وهو أبلغ من تعظيم العـذاب))(٢)، وإنمـا أسند العظم إلى اليوم ((لأنَّه يفيد أنَّ عِظَم العذاب بلغ مبلغًا لا يُعرف كنهه حتى تجـاوز إلى اليوم الذي وقع العذاب فيه))(٣).

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧ L [الشعراء:١٥٧].

دلت الفاء على مسارعتهم إلى الكفر، وأنهم لم يأبهوا بتهديد صالح عليه السلام لهم، فعقروا الناقة التي كان من المفترض أنْ تكون سببًا في هدايتهم لولا استكبارهم وتغطرسـهم. أمـا بلاغة النظم في الآية فقد سبق الكلام فيما يشابهه في مباحث سابقة(٤).

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٥٨ L [الشعراء:١٥٨].

أي: حلَّ ونزل بهم العذاب الذي توعدهم به صالح عليه السلام فلم يفلتوا منه، و(الـلام) في قوله: Mٱلۡعَذَابُۚ L عهدية، إشارة إلى قول صالح عليه السلام: M فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ L، فأفـادت تأكيد صدق صالح عليه السلام فيما توعدهم به، والرد على تحديهم الذي ورد في موضـع آخـر حيث حكى الله ﷻ عنهم قولهم: M f g h i j k l L [الأعراف: ٧٧].

---

(١) ينظر: ص ٦٣ ، عند الكلام على قوله تعالى: Mفَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ L من سورة الأعراف.

(٢) تفسير البيضاوي: ١٦٣/٢.

(٣) حاشية القونوي: ٢٩٢/١٤.

(٤) ينظر: ٦٧، ١٦٣.

وقوله ﷻ: M \ [^ _ ` L أي: ((إنَّ في إهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله، وخِلافِها أمر نبي الله صالح لَعِبرة لمن اعتبر به يا محمد من قومك))(١).

وقد دل نظم الآية على عظم شأن القصة؛ فقد أكدت الجملة بـ(إنَّ) و(اللام)؛ للتنبيه على أهمية الخبر الوارد فيها، والتأكيد على أنَّها عبرة لمن اعتبر، وذلك مناسب لحال كفار قريش الذين ينكرون أنْ يكون القرآن من عند الله ﷻ ولا يعتبرون بما فيه من المواعظ والقصص.

كما أنَّ إيثار اسم الإشارة M ^ L الدال على البعد يفيد عظم شأن القصة المذكورة وما فيها من التخويف والإنذار وتهويله (٢)، وفي تنكير لفظة (آية) تعظيم لما في القصة من الاعتبار لمن ألقى السمع وهو شهيد، ((والعجب من تَخَلُّفِ من لا يتأملها مع ظهورها))(٣).

وقوله ﷻ: M a b c d L، التعبير بالجملة الاسمية ((للدلالة على استقرارهم على عدم الإيمان واستمرارهم عليه))(٤).

وفي عَود الضمير احتمالان؛ الأول: أنَّه عائد على قوم صالح عليه السلام، فتكون الجملة كما يقول ابن التمجيد: ((جملة اعتراضية وقعت في معرض التعليل للحكم السابق الذي هو أخذ العذاب، فكأنه قيل: فأخذهم العذاب لكون أكثرهم غير مؤمنين))(٥). و(كان) هنا تفيد التأكيد(٦)، وعلى هذا المعنى يكون في الآية تعريض بمشركي مكة بأنهم إنْ لم يؤمنوا فَسَيَحِلُّ بهم ما حَلَّ بقوم صالح عليه السلام قبلهم.

والاحتمال الثاني: أنْ يكون الضمير عائدًا على أكابر كفار قريش ومجرميهم، فيكون المعنى: ((ولن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله))(٧)، ، وهذا القول رجحه الألوسي حيث قال:

---

(١) تفسير الطبري: ١٧/٦٢٩.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ٦/٢٤٦.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٦٣٤.

(٤) روح المعاني: ١٩/١١٨.

(٥) حاشية القونوي بتعليق ابن التمجيد: ١٤/١٩٤، وينظر: تفسير البيضاوي: ٢/١٦٤.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/١٠٢.

(٧) تفسير الطبري: ١٧/٦٢٩، وينظر: التحرير والتنوير: ١٩/١٠٢.

قال: ((وأنا أختار – كما اختار شيخ الإسلام – رجوع الضمير إلى قوم نبينا ﷺ ، وأول السورة الكريمة وآخرها في الحديث عنهم وتسليته ﷺ عما قالوه في شأن كتابه الأكرم ونهيه صريحًا وإشارة عن أنْ يذهب بنفسه الشريفة عليهم حسرات، وكل ذلك يقتضي اقتضاءً لا ريب فيه رجوع الضمير إلى قومه ﷺ، ويهون أمر عدم رجوعه إلى الأقرب لفظًا، ويكون الارتباط على هذا بين الآيات أقوى))(١).

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M f g h i j L [الشعراء:١٥٩].

جملة تذييلية، والمعنى: ((وإنَّ ربك يا محمد لهو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بمن آمن به من خلقه))(٢).

وقد أُكِّدت الجملة بعدة مؤكدات وهي: (إنَّ)، و(اللام)، وضمير الفصل، وتعريف المسند باللام، وهما يفيدان القصر، والغرض من التوكيد تقوية مضمون الكلام، فالرسول ﷺ ليس في نفسه شك بأنَّ الله ﷻ هو العزيز الرحيم، وأنَّه سينتقم من أعدائه، ويرحم أولياءه، ((ولكنَّ التوكيد يهدف إلى زيادة تقرير المعنى في نفسه ﷺ حتى يبلغ به عين اليقين، وفيه تعهد للإيمان الراسخ في يقينه ﷺ حتى ينهض بأثقال الدعوة))(٣)، وفيه ربط دائم ومتواصل بما جاء في أول السورة في قوله ﷻ: M) (* + , - . L[الشعراء: ٣].

وفي إضافة لفظ (الرب) إلى ضمير الرسول ﷺ في قوله ﷻ: M g L تكريم وتشريف للنبي ﷺ، وإشارة إلى عناية الله ﷻ به عناية خاصة فهو ربه وهو ناصره. والتعبير بالربوبية في خطاب النبي ﷺ مناسب للمقام؛ إذ المقام مقام نصرة وتأييد وإحسان وذلك من مقتضيات الربوبية(٤).

---

(١) روح المعاني: ١١٩/١٩.

(٢) تفسير الطبري: ٦٢٩/١٧، وينظر: الكشاف: ٧٦٢.

(٣) خصائص التراكيب: ١٣١.

(٤) التحرير والتنوير: ١٤٥/١٥.

واختيار الاسمين الكريمين (العزيز) و(الرحيم) لمناسبتها للسياق؛ فـ(العزيز) يدل على صفة العزة وهي من صفات الغلبة والقهر والانتقام[1]، وذلك مناسب لما في القصة من إهلاك المكذبين. و(الرحيم) يدل على صفة الرحمة، وذلك مناسب لرحمته لرسله وللمؤمنين، وتأييده ونصره لهم[2].

وقُدِّم (العزيز) على (الرحيم)؛ لدلالة السياق عليه[3]، فإن إهلاك المكذبين يقتضي تقديم (العزيز). وذكر الزركشي علة أخرى تتعلق بالأكثرية والأقليَّة؛ حيث قال: ((وأما مناسبة قوله: (العزيز الرحيم) فإنَّه تعالى نفى الإيمان عن الأكثر، فدل بالمفهوم على إيمان الأقل، فكانت العزة على من لم يؤمن، والرحمة لمن آمن، وهما مُرَتَّبَتان كترتيب الفريقين))[4] - والله أعلم -.

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٦/١٧٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/١٠٢.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٧٨٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٦٣٤.

المبحث السابع

قصة صالح عليه السلام في سورة النمل

قال الله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . /
0 1 2 3 4 5 7 8 9 : ; < = > ? @ A
C D E F H I J K L M N O P Q R S T U V W
X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h
i j k l m n o p q r s t u v w x
y z { | } إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ © وَكَانُوا
يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ L [النمل: ٤٥ – ٥٣].

أولاً: الغرض العام للسورة:

قال البقاعي: ((مقصودها: وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين؛ لإحاطة علم مُنْزِله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة؛ فالمقصود الأعظم منها: إظهار العلم والحكمة))(١).

وإذا تتبعنا لفظة (العلم) واشتقاقاها في السورة نلاحظ أنها وردت عشر مرات، بالإضافة إلى غيرها مما يدل عليها ضمنًا أو ينافيها مثل: (تجهلون) و(لا يشعرون). فالله ﷻ وصف نفسه بالعلم في أول السورة، وذكر أنَّه آتى داود وسليمان عليهما السلام علمًا، وعلم سليمان منطق الطير، وذكر الذي عنده علم من الكتاب، وبيَّن ﷻ أنَّ في قصة صالح عليه السلام وإهلاك ثمود عبرة لقوم يعلمون، وأكد ﷻ أنَّه لا يعلم الغيب إلا هو، وأنَّه عليم بذات الصدور، وسمى نفسه بالعليم، إلى غير ذلك من المواضع التي يذكر الله ﷻ فيها العلم عن نفسه أو عباده أو ينفيه عن القوم الكافرين. وبذلك يظهر لنا أنَّ السورة ترتكز حول موضوع علم الله المطلق وإحاطته بكل شيء.

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٣٣٣.

ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها:

افتتحت السورة بالتنويه بشأن القرآن الكريم وتعظيمه ووَصْفه بأنَّه: M (* + , L [النمل:٢]، ثم ذكر ﷻ بعض صفات المؤمنين فهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة، ولما ذكر من صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالآخرة أفهم التخصيص أنَّ ثَمَّ مَنْ يُكَذِّب بها، ولما كان أمرها مركوزًا في الطباع؛ لما عليها من الأدلة الباهرة في العقل والسماع؛ تشوفت نفس السامع على سبيل التعجب إلى حالهم، فقال مؤكِّداً التعجب ممن ينكر الآخرة: M7 8 9 : ; <= > ? @ A L [النمل:٤].

ولما كان هؤلاء الكفار يتلقون كفرهم عن شياطينهم أو آبائهم وصف النبي ﷺ بضد حالهم، فذكر جلالة المنْزَل عليه والمنْزِل ليكون أدعى إلى قبوله فقال ﷻ: M M N O PQ R S T L [النمل:٦](١).

ولما ذكر ﷻ حكمته وعلمه ذكر قصصًا فيها دلالة على كلٍّ من الوصفين فيها تسلية للنبي ﷺ مما يلاقيه من تكذيب قومه له؛ فذكر ﷻ قصة موسى ثم سليمان ثم صالح ثم لوط عليهم الصلاة والسلام. وقد ذكر البقاعي كلامًا مفاده أنَّ هذه القصص ذُكِرت في هذه السورة لما بينها من عظيم التناسب المناسب لمقصود السورة الذي يدور حول الحكمة والعلم؛ فابتدئ بقصة أطبق فيها الأباعد على الكفران فأهلكوا، والأقارب على الإيمان فأنجوا، وهي قصة موسى عليه السلام، وثُنِّي بقصة أجمع فيها الأباعد على الإيمان لم يتخلف منهم أحد، وهي قصة سليمان عليه السلام وبلقيس، ثم أُعقِبت بقصة أخرى حصل بين الأقارب فيها الفرقان باقتسام الكفر والإيمان، وهي قصة صالح عليه السلام، وخُتِم بقصة تمالأ فيها الأباعد على العصيان وأصروا على الكفران وهي قصة لوط عليه السلام(٢).

ونلحظ أيضًا مع ذلك مناسبة أخرى في ذكر هذه القصص؛ فهي تتناسب مع ما ذكره الله ﷻ في بداية السورة عن الكافرين أنهم زُيِّنت لهم أعمالهم، فهؤلاء الأقوام قد زُيِّنت لهم أعمالهم القبيحة من الكفر والمعاصي، ففرعون وقومه جاءهم موسى عليه السلام بالآيات والبينات

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/ ١٢٨

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/ ١٢٩

الواضحات ولكنهم كفروا، قال عز وجل : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ [النمل:١٣]، وفي قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ أنها وقومها عبدوا الشمس من دون الله وأنَّ ذلك من تزيين الشيطان لهم، وفي قصة صالح عليه السلام نجد أنَّ الرهط التسعة المفسدين في الأرض زَيَّنت لهم أنفسهم قتل صالح عليه السلام فمكروا به ولكن الله عز وجل مكر بهم فدمرهم، وقوم لوط عليه السلام زُيِّن لهم إتيان الرجال من دون النساء، وأرادوا إخراج لوط عليه السلام من قريتهم فأهلكهم الله عز وجل.

أما البدء بقصة موسى عليه السلام – والله أعلم – لشبه حال موسى عليه السلام بحال نبينا محمد ﷺ فكل منهما أوتي كتابًا من عند الله عز وجل فيه علم وحكمة، وقد كذب فرعون وقومه وكفروا بالآيات التي جاء بها موسى عليه السلام جحودًا منهم مع يقينهم بصدقه عليه السلام، وكذلك كفار قريش مع النبي ﷺ .

وأُعقِبت قصة موسى عليه السلام بقصة سليمان عليه السلام لأنَّه من بني إسرائيل، وقد آتاه الله علمًا لم يؤته أحدًا من العالمين.

ثم وردت قصة صالح عليه السلام بعد ذكر سليمان عليه السلام وقصة ملكة سبأ وذلك ((لمناسبة جوار البلاد؛ لأنَّ ديار ثمود كانت على تخوم مملكة سليمان وكانت في طريق السائر من سبأ إلى فلسطين))(١)، كما أنَّ قوم ثمود وقوم سبأ كلاهما في العرب، فهناك تناسب بينهما في المكان والجنس(٢).

وأيضًا في قصة صالح عليه السلام مناسبة لموضوع السورة الذي يدور حول العلم والحكمة، وذلك يظهر في إحاطة علم الله عز وجل بمكر الذين أرادوا قتل صالح عليه السلام وأهله وتقاسمهم على إخفاء ذلك وإنكاره، ولكن ذلك لا يخفى على الله عز وجل فمكر بهم وهم لا يشعرون.

ثم أعقبت قصة صالح عليه السلام بقصة لوط عليه السلام وذلك لمناسبة الجوار أيضًا؛ لأنهم ((أدنى إلى بلاد فلسطين فكان سياق هذه القصص مناسبًا لسياق السائر من بلاد اليمن إلى فلسطين))(٣)، ولأنَّ قوم ثمود وقوم لوط معروفون عند العرب، فهم يعرفون مكانهم ويمرون

---

(١) التحرير والتنوير: ١٩/٢٧٨.

(٢) ينظر: قصص القرآن الكريم: ٢٣٨.

(٣) التحرير والتنوير: ١٩/٢٧٨.

بهم في رحلاتهم وذلك أدعى للاعتبار بما حل بهم من هلاك؛ ولذلك قال الله ﷻ بعد ذلك: M o p q r s t u v w x L [النمل: ٦٩].

((ولما تم بهذه القصص استنتاج ما أراد سبحانه من الدليل على حكمته وعلمه ومباينته للأصنام في قدرته وعلمه، أمر نبيه ﷺ بأنْ يحمده شكراً على ما علم، ويقررهم بعجز أصنامهم ردًّا لهم عن الجهل بأوضح طريق وأقرب متناول))(١)، فقال ﷻ: M C D E F G H I J L M N O P L [النمل: ٥٩].

ثم ذكر ﷻ بعض الآيات الظاهرة الدالة على كمال علمه وحكمته ووحدانيته؛ من خلق السموات والأرض، وما أودع فيهما من أنهار وحدائق وأشجار، وإنزال الأمطار، وإجابة الدعاء، وإرسال الرياح، ورزقه للعباد، ثم ذكر ﷻ علمه المطلق وأنَّه لا يعلم الغيب إلا هو، ومن ذلك العلمُ بوقت يوم البعث والنشور، ثم انتقل إلى ذكر موقف المكذبين من البعث وشكهم فيه، وتكذيبهم به، ((ثم أمر الله رسوله أنْ يرشدهم إلى صدق هذا بالسير في الأرض حتى يروا عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم للرسل فيما دعوهم إليه من الإيمان بالله واليوم الآخر))(٢).

ثم عاد السياق إلى ذكر علم الله ﷻ المطلق الذي منه علمه بما تكن صدورهم، وما تحدث به أنفسهم وما يعلنون، وأنه ﷻ عليم بكل شيء في السموات والأرض مهما قَلَّ وخفي، وذكر ﷻ أنَّ القرآن الكريم يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه مختلفون وهذا يستلزم العلم، ثم وصف نفسه بأنَّه العزيز العليم.

ولما ذكر الله ﷻ في آيات سابقات البعث والنشور ذكر مقدمات القيامة وما يحدث فيها من أهوال(٣)، فمن ذلك خروج الدابة، والنفخ في الصور، والفزع، ومرور الجبال كالسحاب، وافتراق المكلفين إلى محسنين آمنين ومسيئين يكبون في النار.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٨٤/١٤، وينظر: البحر المحيط: ٨٣/٧.

(٢) تفسير المراغي: ١٤/٢٠.

(٣) ينظر: تفسير المراغي: ٢١/٢٠.

وبعد أنْ بَيَّن ﷻ أحوال المبدأ والمعاد والقيامة أمر الرسول ﷺ أنْ يعلن للمشركين أنَّه أمر بعبادة الله وحده وأنْ يتلو القرآن، فإنَّ أمر الدعوة قد تم بما لا مزيد عليه وقد قامت الحجة عليهم فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فقد بلغه الإنذار. ثم ختمت السورة بذكر ما يتضمن علم الله ﷻ بقوله: M g h i j k L [النمل:٩٣].

وهكذا رأينا أن السورة تدور حول موضوع العلم، وقد ختمت بمثل ما افتتحت به من ذِكر القرآن الكريم، فقد وصف الله ﷻ القرآن في أولها أنه هدى فقال ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , L [النمل:١-٢]، وختمت بذلك في قوله: M N O P Q R S T U V L الآية [النمل: ٩٢](1).

ثالثًا: المعنى العام للآيات:

يخبر الله ﷻ أنَّه أرسل إلى ثمود أخاهم صالحًا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فافترقوا فريقين يختصمون في الدين؛ فريقًا مؤمنًا، وفريقًا كافرًا مكذبًا.

فسأل المكذبون صالحًا عليه السلام أنْ يأتيهم بالعذاب إنْ كان صادقًا أنَّه رسول من عند الله ﷻ، فقال لهم صالح عليه السلام واعظًا لهم: يا قوم لم تستعجلون بالعذاب قبل الرحمة؟ هلا استغفرتم الله ﷻ من الشرك لعلكم ترحمون فلا تعذبون !!.

وقال المكذبون لصالح عليه السلام بعد أنْ ابتلاهم الله ﷻ بالقحط والجوع: إنا تشاءمنا بك وبمن معك - أي المؤمنون -. فقال لهم صالح عليه السلام: إنَّ شؤمكم عند الله ﷻ أتاكم به ليختبركم بالخير والشر.

وكان في قوم ثمود تسعة رجال يفسدون في الأرض بالمعاصي ولا يصلحون أبدًا، فقال هؤلاء لبعضهم: احلفوا وتعاهدوا على أنْ نقتل صالحًا وأهله ليلاً ثم ننكر ذلك عند ولي دمه ونقول: ما حضرنا مهلكهم، فلا ندري من قتلهم.

فكان عاقبة مكرهم ذلك أنْ مكر الله ﷻ بهم وهم لا يشعرون، فدمرهم وأهلكهم فأصبحت بيوتهم خاوية بسبب ظلمهم وكفرهم، فأصبحوا عبرة وعظة لمن يعلم

(١) ينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ٥٨.

قدرة الله ﷻ ، أما المؤمنون المتقون فقد أنجاهم الله ﷻ من مكر الماكرين ومن العذاب الأليم(١).

رابعًا: بلاغة النظم في القصة:

قال الله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . L

[النمل:٤٥].

يخبر ﷻ في هذه الاية الكريمة أنَّه أرسل إلى ثمود صالحًا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده فآمن به فريق وكذبه الفريق الآخر، فأصبحوا مختصمين في الدين: مؤمنين وكافرين(٢).

قوله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) L سبق الكلام فيما يشابهه في مبحث سابق(٣).

وقوله ﷻ: M * + , - L العطف بـ(الفاء) التي تقتضي التعقيب لا المهملة يفيد أنَّ فريقًا منهم بادروا بالتكذيب والخصومة من حين دعوة صالح عليه السلام لهم(٤).

و(إذا) الفجائية تفيد التعجب منهم(٥)، وأنَّ ((انقسامهم غير مرضي فكأنه غير مترقب))(٦).

والتعبير بالمضارع مع صيغة التفاعل في قوله ﷻ: M - L يفيد تكرار ذلك التخاصم وتجدده، وأنَّ كل فريق صار خصمًا للآخر؛ يدافع عن دينه يوالي فيه ويعادي فيه، فثمود انقسمت إلى أمتين متفاصلتين على أساس العقيدة، فقد انبتَّتْ وشيجة القومية

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٨/٨٥ وما بعدها، وتفسير ابن كثير: ٦/١٩٧.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٨/٨٦.

(٣) ينظر: ص ٥٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٨/٢٤٨، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/١٧٤.

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/١٧٤.

(٦) التحرير والتنوير: ١٩/٢٧٨.

ووشيجة القرابة العائلية؛ لتقوم وشيجة العقيدة وحدها، وإذا القوم الواحد؛ أمتان متفاصلتان لا قربى بينهم ولا علاقة[١].

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M / 0 1 2 3 4 5 7 8 9 : ; < L [النمل:٤٦].

لما دعا صالح عليه السلام ثمود إلى عبادة الله وحده طلب الكافرون من صالح عليه السلام أنْ يأتيهم بالعذاب إنْ كان صادقًا فيما يدعيه من أنَّه رسول من عند الله ﷻ ، وهذا يفهم من السياق ومن المواضع الأخرى التي وردت فيها القصة في القرآن الكريم، وفي حذفه طيٌّ وإيجاز، فوعظهم صالح عليه السلام ونبههم أنَّ طلبهم هذا لا ينبغي منهم، و ((تلطف صالح عليه السلام بقومه ورفق بهم في الخطاب، فقال مناديًا لهم على جهة التحنن عليهم: M1 2 3 L أي: بوقوع ما يسوؤكم قبل الحالة الحسنة وهي رحمة الله))[٢].

والاستفهام للإنكار عليهم لاستعجالهم العذاب دون الرحمة[٣]. وصيغة المضارع في قوله: M 2 L مع دخول (السين) على الفعل تدلُّ على تجدد الطلب منهم واستمرارهم في الإلحاح عليه، وهذا يشير إلى مدى تكذيبهم لما جاء به صالح عليه السلام واستبعادهم لوقوع العذاب بهم وإلا لما كانوا استعجلوه.

والتعبير بـ(السيئة) عن العذاب، و(الحسنة) عن الرحمة؛ مجاز مرسل علاقته السببية، فالسيئة سبب للعذاب، والحسنة سبب لرحمة الله ﷻ لعباده[٤]، وفيه إشارة إلى أنَّ العذاب يحلُّ بمن يستحقه لاقترافه السيئات وأنَّ الله لا يظلم أحدًا.

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/١٣٠٥.

(٢) البحر المحيط: ٨/٢٤٩، وينظر: تفسير الطبري: ١٨/٨٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/٢٧٩.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤/٢٠٢.

كما أنَّ بين (السيئة) و(الحسنة) طباقًا؛ وهو محسن معنوي يكسب الكلام رونقًا وجمالاً، ودخول الباء على (السيئة) للتأكيد على استعجالهم لها(١).

وبعد أنْ أنكر عليهم صالح الطَّيْلاِ استعجالهم العذاب قبل الرحمة ((حضهم على ما فيه درء السيئة عنهم، وهو الإيمان واستغفار الله مما سبق من الكفر، وناط ذلك بترجي الرحمة، ولم يجزم بأنَّه يترتب على استغفارهم، وكان في التحضيض تنبيه على الخطأ منهم في استعجال العقوبة وتجهيل لهم في اعتقادهم))(٢)، فقال لهم: M 7 8 9 : ; L، واستعمال صيغة المضارع في (تستغفرون) بعد التخصيص عليه، فيه حث على استحداث الاستغفار وتجديده وإدامته.

وفصلت جملة M : ; L لشبه كمال الاتصال، فكأنَّ سائلاً يسأل: لماذا نستغفر الله؟، فجاء الجواب: لعلكم ترحمون.

وبناء الفعل (ترحمون) لما لم يُسَمَّ فاعله للعلم بالفاعل، وتعلُّقِ السياق بالمفعول الذي ستقع عليه الرحمة؛ وهم المخاطبون من قوم صالح الطَّيْلاِ.

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M = > ? @ A C D E F H I J K L L [النمل:٤٧].

أي: تشاءمنا بك وبالذين معك، ((وما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرًا. وذلك أنَّهم – لشقائهم – كان لا يصيب أحدًا منهم سوءٌ إلا قال: هذا من قِبَلِ صالح وأصحابه))(٣).

وإطلاق التطير على التشاؤم من باب الاستعارة، وذلك لأنَّه ((كان الرجل يخرج مسافرًا فيمر بطائر فيزجره، فإنْ مر سانحًا تَيَمَّن، وإنْ مر بارحًا تشاءم، فلما نسبوا الخير

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/٢٧٩.
(٢) البحر المحيط: ٨/٢٤٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ٦/١٩٨، وينظر: المحرر الوجيز: ١٤٢٤، والبحر المحيط: ٧/٧٩.

والشر إلى الطائر؛ استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة))(١).

و(اطَّيَّرنا) أصلها (تَطَيَّرنا) أُبدلت التاء طاءً، وهذا الإبدال الذي جعل (الطاء) مشددة يدل على المبالغة؛ ((لأنَّ التضعيف كثيراً ما يؤتى به للمبالغة))(٢)، ويدل ذلك على شدة تطيرهم بصالح عليه السلام ومن آمن معه وغلوهم في ذلك.

وفي تخصيص صالح عليه السلام بالذكر بالإشارة إليه بالضمير ثم عطف المؤمنين عليه في قولهم: بك وبمن معك، ولم يقولوا: (بكم)؛ دلالة على مبلغ كفرهم وتطاولهم على رسولهم صالح عليه السلام وجرأتهم عليه.

فلما قالوا ذلك رَدَّ عليهم صالح عليه السلام حينما حكى الله عز وجل عنه أنّه قال: E D M L K J I HF أي: مصائبكم عند الله عز وجل بقضائه وقدره الأزلي(٣).

وقول صالح عليه السلام لهم: (طائركم) أي: ((على زعمكم وتسميتكم))(٤)، وهذا من باب المشاكلة لقولهم: (تطيرنا بك وبمن معك)، ومخاطبة لهم بما يفهمون لإصلاح اعتقادهم(٥).

ثم قال عز وجل في تتمة كلام صالح عليه السلام: L K J I HM، ((أي: تختبرون، أو تعذبون، أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة))(٦)، فالإضراب لإبطال أنْ يكون ما يصيبهم من المصائب والشدائد بسبب شؤم صالح عليه السلام ومن آمن معه، وإنما ذلك اختبار لهم بالسراء هل يشكرون وبالضراء هل يصبرون أو يجزعون، أو لبيان أنَّ تطيرهم فتنة من الشيطان يلقيه في قلوبهم(٧). وعند القونوي أنَّ الإضراب للترقي من ذكر السبب إلى ذكر سبب السبب وليس للإبطال، حيث يقول: ((فرد عليه السلام عليهم بأنَّه بسبب شؤم أعمالكم، ثم

---

(١) الكشاف: ٧٨٥، وينظر: تفسير أبي السعود: ٦/٢٩٠.

(٢) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٤٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٨/٨٨، والمحرر الوجيز: ١٤٢٤، وحاشية ابن التمجيد على حاشية القونوي: ١٤/٤٠٧.

(٤) المحرر الوجيز: ١٤٢٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/٢٨١.

(٦) البحر المحيط: ٧/٧٩.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/٢٨١.

أضرب عنه إلى ذلك فقال: بل أنتم قوم شأنكم كونكم مختبرين بأنواع الشدائد...، فهو للترقي لا للإبطال))[1]، والأول أظهر - والله أعلم - .

وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: L K J I HM؛ لتقوية الحكم، ((وصيغ المسند فعلاً مضارعًا؛ للدلالة على تجدد الفتون واستمراره))[2]، ومجيء الفعل مبنيًّا لما لم يُسَمَّ فاعله يدل على غفلتهم عن الفتنة وعدم شعورهم بها.

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: Q P O N M M L W V U T S R [النمل:٤٨].

يخبر الله ﷻ أنَّ في مدينة قوم صالح وهي حجر ثمود تسعة رهط يفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي إفسادًا عظيمًا لا يخالطه إصلاح[3].

وقُدِّم الجار والمجرور L O NM على اسم (كان) للاهتمام به؛ فهو يُبيِّن أنهم قريبون منهم ومعروفون بينهم. وقوله ﷻ: L Q P M أي: تسعة رجال[4]، وأصل الرهط ((عدد ((عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة))[5]، وإطلاق الرهط الذي هو اسم للجماعة على الرجل الواحد في الآية يدل على أنهم ((كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم رهط))[6]، قال القونوي: ((فيكون استعارة؛ شُبِّه كل واحد منهم برهط بسبب استجماع خصال الجماعة؛ لكونه رئيسًا متبوعًا))[7]. وقد توحي هذه اللفظة بأنَّ إفساد كل واحد منهم أصبح كأنَّه إفساد رهط في عظمة وشدته واتساعه، كما يفيد ذلك كثرة أعداء صالح عليه السلام فالمتآمرون عليه

(١) حاشية القونوي: ١٤/٤٠٧.
(٢) التحرير والتنوير: ١٩/٢٨١.
(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٨/٨٨.
(٤) ينظر: البحر المحيط: ٧/٧٩.
(٥) لسان العرب: ٥/٣٤٣، مادة (رهط).
(٦) تفسير القرطبي: ١٦/١٨٢.
(٧) حاشية القونوي: ١٤/٤٠٨.

تسعة رهط اجتمعوا على الكيد له والمكر به، ومع ذلك لم يقدروا عليه، ولم يصلوا إليه؛ لأنَّ الله ﷻ ناصره ومنجيه.

وقوله ﷻ: M R S T U V L سبق الكلام فيما يشابهه في مبحث سابق[1].

وإذا تأملنا هذه الآية وجدنا أنَّ النظم الكريم فيها يصور لنا مدى الإفساد في قوم ثمود؛ ففي هذه المدينة تسعة رهط مفسدون، ولكل واحد منهم أتباع، وفسادهم مستمر ومحض لا يخالطه إصلاح، فكيف سيكون حالهم وعداوتهم لصالح عليه السلام؟!!

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f L [النمل:٤٩].

لما كان هؤلاء الرهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ضاقوا ذرعًا بمن يصلح ويحارب الفساد، وهكذا المفسدون يحاربون المصلحين لأنهم يقفون في وجههم وينادون بالعبودية لله رب العالمين، فالباطل وأهله لا يطيقون رؤية الحق يعيش ولا رؤية جماعة تدين لله وحده وتخرج من سلطان الطواغيت[2]؛ لذلك أرادوا أنْ يقضوا على منبع الإصلاح المتمثل في رسول الله صالح عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: M Y Z [\ L، أي: ليقسم كل واحد منا بالله على أنْ نقتله ومن آمن معه في الليل بغتة كي لا يرانا أحد.

وقد دلَّ النظم الكريم على عزمهم الأكيد وإصرارهم على تنفيذ هذه الجريمة؛ ففعل الأمر M Y L يفيد أنهم كانوا يتحاضون على فعل هذه الجريمة المنكرة، ويحث بعضهم بعضًا عليها.

وفي تأكيد الجملة بالقسم ونون التوكيد الثقيلة في قولهم: M [L دلالة على شدة تعاقدهم وتعاهدهم على تنفيذ هذه الجريمة، وتصميمهم على فعل ما يخططون له، كما أنَّ

---

(١) ينظر: ص ١٧٩.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/١٣٠٦.

نون التوكيد الثقيلة تُشْعِر بمبلغ غضبهم وحنقهم على صالح الطَّيِّلاً، فكأن شيئًا من حقدهم عليه يخرج مع نطقها وجرسها، بل إنهم لم يكتفوا بقتل صالح الطَّيِّلاً؛ وإنما أرادوا أيضًا أن يقتلوا من آمن معه.

وإقسامهم بالله ﷻ يوحي بأنهم لم يقدروا الله حق قدره، وأنَّ الشيطان قد زين لهم ما أقدموا عليه، إذ كيف يقسمون بالله على أن يغدروا برسوله وذلك غاية الإجرام والفساد!!.

ثم ذكر الله ﷻ عنهم ما يدل على مكرهم وخبثهم وأنَّ الكذب هو ديدنهم؛ حيث أرادوا إنكار جريمتهم بعد أنْ يفعلوها بقولهم: M] ^ _ ` a b c d e L.

وقد دل النظم الكريم على مبالغتهم في إنكار جريمتهم من خلال ما يلي:

أولاً: تأكيد عزمهم على الإنكار بالقسم الذي دلت عليه (اللام) ونون التوكيد الثقيلة في قولهم: M ^ L .

ثانيًا: قولهم: M` a L و((معناه ما حضرناه، وهو أبلغ من ما قتلناهم))[(١)]؛ لأنهم إنْ كانوا لم يحضروه فمن باب أولى أنَّهم لم يتولوه.

ثالثًا: قولهم: M b L، أي: ((هلاكهم، أو وقت هلاكهم، أو مكان هلاكهم))[(٢)]، فهذه اللفظة الموجزة تدل على المبالغة في الإنكار حيث تشمل الحدث والزمان والمكان.

رابعًا: الحذف الذي في الجملة، قال أبو حيان: ((والظاهر في الكلام حذف معطوف يدل عليه ما قبله، والتقدير: ما شهدنا مهلك أهله ومهلكه، ودل عليه قولهم: M] \ L))[(٣)]، ففي هذا الحذف دلالة على المبالغة في إنكارهم الجريمة؛ ((لأنَّ من لم يقتل أتباعه كيف يقتله؟! ولما كان هذا مستلزمًا له لم يُذْكر))[(٤)].

(١) حاشية الشهاب: ٥١/٧.
(٢) تفسير أبي السعود: ٢٩٠/٦.
(٣) البحر المحيط: ٢٥١/٨.
(٤) حاشية الشهاب: ٥١/٧.

خامسًا: تذييل كلامهم إيهامًا بتحقق صدقهم وبراءهم بقولهم: M d e L، مع تأكيد الجملة بـ(النون) و(اللام) والجملة الاسمية(١).

كل ذلك مكر منهم لدفع التهمة عنهم، وذلك يدل على أنَّ صالحًا عليه السلام كان من أشراف قومه وله عصبة يحامون ويدافعون عنه ويطالبون بدمه.

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M g h i j k l m n L [النمل:٥٠].

أي ((دبروا أمرهم على قتل صالح وأهله على وجه الخفية حتى من قومهم خوفًا من أوليائه، M i j L: بنصر نبينا صالح عليه السلام وتيسير أمره وإهلاك قومه المكذبين M k l m L))(٢)، قال قتادة: ((فسلط الله عليهم صخرة فقتلتهم))(٣)، وذلك أنهم رصدوا كمينًا لصالح عليه السلام واختبأوا في غار فسلط الله عليهم صخرة فطبقت عليهم فم الغار فلا يدري قومهم أين هم ولا يدرون ما فُعِل بقومهم، فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى الله صالحًا ومن معه(٤).

والمكر: هو : ((التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر))(٥)، وأُكِّد المكر بالمفعول المطلق للمبالغة(٦)، و((للدلالة على قوته في جنس المكر، وتنوينه للتعظيم))(٧).

وإسناد الفعل إلى ضمير العظمة مع تنكير (مكرًا) في قوله ﷻ: M i j L يدل على عظمة مكر الله ﷻ بهم جزاء مكرهم.

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/١٧٨.

(٢) تفسير ابن سعدي: ٦٠٦.

(٣) تفسير الطبري: ١٨/٩٣.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٨/٩٣.

(٥) المفيد في شرح كتاب التوحيد: ٢/٢٠٢.

(٦) ينظر: حاشية القونوي: ١٤/٤١٢.

(٧) التحرير والتنوير: ١٩/٢٨٤.

وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله ﷻ: M k l m L يفيد تقوية الحكم، وأنهم كانوا في غفلة شديدة عما سيحل بهم ويصيبهم من مكر الله ﷻ .

وقد عدَّ جمهور البلاغيين هذه الآية من باب "المشاكلة"(١)، وهي: ((أنْ تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته))(٢)، وعند الزمخشري أنها على سبيل الاستعارة(٣)، وهذا كله فيه تأويل لصفة المكر لله ﷻ، ومخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة(٤) الذين يثبتون صفة المكر المكر لله ﷻ مقيدة على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، فأهل السنة والجماعة يقولون: إنَّ ((مكر الله جل وعلا من صفاته التي تطلق مقيدة، فالله جل وعلا يمكر بمن مكر بأوليائه وأنبيائه، وبمن مكر بدينه، لأنها في الأصل صفة نقص، ولكن تكون صفة كمال إذا كانت بالمقابلة؛ لأنها حينئذٍ فيها معنى إظهار العزة، والقدرة، والقهر، والجبروت، وسائر صفات الجلال، فمكر الله جل وعلا من صفاته التي يتصف بها على وجه التقييد، فتقول: يمكر بأعداءِ رسله، يمكر بأعدائه، يمكر بمن مكر به، ونحو ذلك))(٥).

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M o p q r s t u v w x L [النمل:٥١].

قال الطبري: ((فانظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح كيف كانت؟ وما الذي أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم ؟ فإنَّ ذلك سنتنا فيمن كذَّب رسلنا، وطغى علينا من سائر الخلق، فحذِّر قومك من قريش أنْ ينالهم تكذيبهم إياك ما نال ثمود بتكذيبهم صالحًا من المثلات))(٦).

وقد دل النظم الكريم في هذه الآية على هول ما أصاب قوم ثمود وحَلَّ بهم من خلال ما يلي:

(١) ينظر: العمدة: ٢٦٧/١، ودلائل الإعجاز: ٢٣١، ومفتاح العلوم: ٣٦٦.

(٢) مفتاح العلوم: ٣٦٥.

(٣) ينظر: الكشاف: ٧٨٦.

(٤) ينظر: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة والجماعة: ٣٧.

(٥) التمهيد لشرح كتاب التوحيد: ٣٨٣، وينظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ١٧٠/١.

(٦) تفسير الطبري: ٩٤/١٨.

أولاً: استفتاح الآية بالدعوة إلى التأمل والنظر في عاقبة هؤلاء المكذبين في قولـــه ﷻ: M o L.

ثانيًا: الاستفهام الذي يفيد التهويل والتعجيب ويجعل الـــنفس تتشـــوف إلى معرفـــة عاقبتهم في قوله ﷻ: M p q r s L، فإنَّ ما حَلَّ بهم بسبب مكرهم أهـــل لأنْ يسأل عنه[(١)]، فانظر تتعجب منه[(٢)].

ثالثًا: بيان ما أُبْهم في الاستفهام بقولـــه ﷻ: M t u v w L، وفي ذلـــك زيادة للتهويل[(٣)].

رابعًا: تأكيد الجملة بـــ (أنَّ) وذلك ((للاهتمام بالخبر))[(٤)]، وتقويـــة مضـــمونه عنـــد المخاطب وتقريره في نفسه[(٥)]، ليبعث ذلك على الخوف من الله ﷻ والتأمل في قوته وعزته وقدرته.

خامسًا: الإسناد إلى نون العظمة في قوله ﷻ: M t u L يُبَيِّن عظم ذلك التدمير والإهلاك.

سادسًا: عطف قومهم عليهم مـــع التأكيـــد في قولـــه ﷻ: M v w L، أي: ((لم يفلت منهم أحد))[(٦)]، فقد عمَّهم التدمير جميعهم.

فسبحان القوي العزيز فإنهم لما أرادوا قتل صالح عليه السلام ومن آمن معه دمـــرهم الله ﷻ وقومهم أجمعين.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/١٧٩.

(٢) ينظر: حاشية ابن التمجيد على حاشية القونوي: ١٤/٤١٣.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/١٧٩.

(٤) التحرير والتنوير: ١٩/٢٨٥.

(٥) ينظر: خصائص التراكيب: ١٣٠.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/١٧٩.

وقولـــــــــه ﷻ: M y z { | } إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ L [النمل:٥٢].

قال أبو حيان: ((ولما أمر تعالى بالنظر فيما جرى لهم من الهلاك في أنفسهم بيَّن ذلـــك بالإشارة إلى منازلهم وكيف خلت منهم، وخرابِ البيوت وخلوِّها من أهلها حتى لا يبقـــى منهم أحد مما يعاقب به الظلمة، إذ يدل ذلك على استئصالهم))(١).

واسم الإشارة في قوله ﷻ: M y z L يفيد استحضار أحوالهم، وتهويل مـــا أصابهم من الدمار. واستعمال اسم الإشارة الدال على البعد يشعر ببعد تلك المنازل بســـبب الغضب على أهلها(٢).

وقوله ﷻ: M } L أبلغ من قولنا: (خالية) في هذا الموطن؛ لأنَّ مادة (خوى) تدل على الخلو والسقوط والتهدم، قال ابن فارس: ((الخاء والواو والياء أصل واحد يـــدل علـــى الخلو والسقوط))(٣)، وقال ابن منظور: (("خوَت الدار": تهدمت وسقطت، ومنه قوله تعالى: M y z { L، أي: خالية... وقيل: ساقطة على سقوفها))(٤)، أما لفظة (خالية) فتدل على الخلو فقط، قال ابن فارس: ((الخاء واللام والحرف المعتل أصل واحد يدل علـــى تعري الشيء من الشيء... والمكان الخلاء الذي لا شيء به))(٥)، وبذلك يتبيَّن لنا دقة هـــذه اللفظة في سياق تدمير الله ﷻ لقوم ثمود؛ لأنها تحمل معنى زائدًا على الخلو وهو الســـقوط والتهدم.

والتقييد بالجار والمجرور في قوله ﷻ: M | { L لتربية الفائـــدة؛ وهـــي أنهـــم أهلكوا بسبب ظلمهم؛ ظلمهم لأنفسهم بالشرك والمعاصي، وظلمهم لغيرهم بإرادتهم قتـــل صالح عليه السلام ومن آمن معه، وفي وصفهم بالظلم ((إشارة إلى أنَّ للظلم أثرًا في خراب بلادهم،

(١) البحر المحيط: ٨/٢٥٤.
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤/١٧٩.
(٣) معجم مقاييس اللغة: ٢/٢٢٥، مادة (خوى).
(٤) لسان العرب: ٤/٢٥٤، مادة (خوا).
(٥) معجم مقاييس اللغة: ٢/٢٠٤، مادة (خلو).

وهذا معنى ما روي عن ابن عباس أنه قال: أجد في كتاب الله أنَّ الظلم يخرب البيوت، وتلا: M y z { | } L[(1)].

وحذف مفعول (ظلموا) لإنزال الفعل المتعدي منْزلة اللازم ووصفهم بالظلم على الإطلاق، من غير اعتبار تقييده بمفعول معين ليجمع أنواع الظلم.

ولما ذكر الله تدمير ثمود ودعا إلى النظر والتأمل في عاقبتهم بيَّن أنَّ ما أصابهم فيه عظة وعبرة عظيمة لقوم يعلمون، فقال: M إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ L، وأُكدت هذه الجملة بـ(إنَّ) و(اللام) لكمال العناية بها[(2)]، والاهتمام بما فيها، ومناسبة التأكيد لحال الكفار المنكر للقرآن الكريم وما فيه من مواعظ وآيات.

وتقديم الجار والمجرور M فِي ذَٰلِكَ L يدل على الاهتمام بالمشار إليه، وأنَّه من الأمور العجيبة، والتعبير باسم الإشارة الدال على البعد يدل على التفخيم وتعظيم ما ذكر من تدمير الظالمين[(3)]. وتنكير (آية) للتعظيم؛ لأنَّ فيها آية وأي آية لأهل العلم بالله وبقدرته وقوته وجبروته.

وحذف مفعول (يعلمون) لتنْزيل الفعل منْزلة اللازم، والتقدير: لقوم من أولي العلم أو علماء، وفي ذلك أيضًا مراعاة للفاصلة القرآنية.

وفي وصف تدمير الكفار بأنَّه آية لقوم يعلمون؛ تعريض بالمشركين وأنهم إنْ لم يتعظوا بها فهم قوم لا يعلمون[(4)].

❁ ❁ ❁

وقوله: M وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ © وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ L [النمل:٥٣].

أي صالحًا عليه السلام والذين آمنوا معه، وإسناد الإنجاء إلى نون العظمة، لتعظيم أمرها، وتفخيم شأنها، وبيان عظم هذه النعمة على المؤمنين، وعُبِّر بالموصول (الذين) للإيماء إلى

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٨٦/١٩.

(٢) ينظر: حاشية القونوي: ٤١٥/١٤.

(٣) ينظر: حاشية القونوي: ٤١٥/١٤.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٦/١٩.

وجه بناء الخبر، وأنه من الأمور العظيمة التي يستحقون النجاة من أجلها وهو كونهم متصفين بالإيمان والتقوى[1]، وفي ذلك ثناء عليهم، وأنهم كانوا معروفين بها.

وزيادة (كان) مع مجيء الفعل (يتقون) مضارعًا يفيد أنهم كانوا متمكنين من التقوى[2]، وأنها متحققة فيهم، فهي واقعة في الماضي وهم مستمرون مداومون عليها؛ ولذلك خصوا بالنجاة[3]. وحُذف مفعول ﴿يَتَّقُونَ﴾ لتنْزيل الفعل منْزلة اللازم وإثبات صفة التقوى لهم على الإطلاق.

وقُدِّم الإيمان على التقوى؛ لأنَّه سبب لها، وهي نتيجة له ونابعة عنه؛ ((لأنَّ الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، وهو تنفيذ ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه... وهو جامع أمر التقوى في الأمر بالطاعات واجتناب المنكرات؛ لذا قدم الإيمان وعطف التقوى عليها))[4].

---

(١) ينظر: حاشية القونوي: ٤١٦/١٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٧/١٩، وأيسر التفاسير: ١٠٨٢.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٩١/٦، ومعاني النحو: ١٩٥/١.

(٤) المدح والذم في القرآن الكريم: ٢٥٢.

المبحث الثامن

قصة صالح عليه السلام في سورة القمر

قال الله ﷻ : M كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾
أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ à
لَّهُمْ â وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ! " # $ % ' ( ) * + , - . / 0
1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C
D E L [القمر: ٢٣-٣٢].

أولاً: الغرض العام للسورة:

مقصود السورة هو تسجيل مكابرة المشركين وإعراضهم عن الآيات التي جاء بها النبي ﷺ ، وإنذارهم وتخويفهم باقتراب يوم القيامة وأهواله وشدائده، وتصنيف الناس فيه، وتذكيرهم بما حلَّ بالمكذبين من الأمم السابقة من العذاب وأنهم سيلقون مثل مصيرهم إذا استمروا على ما هم عليه من التكذيب والمكابرة، والتأكيد على أنَّ القرآن مُيَسَّر لمن أراد الهداية والذكرى(١).

ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها:

افتتحت السورة بذكر الساعة وشدة اقترابها وتأكيد وقوعها، ولما كان الإخبار باقترابها يحتاج عند المعاند إلى آية دالة عليه، وكانت الآيات السماوية أعظم لأنَّ التأثير فيها أدل على تمام الاقتدار، وحدوث التغيير في نظامها لم يكن مألوفًا؛ ناسب تنبيه الناس للاعتبار بإمكان اضمحلال هذا العالم بآية انشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ إلى فرقتين بعد أنْ سأله المشركون ذلك، فقال ﷻ: M | } ~ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ L [القمر: ١](٢).

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٩/٨٧، والتحرير والتنوير: ٢٧/١٦٦.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٩/٩٩، والتحرير والتنوير: ٢٧/١٦٨ .

ثم بيَّن ﷻ حال هؤلاء الكفار مع الآيات التي منها انشقاق القمر وأنَّهم إذا رأوا آية يعرضون عنها ويتهمون الرسول ﷺ بالسحر، مع أنَّ هذه الآيات والأمور العظيمة فيها كفاية ومزدجر، ولكنها لا تغني عن المعاندين شيئًا، فقال ﷻ M **وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ** © **وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ** ´ µ ¶ ¸ **فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾** L [القمر: ٢ - ٥]؛ ولذا أمر الله ﷻ الرسول ﷺ بعد ذلك بالإعراض عنهم؛ لأنَّ وظيفته البلاغ، أما الهداية فإلى الله ﷻ(١).

ولما ذكر الله ﷻ في أول السورة اقتراب الساعة ذكر هنا شيئًا من أهوالها وشدائدها لتخويف المشركين وترهيبهم منها، فقال ﷻ: M **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾**
! " # $ % & ' ( ) * + , · . / 0 1 2 3 L
[القمر: ٦ - ٨].

ولما هدد الله ﷻ المشركين بالساعة وأهوالها؛ هددهم أيضًا بعذاب قد يصيبهم في الدنيا قبل الموت كما أصاب الأمم المكذبة قبلهم، فقص عليهم قصة قوم نوح وعاد وثمود ولوط وفرعون، وكيف كانت عاقبتهم في الدنيا، وجاء ترتيب هذه القصص على حسب الترتيب الزمني لكل منها. فقصة ثمود سيقت مع بقية القصص لإنذار كفار قريش وتخويفهم من نزول العذاب بهم كما حل بالأمم الماضية. ولما تمت أخبار المنْذَرين ولا يزال كفار قريش في عنتهم، أنكر عليهم الله ﷻ متوعدًا لهم بقوله: M **أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ** ´ µ ¶ ¸ **فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾** L [القمر: ٤٣]. قال أبو جعفر بن الزبير: ((فلما انتهى ما قصد من تقريع مكذبي رسول الله ﷺ، وبلغت الآي في هذه السورة من ذلك أقصى غاية، وتمخض باطلهم وانقطع دابرهم، ولم يحيروا جوابًا فيما عرض عليهم سبحانه في سورة القمر من أحوال الأمم مع أنبيائهم، وكان القصد من ذلك - والله أعلم - مجرد التعريف بأنَّهم ذكِّروا فكذبوا فأخذوا؛ ليتبيَّن لهؤلاء أنْ لا فرق بينهم وبين غيرهم وأنْ لا يغرهم عظيم حلمه سبحانه عنهم))(٢).

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٩/٩٩ .

(٢) البرهان في ترتيب سور القرآن: ٣٢٢.

ثم بيَّن ﷻ أنَّ هؤلاء الكفار سيصيبهم عذاب في الدنيا على أيدي المؤمنين وأنَّهم سينهزمون ويولون الدبر؛ وهو ما حدث يوم بدر، وأنَّ لهم في الآخرة عذابًا هو أقسى وأعظم مما أصابهم في يوم بدر، فقال ﷻ: M سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ L [القمر: ٤٥ - ٤٦].

ثم وعظ الله ﷻ الكافرين وخوفهم بذكر هلاك أشياعهم من الكفار، وأنَّ أعمالهم مكتوبة ومحفوظة، فتم بذلك بيان كمال قدرة الله ﷻ وعلمه وإحاطته، فقال ﷻ: M ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 L [القمر: ٥١ – ٥٣].

ولما وعظ الله ﷻ الكافرين بذكر أحوال أمثالهم في الدنيا والآخرة ختم بذكر حال القسم الآخر من أهل الساعة وهم المتقون، فبَيَّن مآلهم ومصيرهم وما لهم من الكرامة؛ فقال ﷻ: M : ; < = > ? @ A B C D E F L [القمر: ٥٤ - ٥٥]، فجمعت السورة بين الترهيب والترغيب، وخُتمت بذكر الساعة كما ابتدأت به، فجاء آخرها مناسبًا لأولها(١).

ثالثًا: المعنى العام للآيات:

يخبر الله ﷻ أنَّ قوم ثمود كذبت بما أنذرهم به رسولهم صالح عليه السلام إنْ لم يؤمنوا به ويتبعوه، وأنَّ سبب تكذيبهم وإنكارهم هو كون الرسول بشرًا مثلهم، فقالوا: أبشرًا منا واحدًا نتبعه نحن الجماعة الكثيرة وهو واحد؟! فإنْ فعلنا ذلك فنحن في ضلال وجنون، وكيف يترل عليه الوحي من بيننا ويخص بالنبوة من دوننا؟ بل هو كذاب فيما يقوله ويدعيه.

ولما كان موقف ثمود من صالح عليه السلام التكذيب والاتهام، هددهم الله ﷻ بأنَّهم سيعلمون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة مَن الكذاب، هم أم صالح عليه السلام ؟

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٩/١٣٧، ومراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ٦٨.

وقد كان من أمر هؤلاء المكذبين أنْ سألوا صالحًا عليه السلام أنْ يخرج لهم ناقة من صخرة، فأخرج الله عز وجل هذه الناقة فتنة لهم واختبارًا، ثم أمر صالحًا عليه السلام أنْ ينتظر ما سيحل بهم من العذاب، وأنْ يصبر على ما يلاقيه في دعوتهم من الأذى، وأنْ يخبرهم أنَّ الماء مقسوم بينهم وبين الناقة؛ يوم لهم ويوم لها، وليس لهم أنْ يشربوا من الماء في قسمها.

ولكن هؤلاء المكذبين ضاقوا ذرعًا بها، فنادوا صاحبهم سالف بن قدار وحضوه على قتلها، فأطاعهم وعقر الناقة، فاستحقوا بذلك عقاب الله عز وجل بتكذيبهم رسوله واعتدائهم على الناقة، فأرسل الله عز وجل عليهم صيحة واحدة عظيمة أهلكتهم عن بكرة أبيهم حتى أصبحوا وهم ميتون وملقون على الأرض كالزرع اليابس المتهشم الذي يجعله صاحب الحظيرة سياجًا لحظيرته من ذلهم ومهانتهم، فكانت هذه نهايتهم في الدنيا جزاء تكذيبهم بالنذر والآيات.

رابعًا: بلاغة النظم في القصة:

قال الله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾ [القمر:٢٣].

(النُّذُر) جمع (نذير)، أي: الإنذارات التي أنذرهم الله عز وجل بها على لسان صالح عليه السلام[١]، ونلحظ أنَّ لفظة (النُّذُر) مناسبة لسياق السورة وجَوِّها المشحون بالتخويف والإهلاك للأمم المكذبة بالرسل، وفيها تعريض لكفار قريش الذين كذبوا بالآيات التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، التي منها انشقاق القمر المذكور في أول السورة بأنَّهم إنْ لم يؤمنوا فسيصيبهم ما أصاب قوم ثمود.

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ [القمر:٢٤].

أي: كيف نتبعه وهو بشر منا واحد ونحن جماعة؟ فالاستفهام في الآية استفهام إنكاري تعجبي، وجاؤوا بصفة البشرية بعد همزة الإنكار لأنها محل الإنكار، قال الزمخشري: ((قالوا: أبشرًا؟ إنكارًا لأنْ يتبعوا مثلهم في الجنسية، وطلبوا أنْ يكون من جنس أعلى من

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢/١٣٩، والتحرير والتنوير: ٢٧/١٩٥.

جنس البشر وهم الملائكة))[١]، فمحل الإنكار ليس الاتباع بل كون الرسول بشرًا[٢]. ثم بالغوا في نفي الرسالة عن صالح عليه السلام والتقليل من شأنه بقولهم: (مِنَّا)؛ ((لأنَّه إنْ كان منهم كانت المماثلة أقوى))[٣]، ثم قالوا: (واحدًا)، أي: ضعيفًا، فهو واحد وحيد وليس له جند ولا أتباع ولا نصراء[٤]، أو واحد من الآحاد ليس من أشرافهم وأكابرهم المشهورين[٥].

ثم ذيلوا إنكارهم لاتباعه بقولهم: ﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾، و(الضلال): ((العدول عن الصراط المستقيم، ويضاده الهداية))[٦]، و(السُّعُر): الجنون، وقيل: جمع سعير، أي: نيران[٧]. وفصلت الجملة عما قبلها للاستئناف البياني؛ فهي بيان لسبب إنكارهم اتباع صالح عليه السلام.

وقد دل النظم الكريم في حكاية قولهم ذلك على مدى كفرهم وغلوهم في تكذيب صالح عليه السلام من خلال ما يلي:

أولاً: تأكيد مضمون الجملة بـ (إنَّ) و(إذًا) واللام؛ ليؤكدوا كفرهم واعتقادهم أنَّهم باتباعهم صالح عليه السلام سيكونون في ضلال وسعر.

ثانيًا: الاستعارة في حرف الجر (في) الذي يفيد الظرفية، حيث شبهوا الالتباس بالضلال بالظرفية؛ بجامع التمكن في كلٍّ، ثم استعيرت الظرفية للالتباس[٨]؛ ليعبروا - على حد زعمهم - عن المبالغة في غرقهم في هذا الضلال وتمكنه منهم وإحاطته بهم كما يحيط الظرف بالمظروف[٩].

---

(١) الكشاف: ١٠٦٧، وينظر: التفسير الكبير: ٢٩/٤٩ .

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٥١٧، وحاشية القونوي: ١٨/٣٢٦.

(٣) الكشاف: ١٠٦٧ .

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/٤٩، وتفسير أبي السعود: ٨/ ١٧١..

(٥) ينظر: الكشاف: ١٠٦٧، والتفسير الكبير: ٢٩/٤٩ .

(٦) المفردات في غريب القرآن: ٣٠٠ .

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود: ٨/ ١٧١ .

(٨) ينظر: التصوير البياني: ٢٣٥.

(٩) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ١٩١.

ثالثًا: حذف الجار والمجرور في قولهم: (لفي ضلال)،؛ لأنَّ التقدير: لفي ضلال عن الصواب[١]، وذلك لنكتة المبالغة في تمكن الضلال منهم وعمومه.

رابعًا: تنكير لفظتي (ضلال) و(سُعُر) للتفخيم والتهويل، فهو ضلال مطبق، وجنون عظيم.

خامسًا: التعكيس، وذلك على تفسير (سُعُر) أنها جمع سعير، أي: نيران، فعكسوا على صالح عليه السلام ورتبوا على اتباعهم إياه ما رتبه على ترك اتباعهم له[٢]؛ لأنَّه عليه السلام كأنَّه قال لهم: إنْ لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر، فعكسوا عليه بأنْ قالوا: إنْ اتبعناك كنا إذن كما تقول؛ وذلك لفرط عتوهم[٣]، وعلى هذا ((يكون جمع السعير باعتبار الدركات أو أو للمبالغة))[٤].

وتقديم (ضلال) على (سُعُر) فيه ترقٍ - على تفسير سُعُر بالجنون -؛ لأنَّ الضلال فيه انتقاص للعقل أما الجنون فهو ذهاب للعقل كله.

وعلى القول بأنَّ معنى (سُعُر): نيران، يكون تقديم (ضلال) للأسبقية؛ فالضلال في الدنيا والسعر في الآخرة[٥]، أوللسببية؛ فالضلال سبب لدخول السعير، وقد تقدم آنفًا أنَّ ذلك من باب التعكيس وإلا فهم لا يؤمنون بالآخرة ولا بالنار، هذا إلى جانب مناسبة لفظة (سُعُر) للفاصلة القرآنية.

❁ ❁ ❁

وقوله عز وجل حكاية لقولهم: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝٢٥﴾ [القمر:٢٥].

قال الطبري: ((يعنون بذلك: أأُنْزل الوحي عليه وخص بالنبوة من بيننا، وهو واحد منا؟ إنكارًا منهم أنْ يكون الله عز وجل يرسل رسولاً من بني آدم))[٦]، فالاستفهام إنكاري تعجبي

(١) ينظر تفسير أبي السعود: ٨/١٧١.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢/٤٤٧ .

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٨/١٧١، وحاشية القونوي: ١٨/٣٢٦ .

(٤) روح المعاني: ٢٧/١١٦ .

(٥) ينظر: حاشية القونوي: ١٨/٣٢٦ .

(٦) تفسير الطبري: ٢٢/١٤٠ .

تعجبي بمعنى النفي[1]، وجاؤوا بالنفي عن طريق الاستفهام لأنَّه أبلغ من النفي المباشر لما يدَّعون استحالته ويريدون إنكاره، قال الرازي: ((النفي بطريق الاستفهام أبلغ؛ لأنَّ من قال: ما أُنزل عليه الذكر، ربما يُعْلَم أو يُظَن أو يُتَوَهم أنَّ السامع يكذبه فيه، فإذا ذُكِر بطريق الاستفهام يكون معناه أنَّ السامع يجيبني بقوله: ما أُنْزل، فيجعل الأمر حينئذٍ منفيًّا ظاهرًا لا يخفى على أحد))[2].

والتعبير بالإلقاء عن الإنْزال من باب الاستعارة؛ لأنَّ الإلقاء ((حقيقته: رمي من اليد إلى الأرض، وهو هنا مستعار لإنْزال الذكر من السماء))[3]، والجامع بينهما السرعة في الإنْزال والعجلة في الفعل[4]، وقد أفادت هذه الاستعارة المبالغة في الإنكار؛ لأنَّ صالحًا عليه السلام ((كان يقول: جاءني الوحي مع الملك في لحظة يسيرة، فكأنَّهم قالوا: الملك جسم والسماء بعيدة، فكيف ينْزل في لحظة ؟!! فقالوا: أَأُلقي، وما قالوا: أَأُنْزل))[5].

وثمة أمر آخر وهو التعبير بـ (أُلْقي) بصيغة من لم يسم فاعله، فقالوا: أَأُلقي؟ ولم يقولوا: أَأَلقى الله الذكر عليه؟ وذلك كما يقول الرازي: ((للإشارة إلى أنَّ الإلقاء من السماء غير ممكن، فضلاً عن أنْ يكون من الله تعالى))[6]. وتعريف (الذكر) في حكاية الله عز وجل عنهم إنكارهم؛ إشارة إلى أنَّهم قد أنكروا أمرًا ظاهرًا بيِّنًا لا ينبغي أنْ ينكر، ((فهو كقول القائل: أنكروا المعلوم))[7]، وفي ذلك ذم عظيم لهم على هذا التكذيب والجحود.

وقولهم: ﴿عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا﴾ إنكار آخر، قال الرازي: ((كأنَّهم قالوا: ما ألقي ذكر أصلاً، قالوا: إنْ ألقي فلا يكون عليه من بيننا، وفينا من هو فوقه في الشرف والذكاء))[8]، فجعلوا تخصيص صالح عليه السلام بالنبوة من دونهم دليلاً على نفيها عنه وصحة إنكارهم لها، وذلك يدل

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/٥٠، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٩/١١٩ .

(٢) التفسير الكبير: ٢٩/٥٠ .

(٣) التحرير والتنوير: ٢٧/١٩٧ .

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/٥٠، وروح المعاني: ٢٧/١١٧. .

(٥) التفسير الكبير: ٢٩/٥٠ .

(٦) التفسير الكبير: ٢٩/٥٠ .

(٧) التفسير الكبير: ٢٩/٥٠ .

(٨) التفسير الكبير: ٢٩/٥٠ .

على سوء أدبهم مع الله ﷻ واعتراضهم على اختياره وتفضيله لمن يشاء من عباده، وعلى سوء أدبهم مع رسولهم صالح عليه السلام واستخفافهم به واحتقارهم له.

ولما أنكروا نزول الوحي على صالح عليه السلام، وذلك لا يقتضي إلا أنَّه ليس بنبي؛ أضربوا عن ذلك للترقي من الإنكار إلى رميه بفرط الكذب والتكبر[1]، فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾.

وقد دلَّ النظم القرآني على مدى مبالغتهم في إثبات صفة الكذب والأشَر - على حد زعمهم - لصالح عليه السلام بأمور:

الأول: تقديم المسند؛ لتقوية حكم الجملة.

الثاني: مجيء صفة الكذب على صيغة (فعَّال) فقالوا: (كذَّاب)، وهذه الصيغة تفيد المبالغة[2]، ((وتقتضي الاستمرار والتكرار، والإعادة والتجدد، والمعاناة والملازمة))[3]، ويقصدون أنه كثير الكذب أو شديد الكذب يقول ما لا يقبله العقل، فانظر كيف يفترون على نبي الله صالح عليه السلام ويتهمونه بذلك كي يصدوا عن سبيل الله ﷻ.

الثالث: مجيء صفة الأشر على صيغة (فَعِل)، فقالوا: (أشِر)، وهي من صيغ المبالغة[4]، أي: إنَّه شديد التكبر والبطر، وقصدوا من وصفه بذلك ((أنَّه كَذَب لا لضرورة وحاجة كما يكذب الضعيف، إنما هو استغنى وبطر وطلب الرياسة عليكم وأراد اتباعكم له، فكان كل وصف مانعًا من الاتباع؛ لأنَّ الكاذب لا يلتفت إليه، ولا سيما إذا كان كذبه لا لضرورة))[5].

وافتراؤهم هذا على صالح عليه السلام يدل على مبلغ كفرهم وعتوهم، وأنَّهم كانوا يصدون عن سبيل الله ﷻ بإلصاق التهم برسوله عليه السلام، ويفيد ذلك أيضًا أنَّ صالحًا عليه السلام قد لقي من قومه أذى عظيمًا في سبيل تبليغ رسالة ربه.

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/٥٠، وحاشية القونوي: ١٨/٣٢٧ .

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/٥١، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٩/١١٩ .

(٣) معاني الأبنية في العربية: ٩٦.

(٤) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٧٢، ومعاني الأبنية في العربية: ١٠٢ .

(٥) التفسير الكبير: ٢٩/٥١ .

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ٢٦ L [القمر:٢٦].

لما تمادى قوم ثمود في كفرهم ووصموا صالحًا عليه السلام بالكذاب الأشر؛ قال الله ﷻ لصالح عليه السلام وعدًا له ووعيدًا لقومه(١): M سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ L، ((أي: سيعلمون ألبتة عن قريب من الكذاب الأشر الذي حمله أشره وبطره على الترفع؛ أصالح هو أم من كذبه؟))(٢)، وفي ذلك طمأنة لصالح عليه السلام وبشارة له بقرب نصر الله ﷻ.

والسين في قوله ﷻ: M سَيَعۡلَمُونَ L ((لتقريب مضمون الجملة وتأكيده))(٣)، فهو واقع لا محالة. وقوله: M غَدٗا L، قال البقاعي: ((أي في الزمن الآتي القريب؛ لأنَّ كل ما حُقِّق إتيانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا ويوم القيامة))(٤)، فالسين ولفظة (غدًا) دلتا على قرب مضمون الجملة وتأكيده وتحقق وقوعه، وفي ذلك من الوعيد ما لا يخفى.

والاستفهام في قوله ﷻ: M مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ L، ((يراد به الإلزام))(٥)؛ لأنَّهم هم المعنيون بـ(الكذاب الأشِر)، ولكن الرد عليهم عن طريق الاستفهام الملزم باتصافهم بذلك وسوق ذلك على وجه الإبهام المنصف؛ للإيماء إلى أنَّه مما لا يكاد يخفى(٦)، و((ليكون الوعيد أحفل بالانتقام، والتهديد أشد أثرًا في النفوس))(٧).

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ L [القمر:٢٧].

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ١٧٢/٨، وروح المعاني: ١١٧/٢٧ .

(٢) تفسير أبي السعود: ١٧٢/٨ .

(٣) روح المعاني: ١١٧/٢٧ .

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١١٩/١٩، وينظر: حاشية القونوي: ٣٢٧/١٨ .

(٥) حاشية القونوي: ٣٢٨/١٨ .

(٦) ينظر: روح المعاني: ١١٧/٢٧ .

(٧) إعراب القرآن وبيانه: ٣٥٨/٧، وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٢٠/١٩ .

أي: إنا مخرجو الناقة التي سألوها من الصخرة اختبارًا لهم، فانتظر - يا صالح - ما هم صانعون بها[1]، واصطبر على دعوتك إياهم وأذاهم.

وقد أكِّد مضمون الجملة بــ(إنَّ) ومجيء الخبر جملة اسمية، وذلك لأهميته وغرابته، فإنَّ إخراج الناقة من الصخرة الصماء أمر خارق للعادة ومعجزة لصالح الطَّيِّلاً.

كما أنَّ مجيء الخبر على صيغة اسم الفاعل مع إضافة (الناقة) إليه ((فيه تحقيق الأمر وتقديره كأنَّه وقع، وكان بخلاف ما لو قيل: إنَّا نرسل الناقة))[2].

والإسناد إلى ضمير العظمة فيه تعظيم وتفخيم لأمر هذه الآية التي هي الناقة، وأنَّها معجزة عظيمة حقيق بمن رآها أنْ يؤمن بها.

ومعنى M **إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ** L: إنَّا مخرجوها آية لك[3]، ففي الآية استعارة، قال ابن عاشور: ((والإرسال مستعار لجعلها آية لصالح. وقد عُرِف خلق خوارق العادات لتأييد الرسل باسم الإرسال في القرآن، كما قال تعالى: M 3 4 5 6 7 8 L [الإسراء:٥٩]، فشبهت الناقة بشاهد أرسله الله لتأييد رسوله))[4].

وقوله ﷻ: M à L، التعبير بالمصدر فيه إيجاز بليغ مع توسع في المعنى؛ لأنَّه يحتمل أنْ يكون مفعولاً له[5] لبيان العلة من إرسال الناقة، فيكون المعنى: إنَّا مرسلو الناقة اختبارًا وابتلاءً لهم. ويحتمل أنْ يكون حالاً[6]، أي: فاتنة لهم. فالتعبير بالمصدر أدى معنيين في آنٍ واحد[7]، وهذا التوسع في المعنى لم يكن ليظهر لو قيل: لتفتنهم، بحرف الجر؛ لأنَّ ذلك لا يفيد إلا العلة فقط.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٢.

(٢) التفسير الكبير: ٥٣/٢٩، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢٦٤/١٨ .

(٣) ينظر: الكشاف: ١٠٦٧، وتفسير البيضاوي: ٤٤٨/٢ .

(٤) التحرير والتنوير: ١٩٩/٢٧ .

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢٦٤/١٨ .

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩٩/٢٧ .

(٧) ينظر: مغني اللبيب: ٢٩٤/٢، ومعاني النحو: ٢٠١/٢ .

وقوله ﷻ : M â L، أي: انتظر ما يحصل لهم من الفتنة بالناقة وما يصنعون بها[(١)]، أو انتظر نزول العذاب بهم، قال الرازي: ((أي: فارتقبهم بالعذاب، ولم يقل: فارتقب العذاب؛ إشارة إلى حسن الأدب والاجتناب عن طلب الشر))[(٢)].

و(ارتقب) على وزن (افْتَعِل) وهو من صيغ المبالغة، وأبلغ من (ارقب)؛ لزيادة المبنى فيه[(٣)]، ويدل الأمر بالارتقاب على سرعة افتتانهم بالناقة وسرعة نزول العذاب بهم؛ لأنَّ الانتظار إنما يكون عند قرب حصول الشيء المنتظر[(٤)]. كما أنَّ صيغة المبالغة تتناسب مع تعدد الأمور المرتقبة، فهو يحتمل ارتقاب فتنتهم بالناقة، وارتقاب ما يصنعون بها، وارتقاب العذاب الذي سيحل بهم.

وقوله ﷻ : M وَٱصۡطَبِرۡ L فيه معنى المبالغة أيضًا، وهو أقوى من (اصبر)، قال البقاعي: ((ودل بصيغة الافتعال على أنَّه يكون له منهم أذى بالغ قبل انفصال التراع، فقال: Mوَٱصۡطَبِرۡ L، أي: عالج نفسك واجتهد في الصبر عليهم))[(٥)].

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M ! " # $ % ' ( ) * L [القمر:٢٨].

هذه الجملة معطوفة على جملة Mإِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ L باعتبار كلام محذوف ((تقديره: فأرسلنا لهم الناقة وقلنا: نبئهم أنَّ الماء قسم بينهم))[(٦)]، وهذا من الإيجاز.

ومعنى الآية: أخبرهم يا صالح أنَّ الماء مقسوم بينهم وبين الناقة لها شرب يوم ولهم شرب يوم، تحضر في يوم شربها، ويحضرون في يوم شربهم. ولأهمية هذا الخبر وعظيم شأنه ولما سيترتب على مخالفته من الأمور العظام إذا اعتدوا على الناقة من نزول العذاب بهم عُبِّر

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤٢/٢٢ .

(٢) التفسير الكبير: ٥٣/٢٩ .

(٣) ينظر: الخصائص: ١٨٨/٣، والتحرير والتنوير: ٢٠٠/٢٧ .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٥/٢٥ .

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٢١/١٩ .

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٠/٢٧ .

عنه بــ (النبأ)، فقال الله ﷻ: M ! L، و(النبأ): ((خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن))[١]، قال البقاعي: ((ونبئهم) أي: أخبرهم إخبارًا عظيمًا بأمرٍ عظيم))[٢].

وM $ L أي: مقسوم، والإخبار عن الماء بالمصدر يفيد التأكيد والمبالغة[٣]؛ فكأن الماء تحول إلى حدث مجرد، وفي ذلك تأكيد ومبالغة على قضية التناوب في الشرب وعدم الاعتداء على الناقة في قسمها.

وقوله ﷻ: M + , - . / L [القمر:٢٩].

قال أبو حيان: ((هنا محذوف، أي: فكانوا على هذه الوتيرة من قسمة الماء، فملوا ذلك وعزموا على عقر الناقة M + , L))[٤]. وتدل (الفاء) على سرعة افتتانهم بالناقة ومللهم منها، وأنَّهم لم يلبثوا حتى عزموا على عقرها.

وقوله ﷻ: M + , L، مناداتهم تشعر بحماستهم لهذا الأمر العظيم، وهو نــداء إغراء بالناقة وتشجيع عليها[٥]. وصاحبهم هو قدار بن سالف، و((عُبِّر بصاحبهم للإشارة إلى إلى أنَّهم راضون بفعله؛ إذ هم مصاحبون له وممالئون))[٦]، وفي ذكر وصفه دون اسمه تحقير له له بإهمال اسمه، ولعدم حاجة المخاطبين إلى معرفة شخصه، فالعبرة والعظة في الوقوف علــى عمله وجرمه. وفي مناداتهم له دلالة على أنَّه كان مشتهرًا بالإقدام وقلة المبالاة[٧]، فهو يُدعى يُدعى لهذه الأمور التي لا يقدم عليها أحد.

وقوله ﷻ: M - L، (الفاء) تدل على سرعة استجابته لنداء قومه وتعاطيه، قــال ابن عطية: ((تعاطى) هو مطاوع (عاطى) فكأن هذه الفعلة تدافعها الناس وأعطاها بعضهم

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٤٨٢ .

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٢١/١٩ .

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٥٤/٢٩، والتحرير والتنوير: ٢٠٠/٢٧ .

(٤) البحر المحيط: ٤٤/١٠، وينظر: حاشية الشيخ زاده: ٤٢/٨ .

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠١/٢٧ .

(٦) التحرير والتنوير: ٢٠١/٢٧ .

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠١/٢٧ .

بعضًا، فتعاطاها هو وتناول العقر بيده، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ويقال للرجل الذي يدخل نفسه في تحمل الأمور الثقال: متعاط))[١]، وقال الرازي: ((التعاطي يطلق ويراد به الإقدام على الفعل العظيم، والتحقيق هو أنَّ الفعل العظيم يقدِّم كُلٌّ أحدٍ فيه صاحبَه ويبرئ نفسه منه، فمن يقبله ويقدم عليه يقال: تعاطاه، كأنَّه كان فيه تدافع فأخذه هو بعد التدافع))[٢]، وقيل إنَّ المعنى: تعاطى الناقة فعقرها، أو تعاطى آلة العقر فعقر الناقة، أو إنَّ القوم جعلوا له على عمله جُعلاً فتعاطاه وعقر الناقة[٣]، والقول الأول أظهر؛ لأنَّ فيه بيانًا لعظم ما أقدم عليه.

وقوله: M . L، (الفاء) تدل على سرعة إتيانه ما دعوه لأجله[٤]. وبلاغة الفعل (عقر) (عقر) سبق الحديث عنها في مبحث سابق[٥]. وفي حذف المفعول إيجاز، لأنَّ التقدير: فعقر الناقة، ومن بلاغة الحذف أيضًا الاهتمام بالفعل نفسه دون المفعول؛ للدلالة على شناعة فعله وعظيم جرمه، وفي ذلك أيضًا مناسبة للفاصلة القرآنية.

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M 0 1 2 3 L [القمر:٣٠].

الاستفهام يدل على التعظيم والتعجيب[٦]؛ لبيان هول ما حل بهم من العذاب بسبب عقر الناقة، فقد كان على وجه عظيم يُتَساءل عنه[٧]، وعلى كيفية هائلة لا يحيط بها وصف[٨]. وفي الاستفهام عن العذاب قبل ذكره تشويق للنفس إلى معرفته، وحث على

(١) المحرر الوجيز: ١٧٩٤، وينظر: البحر المحيط: ٤٤/١٠ .
(٢) التفسير الكبير: ٥٤/٢٩ .
(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٥٤/٢٩، وتفسير أبي السعود: ١٧٢/٨ .
(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٢/٢٧ .
(٥) ينظر: ص ٧٣، عند الكلام عن قوله ﷻ: M ^ _ L [الأعراف:٧٧].
(٦) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٢٢/١٩، وتفسير أبي السعود: ١٧٠/٨ .
(٧) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٢٢/١٩ .
(٨) ينظر: تفسير أبي السعود: ١٧٠/٨، وروح المعاني: ١١٠/٢٧ .

التدبر والتفكر في كيفيته ليقع فيها أبلغ موقع، وينتج عن ذلك الخوف من عـــذاب الله ﷻ والإيمان بقدرته وعظمته وقوته.

ومجيء (العذاب) مفردًا و(النُذُر) بصيغة الجمع يدل على قيام الحجة علـيهم بكثـرة الإنذارات التي بلغتهم قبل نزول العذاب، وفي ذلك أيضًا إشارة إلى غلبـة رحمـة الله ﷻ لغضبه؛ قال الرازي: ((لأنَّ الإنذار إشفاق ورحمة، فقال: الإنذارات التي هي نعـم ورحمـة تواترت، فلما لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة، فكانت النعم كثيرة، والنقمة واحدة))[1].

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M5 6 7 8 9 : ; < = L [القمر:٣١].

لما أُجْمِل العذاب في الآية السابقة وأشار الله ﷻ إلى عظمته وهوله بما يستفاد مـن الاستفهام المذكور، فتهيأت النفوس إلى معرفته وأقبلت الأذهان متدبرة ومتفكرة فيه؛ بـيَّن الله ﷻ ذلك العذاب بقوله: M5 6 7 8 9 : ; < = L[2]، وقـد دل النظم الكريم في هذه الآية أيضًا على هول العذاب الذي أصابهم نتيجة كفرهم واعتـدائهم على ناقة الله ﷻ فنلحظ في نظم الآية ما يلي:

أولاً: تصدير الآية بحرف التوكيد مع ضمير العظمة في قولـه ﷻ: M5L، وذلـك لعظمة وأهمية ما سيقال بعدها.

ثانيًا: التعبير بالإرسال وإسناده إلى ضمير العظمة وتقديم الجار والمجرور في قولـه ﷻ: M6 7 L، وذلك يدل على أنَّ الصيحة كانت عظيمة ومرسلة من السماء إليهم خاصة لإهلاكهم، وأنهم مقصودون بها، كما أنَّ في تقديم الجار والمجرور تشويقًا لما سيذكر بعده.

ثالثًا: تنكير (صيحة) وذلك يفيد التعظيم، وأنها صيحة هائلة قوية.

---

(١) التفسير الكبير: ٤٨/٢٩ .

(٢) ينظر: حاشية الشيخ زاده: ٤٣/٨، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٢٢/١٩.

رابعًا: تقييد الصيحة بــ (واحدة)، وفي ذلك تحقير لشأن قوم ثمود، فهي صيحة واحدة فقط أهلكتهم عن بكرة أبيهم ولم يكن لهم بها طاقة[١]. كما يدل التقييد على عظم الصيحة وهولها، فقد أهلكتهم جميعهم مباشرة في مرة واحدة، وأنَّ هذا الأمر المهول العظيم سهل يسير على الله ﷻ، يفعل و يمضي الأمر فيه بصيحة واحدة، ولا يحتاج فيه إلى طول مدة ولا كلفة أو مشقة، فجيء بذكر (الواحدة) لتأكيد الإعلام بأنَّ ذلك هَيِّنٌ سهل على عِظَمه[٢].

خامسًا: تشبيههم بعد هلاكهم بــ(هشيم المحتظر)، قال الله ﷻ: M : ; < L، قال الزمخشري: ((الهشيم: الشجر اليابس المتهشم المتكسر. والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة، وما يحتظر به ييبس بطول الزمان، وتتواطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم))[٣]، ويتساءل الرازي عن سبب تشبيههم بــ(هشيم المحتظر) ويقول: ((لماذا شبههم به؟ قلنا: يحتمل أنْ يكون التشبيه بكونهم يابسين كالحشيش بين الموتى الذين ماتوا من زمان، وكأنَّه يقول: سمعوا الصيحة فكانوا كأنَّهم ماتوا من أيام، ويحتمل أنْ يكون لأنَّهم انضموا بعضهم إلى بعض كما ينضم الرفقاء عند الخوف داخلين بعضهم في بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كحطب الحاطب الذي يصفه شيئًا فوق شيء ...، ويحتمل أنْ يكون ذلك لبيان كونهم في الجحيم أي كانوا كالحطب اليابس الذي للوقيد ...كذلك ماتوا فصاروا كالحطب الذي لا يكون إلا للإحراق؛ لأنَّ الهشيم لا يصلح للبناء))[٤]، والصحيح أنَّ وجه الشبه هو ذهاب غضارتهم وحسنهم وطراوتهم التي كانوا ينعمون بها في حياتهم فأصبحوا كالشجر اليابس الذي يستعمله المحتظر بعد حسن نباته وخضرة ورقه قبل يبسه[٥]. وهذا التصوير القرآني البديع لحال هؤلاء الكفار بعد هلاكهم رد على التعالي والتكبر، فإذا المتعالون المتكبرون هشيم، وهشيم مهين، كهشيم المحتظر![٦]، فقد بينت هذه الصورة مدى هوان هؤلاء الكفار وذلهم وخزيهم، يقول الدكتور محمد محمد أبو موسى: ((وكان يمكن أنْ تؤدي العبارة معنى فنائهم وتحطيمهم لو قال: فكانوا كالهشيم، ولكنه أراد أنْ يؤدي معنى آخر بهذا القيد وهو

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٢٢/١٩ .

(٢) ينظر: المثل السائر: ١٢٣/٢ .

(٣) الكشاف: ١٠٦٧، وينظر: التفسير الكبير: ٥٦/٢٩، وتفسير أبي السعود: ١٢٧/٨ .

(٤) التفسير الكبير: ٥٦/٢٩ .

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٤٤/٢٢، وحاشية القونوي: ٣٣٠/١٨ .

(٦) ينظر: في ظلال القرآن: ٣٤٣٣/٦ .

الازدراء، وأنَّهم لا كرامة ولا آدمية لهم، وإنما هم كهذا الهشيم الموطوء بالدواب تبول وتروث عليه، وفيه من الإهانة وضياع الحرمات ما ترى))(١).

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M < ? @ A B C D E L [القمر:٣٢].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: ((ولقد سهلنا القرآن وهوناه لمن أراد التذكر به والاتعاظ، M B C D L يقول: فهل من متعظ ومنْزجر بآياته؟))(٢)، وقال الزمخشري: ((ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه ليعان عليه؟))(٣).

وجاءت الجملة مؤكدة باللام و(قد) مراعاة لحال المشركين المنكرين أنْ يكون القرآن من عند الله ﷻ. والاستفهام في قوله: M B C D L، يراد به الأمرُ بالتذكر، والحثُّ عليه(٤)، ويرى أبو السعود أنَّ الاستفهام الوارد في الآية للإنكار والنفي حيث يقول: ((M B C D L إنكار ونفي للمتعظ على أبلغ وجه وآكده؛ حيث يدل على أنَّه لا يقدر أحد أنْ يجيب المستفهم بنعم))(٥)، والقول الأول أظهر - والله أعلم - .

ونلاحظ أنَّ هذه الآية تكررت في السورة أربع مرات؛ بعد قصة قوم نوح وعاد وثمود ولوط، فما فائدة هذا التكرار؟ لقد طرح الزمخشري هذا التساؤل وأجاب عنه في قوله: ((فإنْ قلت: ما فائدة تكرير قوله: M u v w x L، M < ? @ A B C D E L؟ قلت: فائدته أنْ يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارًا واتعاظًا، وأنْ يستأنفوا تنبهًا واستيقاظًا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأنْ يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشن تارات؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة))(٦)، وفي تكرير الآية أيضًا تنبيه على أنَّ كل قصة منها مستقلة بإيجاب الادكار وكافية في الازدجار(٧)، ففي تذييل قصة ثمود بهذه الآية تنويه بشأنها وما تحتويه من عبر وعظات تدعو إلى تدبرها والتفكر فيها.

---

(١) التصوير البياني: ٤٥ .

(٢) تفسير الطبري: ١٣٩/٢٢، وينظر: الكشاف: ١٠٦٦ .

(٣) الكشاف: ١٠٦٦، وينظر: البحر المحيط: ١٧٧/٦ .

(٤) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني: ٢٠٧ .

(٥) تفسير أبي السعود: ١٧٠/٨، وينظر: روح المعاني: ١١٠/٢٧ .

(٦) الكشاف: ١٠٦٧ .

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود: ١٧٠/٨، وروح المعاني: ١١٠/٢٧ .

المبحث التاسع

قصة صالح عليه السلام في سورة الشمس

قـــال الله ﷻ: M J K L M N O P Q R S T U V W
X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e L
[الشمس: ١١ – ١٥].

أولاً: الغرض العام للسورة:

تتحدث سورة الشمس عن وضوح الحق، وظهور طريق الخير والإيمان، وأنَّه لا لـــبس فيه ولا خفاء[(١)]، فإنَّ الله ﷻ قد خلق النفوس وبيَّن لها طريق الفجور وطريق التقوى، وترك لها حرية الاختيار، وجعل الفلاح والفوز لمن زكى نفسه، والخيبة والخسار لمن دساها، فمن ضل فإنما يضل بإرادته واختياره وتنكبه طريق الهدى بعد أنْ تبيَّنه وعرفه.

ثم ضرب الله ﷻ مثلاً لهذا القسم بقوم ثمود الذين كذبوا برســول الله صـــالح عليه السلام وعقروا الناقة فأهلكهم الله ﷻ بسبب طغيانهم بعد أنْ عرفوا الحق والهدى فلم يؤمنوا به.

ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها:

افتتحت سورة الشمس بأحد عشر قَسَمًا إلهيًّا من أعظم الأقسام الدالة على عظمـــة المقسَم به والمقسَم عليه وهو حكم تقرير مصير الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة[(٢)].

فقد أقسم الله ﷻ بالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليـــل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها والنفس وما سواها، والراجح أنَّ (ما) هنـــا موصولة أي: والذي بناها وطحاها وسواها، وهو الله ﷻ[(٣)].

---

(١) ينظر: قصص القرآن الكريم: ٢٣١ .

(٢) ينظر: أيسر التفاسير: ١٧٦٣ .

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤/ ٤٣٨ .

ولما أقسم ﷻ بالنفس ذكر أنَّه قد ألهم هذه النفوس ((فبيَّن لها ما ينبغي لها أنْ تأتي أو تذر من خير أو شر، وطاعة أو معصية))(١)، فقال ﷻ: M < = > ? L [الشمس: ٨]، ثم بيَّن عاقبة من زكى نفسه وأصلحها، وعاقبة من أغواها وأفسدها، فالأُولى إلى الفلاح، والثانية إلى الخيبة والخسار، فقال ﷻ: M@ A B C D E F G H I L [الشمس: ٩ – ١٠].

ولما ذكر الله ﷻ صفة من دسى نفسه ذكر فرقة فعلت ذلك ليعتبر بهم ويُنْتَهى عن مثل فعلهم، فقال ﷻ: M J K L M L [الشمس: ١١](٢)، وخُصَّ قوم ثمود بالذكر لأنَّ قريشًا وسائر العرب يعرفونهم لما يرون من آثارهم ويتناقلون من أخبارهم(٣)، وقال ابن القيم: ((وقد يظهر في تخصيص ثمود ههنا بالذكر دون غيرهم معنى آخر؛ وهو أنَّهم ردوا الهدى بعدما تيقنوه وكانوا مستبصرين به، قد ثلجت له صدورهم، واستيقظت له أنفسهم فاختاروا عليه العمى والضلالة...، فكان في تخصيصهم بالذكر تحذير لكل من عرف الحق ولم يتبعه))(٤).

ثالثًا: المعنى العام للآيات:

يخبر الله ﷻ أنّ ثمود قد كذبت نبيها صالحاً عليه السلام وما جاء به من الهدى والإيمان بسبب طغيانها وتجاوزها الحد في المعاصي، إذ نهض أشقاهم لعقر ناقة الله التي أرسلها لهم آية، فحذرهم صالح عليه السلام من مس الناقة بسوء، وأمرهم أنْ يدعوها وسقياها في اليوم المخصص لها، إلا أنَّ ثمود كذبوا نبيهم وما توعدهم به فعقروا الناقة، فأنْزل الله ﷻ بهم العذاب الذي أطبق عليهم جميعهم فلم يفلت منهم أحد، وذلك عقوبة لهم على ذنبهم العظيم الذي ارتكبوه في حق ناقة الله ﷻ الذي لا يخاف جلت قدرته تبعة ما أنزله بهم من أليم العقاب.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٤/ ٤٤٠ .

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١٩٨٣ .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٢/ ٨٠ .

(٤) بدائع التفسير: ٣/ ٣١٤ .

رابعًا: بلاغة النظم في القصة:

قال الله ﷻ: M J K L M L [الشمس: ١١].

أي: كذبت ثمود نبيها صالحًا ﷺ بسبب طغيانها، وحُذف مفعول (كذبت) للعلم به[١]، وقد يدل الحذف أيضًا على التعميم وذلك بوصف ثمود بالتكذيب المطلق، وأنَّهم كذبوا صالحًا ﷺ وكذبوا بالآية التي جاء بها وكل ما يجب عليهم الإيمان به، فالحذف أبلغ في ذمهم وبيان عظيم تكذيبهم. ونجد في الحذف أيضًا صرفًا للذهن إلى سبب التكذيب الذي هو طغيان ثمود بعد ما تبيَّن لهم الهدى والحق فقد كانوا على بينة من أمرهم، وبذلك يصدق عليهم قوله ﷻ: M E F G H I L.

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M N O P Q L [الشمس: ١٢].

(انبعث) مطاوع (بعث)، قال الراغب: ((أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث))[٢]، فيكون المعنى: ((إذ بعثوا أشقاهم فانبعث وانتدب لذلك))[٣]، فلفظة (انبعث) دلت على أمرين:

الأول: أنَّ قوم ثمود هم الذين أغروه وهيجوه وأثاروه لفعل هذه الجريمة الشنيعة، فهم مشاركون له فيها بسبب تشجيعهم عليها، وبذلك استحقوا العذاب جميعُهم.

الثاني: أنَّ أشقاهم قد خرج لعقر الناقة بنشاط وحرص ورغبة في هذه الفعلة[٤].

ووصف العاقر بأنَّه M P L بصيغة أفعل التفضيل؛ ((لأنَّ من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ))[٥].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: حاشية الشيخ زاده: ٨/ ٦١٣، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٧٢ .

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٦٣ .

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٧٣ .

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١٩٨٣، والبحر المحيط: ١٠/ ٤٩٠ .

(٥) الكشاف: ١٢٠٦، وينظر: تفسير البيضاوي: ٢/ ٦٠٠ .

وقوله ﷻ: L Y X W V U T S R M [الشمس: ١٣].

لما رأى صالح عليه السلام منهم التكذيب حذرهم من أنْ يتعرضوا للناقة بسوء، فقال لهم: ذروا ناقة الله وسقياها، أي: تشرب الماء في اليوم خصص لها.

وقد عُبِّر عن صالح عليه السلام بـ (رسول الله) لبيان عظيم مكانته ومنْزلته، والإيذان بوجوب طاعته؛ لأنَّ ما قاله كان من عند الله وبأمره، فتعظيمه من تعظيم مرسله ﷻ، وفي تكذيبه ومخالفة أمره بيان لغاية عتو قوم ثمود وتماديهم في الطغيان، كما أنَّ وظيفة الرسول الإبلاغ والتحذير وذلك مناسب للمقام(١).

وقد دل النظم الكريم في هذه الآية على أنَّ صالحًا عليه السلام قد بالغ في نصحهم وتحذيرهم وتخويفهم من عذاب الله ﷻ، نتلمس ذلك مما يلي:

أولاً: تقديم الجار والمجرور L S M؛ للاهتمام بشأنهم، وتخصيصهم بالتحذير، وأنَّه توجه لهم بالنصح إشفاقًا عليهم.

ثانيًا: حذف فعل التحذير، والتقدير: ذروا أو احذروا ناقة الله(٢)، وذلك أبلغ هنا؛ لأنَّ الحذف فيه إشارة إلى ضيق الحال عن ذكر المحذوف لعظيم الهول وسرعة التعذيب عند مَسِّها بالأذى(٣). وفيه أيضًا دلالة على أنَّ صالحًا عليه السلام ((كان يحذرهم حالاً بعد حال من عذاب ينْزل بهم إنْ أقدموا على ذلك، وكانت متصورة في نفوسهم، فاقتصر على أنْ قال لهم: (ناقة الله وسقياها) لأنَّ هذه الإشارة كافية مع الأمور المتقدمة))(٤).

ثالثًا: إضافة الناقة إلى لفظ الجلالة؛ لإثارة المهابة في نفوسهم بزيادة تعظيمها لعلهم يخافون ويرتدعون عن التعرض لها.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٢/٨٢، وتفسير أبي السعود: ٩/١٦٤، وحاشية القونوي: ٢٠/٢٩٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤/٤٤٩، والكشاف: ١٢٠٦، التفسير الكبير: ٣١/ ١٩٥.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٢/ ٨٢ .

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٣١/١٩٥ .

وقوله ﷻ: M Z [\ ] ^ _ ` a L [الشمس: ١٤].

أي: كذبوا صالحًا الطَّيْلا فيما حذرهم منه وتوعدهم به إنْ هم تعرضوا للناقة بسوء فعقروها[(١)]، وتدل (الفاء) على شدة طغيانهم وسرعة تكذيبهم حيث أوقعوا تكذيب صالح الطَّيْلا وعقر الناقة عقب تحذيره لهم. وأُسند العقر إليهم جميعًا لأنَّهم كانوا راضين به[(٢)].

وقد دل النظم الكريم على شدة العذاب الذي نَزل بهم ومدى غضب الله ﷻ عليهم، فقوله ﷻ: M \ L، معناه أطبق عليهم العذاب[(٣)]، وتكرير (الدال) بين عين الفعل ولامه يدل على تكرير الإطباق والمبالغة في ذلك[(٤)]، و(الفاء) تدل على سرعة نزول العذاب بهم فلم يكن بينه وبين عقر الناقة إلا ثلاثة أيام. كما دل حرف الاستعلاء في قوله: M] L على شدة العذاب وإحاطته بهم وتمكنه منهم[(٥)].

وفي التعبير بالربوبية التي تدل على التربية والرعاية والإحسان في مقام الإهلاك والعذاب؛ دلالة على شدة غضب الله ﷻ عليهم، قال البقاعي: ((لأنَّه لا أشد غضبًا ممن كُفِر إحسانه، فقال: M ^ L أي: الذي أحسن إليهم، فغرهم إحسانه، فقطعه عنهم، فعادوا كأمس الدابر))[(٦)]، وفي ذلك أيضًا غاية الذم لهم.

ثم قال ﷻ: M _ L؛ لبيان أنَّ ما أصابهم كان بسبب ذنوبهم، قال الزمخشري: ((وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب، فعلى كل مذنب أنْ يعتبر ويحذر))[(٧)]. وقوله ﷻ: M ` L أي: ((فسوى الدمدمة عليهم جميعًا، فلم يفلت منهم أحد))[(٨)]، لا كبير ولا

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤/٤٤٩، والكشاف: ١٢٠٦ .

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤/٤٥٠ .

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٣٣، والكشاف: ١٢٠٦ .

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٣٣٣، وحاشية الشيخ زاده: ٨/٦١٤ .

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٢/٨٢ .

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٢/٨٢ .

(٧) الكشاف: ١٢٠٦ .

(٨) تفسير الطبري: ٢٤/٤٥١، وينظر: المحرر الوجيز: ١٩٨٣ .

صغير، ولا قوي ولا ضعيف؛ لأنَّهم استووا في الظلم والكفر بسبب عقر الناقة، بعضهم بالفعل وبعضهم بالرضا والحث، فاستحقوا أنْ يُستأصلوا جميعهم[1].

❁ ❁ ❁

وقوله ﷻ: M b c d e L [الشمس: ١٥].

الضمير في (لا يخاف) عائد إلى الله ﷻ، أي ((لا يخاف اللهُ من أحد تبعةً))[2]، ففي الآية استعارة تمثيلية لإهانة ثمود وبيان أنهم أذلاء عند الله ﷻ، والمعنى: أنَّ الله لا يخاف من عاقبة دمدمته عليهم كما يخاف الملوك من عاقبة ما يفعلونه[3].

كما تدل الاستعارة أيضًا على تمثيل حالهم في الاستئصال بحال من لم يترك من يثأر له، فيكون المثل كناية عن هلاكهم عن بكرة أبيهم إذ لم يبق منهم أحد[4].

وبهذا المشهد الذي فيه احتقار للقوم وتعفية لأثرهم تنتهي القصة محذرة من مثل عاقبة هؤلاء الطغاة الذين دَسَّوا أنفسهم فخابوا وخسروا.

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨٣/٢٢ .

(٢) تفسير الطبري: ٤٥١/٢٤، وينظر المحرر الوجيز: ١٩٨٣ .

(٣) ينظر: حاشية القونوي: ٣٠٠/٢٠، وروح المعاني: ٤٦٠/٣٠ .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٧٥/٣٠ .

الفصل الثاني

أسرار التشابه اللفظي في قصة صالح عليه السلام

مدخل:

المبحث الأول: أسرار التشابه اللفظي في افتتاحية القصة.

المبحث الثاني: أسرار التشابه اللفظي في دعوته لقومه.

المبحث الثالث: أسرار التشابه اللفظي في رد قومه عليه.

المبحث الرابع: أسرار التشابه اللفظي في ذكر الناقة.

المبحث الخامس: أسرار التشابه اللفظي في ذكر عذاب قومه، ونجاة المؤمنين.

مدخل

يتناول هذا الفصل بلاغة المتشابه اللفظي في قصة صالح عليه السلام، في محاولة لتلمس أوجه البلاغة في كل موضع منها من خلال المقارنة بين الآيات المتشابهات، وبيان سبب تخصيص موضع دون آخر بتعبير معين، وما يؤديه ذلك التعبير من معانٍ تناسب السياق الذي جاء فيه، فالبلاغة كما يقول البلاغيون: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته(١).

يقول البقاعي عن سبب اختلاف أسلوب التعبير في القصة الواحدة إذا تكررت في عدة مواضع: ((كل سورة أعيدت فيها قصة؛ فلمعنى ادعي في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنَّها لا يخالف شيءٌ من ذلك أصلَ المعنى الذي تكونت به القصة))(٢). وقال ابن الزبير الغرناطي: ((وظن الغافل عن التدبر، والمخلد إلى الراحة عن التفكر، أنَّ تخصيص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيرها ليس لسبب يقتضيه، وداع من المعنى يطلبه ويستدعيه، وأنْ ليس على جميع الوارد من تلك محرزات من المعاني عند ذوي الأفهام، ومقتضيات من لوازم جليل التركيب من ذلك المعجز العلي من النظام، فلا يليق بكلٍّ من تلك المواضع إلا الوارد فيه، وإنَّ تقرير وقوع آية منها في موضع نظيرها ينافي مقصود ذلك الموضع وينافيه))(٣).

إذًا لا شك أنَّ دراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم يؤدي إلى الوقوف على شيء من إعجازه في دقة التعبير، وإعطاء كل سياق حقه من المعاني التي تناسبه وتؤدي أغراضه.

(١) ينظر: الإيضاح: ١١.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/٨ .

(٣) ملاك التأويل: ١/١٤٥ .

مفهوم المتشابه اللفظي:

ذكر الكرماني كلامًا يمكن من خلاله أنْ نقف على رأيه في تحديد المعنى المراد من المتشابه اللفظي حيث قال في مقدمة كتابه (البرهان في متشابه القرآن): ((فإنَّ هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة أو نقصان...))(١).

أما الزركشي فقد عرف المتشابه اللفظي بأنَّه: ((إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة))(٢)، والزركشي لا يريد بقوله: ((القصة الواحدة)) أنْ يقصر المتشابه اللفظي في القصص القرآني، ولكنه أراد بالقصة الواحدة: الموضوع الواحد، دلَّ على ذلك قوله بعد ذلك: ((ويكثر في إيراد القصص والأنباء))(٣).

وإبراهيم الجرمي صاحب كتاب (معجم علوم القرآن) عرف المتشابه اللفظي بأنَّه: ((تشابه آيات القرآن الكريم في الألفاظ والمعاني، بحيث يكون ثَمَّ تغاير طفيف بين آية وآية وفق ما يقتضيه السياق والتعبير))(٤).

يتبين مما ذُكِر أنَّ الآيات المتشابهة تشترك في المعنى العام، وينفرد كلٌّ منها بمعنى خاص بسبب الاختلاف في النظم والتعبير.

---

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن: ٦٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٨٧، وينظر: الاتقان في علوم القرآن: ٥/١٨٦٦.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٨٧ ، وينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه: ٤٢.

(٤) معجم علوم القرآن: ٢٤١.

أنواع المتشابه اللفظي:

ذكر الزركشي أنواعًا من المتشابه اللفظي ومثَّل عليها، أذكرها هنا بإيجاز:

الأول: أنْ يكون في موضع على نظم، وهو في آخر على عكسه، مثل قولــه ﷻ في سورة البقرة: M + , - . / L [البقـرة:٥٨]، وفي الأعراف: M] ^ _ ` a L [الأعراف:١٦١].

الثاني: ما يشتبه بالزيادة والنقصان، مثل قوله ﷻ في سورة البقـــرة: M**فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ** L [البقرة: ٢٣]، وفي غيرها بإسقاط (من).

الثالث: بالتقديم والتأخير، مثل قوله ﷻ في سورة البقـــرة:M L M N O L [البقرة: ١٢٩]، وفي سورة الجمعة: M 8 9 : ; L[الجمعة: ٢].

الرابع: بالتعريف والتنكير، مثل قوله ﷻ في سورة البقرة: M**وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ** L [البقرة: ٦١]، وفي سورة آل عمران:M **بِغَيْرِ حَقٍّ** L [آل عمران: ٢١].

الخامس: بالجمع والإفراد، مثل قوله ﷻ في سورة البقـــرة: M Q R S T U V W L [البقرة:٨٠]، وفي آل عمران: M = > L[آل عمران: ٢٤].

السادس: بإبدال حرف بحرف غيره، مثل قوله ﷻ في سورة البقرة:M**ٱسْكُنْ أَنتَ** © **ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا** L [البقرة:٣٥]، وفي الأعراف: M y L [الأعراف:١٩]، بالفاء.

السابع: بإبدال كلمة بأخرى، مثل قوله ﷻ في سورة البقـــرة: M+ , - . L [البقرة:١٧٠]، وفي سورة لقمان:MK L M N L [لقمان:٢١].

الثامن: بالإدغام وتركه، مثل قوله ﷻ في سورة الأنعام: M ¸ **يَتَضَرَّعُونَ** L [الأنعـام:٤٢]، وفي سورة الأعراف:M**يَضَّرَّعُونَ** L [الأعراف:٩٤] بالإدغام[1].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٨٨ وما بعدها، والإتقان في علوم القرآن: ٥/١٨٦٦ وما بعدها.

المبحث الأول

أسرار التشابه اللفظي في افتتاحية القصة

أولاً: التشابه اللفظي بين ما ورد في:

١- قول الله ﷻ في آيتي الأعراف وهود: M وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ © ۚ L [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١].

٢- وقوله ﷻ في سورة المؤمنون: M I J K L L [المؤمنون: ٣٢].

٣- وقوله ﷻ في سورة النمل: M ! " # $ % & L [النمل: ٤٥].

فالآيات الواردة في سور الأعراف وهود والنمل صرحت بذكر ثمود وصالح عليه السلام، بينما في آية سورة المؤمنون لم يُذكر ثمود ولا صالح عليه السلام.

وإذا تأملنا وجدنا أنَّ كل تعبير جاء في السياق الذي يناسبه، فإنَّ الأصل والغالب على قصص القرآن الكريم أنْ يُصرح فيها بذكر اسم القوم والرسول الذي أرسل إليهم، فجاء التعبير في سور الأعراف وهود والنمل على ذلك الأصل الغالب؛ خاصة وأنَّ القصص من مقاصد سورتي الأعراف وهود، فقد قال الله ﷻ في سورة الأعراف: M ` a b d e f g L [الأعراف: ٧]، وقال ﷻ في سورة هود: M 7 8 9 : ; < > ? @ L [هود: ١٠٠]، وقال ﷻ في الآية الأخرى: M ? @ A B C D E F G H J K L M N O P L [هود: ١٢٠]، والقصُّ يقتضي شيئًا من التفصيل وتتبع الأثر. أما سورة النمل فإنها تدور حول موضوع العلم، فمن المناسب التصريح بذكر قوم ثمود وصالح عليه السلام؛ ليحصل العلم بهم، ويكمل الاعتبار بحالهم الذي أمر الله به في القصة.

أما في سورة المؤمنون فقد أُبهم ذِكْر القوم والرسول ولم يصرح بهما، لأنَّ القصة - والله أعلم - سيقت لِتُبَيِّن أسباب تكذيب الأمم السابقة لرسل الله ﷻ؛ من الترف والتعلق بالدنيا واستبعاد البعث والنشور والاعتراض على كون الرسول بشرًا، ثم بيان عاقبة كفرهم وإعراضهم عن الإيمان، فهي نموذج يحكي حال هذه الأمم المترفة(١)، ((إنَّ استعراض قصص

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/١٣٦.

الرسل في هذه السورة ليس للتقصي والتفصيل، إنما هو لتقرير الكلمة الواحدة التي جاء بها الجميع، والاستقبال الواحد الذي لقوه من الجميع. ومن ثَمَّ بدأ بذكر نوح عليه السلام ليحدد نقطة البدء، وانتهى بموسى وعيسى ليحدد النقطة الأخيرة قبل الرسالة الأخيرة، ولم يذكر الأسماء في وسط السلسلة الطويلة كي يدل على تشابه حلقاتها بين البدء والنهاية، إنما ذكر الكلمة الواحدة في كل حلقة والاستقبال الواحد؛ لأنَّ هذا هو المقصود))[1]، فقال عز وجل بعد القصة: M ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ â à ءَاخَرِينَ ! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 1 2 3 5 6 7 8 9 ; < = > ? L [المؤمنون: ٤٢ - ٤٤]، ومما يؤيد ذلك ويشهد له أنَّ سورة المؤمنون هي آخر سورة نزل فيها ذِكْرٌ لقصة صالح عليه السلام[2]، ووردت في هذا السياق الذي يوجز رسالة الأنبياء وما قوبلوا به من قبل أقوامهم، لذا - والله أعلم - كان الأنسب والأبلغ في هذا السياق إبهام القوم والرسول الذين هم على الأرجح قوم ثمود ورسولهم صالح عليه السلام[3].

ثانيًا: التشابه اللفظي بين ما ورد في:

١- قول الله عز وجل في سورة الحجر: M W X Y Z [\ L [الحجر: ٨٠].

٢- وقوله عز وجل في سورة الشعراء: M > ? @ A L [الشعراء: ١٤١].

٣- وقوله عز وجل في سورة القمر: M كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ L [القمر: ٢٣].

٤- وقوله عز وجل في سورة الشمس: M J K L M L [الشمس: ١١].

ففي سورة الحجر أُكدت الجملة بـ (قد)، وسمى الله عز وجل قوم ثمود بـ (أصحاب الحجر)، وقال: (المرسلين). وفي سورة الشعراء لم تؤكد الجملة، وذكروا باسمهم (ثمود)، وقال أيضًا: (المرسلين). وفي سورة القمر لم تؤكد الجملة، وذكروا باسمهم (ثمود)، وقال: (بالنذر) دون (المرسلين). وفي سورة الشمس لم تؤكد الجملة، وذُكِر تكذيب ثمود وسببه دون المكذب به، فقال: (بطغواها).

(١) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٤٦٦ .

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٣٦ .

(٣) ينظر الخلاف الوارد في المقصودين بالقصة ص ٤٢.

أما التأكيد الوارد في سورة الحجر دون غيرها من السور فمناسبته - والله أعلم - أنَّ جَوَّ السورة عمومًا أقوى من بقية السور المذكورة في التكذيب والإعراض وإبــراز المصــير المخيف الذي ينتظر الكافرين المكذبين، فالسورة من أولها تبدأ بداية قوية فيها تهديد شــديد ووعيد مخيــف للمكــذبين المعانــدين الــذين يعرضــون عــن آيــات الله، قــال ﷻ:

9 8 7 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) M

L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; :

_ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N M

t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a `

u v w x y z { | } ~ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا

يُؤۡمِنُونَ © وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم ´ µ ¶ ¸ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ

أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾ L [الحجر: ٢ - ١٥]، فالتهديد يظهر في الآيات من خلال ما يلي:

١- إخبار الله ﷻ عن تمني الكافرين الإيمان للنجاة من العذاب.

٢- التهديد المفهوم من قوله ﷻ: M 1 2 3 4 5 7 8 L.

٣- بيان أنَّ إهلاك الأمم بالعذاب له وقت محدد لا يعلمه إلا الله ﷻ.

٤- تهديد الكافرين بأنَّ الملائكة لو نزلت على طلبهم ثم لم يؤمنوا لانتهى وقت الإنظار ولنزل بهم العذاب.

٥- بيان أنَّ سنة الله ﷻ إهلاك المكذبين.

أما مظاهر التكذيب والإعراض فتظهر فيما يلي:

١- افتراؤهم على الرسول ﷺ ورميهم له بالجنون.

٢- التعنت بطلب إتيان الملائكة ليشهدوا للرسول ﷺ بالرسالة.

٣- الاستهزاء به ﷺ.

٤- إخبار الله ﷻ أنَّ الكافرين لا يؤمنون بالقرآن وأنَّ ذلك قد سُلك في قلوبهم كما هو حال الأمم المكذبة قبلهم مع آيات الله ﷻ .

٥- إخبار الله ﷻ أنَّهم لو رأوا من الآيات العظيمة ما رأوا لن يؤمنوا، ولقالوا: محمد سحرنا.

فنلحظ أنَّ هذا الجوَّ من التهديد و هذا الوصف المفصل لكفر قريش والعرب وتعنتهم لم يرد في السور الأخرى بل جاء موجزًا في آيات قليلة، ففي سورة الشعراء قال الله ﷻ:
LO N MLKJ I HGFE DCBA @ ? > = < ; M
[الشعراء: ٥ - ٦]، وفي سورة القمر قال الله ﷻ : M وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ © وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ ´ µ ¶ فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ L [القمر: ٢ - ٥]، وفي سورة الشمس لم يذكر الله ﷻ قبل قصة صالح عليه السلام تكذيب قريش والعرب، بل إخبار بالفلاح لمن زكى نفسه والخيبة والخسار لمن دساها، بالإضافة إلى أنَّ السورة بدئت بأحد عشر قسمًا وكانت القصة مثلاً على المقسم عليه؛ فكأنَّ ذلك - والله أعلم - أغنى عن توكيدها.

فلما كان في سورة الحجر زيادة في التهديد وإطالة في وصف التكذيب والإعراض عن آيات الله ﷻ ناسب أنْ يجيء التوكيد، ولذلك نلحظ أنَّ التوكيد بـ (لقد) تكرر في السورة ست مرات(١).

ومن ناحية أخرى فإننا نلمس تشابهًا بين حال كفار قريش وقوم ثمود؛ لأنَّ ثمود طلبوا من صالح عليه السلام آية الناقة فأخرج الله ﷻ لهم الناقة من الصخرة، فكانت آية بينة واضحة ولكنهم أعرضوا عنها وكفروا بها وعقروها، وكذلك كفار قريش جاءهم الرسول ﷺ بالقرآن آية بينة واضحة فكفروا به، قال البقاعي عن سورة الحجر: ((مقصودها وصف الكتاب بأنَّه في الذروة من الجمع للمعاني الموضحة للحق من غير اختلاف أصلاً، وأشكل ما فيها وأمثله في هذا المعنى قصة أصحاب الحجر، فإنَّ وضوح آيتهم عندهم وعند كل من شاهدها أو سمع بها كوضوح ما دل عليه مقصود هذه السورة في أمر الكتاب عند جميع العرب لا سيما قريش، وأيضًا آيتهم في غاية الإيضاح للحق والجمع لمعانيه الدائرة على التوحيد المقتضي للاجتماع على الداعي))(٢)، فلما شابه حالهم حال قريش؛ ناسب تأكيد قصتهم ليدل ذلك على أهميتها فيتنبه كفار قريش إلى ما فيها من العبر فينتهوا عمَّا هم عليه من الكفر والعناد - والله أعلم - .

---

(١) ينظر الآيات: ١٠، ١٦، ٢٦، ٨٠، ٨٧، ٩٧.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/١١.

أما تسمية قوم ثمود في سورة الحجر بـــ (أصحاب الحجر) وفي سور الشعراء والقمـــر والشمس بـــ (ثمود) ؛ فإنَّه لما قال الله ﷻ في سورة الحجر عن مدينة قـــوم لـــوط ﵇ : M A B C D L [الحجر: ٧٦]، أي: ((لبطريق واضح مقيم، يراه المجتاز بها، لا خفاء بها، ولا يبرح مكانها))(١)، ثم قال بعد ذلك عن مدينتي قوم لوط وأصحاب الأيكة: M S T U V L [الحجر: ٧٩]، أي: ((لبطريق يأتمون به في سفرهم ويهتدون به))(٢)، ولـــذا ناســـب التصريح بذكر ديار ثمود في قولـــه ﷻ: M W X Y Z [\ L [الحجـــر: ٨٠]؛ للتذكير بمكانهم؛ لأنَّ قوافل قريش كانت تمر بها في رحلتها إلى الشام ويرون مساكنهم وبقايا آثارهم، فَذِكْرُ مكانهم أدعى للتذكر والاعتبار بما حلَّ بهم من عـــذاب بســـبب كفـــرهم وإعراضهم عن آيات الله ﷻ(٣).

وأما بقية السور الشعراء والقمر والشمس فقد جاءت على الأصل من ذكر القوم باسمهم (ثمود)؛ لأنَّه لا مقتضى للعدول عنه، فجاء كل تعبير في الموضع الذي يناسبه.

أما إيثار لفظة (المرسلين) في سورتي الحجر والشعراء فذلك - والله أعلم - لأنَّ سورة الحجر قد أخبر الله ﷻ في بدايتها أنَّ الأمم المكذبة كانوا يستهزئون بالرسل، فقال: M W x y z { | } ~ ﴿١١﴾ L [الحجر:١١]، كما أنَّ مادة (رَسَـــلَ) ومشـــتقاتها ذُكِرت في السورة خمس مرات(٤)، فناسب ذلك ورود لفظة (المرسلين).

وفي سورة الشعراء الذي يظهر أنَّ إيثار لفظة (المرسلين) لموافقة السياق اللفظي في السورة، فإنَّ مادة (رَسَلَ) ومشتقاتها تكررت سبع عشرة مرة(٥)، وفي بداية كل قصة من قصص الأنبياء المتتابعة من قصة نوح ﵇ إلى قصة شعيب ﵇ يذكر ﷻ تكذيب كل قوم للمرسلين، فناسب ذلك إيثار لفظة (المرسلين).

---

(١) تفسير الطبري: ٩٧/١٤.

(٢) تفسير الطبري: ١٠١/١٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٩٧/١٤، وقصص القرآن الكريم: ٩٠.

(٤) ينظر للآيات: ١١، ٢٢، ٥٧، ٥٨، ٦١.

(٥) ينظر للآيات: ١٣، ١٦، ١٧، ٢١، ٢٧، ٥٣، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٣، ١٢٥، ١٤١، ١٤٣، ١٦٠، ١٦٢، ١٧٦، ١٧٨.

وفي سورة القمر قال الله ﷻ: M كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ L [القمر: ٢٣]، و(النذر): هي الإنذارات التي أنذرهم الله ﷻ بها على لسان صالح ﵇[1]، وهذه اللفظة مناسبة للسياق المعنوي للسورة؛ لأنَّ الله ﷻ ذكر عن كفار مكة أنَّهم لا تجدي فيهم النذر، فقال ﷻ: M وَلَقَدْ ´ µ ¶ ¸ فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ L [القمر: ٤ - ٥]، فأشبهوا بذلك قوم ثمود، قال ابن عاشور: ((وإنما فُصِّل تكذيب ثمود وأُجمل تكذيب عاد؛ لقصد بيان المشابهة بين تكذيب ثمود وتكذيب قريش))[2]، فقريش كذبوا بآية انشقاق القمر وبما جاء في القرآن الكريم من أنباء عن إهلاك الأمم المكذبة قبلهم، ((وأما ثمود فأنذروا، وأخرج لهم ناقة من صخرة وكانت تدور بينهم، وكذبوا فكان تكذيبهم بإنذارات وآيات ظاهرة فصرح بها))[3].

وإضافة إلى ما ذُكِر نلحظ أنَّ جَوَّ السورة مشحون بالإنذار والتهديد؛ فقد تكرر قول الله ﷻ: M i j k l m L [القمر: ١٦، ٢١، ٣٠]، وقال ﷻ عن قوم عاد: M v w x y z { | L [القمر: ١٨]، وقال ﷻ عن قوم لوط: M F G H I J L [القمر: ٣٣]، وقال ﷻ: M u v w x L [القمر: ٣٩]، وقال ﷻ عن فرعون وقومه: M وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ L [القمر: ٤١]، ثم أنذر كفار قريش بقوله: M أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ ´ µ ¶ ¸ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ L [القمر: ٤٣]، فجَوُّ السورة مفعم بالإنذار والتخويف والتهديد، فكانت لفظة (النذر) مناسبة وموافقة للسياق لفظًا ومعنى.

وفي سورة الشمس قال الله ﷻ: M J K L M L [الشمس: ١١]، فذكر ﷻ سبب التكذيب ولم يذكر المكذَّب به، وذلك - والله أعلم - لأنَّ السورة تتحدث عن وضوح الحق وظهور طريق الخير والإيمان وأنَّه لا لبس فيه ولا خفاء[4]،فقد أقسم الله ﷻ أحد عشر قسمًا على أنَّه ألهم كل نفس فجورها وتقواها، فبيَّن لها طريق الفجور وطريق

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢/١٣٩.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٧/١٩٦.

(٣) التفسير الكبير: ٢٩/٤٨.

(٤) ينظر: قصص القرآن الكريم: ٢٣١.

التقوى، وجعل الفلاح لمن زكا نفسه، والخيبة والخسار لمن دساها، ثم ذكر ﷻ قصة ثمـــود مثلاً لمن دسَّسَ نفسه بعد أنْ تبين له الهدى وعرف طريق الحق وقامت عليه الحجـــة، فبـــيَّن الله ﷻ أنْ ذلك كان بسبب ما كانوا عليه من الطغيـــان والبغـــي[1]، فقـــال:M J K L L [الشمس:١١]، فناسب ذكرُ سبب تكذيب ثمود السياقَ المعنويَّ للسورة.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤١٣/٨ .

المبحث الثاني

أسرار التشابه اللفظي في مقام دعوة صالح عليه السلام لقومه

أولاً: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورتي الأعراف وهود: M وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ © قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ´ L [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١].

٢- وقوله ﷻ في سورة المؤمنون: M I J K L M N O P Q R S T L [المؤمنون: ٣٢].

٣- وقوله ﷻ في سورة النمل: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . L [النمل: ٤٥].

ففي سورتي الأعراف وهود ورد التصريح بفعل القول والنداء، فقال ﷻ: M قَالَ يَٰقَوْمِ L، أما في سورتي المؤمنون والنمل وردت (أنْ) التفسيرية فقال ﷻ: M M N O L.

وسبب التصريح بفعل القول في الأعراف وهود - والله أعلم - أنَّ فعل (أرسلنا) محذوف من الآية، فجاءت جملة (قال) مبينة له، قال ابن عاشور: ((وجملة (قال) مُبَيِّنَة للجملة المقدرة وهي (أرسلنا). ووجه التصريح بفعل القول؛ لأنَّ فعل (أرسلنا) محذوف، فلو بُـيِّنَ بجملة (ياقوم اعبدوا الله) كما بُيِّنَ في قوله: M m n o p q r s t u v L [هود: ٢٥]؛ لكان بيانًا لمعدوم وهو غير جلي))(١).

أما في سورتي المؤمنون والنمل لما صُرِّحَ فيهما بفعل الإرسال فقال ﷻ في المؤمنون: M I J K L L، وفي النمل: M ! " # $ % & L؛ ذُكِـرَت (أنْ) المفسرة لما تضمنه الفعل (أرسلنا) من معنى القول(٢)، ((أي: قلنا لهم على لسان الرسول M N O L))(٣)، فناسب كل تعبير الموضع الذي ورد فيه.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٢/٩٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ٧٠٧، وملاك التأويل: ١/٥١٦، والتحرير والتنوير: ١٨/٥٠.

(٣) الكشاف: ٧٠٧.

أما النداء الوارد في سورتي الأعراف وهود فهو مناسب لسياق القصة فيهما لعدة أمور: الأول: أنَّ القَصَصَ الواردة في السورتين قبل قصة صالح عليه السلام وبعدها كلها قد تكرر فيها النداء بـ(يا قوم)، ففي سورة الأعراف ورد النداء في ثمانية مواضع، وفي سورة هود في ستة عشر موضعًا، فمجيء النداء في قصة صالح عليه السلام موافق للسياق اللفظي للسورتين.

الثاني: أنَّ في زيادة النداء تناسبًا مع الإطناب الوارد في القصة في سورتي الأعراف وهود، وهو الأسلوب الذي لم يستخدم في سورتي المؤمنون والنمل[1]؛ فإن الله عز وجل ذكر في سورة الأعراف وهود عن صالح عليه السلام أنَّه وعظ قومه وذكرهم بآلاء الله عز وجل عليهم وأمرهم ونهاهم وحذرهم، ففي سورة الأعراف قال لهم صالح عليه السلام كما حكى القرآن: M يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ ¶ بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ ! " # $ % & '
( ) * + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8
9 : ; L [الأعراف: ٧٣ – ٧٤]، وفي سورة هود قال عز وجل على لسان صالح عليه السلام: M يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ L [هود: ٦١]، فلما ذكر في سورتي الأعراف وهود ما لم يذكره في المؤمنون و النمل ناسب زيادة ذكر النداء ليناسب الإطناب فيهما.

الثالث: أنَّ صالحاً عليه السلام في سورتي الأعراف وهود وعظ قومه، وذكَّرهم بنعم الله عز وجل الجسام عليهم التي منها الاستخلاف في الأرض بعد قوم نوح وقوم عاد واستعمارهم فيها، فناسب أنْ يناديهم ليسترعي اهتمامهم ويقبلوا عليه؛ لأنَّ في النداء إنباء بعظمة الخطاب الذي سيقوله، قال الكرماني: ((تصريح اسم المخاطب مع حرف الخطاب يدل على تعظيم المخاطب به))[2]. وكذلك لما كان في خطاب صالح عليه السلام لهم أمرٌ ونهيٌ وتحذيرٌ؛ ناسب أنْ يناديهم بـ(يا قوم) بإضافة ضميره إليهم لينبئ عن قربهم منه؛ توددًا إليهم واستعطافًا لقلوبهم وتأليفًا لهم؛ ليكون ذلك أدعى لقبولهم.

(١) ينظر: التعبير القرآني: ١١٧.

(٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٠٣، وينظر: كشف المعاني: ١٥٦.

ومن التشابه في الآيات: ورود قوله ﷻ: M Q R S T L في سور الأعراف وهود والمؤمنون، بينما لم ترد هذه الجملة في سورة النمل.

وسبب ذلك – والله أعلم – أنَّ بداية القصة في سورة النمل كانت موجزةً وفيها طيٌّ لبعض الأحداث، فالله ﷻ أخبر عن انقسام ثمود إلى فريقين مختصمين بعد دعوة صالح عليه السلام لهم مباشرة بدون ذكر تفاصيل فقال ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) (* + , - . L [النمل: ٤٥]، فلما كانت البداية موجزة؛ ناسب إيجاز ما قاله صالح عليه السلام لهم. بينما في السور الثلاث الأعراف وهود والمؤمنون ذكر الله ﷻ عن صالح عليه السلام في مقام دعوته أكثر مما ذُكِر في سورة النمل، فناسب زيادة M Q R S T L.

ثم إنَّ ورود الفاء و(إذا) الفجائية في قوله ﷻ: M * + , - L، واستعجال ثمود بالسيئة في قول الله ﷻ الذي حكاه عن صالح عليه السلام أنه قال لهم: M1 2 3 4 5 L [النمل: ٤٦]، في ورود ذلك ما يوحي بأنهم بادروا إلى التكذيب، فكأنهم لما قيل لهم: اعبدوا الله، كذبوا مباشرة، فناسب ذلك الإيجاز وعدم ورود جملة (مالكم من إله غيره).

ويمكن أنْ يضاف إلى مناسبة السياق المعنوي في سورة النمل؛ مناسبة السياق اللفظي في سور الأعراف وهود والمؤمنون؛ لأنَّ جملة: M Q R S T L قد وردت في القَصَص الأخرى الواردة في السور عن بعض الرسل ففي سورة الأعراف وردت الجملة في قصة نوح وهود وشعيب عليهم السلام، وفي سورة هود وردت في قصة هود وشعيب عليهما السلام، وفي سورة المؤمنون وردت في قصة نوح عليه السلام ، ففي ذكرها في قصة صالح عليه السلام في هذه السور تناسب لفظي، ودليل على اتفاق الرسل عليهم السلام في دعوتهم.

ثانيًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة المؤمنون: M m n L [المؤمنون: ٣٢].

٢- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: M G H L [الشعراء: ١٤٢].

ففي سورة المؤمنون عُطِفَت الجملة بالفاء، ولم يرد العطف في سورة الشعراء؛ وذلك لأنَّ صالحًا عليه السلام أمرهم في سورة المؤمنون بعبادة الله وحده ثم أنكر عليهم عدم

اتقائهم الله ﷻ، قال الله ﷻ: M I J K L M N O P Q R S T V W X L [المؤمنون: ٣٢]، قال ابن عاشور: ((وجملة M m n L استفهامية إنكارية معطوفة بفاء التفريع على جملة M P Q R S T L))(١)، أما في سورة الشعراء كان أول ما قال لهم صالح عليه السلام: Mأَلَا تَتَّقُونَ L، ولا مقتضى لمجيء الفاء هنا، حيث لم تعطف الجملة على شيء قبلها – والله أعلم –.

ثالثًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة الأعراف: M / 0 1 L [الأعراف: ٧٤].

٢- وقوله ﷻ في سورة الحجر: M c d e f g h i L [الحجر:٨٢].

٣- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: M o p q r s t L [الشعراء:١٤٩].

ففي آية الأعراف لم تُذْكر (مِن)، وفي سورة الحجر ذُكِرت (مِن) وختمت الآية بـ(ءامنين)، وفي سورة الشعراء ذُكِرت (مِن) وختمت الآية بـ(فارهين).

أمَّا ورود حرف الجر (مِن) في آيتي الحجر والشعراء في قوله ﷻ: M e f L، وعدم وروده في سورة الأعراف في قوله ﷻ: M / 0 1 L؛ فيحتاج مِنَّا أولاً أنْ نقف على الفرق بين التعبيرين لكي نعرف مناسبة كل منهما في سياقه، والفرق بينهما - والله أعلم – أنَّ ورود (مِن) في آيتي الحجر والشعراء يفيد التبعيض(٢)، فيكون المعنى: أنهم ينحتون بعض الجبال بيوتًا، وعدم وروده يدل على أنهم ينحتون جنس الجبال بيوتًا، والذي يظهر أنَّ التعبير الثاني (تنحتون الجبال) بدون حرف الجر (مِن) أظهر وأقوى دلالة على قدرتهم وقوتهم وتمكنهم من الجبال، ولما كان سياق سورة الأعراف فيه امتنان عليهم بالاستخلاف في الأرض والتبوؤ فيها الذي من معانيه: التهيئة والإنزال والتمكين(٣)، وذلك في قوله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * L، ورد بعد ذلك

(١) التحرير والتنوير: ١٨/ق ٢/٢٠٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/٧٣.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١/٥٣١، مادة (بوأ).

إيضاحٌ وبيانٌ لمعنى التبوُّؤِ في قولــه ﷻ: M + , - . / 0 1 L، فكان الأنسب والأبلغ عدم ورود حرف الجر (مِن)؛ ليدل على تفخيم النعمة وتعظيمها.

أما في سورتي الحجر والشعراء جاء التعبير على الأصل، لأنَّ آيــة الحجــر كانــت إخبارًا عن حالهم بانشغالهم بدنياهم وليس في السياق ذكر امتنان علــيهم، قــال الله ﷻ: M c d e f g h i j k l m n o p q r s t L [الحجر: ٨٢ – ٨٤].

وفي سورة الشعراء أتت الآيــة في ســياق الإنكــار علــيهم وتــوبيخهم(١) لعــدم شكرهم نعم الله عليهم مع أمنهم من العذاب، قــال الله ﷻ: M ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x L [الشعراء: ١٤٦ – ١٥٠].

ففي مقام الامتنان بالاستخلاف والتبوؤ في الأرض ناسب تعظيم النعمــة وتفخيمهــا بتعدية الفعل إلى (الجبال)، وفي مقام ذمهم بانشغالهم بالدنيا وأمنهم من عذاب الله ﷻ ومقام الإنكار عليهم ناسب المجيء بحرف الجر (مِن) الذي يفيد التبعيض، فجاء كــلٌّ في ســياقه اللائق به.

أما التقييد في سورة الحجر بــ(آمنين) وفي سورة الشعراء بــ(فارهين)؛ فذلك - والله أعلم - لأنَّ سورة الحجر ذُكِر فيها أنَّ قوم ثمود كانوا معرضين عن آيات الله ﷻ منشغلين بدنياهم مقبلين عليها؛ لأنهم كانوا آمنين من عذاب الله، قــال ﷻ: M] ^ _ ` a b c d e f g h i L [الحجر:٨١-٨٢]، ولذا فرع على أمنــهم مــن العذاب نزوله بهم(٢)، فقال ﷻ: M j k l m n o p q r s t L، فكان الأنسب والأبلغ في هذا السياق ذكر حالة أمنهم.

ومن ناحية أخرى؛ فإنَّ السورة تحدثت عن انشغال الكفار بدنياهم وشهواتهم ومتعها الزائلة وهم يؤملون البقاء فيها غافلون عما سيحل بهم من العذاب الذي جعل الله له وقتًــا

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٧/٦١٨، والكشاف: ٧٦٦، والمحرر الوجيز.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٣/٤٣٢.

محددًا، فبينما هم كذلك يأتيهم العذاب فيكون أشد وقعًا وألماً، قال الله ﷻ في بداية السورة: M 1 2 3 4 5 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J L [الحجر: ٣ – ٥]، وقال ﷻ عن قوم لوط عليه السلام: M ( ) * + , - . / 0 1 L [الحجر: ٧٢-٧٣]، وهكذا جاء التعبير في قصة ثمود مناسبًا لهذا المعنى في السورة الذي يتضمن إعراض الكفار مع أمنهم ثم مباغتتهم بالعذاب، فكانت لفظة (آمنين) في مكانها.

أما في سورة الشعراء وردت لفظة (فارهين) أي: حاذقين، ومناسبة ذِكْرِ حالتهم هذه - والله أعلم - أنَّه لما امتن الله ﷻ عليهم بما حباهم به في أرضهم من نعم الجنات والعيون والزروع والنخيل وذلك يدل على جمالها الطبيعي، ذَكَرَ ما يدل على نوع آخر من الجمال الاصطناعي؛ وهو الحذق والتفنن في نحت البيوت في الجبال. ومن ناحية أخرى فإن لفظة (فارهين) بدلالتها على جمال بيوتهم التي ينحتونها في الجبال، تأتي لتبين في مقام الامتنان عليهم ما اجتمع لديهم من أسباب العيش الرغيد والحياة الطيبة إلى جانب الأمن وطيب المأكل والمشرب، فإن نعمة الأمن ووفرة الرزق وطيب المسكن من أعظم النعم، قال الله ﷻ حكاية عن صالح عليه السلام أنَّه قال لهم: M ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t L [الشعراء: ١٤٦ – ١٤٩]. وكذلك فإنَّ في قوله ﷻ: M ` a b c d e L إشارة إلى تمتعهم بالأمن، فمجيء قيد آخر يفيد حذقَهم في نحت الجبال يُبيِّن لنا سعة البيان القرآني في إيراد المعاني والدلالات.

ومن ناحية أخرى؛ فإننا نجد أنَّ ترتيب السور الثلاث في القرآن الكريم يبدأ بالأعراف ثم الحجر ثم الشعراء، فالقارئ للقرآن الكريم من أوله كلما مرَّ بسورة وقف على فائدة جديدة، ففي سورة الأعراف ذكر الله ﷻ عن ثمود نحتهم للجبال، وفي سورة الحجر ذكر أنهم كانوا ينحتون آمنين، وفي سورة الشعراء ذكر الله ﷻ قيدًا جديدًا؛ وهو أنهم حاذقون بالنحت، ففي كل موضع نجد فائدة جديدة يضيفها القيد مع مناسبة لسياق السورة(١).

(١) سلك هذا المسلك في توجيه بعض الآيات المتشابهات ابن الزبير الغرناطي، ينظر: ملاك التأويل: ١/٢٩٤، و١/٥٤٩، وينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه: ٢٤٧ وما بعدها، والمتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند ابن الزبير الغرناطي: ١٤٣.

المبحث الثالث

أسرار التشابه اللفظي في ردِّ قوم صالح عليه السلام عليه

أولاً: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله عز وجل في سورة هود: M وَإِنَّنَا لَفِي Î Ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ L [هود: ٦٢].

٢- وقوله عز وجل في سورة إبراهيم: M y z } | { ~ مُرِيبٍ L [إبراهيم: ٩].

ففي آية هود وردت (إِنَّنَا) بثلاث نونات؛ نونا (إنَّ) ونون ضمير المتكلم، و(تـدعونا) بنون واحدة، أما في سورة إبراهيم فوردت (إنَّا) بنونين وحذفت الثالثة، و(تدعوننا) بنـونين اثنتين.

وسبب ذلك - والله أعلم - أنَّ (إِنَّنَا) في سورة هود جاءت على الأصـل لاقترانها بـ(تدعونا) بنون واحدة، فهو خطاب لصالح عليه السلام وهو مفرد، فليس في الجملة ثقل يوجب الحذف.

أمَّا (إنَّا) في سورة إبراهيم فإنها لما اقترنت بـ(تدعوننا) بنونين اثنتين؛ الأولى علامـة رفع الفعل والثانية في محل نصب مفعول به، حُذِفَت منها نونٌ واحدة تجنبًا للثقل الناتج عـن اجتماع النونات في مكان متقارب، قال ابن الزبير: ((للسائل أنْ يسأل عن ثبات النونين وهما للمضاعفة الداخلة للتأكيد ونون الضمير في (إِنَّنَا) في سورة هود، وسقوط إحدى النونين في سورة إبراهيم من (إنَّا)؟ وعن إفراد النون في سورة هود في (تدعونا)، وإلحاق نون ثانيـة في (تدعوننا) من سورة إبراهيم؟... فاعلم أنَّ الضمير المتصل بالفعل في (تدعونا) في سورة هود ضمير مفرد مستتر، وهو ضمير صالح عليه السلام... ولا نون هنا غير هذه، وأمَّا قوله في سـورة إبراهيم M | { L فالواو ضمير الرسل... وقع هذا الفعل بالنون الأولى، والنون الثانيـة ضمير المدعوين، فلابد هنا من النونين في (تدعوننا)، فلما لزمت النونان هنا جيء معهمـا بـ(إنَّا) المحذوفة النون لتقارب اللفظ، أعني قرب (إنَّا) من (تـدعوننا)، فكـان في مَظِنَّـةِ الاستثقال، فحسن الحذف حيث يجوز...، ولما لم يكن في (تدعونا) في سورة هود إلا نـون

واحدة وهي نون الضمير لم يستثقل، فجيء بـ(إِنَّنَا) على الأصل، فجاء كلٌّ على ما يجب، والله أعلم بما أراد))(١).

وقد لفت ابن عاشور الانتباه إلى أمر آخر ونكتة خفية في إثبات نون (إِنَّنَا) في سورة هود وحذفها في سورة إبراهيم حيث قال: ((ومن محاسن النكت هنا إثبات نون (إنَّ) مع نون ضمير الجمع؛ لأنَّ ذلك زيادة إظهارٍ لحرف التوكيد، والإظهار ضرب من التحقيق، بخلاف ما في سورة إبراهيم من قول الأمم لرسلهم M y z } | { ~ مُرِيبٍ L؛ لأنَّ الحكاية فيها عن أمم مختلفة في درجات التكذيب))(٢).

ومن ناحية أخرى؛ يمكن أنْ يُقال: إنَّ ذِكْرَ النون في (إِنَّنَا) علاوة على أنَّه الأصل فإنَّ فيه مراعاةً لمقام الإطالة، فقد يقتضي المقام الإطالة والتفصيل فيؤتى بها، وقد يقتضي الإيجاز فتحذف(٣)، وإذا نظرنا إلى سورة هود وجدناها ((تذكر تفاصيل الأقوام البائدة وقصصهم واحدة واحدة؛ قصة قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم لوط ومدين وقصة موسى مع فرعون، بخلاف آية إبراهيم فإنها بيان لموقف الأمم من الرسل عمومًا على وجه الإجمال لا على وجه التفصيل، فأطال في مقام التفصيل وأوجز في مقام الإيجاز))(٤)؛ لذلك جاءت آية هود بثلاث نونات (إِنَّنَا)، وفي سورة إبراهيم بنونين (إِنَّا). وبذلك يتبين لنا أنَّ كل تعبير جاء في موضعه اللائق به لفظًا ومعنى، والمناسب له إيجازًا وإطنابًا - والله أعلم -.

ثانيًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة إبراهيم: M فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ L [إبراهيم:١٠].

٢- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: M فَأْتِ بِـَٔايَةٍ ´ µ ¶ ¸ L [الشعراء:١٥٤].

ما سر إيثار (سلطان مبين) في سورة إبراهيم ؟ وإيثار (آية) في سورة الشعراء ؟

---

(١) ملاك التأويل: ٢/٦٥٩، وينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٤٦، والتحرير والتنوير: ١٣/١٩٨.

(٢) التحرير والتنوير: ١٢/١١٠، ودراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتابه ملاك التأويل: ٢٠٤.

(٣) ينظر: معاني النحو: ١/٣٨٩.

(٤) معاني النحو: ١/٣٩٠.

ولكي نعرف مناسبة كل تعبير في موضعه لابد أنْ نقف على معنى كل منهما، فـ(السلطان) هو الحجة القاهرة، قال الراغب: (("السلاطة" التمكن من القهر...، وسمي الحجة سلطانًا وذلك لما يلحق من الهجوم على القلوب)) [1]، وقال الخطيب الإسكافي: ((و "السلطان المبين" هو الحجج القاهرة التي تقهر القوم)) [2]، أمَّا (الآية) فهي: الحجة والعلامة الظاهرة التي تدل على صدق الرسول [3]، قال الخطيب الإسكافي: ((الآيات: الإمارات التي يكتفى بها في صدق الرسول عليه السلام وتقوم الحجة على من بُعِثَ إليهم)) [4]، وقد ذكر الخطيب الإسكافي في توجيهه لآيات متشابهات في قصة موسى عليه السلام أنَّه إذا كان سياق الآيات فيه ذِكْر لعقاب الكافرين وإهلاكهم في الدنيا وعقابهم الدائم في الآخرة فإنَّه يُذْكر فيه (السلطان المبين)، أمَّا إذا انتهى السياق إلى ذِكْر العقاب الدنيوي فإنَّه يرد لفظ (آية) [5]، وإذا نظرنا إلى القصة في سورة إبراهيم وجدنا أنَّ الله عز وجل ذكر فيها إهلاك القوم المكذبين في الدنيا وعذابهم في الآخرة، قال الله عز وجل: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥ – ١٧]، لذلك أوثر التعبير هنا بـ(سلطان مبين)، أمَّا في سورة الشعراء فإنَّ القصة تنتهي عند إهلاك قوم ثمود في الدنيا بنزول العذاب بهم، قال الله عز وجل: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الشعراء: ١٥٨].

ومن ناحية أخرى؛ نلحظ أنَّه لما ذُكِرَ سوءُ ردِّ المرْسَلِ إليهم وقبحُ جوابهم ذُكِر (سلطان مبين)؛ لأنَّ السلطان يقتضي القهر والإرغام، فيكون ذلك دليلاً على شنيع محاوبتهم، وسوء ردهم، وشدة كفرهم وتعنتهم، وهذا ما يناسب ردَّ الأقوام على رسلهم عليهم السلام في سورة إبراهيم، فقد أخبر الله عز وجل عنهم أنهم ردوا أيديهم في أفواههم تغيظًا على رسلهم، وأنهم أعلنوا كفرهم بما جاء به المرسلون، وشكهم فيما يدعونهم إليه من

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٤٤.
(٢) درة التتريل: ٢٢٩.
(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٤٣/١٠، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤١٣/١، والمفردات في غريب القرآن: ٤١.
(٤) درة التتريل: ٢٢٩.
(٥) ينظر: درة التتريل: ٢٢٩.

توحيد الله ﷻ، ثم آذوهم وهدَّدوهم بالإخراج والطرد من أرضهم، كل ذلك يـدل علـى شدة كفرهم وسوء أدهم مع رسلهم، فناسب هذا السياق التعبير بـ(سلطان مبين).

أمَّا في سورة الشعراء فإنَّ رد قوم ثمود على قبحه لم يبلغ في شناعته ما ذكر في سـورة إبراهيم، فإنهم اتهموا صالحًا عليه السلام بأنَّه مسحور، وأنَّه بشر مثلهم لا يتميز عنهم في شيء، ثم سألوه بعد ذلك أنْ يأتيهم بآية، وذلك أقل مما ذُكِر في سورة إبـراهيم، فناسـب التعـبير بـ(آية).

وثَمَّ أمر آخر؛ وهو أنَّ المكذبين في سورة إبراهيم سألوا الرسل علـيهم السـلام أنْ يأتوهم بسلطان مبين؛ لكي يطيعوهم في ترك ما يعبدون مـن دون الله ﷻ، وفي سـورة الشعراء سألت ثمود صالحًا عليه السلام آية تدل على صدقه أنَّه رسول من عند الله ﷻ، ولما كان أمر ترك الآلهة أعظم عندهم عُبِّر فيه بـ(سلطان مبين)، وفي غيره بـ(آية) - والله أعلم - .

ومن ناحية أخرى؛ فإننا نجد أنَّ لفظة (سلطان) وردت في سورة إبـراهيم في خطبـة الشيطان التي خطبها في أهل النار، قال الله ﷻ: M \ ] ^ _ ` a b c d e f g i j k l m n o p q r s L [إبـراهيم: ٢٢]، وفي سورة الشعراء وردت لفظة (آية) في آيات كثيرة منها قولـه ﷻ: M / 0 1 2 3 4 5 L [الشعراء:٤]، وقوله ﷻ: M \ ] ^ _ a b c d e L [الشـعراء: ٨][1]، فحصل بذلك مناسبة لفظية بالإضافة إلى مناسبة السياق المعنوي، وجاءت كـل لفظـة في موضعها اللائق بها.

ثالثًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة الأعراف: M U V W X Y Z [\ ] L [الأعراف: ٧٦].

٢- وقوله ﷻ في سورة إبراهيم: M s t u v w x L [إبراهيم: ٩].

(١) وينظر الآيات رقم: ٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠.

ففي سورة الأعراف قالوا: (بالذي آمنتم به)، وجاء الخبر (كافرون) اسمًا، أما في سورة إبراهيم قالوا: (بما أرسلتم به)، وجاء الخبر (كفرنا) جملة فعلية.

أما إيثار الاسم الموصول (الذي) في آية سورة الأعراف؛ فذلك - والله أعلم - لأنَّ (الذي) يُعَبَّر به دون غيره من الموصولات لما هو معلوم وأكثر تحديدًا ووضوحًا[(١)]، ولما كان المستكبرون قد خَصُّوا وحَدَّدوا كفرهم بما آمن به المستضعفون من المؤمنين، وهو ما أرسل به صالح عليه السلام ، وكان ذلك أمرًا معلومًا ومعروفًا لديهم، ناسب التعبير بـ (الذي).

وأما مجيء الخبر اسمًا مفردًا على صيغة اسم الفاعل في قولهم: (كافرون)؛ فذلك - والله أعلم - لأنَّ الاسم يدل على الثبوت[(٢)]، وهذا أكثر دلالة على رسوخ الكفر لديهم، وذلك لأنَّ المستضعفين من المؤمنين لما أظهروا يقينهم وإيمانهم وثباتهم على عقيدتهم في قولهم: OM P Q R S L [الأعراف: ٧٥]، أراد المكذبون أنْ يقابلوا مقالتهم ويظهروا مخالفتهم بإعلان ثباتهم على كفرهم، فناسب ذلك مجيء الخبر اسمًا.

أما ورود (ما) الموصولة في سورة إبراهيم في قولهم: Mt u v w x L؛ فذلك - والله أعلم - لأنَّ القصة فيها تحكي موقف جمٍّ غفير من الأمم المكذبة تجاه رسلهم، ولما كان التكذيب بواحد منهم تكذيبًا لهم جميعًا، ناسب مجيء (ما) لأنها تفيد العموم[(٣)]، فقد دلت على عموم كفرهم بجميع الرسالات، وبكل ما جاء به رسولهم.

ثم إنَّ إعلان المكذبين كفرهم وتعميمه على ما جاء به الرسل عليهم الصلاة السلام يدل على المبالغة في الكفر، وذلك مناسب لجوِّ القصة الذي تظهر فيه شدة التكذيب والعناد وشناعة ردهم على الرسل عليهم السلام، وذلك ظاهر من القصة[(٤)].

كما أنَّ جوَّ القصة المشحون بالكفر والتكذيب مناسب لمجيء الخبر جملة في قولهم (كفرنا)؛ وذلك لأنَّ مجيء المسند جملة يفيد تقوية الحكم[(٥)]، فحصل بذلك تقويةٌ لما أرادوا

(١) ينظر: معاني النحو: ١/١٢٩.
(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٤، والإيضاح: ٩٠.
(٣) ينظر: معاني النحو: ١/١٣٠، و(ما) الموصولة في النظم القرآني: ٩٤٢.
(٤) ينظر: ص ٢٤٧ من البحث.
(٥) ينظر: الإيضاح: ١٠٢، وخصائص التراكيب: ٣٣٥.

إعلانه من كفرهم بالرسل. أما مجيئها فعلية فلإفادة التجدد والحدوث[1]، وهو أبلغ في هذا الموضع؛ لأنَّ الأمم المكذبة جاءت في أزمان متفاوتة، وكلما هلك قوم خلفهم آخرون، فأحدثوا كفرًا متجددًا مع مجيء كل رسول إليهم، فناسب ذلك التعبير بالجملة الفعلية ليدل على تكرر ذلك منهم وحدوثه مرة بعد مرة - والله أعلم -.

رابعًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة هود: M أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë L [هود: ٦٢].

٢- وقوله ﷻ في سورة إبراهيم: M تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا L [إبراهيم: ١٠].

ففي سورة هود وردت الجملة بصيغة الاستفهام الانكاري التوبيخي (أتنهانا)، وفي سورة إبراهيم جاءت جملة (تريدون أن تصدونا) صفة[2] مع زيادة لفظة (كان)، فما مناسبة كل تعبير في موضعه؟

الذي يظهر - والله أعلم - أنَّ الاستفهام الإنكاري في سورة هود جاء متناسبًا مع السياق العام للسورة، ومتناسبا مع سياق القصة نفسها، أما مناسبته للسياق العام للسورة فلأمرين:

الأول: أنَّ من أعظم مقاصد إيراد القَصَصِ في سورة هود تسليةَ الرسول ﷺ وتثبيتَه والتخفيفَ عنه مما كان يلاقيه من أذى المشركين وما يصيبه من ضيق في صدره بسبب حرصه على هدايتهم، فقد سُبقت القَصَصُ بقوله ﷻ: M µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ L [هود: ١٢]، وجاء في أثناء القَصَصِ بعد قصة نوح عليه السلام قوله ﷻ: M v x y z L [هود: ٤٩]، وبعد إيراد القَصَصِ قال الله ﷻ: M ? @ A B C D E F G H L [هود: ١٢٠]، ولذا نجد أنَّ المشاهد التي سيقت من القَصَصِ تُصَوِّرُ مدى الأذى والجهل والعناد الذي تعرض له الرسل عليهم السلام من المكذبين، وكيف ثَبَتَ الرسل

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٤، والإيضاح: ٩٠.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٢١، واللباب في علوم الكتاب: ٣٥٢/١١، وتفسير أبي السعود: ٣٧/٥.

عليهم السلام وصبروا حتى نصرهم الله عز وجل فكانت العاقبة لهم، فنوح عليه السلام طالبه قومه بطرد المؤمنين، واتهموه بالكذب، وكانوا يسخرون منه، وهود عليه السلام اتهمه قومه بالجنون والخبل، ولوط عليه السلام راودوه عن ضيفه، وشعيب عليه السلام لقي من قومه الاستهزاء والتهكم وكادوا يرجمونه، وقصة صالح عليه السلام جاءت متناسبة مع هذا السياق المشحون بالتكذيب والاستخفاف بالرسل عليهم السلام، فذكر الله عز وجل رد قوم ثمود على صالح عليه السلام بإنكارهم عليه وتوبيخهم له وتعجبهم مما دعاهم إليه من التوحيد بقولهم: M أَتَنۡهَىٰنَآ ç è é ê ë L، فكان في هذا الاستفهام من دلالات سوء الأدب والجهل والعناد ما فيه.

الثاني: أنَّ أسلوب الاستفهام قد تكرر في عشرين موضعًا من السورة لأغراض مختلفة، وكان الإنكاري منها في عشرة مواضع[1]، وهذا يدل على أنَّ أسلوب الاستفهام مما تتميز به هذه السورة، ولعل ذلك - والله أعلم - لقوة المواجهة والتحدي التي جرت بين الرسل عليهم السلام والمكذبين من أممهم، مما جعل جوَّ السورة مشحونًا بالإنكار الذي أكثره كان من قبل الرسل عليهم السلام على أقوامهم، وقد أشار الدكتور محمد محمد أبو موسى إلى تشابه خصائص التراكيب في بناء السورة الواحدة، وأطلق عليه "تناغي التراكيب" أو "تلاحظ التراكيب" أو "تنادي التراكيب"[2]، فلعل تكرار أسلوب الاستفهام هنا من هذا الباب.

أما من ناحية القصة نفسها؛ فإنَّ أسلوب الاستفهام الإنكاري مناسب لها من وجهين:

الأول: أنَّ قوم صالح عليه السلام كانوا يؤملون ويرجون منه أنْ يكون فيهم سيدًا مطاعًا؛ لما رأوا فيه من مخايل الخير وأمارات الرشد[3]، فلما خالفهم في دينهم وأنكر عليهم شركهم وأمرهم بعبادة الله وحده، أنكروا عليه ذلك ووبخوه وتعجبوا منه؛ لأنَّ الإنكار التوبيخي يحمل معنى: لا ينبغي أنْ يكون ذلك منك[4]، قال الله عز وجل: M قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ à فِينَا â قَبۡلَ هَٰذَآ أَتَنۡهَىٰنَآ ç è é ê ë L [هود: ٦٢]، فكان الاستفهام الإنكاري مناسبًا للحالة النفسية

(١) ينظر: الآيات: ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٥١، ٦٢، ٦٣، ٧٣، ٧٨، ٩٢.

(٢) ينظر: من أسرار التعبير القرآني: ٢١٧.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٤٥٤، والكشاف: ٤٨٩.

(٤) ينظر: دراسات في البلاغة العربية: ٥٦.

التي يمرون بها في هذا المشهد من القصة، وبيانًا وإيضاحًا لاسم الإشارة الوارد في الجملة قبله(١).

الثاني: أنَّ الآية ختمت بتصريحهم بالكفر في قولهم: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]، فكان فيها ترقٍّ من الإنكار والتوبيخ إلى الإعلان الصريح للكفر - والله أعلم -.

أما سورة إبراهيم فقد قال الله ﷻ فيها عن الكافرين أنهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]، فجملة (تريدون) صفة ثانية لـ(بشر)(٢)، ومناسبة وصف الرسل عليهم السلام بهذه الجملة مناسب للسياق من ثلاثة أوجه:

الأول: أنَّ القصة في السورة تحكي حال الرسل عليهم الصلاة السلام وما لاقوه في سبيل الدعوة إلى الله ﷻ، واتفاقَ المكذبين في ردِّهم عليهم وموقفهم منهم، وبيانَ أنَّ سبب كفرهم بالرسل أمران: شبهةُ أنَّ الرسل بشر مثلهم، وتعصبُهم لآبائهم وتقليدُهم لهم. لذا ناسب بعد إعلان المكذبين كفرهم بالرسل والشك بما جاؤوا به في قولهم الذي حكاه الله ﷻ عنهم: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم:٩]، أنْ يعللوا كفرهم بشبهتهم التي يكررونها ويستنسخها لاحقهم من سابقهم، فقالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ﴾، ثم أكدوا بقولهم: ﴿مِّثْلُنَا﴾، ثم أضافوا صفة أخرى وهي جملة: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، فكانت جملة القصر والتقييد بالصفتين الواردتين تعليل لكفرهم بالرسل وعدم اتباعهم لهم.

الثاني: أنْ قولهم: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، معناه كما قال أبو حيان: ((ليس مقصودكم إلا أنْ نكون لكم تبعًا، ونترك ما نشأنا عليه من دين آبائنا))(١)، ففي اتهام الرسل بالباطل أنهم يَدَّعُون الرسالة لأجل أنْ يكون القوم تبعًا لهم، وأنهم يطلبون الرئاسة والسيادة؛ جرأة على الرسل تناسب شدة الكفر والتكذيب والعناد الوارد في السياق.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٦.

(٢) البحر المحيط: ٣٩٩/٥، وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣٩٣/١٠.

الثالث: أنَّ وصف الرسل عليهم السلام بطلب الدنيا والرئاسة واتهامهم بهذه التهمة الباطلة؛ يمنع من اتباعهم وطاعتهم وقبول دعوتهم، وهذا من الصَّدِّ عن سبيل الله الذي ذكره الله عز وجل في بداية السورة في قوله: M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e L [إبــــراهيم: ٢-٣]، ففي ذلك تناسب مع مطلع السورة.

أما زيادة لفظة (كان) في سورة إبراهيم حيث قالوا: M**تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا** L وعدم ورودها في سورة هود في قول قوم ثمود لصــالح عليه السلام: M**أَتَنْهَىٰنَآ** ç è é ê ë L [هود: ٦٢]؛ فلأنَّ (كان) هنا تدل على الماضي المستمر الذي أصبح عادة دائمــة[1]، قال ابن عاشور عند تفســير قولــه عز وجل: M H I J K L M N O P L [الأعراف: ٧٠]: ((واجتلاب (كان) لتدل على أنَّ عبادتهم أمر قديم مضت عليــه العصــور. والتعبير بالفعل وكونه مضارعًا في قوله: (يعبد) ليدل على أنَّ ذلك متكــرر مــن آبــائهم ومتجدد، وأنهم لا يفترون عنه))[2].

ولذلك يمكن القول إنَّ زيادة (كان) قبل الفعل المضارع في سورة إبــراهيم تناســب السياق الذي يحكي حال أمم كثيرة ومتتابعة مع رسلهم، لا يعلمهم إلا الله عز وجل من كثرتهم، دلَّ على ذلك قوله عز وجل: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e g h i j L [إبراهيم: ٩]، فهؤلاء الأقوام يخلف بعضهم بعضًا في الكفــر وعبــادة الأوثان، ومجيء (كان) يدل على أنَّ هذا أمر قديم مضت عليه العصور وأنَّه عادة مســتمرة فيهم يتجدد مع كل قوم، فناسب زيادتها في هذا السياق.

ومن ناحية أخرى؛ فإنَّ مجيء (كان) يقوي معنى تعصبهم لآبائهم وما ورثوه عنــهم؛ لأنها تدل على أنَّ اتباع آبائهم في دينهم عادة قديمة مستمرة، فناسب مجيئها هنا.

أما في سورة هود فكان قول قوم ثمود: M**أَتَنْهَىٰنَآ** ç è é ê ë L إنكارًا منهم على صالح عليه السلام، فجاءت الجملة بالفعل المضارع (يعبد) دون (كان)؛ لتكون صــورة آبــائهم

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٩٩٦، ومعاني النحو: ١/١٩٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٨/ق ٢/٢٠٨.

حاضرة أمامهم[١]، وكأنهم موجودون فلا تمكن مخالفتهم تعظيمًا لهم، فناسب هنا عدم ورود (كان)، وناسب في سورة إبراهيم ورودها - والله أعلم - .

خامسًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة إبراهيم: M ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ L [إبراهيم: ١٠].

٢- وقوله ﷻ في سورة المؤمنون: M f g h i j L [المؤمنون: ٣٣].

٣- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: M ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ L [الشعراء: ١٥٤].

٤- وقوله ﷻ في سورة القمر: M ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ L [القمر: ٢٤].

ففي سورة إبراهيم والمؤمنون والشعراء جاء أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، غير أنَّ سورة إبراهيم استعمل فيها حرف النفي (إنْ)، والمؤمنون والشعراء استعمل فيهما حرف النفي (ما). وفي سورة القمر جاءت الجملة بصيغة الاستفهام الإنكاري دون أسلوب القصر. فما مناسبة كل تعبير في موضعه ؟

لنبدأ بإيثار حرف النفي (إنْ) في سورة إبراهيم دون سورتي المؤمنون والشعراء. ذُكِر سابقًا أنَّ (إنْ) آكد في النفي من (ما)[٢]، لذا – والله أعلم – لما كان سياق القصة في سورة إبراهيم يظهر فيه أنَّ درجة الكفر والتكذيب والعذاب الذي نزل بالمكذبين أشد وأقوى من السورتين الأخريين ناسب ورود (إنْ) لأنها آكد. وتظهر شدة الكفر والتكذيب في سورة إبراهيم في عدة أمور:

١- إعلان الكفر بالقول والفعل، قال ﷻ: M o p q r s t u v w x y z { | } ~ ﴿مُرِيبٍ﴾ L [إبراهيم: ٩].

٢- شدة العناد والتعنت في طلب الآيات بقولهم: M ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ L [إبراهيم: ١٠].

---

(١) ينظر: الكشاف: ٤٨٩، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/٣٢٠.

(٢) ينظر: ص ١٢٠ من البحث.

٣- إيذاء الرسل عليهم السلام، لقول الرسل عليهم السلام: M K LM N LI [إبراهيم: ١٢].

٤- تهديد الرسل عليهم السلام بإخراجهم من الأرض في قول المكذبين: M Y Z [\ ] ^ _ L [إبراهيم: ١٣].

٥- وصف الله عز وجل المكذبين بالجبروت والعناد في قوله عز وجل: M s t u v w x L [إبراهيم: ١٥].

٦- وصفهم بالظلم، قال عز وجل: M d e L [إبراهيم: ١٣].

٧- ذِكْرُ امتداد عذابهم في الآخرة ووصف شدته وغلظه.

كل ذلك يدل على أنَّ السياق في سورة إبراهيم تبرز فيه شدة الكفر والعناد والعذاب.

ومن ناحية أخرى؛ نجد المكذبين في الآية نفسها قالوا: Mإِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا L ، فإنَّ اتهامهم الرسلَ عليهم السلام بأنَّ مقصدهم صدهم عن دين آبائهم ليكونوا لهم تبعًا؛ هذه دعوى، والدعوى تحتاج إلى تأكيد، فناسب الإتيان بـ(إنْ) لتقوية ما زعموه من باطل؛ لأنَّ من عرف الرسل وحالهم لا يقبل ذلك بل ينكره.

وثمة أمر آخر يجعل من ورود (إنْ) هنا أنسب، وهو أنَّ القصة تتحدث عن أمم كثيرة كذبوا بجم غفير من الرسل عليهم السلام، فناسب الإتيان بالأداة التي تعبر عن قوة التكذيب وتؤكد معناه؛ لتناسب عظم الجرم المرتكب.

وإذا نظرنا إلى السورتين الأخريين - المؤمنون والشعراء - نجد أنَّ درجة الكفر والتكذيب وشدة العذاب لا تبلغ في القوة ما في سورة إبراهيم، فسورة المؤمنون لم يكن فيها تحدٍ ومواجهة صريحة بين الملأ الكافرين المكذبين ورسولهم عليه السلام، بل كان كلامهم موجهًا لقومهم لصدهم عن الإيمان، ثم إنهم احتجوا ودللوا على بشرية الرسول ومثليته لهم بشيء محسوس معلوم لدى المخاطبين وهو قولهم: M k l m n o p q L [المؤمنون: ٣٣]، وهذا أمر ظاهر بَيِّن، فلم يُحْتَجْ معه إلى تأكيد النفي؛ بل اكتفي بالتعبير بـ(ما) - والله أعلم - .

أيضاً التعبير بـــ(ما) يناسب ما ورد في قصة نوح عليه السلام التي سبقت، فقد ذَكَرَ الله عز وجل أنَّ الكافرين قالوا عن نوح عليه السلام : M v w x y z L [المؤمنون:٢٤]، ففي ذلك تناســـب في طريقة التعبير في السورة الواحدة.

وفي سورة الشعراء كذلك لم يكن التكذيب والمواجهة كما في سورة إبراهيم، فـــإنَّ المكذبين قالوا لصالح عليه السلام كما حكى القـــرآن: M إِنَّمَآ أَنتَ © ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ ´ µ ¶ ¸ ﴿١٥٤﴾ L [الشعراء: ١٥٣ – ١٥٤]، وهذا لا يبلغ ما ورد في سورة إبـــراهيم من شدة الكفر والتكذيب، فناسب ورود (ما).

ومن ناحية أخرى؛ نجد أنهم في الآية السابقة قـــالوا: M إِنَّمَآ أَنتَ © ٱلْمُسَحَّرِينَ L ، فجـــاء القصر عن طريق (إنما) التي تكون للأمر الذي لا يجهله المخاطب ولا ينكره أو مَنْ يُنزَّل هذه المنزلة[1]، فلما زعموا أنَّه مُسَحَّر وأنَّ هذا الأمر معلوم لا ينكر؛ ناسب في هذا الســـياق أن يقصروا صالحًا عليه السلام على البشرية بطريق (ما) و(إلا)، ولم يحتاجوا إلى آكد الأدوات.

وثَمَّةَ أمر آخر؛ وهو أنَّ قـــولهم: M فَأْتِ بِـَٔايَةٍ ´ µ ¶ ¸ L ، مناســـب للنفـــي بـــ(ما)، بخلاف ما في سورة إبراهيم حيث قالوا: M فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ L [إبراهيم:١٠]؛ لأنَّ السلطان أقوى من الآية؛ لدلالتها على القهر والإرغام[2]، فناســـبت (إنْ) مجـــاورة اللفـــظ الأقوى، و(ما) مجاورة (آية) – والله أعلم - .

أما في سورة القمر فقد قـــال الله عز وجل : M فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ L [القمر: ٢٤]، بأسلوب الاستفهام الإنكاري، وذلك - والله أعلم – لأنَّ أسلوب الاســـتفهام تكرر في السورة في عدة آيات، مثل قوله عز وجل : M e f g L [القمـــر: ١٥، ٢٢، ٣٢، ٤٠]، وقوله: M أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ ´ µ ¶ ¸ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ L [القمر: ٤٣]، وقوله: M أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ L [القمر: ٢٥]، فناسب الاستفهامُ السمةَ السائدة في السورة.

سادسًا: التشابه اللفظي بين:

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٣٠.

(٢) ينظر: ص ٢٤٧ من البحث.

١- قــول الله ﷻ في ســـورة المؤمنـــون: M إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ L [المؤمنون: ٣٨].

٢- وقوله ﷻ في سورة القمر: M أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ L [القمر: ٢٥].

ففي سورة المؤمنون عبر القرآن الكريم عن مقالة الكافرين بأسلوب القصر: M إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا L، وَوُصِفَ صالح عليه السلام بالافتراء، وفي سورة القمر عَبَّرَ عــن مقالتــهم بأسلوب الإضراب: M بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ L، وهو إضراب عن أنْ يكون قد خُصَّ بالذكر من بين قومه، وَوُصِف صالح عليه السلام بأنَّه (كذاب أشر). فما مناسبة كل تعبير في موضعه؟

أما التعبير بأسلوب القصر في سورة المؤمنون فذلك – والله أعلم – لما يفيده القصر من فضل تقرير وتوكيد لمضمون الجملة[1]، وهذا يتناسب مع شدة الكفر وقــوة التكــذيب في القصة والمؤكدات المختلفة الواردة فيها، ويلحظ ذلك من خلال ما يلي:

١- أنَّ الله ﷻ أسند التكذيب إلى الملأ من قوم صالح عليه السلام ووصفهم بصفات تدل علــى قوة تكذيبــهم، فقــال ﷻ: M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e L [المؤمنون: ٣٣].

٢- تكذيبهم لصالح عليه السلام وإنكارهم لرسالته والتقليل من شأنه فيما ذكره الله ﷻ عنــهم أنهم قالوا: M f g h i j k l m n o p q L [المؤمنــون:٣٣]، وقــد أكدوا بشريته بأسلوب القصر، ثم وصفوه بصفتين تفيد التوكيــد كــذلك: لفظــة: (مثلكم)، وجملة: M k l m n o p q L.

٣- صَدُّهم عن سبيل الله ﷻ بالتحذير من اتباع صالح عليه السلام، والتأكيد على خسارة مــن أطاعه باستخدام (إنَّ)، و(إذًا)، واللام، والجملة الاسمية في قولهم: M s t u v w x y z L [المؤمنون: ٣٤].

٤- إنكار البعث، والسخرية من الوعد به، ثم تأكيد استبعاده بتكرار اسم الفعل في قــولهم الذي حكاه الله ﷻ عنهم: M { | } ~ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ © لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ L [المؤمنون: ٣٥ – ٣٦][1].

(١) ينظر: دلالات التراكيب: ١١٣.

٥- التأكيد على إنكار البعث والتكذيب به بأسلوب القصر وما ذُيلت به الآية في قولهم: Mإِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ´ µ ¶ ¸ L[المؤمنون: ٣٤].

٦- التصريح بعدم الإيمان مع تأكيد مضمون الجملة باسميتها، وتقديم المسند إليه، و(الباء) في قولهم: Mوَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ L [المؤمنون: ٣٨].

يَتَبَيّن مما ذُكِر من أوصاف الملأ الذين كفروا وأقوالهم وتأكيداتهم على إنكار الرسالة والبعث قوةُ تكذيبهم ومبلغُ كفرهم وعنادهم، وذلك يتناسب مع إخبارهم عن صالح عليه السلام بأسلوب القصر الذي يفيد التوكيد: M إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا L، فجاء القصر متناسبًا مع السياق المعنوي وأسلوب النظم في القصة.

أما في سورة القمر فأخبر الله عز وجل عن قوم ثمود أنهم قالوا: M أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ L [القمر: ٢٥]، و(بل) هنا تفيد الإضراب الانتقالي، وهو ((انتقال من أمرٍ إلى أمرٍ هو أفظع منه وأشد، مع بقاء الحكم الأول))(٢)، وناسب الإضراب هنا لأنَّه أكسب المعنى ترقيًا من الإنكار المفاد من الاستفهام في قولهم: M أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا L إلى التصريح بالتكذيب بقولهم: Mبَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ L، وفي ذلك تناسب مع ما أخبر الله عز وجل به في بداية القصة في قوله: Mكَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ L [القمر: ٢٣] – والله أعلم – .

أما التشابه الآخر الوارد في الآيتين فهو اتهام الكافرين صالحًا عليه السلام في سورة المؤمنون بأنَّه M _ ` a b L، وفي القمر بأنَّه Mكَذَّابٌ أَشِرٌ L، فما الفرق بينهما؟ ولماذا اختلف الوصف في كل موضع ؟

الذي يظهر – والله أعلم – أنَّ قول الملأ الكافرين عن صالح عليه السلام: M _ ` a b L أشد مبالغة في التكذيب والتطاول عليه من قول ثمود في الآية الأخرى: Mهُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ L، يدل على ذلك أمور:

---

(١) ينظر: التعبير القرآني: ١٥١.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها: ٥٤٥، وينظر: مغني اللبيب: ٢٢٠/١ .

الأول: أنَّ الافتراء هو تعمد الكذب، قال أبو هلال العسكري: ((افترى قطع على كذب وأخبر به))(١)، فوصْفُه بذلك أشد ذمًّا.

الثاني: تقييد الفعل M _ L بالجار والمجرور M ` a L، وفائدة ذلك استعظام هذا الافتراء واستشناعه كونه على الله عز وجل .

الثالث: توكيد الافتراء بقولهم: M b L.

فلما كان قولهم: M _ ` a b L أبلغ في التكذيب والذم ناسب ورود ذلك في سورة المؤمنون؛ لأنَّ التكذيب الوارد في القصة أشد وأقوى منه في سورة القمر كما ذُكِر آنفًا.

وثمة أمر آخر؛ وهو أنَّه لما كان صالح عليه السلام في سورة المؤمنون دعاهم إلى عبادة الله وحده، ودلَّ السياق أيضًا أنَّه دعاهم إلى الإيمان بالرسالة والبعث والنشور، فكان ما دعاهم إليه عدة أمور؛ بالغوا في اتهامه بالكذب مقابل تعدد ما دعاهم إليه فقالوا: M _ ` a b L.

أما في سورة القمر فكان إنكارهم لأمر واحد وهو رسالة صالح عليه السلام، فاتهموه بالكذب في قولهم: Mهُوَكَذَّابٌ أَشِرٌ L. أما وصفهم لصالح عليه السلام بأنَّه Mأَشِرٌ L؛ فمناسبة ذلك أنهم قالوا منكرين: M أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا L، ثم اتهموه بأنَّ الذي جعله يدَّعي نزول الوحي عليه واختصاصه بذلك من بينهم هو كبره وبطره، وأنَّه يريد طلب الرياسة وأن يتعاظم عليهم بادعائه النبوة فيكونوا أتباعًا له(٢)؛ فناسب هذان الوصفان سياق القصة - والله أعلم - .

(١) الفروق اللغوية: ٤٧٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٥١/٢٩.

المبحث الرابع

أسرار التشابه اللفظي في ذكر الناقة

أولاً: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة الأعراف فيما يحكيه عن صالح عليه السلام أنَّه قال لقومه: M ¶ ﺑ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ L [الأعراف: ٧٣].

٢- وقوله ﷻ في سورة هود: M 9 : ; < = > ? @ A B C وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ L [هود: ٦٤].

٣- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: M قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ L [الشعراء: ١٥٥].

ففي سورة الأعراف أُكِّد مجيء الناقة بـــ(قد)، وأضيفت الناقة إلى لفظ الجلالة (ناقة الله)، وفي سورة هود ابتدئت الجملة بالنداء (يا قوم)، وكذلك أضيفت الناقة إلى لفظ الجلالة (ناقة الله)، وفي سورة الشعراء جاء لفظ الناقة مُنكَّرًا (ناقة).

فأما قول الله ﷻ في سورة الأعراف: M ¶ ﺑ بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ L، فالمراد: آية بينة(١)، وهذه الجملة تدل على الاهتمام بشأن الآية التي هي الناقة وتأكيد مجيئها؛ لأنَّ سورة الأعراف قد تكرر فيها ذكر آيات الله ﷻ في آيات عديدة، فتارة يذكر الله ﷻ أنَّه أرسل رسله بالآيات والبينات لإقامة الحجة على الكافرين، قال ﷻ: M | { ~ يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي L [٣٥]، وقال ﷻ: M p q r s L [١٠١]، وذكر ﷻ مصير المستكبرين الذين يُكَذِّبون بآياته فقال: M s t u v w x y z { | } ~ L [٩]، وقال ﷻ: M وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ´ µ ¶ ﺑ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ L [٣٦ – ٣٧]، وقال ﷻ: M \ ] ^ _ ` a b c d e f g h i L [٤٠]، وقال ﷻ: M فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٧١٨.

يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ L [٥١]. وقد توعد الله ﷻ المكذبين بآياته في الدنيا فقال: M \ ] ^ _ ` a b c d e f h i j k L [١٨٢ – ١٨٣]، وقال ﷻ: M F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [ \ ] ^ _ ` a b d e f g h i j k l m n o p q r t u v w x y z L [١٤٦ – ١٤٧]. وفي قصص الأنبياء عليهم السلام ذكر ﷻ أنهم جاؤوا أقوامهم بالآيات، فهذا شعيب عليه السلام يقول لقومه: M Q R S T U L [٨٥]، وقال ﷻ: M ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم ´ µ L [١٠٣]. وفي ختام بعض القصص ذكر ﷻ سبب إهلاك المكذبين فقال في ختام قصة نوح عليه السلام: M وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ L [٦٤]، وفي قصة هود عليه السلام قال ﷻ: M { | } ~ بِـَٔايَٰتِنَا L [٧٢]. وضرب الله ﷻ مثلاً للذي آتاه الله آياته ثم انسلخ منها ثم قال بعد ذكر المثل: M سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ L [١٧٧].

وفي أثناء السورة أيضًا ذكر الله ﷻ آياته الكونية من خلق السموات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وإرسال الرياح وإنزال المطر وإخراج الثمر(١).

وهكذا نرى أنَّ الله ﷻ قد ذكر في سورة الأعراف آياته التي أيَّد بها رسله عليهم الصلاة والسلام وموقف المكذبين المستكبرين منها وكيف كان مصيرهم في الدنيا والآخرة، فجاءت قصة صالح عليه السلام متلائمة مع هذا السياق مؤكِّدة على مجيء الآية إلى قوم ثمود، وأنهم كذبوا بآية بينة فاستحقوا ما حل بهم من عذاب، فقال ﷻ حاكيًا مقالة صالح عليه السلام لقومه: M ¶ ¸ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ L [٧٣]، بينما لم يرد في سورتي هود والشعراء مثل ما ورد في سورة الأعراف من ذكر للآيات والتأكيد عليها، لذا لم ترد هذه الإشارة فيهما.

أما النداء الوارد في سورة هود في قوله ﷻ الذي حكاه عن صالح عليه السلام: M 9 : ; < = > L [٦٤]، فذلك – والله أعلم – لأنَّ النداء فيه تلطف بهم وتحبب

(١) ينظر: الآيات [٥٤-٥٧].

إليهم وتنبيه لثمود أنهم قومه فهو مريد لهم الخير ومشفق عليهم، وهذه سمة بارزة في بداية القصص الواردة في السورة، إذ نرى أنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام في بداية كل قصة قد تلطفوا مع أقوامهم وخاطبوهم خطابًا لينًا فيه ترغيبٌ لهم وتوددٌ إليهم وإشفاق عليهم، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: M { ~ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ L [٢٦]، وهود عليه السلام قال لقومه: Mوَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾L [٥٢]، وشعيب عليه السلام قال لقومه: M P Q R S T U L [٨٤]، وقال: M 9 : ; < = ?@ A B C L [٩٠]، فمن المناسب مجيء النداء في هذا الجو خصوصًا في بداية الدعوة.

ثم إنَّنا نلحظ أنَّ أسلوب النداء قد تكرر في السورة كثيرًا، حيث ورد في ثلاثين موضعًا، فقد نادى الله عز وجل نوحًا عليه السلام وناداه نوح أيضًا[(١)]، ونادت الملائكة إبراهيم ولوطًا عليهما السلام[(٢)]، ونادت الرسل عليهم السلام أقوامهم[(٣)]، ونادى نوح عليه السلام ابنه[(٤)]، ونادت الأقوام رسلهم[(٥)]، ونادت زوجة إبراهيم عليه السلام نداء تعجب[(٦)]، ونوديت السماء والأرض[(٧)]. وهكذا نجد أن النداء من الأساليب البارزة في السورة، فكان النداء الوارد في قول صالح عليه السلام: M 9 : ; < L [٦٤]، متناسبًا مع هذه السمة، مع جو التلطف والتودد إلى قومه – والله أعلم - .

أمَّا مَا ورد من تشابه بين قول الله عز وجل فيما حكاه عن صالح عليه السلام في سورتي الأعراف وهود أنَّه قال لقومه: Mهَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ L [الأعراف: ٧٣، هود: ٦٤] بإضافة الناقة إلى لفظ الجلالة، وما جاء في سورة الشعراء في قوله: Mهَٰذِهِۦ نَاقَةٌ L [١٥٥] بالتنكير، فذلك - والله أعلم - لأمور:

(١) ينظر: الآيات: ٤٥، ٤٦، ٤٨.
(٢) ينظر: الآيتان: ٧٦، ٨١.
(٣) ينظر: الآيات: ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٧٨، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٢.
(٤) ينظر: الآية ٤٢.
(٥) ينظر: الآيات: ٣٢، ٥٣، ٦٢، ٨٧، ٩١.
(٦) ينظر: الآية ٧٢.
(٧) ينظر: الآية ٤٤.

الأول: أنَّه لما جاء في الآية أمر ونهي، ناسب إضافة الناقة إلى لفظ الجلالة؛ ليكون ذلك أهيب في نفوسهم، فيأتمروا بما أُمروا به وينتهوا عما نُهوا عنه، وذلك في قوله ﷻ في سورتي الأعراف وهود: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ . أما في سورة الشعراء فلم يرد فيها أمر صريح بل إخبار بقسمة الماء بين الناقة وبينهم حيث قال لهم صالح عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [١٥٥].

الثاني: أنَّه لما قال لهم صالح عليه السلام في سورتي الأعراف وهود: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ كأنَّ في ذلك بيانًا أنَّ الناقة آية خاصة لهم في قوله (لكم)، فكان في إضافتها إلى لفظ الجلالة بيان لعظمتها وفخامتها. بينما في سورة الشعراء لم يُذْكر مثل ذلك فاكتفي في تعظيمها بالتنكير.

الثالث: أنَّ الإضافة تتناسب مع ما جاء بعدها في الآية نفسها من إضافة الأرض إلى لفظ الجلالة أيضًا في قوله ﷻ: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ ، والتناسب هنا في النظم وفي المعنى أيضًا؛ لأنَّه أقطع للعذر وأشد تحذيرًا لهم من أنْ يمسوا الناقة بسوء، فكأنه قيل لهم: ((الأرض أرض الله، والناقة ناقة الله، فذروها تأكل في أرض ربها، فليست الأرض لكم، ولا ما فيهما من النبات من إنباتكم))(١).

أما في سورة الشعراء فكان تنكير (ناقة) متناسبًا مع كثير من الألفاظ المنَكَّرة في القصة مثل: (رسولٌ) و(أجرٍ) و(جناتٍ) و(وعيونٍ) و(زروعٍ)، (نخلٍ) و(بيوتًا) و(آيةٍ) و(شربٌ) و(يومٍ) و(سوءٍ)، فهناك تناسب في صيغ الكلمات من حيث التنكير.

الرابع: من حيث الإيجاز والإطناب؛ نجد أنَّ الإضافة في (ناقة الله) تناسب البسط الوارد في سورتي الأعراف وهود وطول آياتهما، والتنكير في (ناقةٌ) يناسب الإيجاز الوارد في سورة الشعراء وقصر آياتها، فجاء كل تعبير في محله اللائق به – والله أعلم - .

(١) الكشاف: ٣٧٠.

ثانيًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة الأعراف: M وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ L [الأعراف:٧٣].

٢- وقوله ﷻ في سورة هود: L I H G F E DM [هود: ٦٤].

٣- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: M وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ L [الشعراء:١٥٦].

ففي آية الأعراف وُصِفَ العذاب بأنَّه (أليم)، وفي هود وُصِفَ بأنَّه (قريب)، وفي الشعراء وُصِفَ يوم العذاب بأنَّه (عظيم).

أمَّا وَصْفُ العذاب في سورة الأعراف بأنَّه (أليم)؛ فذلك – والله أعلم – لأنَّ صالحاً عليه السلام بالغ في وعظهم في هذه السورة، فقد حذرهم وأنذرهم وذكرهم بآلاء الله عليهم قال الله ﷻ: M وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ © قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ ´ ¶
بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ ! " # $ %& ' ( ) * + , - .
/ 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; L [الأعراف: ٧٣ – ٧٤]، فلما بالغ في وعظهم بالغ في وعيدهم فقال: M [\ L(1).

وثمة أمر آخر؛ وهو أنَّ سورة الأعراف ذُكِر فيها عن قوم صالح عليه السلام أنهم استكبروا وأعلنوا كفرهم وعتوا واستهزؤوا وتحدوا صالحًا عليه السلام، قال الله ﷻ: W V UM
k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X
I Lm [الأعراف: ٧٦ – ٧٧]، ولم يُذْكر مثل ذلك في سورتي هود والشعراء، فلما بالغ القوم في الكفر والعتو وتحدي رسول الله صالح عليه السلام في هذا السياق ناسب أنْ يوصف عذابهم بالأليم(2).

أمَّا في سورة هود وُصِفَ العذاب بأنَّه (قريب)؛ لأنَّه اقترن بقوله ﷻ: L K M
LW V U T S Q P O N M [هود: ٦٥]، فلما قَدَّرَ المدة التي بينهم

(١) ينظر: درة التنزيل: ١٥٥، والبرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٢٣.

(٢) ينظر: التعبير القرآني: ٢٣٥.

وبين هلاكهم، وقَرَّبَ ما توعدهم به من عذاب الله لهم؛ ناسب أنْ يوصف العــذاب بأنَّــه (قريب)[1].

وأمَّا في سورة الشعراء وُصِفَ يوم العذاب بأنَّه (عظــيم)؛ لأنَّ الله ﷻ ذكــر عــن صالح عليه السلام أنه: M قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ L [الشعراء:١٥٥]، فلمــا ((ذكــر اليومين المقسومين بين الناقة وبينهم؛ كأنَّه قال لهم: إنْ منعتوها يومها بعقــر تترلونــه بهــا أخذكم عذاب يوم عظيم، فيومٌ تؤلموها فيه فيكون به يوم يؤلمكم الله فيه بعذاب الاستئصال، وهو يوم عظيم عليكم))[2].

وهكذا جاء كل وصف في موضعه اللائق به وسياقه المناسب – والله أعلم - .

ثالثًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ فيما حكاه عن صالح عليه السلام في سورة الشعراء أنَّه قال لقومه: M **هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ** L [الشعراء: ١٥٥].

٢- وقوله ﷻ في سورة القمر: M ! " # $ %') (* L [القمر: ٢٨].

ففي ســورة الشــعراء فَصَّــلَ صــالح عليه السلام لقومــه فقــال: M **لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ** L، وفي القمر قال الله ﷻ: M $ L، ففي الآية إجمال؛ لأنَّ معنى (قسمة): يوم للناقة ويوم لهم[3]. فلماذا ورد التفصيلُ في سورة الشعراء والإجمالُ في سورة القمر؟

يظهر أنَّ ذلك ناسب لعدة أمور:

الأول: بحسب الترول؛ فإنَّ سورة القمر نزلت قبل سورة الشعراء[4]، فجاء خبر قسمة الماء فيها مجملاً، ثم جاء تفصيل هذه القسمة وإيضاحها بعد ذلك في سورة الشــعراء الــتي نزلت آخراً.

---

(١) ينظر: درة التتريل: ١٥٦، والبرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٢٣.

(٢) درة التتريل: ١٥٦، وينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٢٣.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٧.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٣٦، والاتقان في علوم القرآن: ١٦٨/١.

الثاني: أنَّ الخطاب في سورة القمر كان وحيًا من الله ﷻ إلى صالح ، فخوطب خطابًا مجملاً، أما في سورة الشعراء فالخطاب كان من صالح إلى قومه؛ فناسب أنْ يُفَصِّل لهم قسمة الماء ويُبَيِّنَها لهم، وهذا من تمام تبليغ الرسالة وإقامة الحجة.

الثالث: أنَّ القصة في سورة الشعراء أطول منها في سورة القمر وأكثر تفصيلاً، خاصة فيما قاله صالح لهم، فإننا نجد آيات كثيرة يخاطب فيها صالح قومه مباشرة، بينما لا نجد خطابًا مباشرًا بينه وبينهم في سورة القمر، فناسب ذلك الإطنابَ التفصيلُ في شأن قسمة الماء والتناوب عليه، أما سورة القمر فلما كانت أوجز ناسب ذلك الإجمال والاختصار، فقال: M $ L.

رابعًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة الأعراف: M ^ _ L [الأعراف: ٧٧].

٢- وقوله ﷻ في سورة هود والشعراء والشمس: M K L [هود: ٦٥، الشعراء: ١٥٧، الشمس: ١٤].

٣- وقوله ﷻ في سورة القمر: M + , - . / L [القمر: ٢٩].

ففي سورة الأعراف أُسند العقر إلى ثمود جميعهم، وعُبِّر عن الناقة بالاسم الظاهر، وفي سورة هود والشعراء والشمس أسند العقر كذلك إلى ثمود جميعهم، وعُبِّر عن الناقة بالضمير، وفي سورة القمر أُسند العقر إلى صاحبهم، ولم تذكر الناقة ولا ما يعود عليها. فما مناسبة كل تعبير في موضعه؟

أما التعبير عن الناقة في سورة الأعراف بالاسم الظاهر والتصريح بذكرها في قوله ﷻ: M ^ _ L دون غيرها من السور؛ فالذي يظهر – والله أعلم – أنَّ ذلك لسببين:

الأول: مر بنا أنَّ سورة الأعراف تحدثت كثيرًا عن آيات الله ﷻ وأنَّ الله ﷻ أيَّد رسله بالآيات، وبَيَّن عاقبة المكذبين بها في الدنيا والآخرة(١)، ولذا ورد التأكيد في قصة صالح على مجيء الآية التي هي الناقة، وأنها آية بَيِّنَة واضحة دالة على صدق صالح ، قال

(١) ينظر: ص ٢٦٠ من البحث.

الله ﷻ على لسان صالح ﷺ: M ¶ ¸ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ L [الأعراف: ٧٣]، فلما نــوَّه بشأنها وأكد على ذلك؛ ناسب أنْ يُعَبَّر في الإخبار عن عقرها والاعتداء عليهــا بالاســم الظاهر؛ للدلالة على عظيم جرمهم وشناعة فعلهم وأنهم أقدموا على أمر عظيم استحقوا به العقوبة، خاصة وأنَّ هذا السياق تفرَّد بذكر عتوِّهم وتحديهم لصالح ﷺ، قــال الله ﷻ: M ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m L.

الثاني: أنَّ بَيْنَ ذكر الناقة والإخبار بعقرها آياتٍ وعظ فيها صالح ﷺ قومــه، ودار فيها حوار بين المستكبرين والمستضعفين من المؤمنين، فلما طال الفصل حَسُنَ التعــبير عــن الناقة بالاسم الظاهر.

أما في سورة هود والشعراء والشمس فكان ذكر عقرهم للناقة متصلاً بنــهيهم عــن التعرض لها وقسمها من الماء، فَحَسُنَ أنْ يعبر عنها بالضمير فقال ﷻ: M K L .

وأما في سورة القمر فقد حُذف المفعول فلم تُذْكَر الناقة ولا ما يعود عليها، قال ﷻ: M - . L، وذلك – والله أعلم – للاهتمام بالفعل نفسه الذي هو العقر؛ لأنَّه ســبب نزول العذاب بهم، ولأنَّه أمر كان مُرْتَقَبًا منهم، دل عليه قول الله ﷻ قبل ذلك: M إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ à لَّهُمْ â وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ L [القمر: ٢٧]، قال الطبري: ((يقول الله لصالح: إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم، فانتظرهم، وتبصر ما هم صانعوه بها))(١)، فلما كان الأمر كذلك ناسب ذكر الفعل وحده دون المفعول.

وثمة أمر آخر ناسب معه ذكر الفعل والاهتمام به دون المفعــول؛ وهــو قولــه ﷻ: M - L، قال ابن عطية: ((تعاطى) هو مطاوع (عاطى) فكأن هذه الفعلة تدافعها النــاس وأعطاها بعضهم بعضًا، فتعاطاها هو وتناول العقر بيده، قاله ابن عباس رضي الله عنــهما، ويقال للرجل الذي يُدخل نفسه في تحمل الأمور الثقال: متعاط))(٢)، وقال الرازي: ((التعاطي

(١) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٢.
(٢) المحرر الوجيز: ١٧٩٤.

يطلق ويراد به الإقدام على الفعل العظيم))[١]. فلما ذُكِرَ التعاطي ناسب معه الاهتمام بالفعل الذي هو العقر لأنَّه تعاطاه – والله أعلم –.

أما إسناد فعل العقر إلى ثمود جميعهم في سورة الأعراف وهود والشعراء والشمس؛ فلأنَّه كان برضاهم[٢] وتحريض منهم، فاستحقوا جميعهم العذاب.

وفي سورة القمر أُسْند الفعل إلى (صاحبهم)؛ لدلالة السياق على مشاركة قومه بل وتحريضهم وتأليبهم على ذلك في قوله ﷻ: M + , - . / L ، فكأنَّ هذه الآية تُبَيِّن سبب إسناد الفعل إليهم في السور الأخرى – والله أعلم –.

---

(١) التفسير الكبير: ٢٩/٥٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣٧١.

المبحث الخامس

أسرار التشابه اللفظي في ذكر عذاب قومه ونجاة المؤمنين

أولاً: التشابه اللفظي بين:

١- قـــول الله ﷻ في ســـورة الأعـــراف: M n o p q r s t L [الأعراف: ٧٨].

٢- وقوله ﷻ في ســـورة هـــود: M l m n o p q r s t L [هود: ٦٧].

٣- وقوله ﷻ في سورة الحجر: M j k l m L [الحجر:٨٣].

٤- وقوله ﷻ في سورة المؤمنون: M فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ L [المؤمنون: ٤١].

٥- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: M فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ L [الشعراء: ١٥٨].

٦- وقوله ﷻ في سورة القمر: M5 6 7 8 9 L [القمر: ٣١].

ففي سورة الأعراف ورد أنَّ نوع العذاب هو (الرجفة)، وجاءت لفظـــة (دارهـــم) مفردة، وفي سورة هود ورد فعل الأخذ مذكرًا (أخذ)، ثم وصفهم بـــ(الـــذين ظلمـــوا)، وجاءت لفظة (ديارهم) بصيغة الجمع، وفي سورة الحجر قُيِّدَت الجملة بـــ(مصبحين)، وفي سورة المؤمنون قُيِّدَت الجملة (بالحق)، وفي سورة الشعراء أُطْلِق العذاب و لم يُذْكر نوعه، وفي سورة القمر قُيِّدَت الصيحة بـــ(واحدة)، فما مناسبة كل تعبير في سياقه ؟

أما تخصيص سورة الأعراف بذكر (الرجفة) التي هي الزلزلة الشديدة[(١)]؛ فذلك - والله أعلم - لأنَّها عقوبة صادرة من الأرض، وناسب ذكرها في هذه السورة؛ لأنَّ صالحًا عليـــه السلام وعظ قومه وذكَّرهم بنعمة الله عليهم إذ اســـتخلفهم في الأرض، وبـــوأهم فيهـــا، وسخرها لهم، ثم نهاهم عن الإفساد فيها، قال الله على لســـان صـــالح عليه السلام: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; L [الأعراف: ٧٤]؛ فناسب في هذا السياق أنْ

---

(١) ينظر: تفسير البغوي: ٣/٢٤٨.

تُذْكر (الرجفة). وفي ذلك تخويف للعباد من أنَّ الله ﷻ قادر على أنْ يسلب نعمته منـــهم، وأنْ يحولها إلى نقمةٍ وسببٍ لهلاكهم متى شاء سبحانه.

ومن ناحية أخرى؛ نجد أنَّ ذِكْر الأرض تكرر في بضع آيـــات في الســـورة، منـــها قولـــه ﷻ: M وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ © مَّا تَشْكُرُونَ ⑩ L [الأعــراف:١٠]، وقال ﷻ في ذكر آدم ؑ: M 4 5 6 7 8 9 : L [الأعراف: ٢٤]، ونهـى ﷻ عن الإفساد في الأرض فقال: M وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا L [الأعراف:٥٦]، وقـال ﷻ: M T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h L [الأعراف: ١٠٠]، وقال ﷻ على لسان صالح ؑ في القصة وهـو يـذكر الناقـة: M فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ L [الأعراف: ٧٣]، فتكرار ذِكْر الأرض في الســورة جعـل ذِكْـرَ (الرجفة) التي تصدر من الأرض منسجمًا مع السياق ومتناغمًا معه.

كما أنَّ ذِكْرَ (الرجفة) يتناسب مع ما ذكر الله ﷻ في قصة شعيب ؑ أنَّه أهلـك قومه بالرجفة، قال ﷻ: M u v w x y z { L [الأعراف:٩١].

أما في السور الأخرى هود والحجر والمؤمنون والقمر ذُكِرت (الصيحة)؛ لأنها الأصل والرجفة ناتجة عنها(١)، وليس في سياق السور كما في سورة الأعراف ما يجعل مـن ذِكْـر (الرجفة) أكثر تناسبًا وانسجامًا معه، فجاء كل تعبير في موضعه اللائق به.

ومن المتشابه اللفظي أيضًا في آية الأعراف ورود لفظة (دارهم) بالإفراد، وفي ســورة هود (ديارهم) بالجمع في قوله ﷻ: M l m n o p q r s t L [هود: ٦٧]. فما سبب ذلك ؟

سبب ذلك – والله أعلم – أنَّ لفظة (دارهم) بالإفراد تناسب ذِكْر (الرجفة) التي هي الزلزلة العظيمة، فيكون المراد بـ(دارهم): بلدهم المزلزل، ولفظة (ديارهم) بالجمع تناسب ذِكْر (الصيحة)، فيكون المراد بـ(ديارهم) منازلهم؛ وذلك لأنَّ الصيحة كانت من السماء، فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة، فاقترن كل لفظ بما هو أليق به(٢).

---

(١) ينظر: الكشاف: ٣٧١، واللباب في علوم الكتاب: ٩/٢٠١.

(٢) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٢٣، وكشف المعاني في المتشابه المثاني: ١٨٤، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/٤٤٩.

أما المتشابه الذي ورد في سورة هود فهو تذكير فعل (أخذ)، ووَصْفُ قوم ثمود بـ(الذين ظلموا)، قال ﷻ: M l m n o p q r s t L [هود: ٦٧].

أما مجيء فعل M l L مذكرًا، فقد ذَكَر بعض العلماء أنَّ ذلك لأن معنى (الصيحة): الصياح[(١)]، ولكن قد يقال: لماذا خُصَّت سورة هود دون غيرها من السور بتذكير الفعل مع أنَّه يمكن حمل اللفظ على ذلك المعنى في باقي السور؟ وأقرب من ذلك أنْ يقال: إنَّ المراد بـ(الصيحة): العذاب والخزي لذكره في السياق، فجاء الفعل مذكرًا مراعاة للمعنى، قال الزركشي: ((وأبدى السهيلي للحذف والإثبات معنى حسنًا، فقال: إنما حُذِفَت منه - أي تاء التأنيث -؛ لأنَّ (الصيحة) فيها بمعنى العذاب والخزي، إذ كانت منتظمة بقوله: M b c d L [هود: ٦٦]، فقوي التذكير))[(٢)].

وثمة أمر آخر يتعلق بدلالة التذكير والسياق؛ وهو أنَّ تذكير الفعل يدل على عظمة الأخذ وقوته وشدته؛ لأنَّ المذكر أقوى من المؤنث[(٣)]، فناسب ذلك السياق لما فيه من دلالة على شدة العذاب والتعقيب عليه، فقد قال الله ﷻ: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j k l m n o p q r s t u v w x z { | } ~ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ L [هود:٦٦-٦٨]. وتظهر شدة العذاب وقوته والنقمة عليهم من خلال ما يلي:

١- قوله ﷻ: M X Y Z L؛ لأنَّ المجيء يستعمل لما فيه صعوبة ومشقة[(٤)]، ثم إضافة الأمر إلى نون العظمة؛ وفي هذا زيادة تهويل وتفخيم.

٢- وقوله ﷻ: M [\ ] ^ _ L، فجاء الفعل (نَجَّينا) على صيغة (فَعَّل) التي تفيد التكثير والمبالغة[(٥)]، فدل ذلك أنَّهم نُجُّوا من عذاب عظيم وهول جسيم.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٩٥٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٨٥٤.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/٣٢٥، وأسئلة بيانية في القرآن الكريم: ٩٥.

(٤) ينظر: ص ٥٨ من البحث.

(٥) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ١/٢١٢.

٣- ما دل عليه المحذوف في الآية؛ لأنَّ التقدير ((نجينا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا، ومن العذاب النازل بقومه، ومن الخزي الذي لزمهم))(١)، فكانت العقوبة مضاعفة؛ لتضمنها العذاب والخزي.

٤- تذييل الآية بقوله: M f g h i j L ، فَذَكر ﷻ قوته وعزته، وأكد الجملة بعدة مؤكدات.

٥- جمع لفظة (ديارهم) كما مر بنا.

٦- وصف ثمود بـ M m n L .

٧- التسجيل والدعاء عليهم وتأكيد بعدهم في قوله ﷻ: M z { | { ~ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ L(٢).

ومما ورد في سورة هود ولم يرد في السور الأخرى وَصْفُ ثمود بـ(الذين ظلموا)، قال ﷻ: M l m n o L، فما مناسبة هذا الوصف للسورة؟

الذي يظهر — والله أعلم — أنَّ من أهم أغراض سورة هود الدعوةَ إلى عبادة الله وحده، وأنَّ ذلك الأمر هو ما كان يدعو إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعُهم، قال الله ﷻ في بداية السورة: M p q r s u v w x y z L [هود: ٢]، وقال نوح عليه السلام لقومه: M r s t u v w x y z { L [هود: ٢٥ – ٢٦]، وقال كلٌّ من هود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم: M > < = > ? @ A B L [هود: ٥٠، ٦١، ٨٤]، فلما كان الأمر كذلك وكان الشرك بالله هو أعظم الظلم؛ تكرر ذكره في السورة في عدة آيات، فوَصَف الله ﷻ المكذبين بالظلم في قوله: M ¶ ¸ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ L [هود: ١٨]، وقال ﷻ مخاطبًا نوحًا عليه السلام: M وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ à ۚ â مُّغْرَقُونَ L [هود: ٣٧]، وقال في قصة لوط عليه السلام: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L [هود: ٨٢-٨٣]، وقال ﷻ: M 7 8

---

(١) التفسير الكبير: ١٨/٢١.

(٢) ينظر: أسئلة بيانية في القرآن الكريم: ٩٤، ٩٥.

K J I H F E D C B A @ ? > < ; : 9

c b a ` _ ^] \ [Z Y X V U T S R Q P O N M L

d f g h i j L [هود: ١٠٠-١٠٢]، وقال ﷻ: M ´ µ ¶ ¸ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ L [هود: ١١٦-١١٧]، وهكذا لما كان الشرك هو أعظم الظلم، وقد تكرر ذِكْر الظلم في آيات كثيرة وبصيغ متنوعة؛ ناسب أنْ يوصف قوم ثمود بـ(الذين ظلموا) - والله أعلم - .

وفي سورة الحجر قال الله ﷻ: M j k l m L [الحجر: ٨٣]، فَقُيِّدت الجملة بـ(مصبحين)، بينما لم يرد مثل ذلك في السور الأخرى، فما السر في ذلك؟

الذي يظهر – والله أعلم – أنَّ ذِكْرَ وقت نزول العذاب على قوم ثمود مناسب لسياق السورة لأنَّ الله ﷻ قد ذكر في بدايتها كمال تقديره وكتابته وأنَّه جعل لكل أمة أجلاً محددًا، ووَقَّتَ لنزول العذاب عليهم وقتًا معينًا، فقال ﷻ: M : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J L [الحجر: ٤-٥]، وقد ورد تحديد وقت نزول العذاب على قوم لوط ، فقد ذكر الله ﷻ أنَّ الملائكة قالت له: M فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ © يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ´ µ ¶ ¸ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ L [الحجر: ٦٥-٦٦]، ثم قال بعد ذلك: M . / 0 1 L [الحجر: ٧٣].

ففي الآيات دِقَّةٌ في ذِكْرِ الوقت؛ وقتٌ لخروج لوط وأهله، ووقتٌ لقطع دابر قومه، ووقتٌ أخذهم فيه الصيحة، فناسب في هذا السياق الذي يدل على كمال تقدير الله ﷻ وعلمه أنْ يُذْكر وقت نزول العذاب بقوم ثمود، فقال ﷻ: M j k l m L.

وثمة أمر آخر؛ وهو أنَّ الله ﷻ وصف عذابه بالأليم، فقال ﷻ: M وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ L [الحجر: ٥٠]، ووقوع العذاب في وقت الصباح يجعله أشد ألماً(١)؛ لأنَّ ((الله يترل العذاب في هذا الزمان في الصباح المبكر، وفي أول خيوط النهار، ومع الإشراقة الوليدة الوئيدة وذلك قبل أنْ يتحرك المجرمون من أماكنهم ، وقبل أنْ ينتشروا ويتفرقوا في

(١) ينظر: تفسير ابن سعدي: ٤٣٣.

شؤونهم ومسالكهم، وحتى تأخذهم الصيحة جميعًا ولا تستثني منهم أحدًا! ولعلها لا تقع في الليل حتى يشاهدوا عذاب الله ويبصرونه واقعًا فيهم فيزداد وقعه عليهم، ويكون تعذيبًا فوق تعذيب))(١)، فناسب ذلك أنْ تُقيَّد الصيحة بـــ (مصبحين) – والله أعلم – .

وفي سورة المؤمنون قـــال الله ﷻ: M فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ L [المؤمنـــون: ٤١]، فَقُيِّـــدت بـــ(الحق)، أي: ((أنَّ الله عاقبهم باستحقاقهم العذاب منـــه؛ بكفـــرهم بـــه، وتكذيبـــهم رسوله))(٢)، وناسب هنا في سورة المؤمنون دون غيرها من السور أنْ تقيد الجملة بقوله ﷻ: M بِٱلْحَقِّ L؛ لأنَّ قصتهم في هذا الموضع قد حوت أمورًا عديدة لم تجتمع في موضع واحدٍ إلا هنا؛ وهي: الشرك بالله، والكفر، والتكذيب بالآخرة، والترف في الحياة الدنيا، والتكـــذيب برسالة صالح عليه السلام، والصد عن سبيل الله ﷻ، مع ما دل عليه النظم الكريم من شدة كفرهم وتصريحهم بذلك وتأكيدهم عليه، فلما أخبر الله ﷻ عنهم في هذا الموضع بأنواع من الكفر لم تجتمع إلا هنا؛ ناسب أنْ تُقيَّدَ الجملة بقوله ﷻ: M بِٱلْحَقِّ L - والله أعلم - .

وأما في سورة الشعراء فقـــال الله ﷻ : M فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ L [الشـــعراء: ١٥٨]، فـــأُطْلِق (العذاب) ولم يُذْكَر نوعه.

وبتأمل القصص الواردة في سورة الشعراء يَتَبيَّن أنَّه متى ذُكِر تهديد المكذبين للرســـول فإنَّه يدعو الله ﷻ فينجيه ومن آمن معه ثم يعذب المكذبين، وفي هذا السياق يُـــذكر نـــوع العذاب، ففي قصة موسى عليه السلام قال الله ﷻ : M ! " # $ % & ' ( ) (*

+ , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ? @ A

B C D E F G H I J K L M N L [الشـــعراء:٦١-٦٦]، وقال الله ﷻ

في قصة نـــوح عليه السلام: M < = > ? @ A B C D E F G H I J K L

M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` L

[الشعراء: ١١٦ – ١٢٠]، وفي قصة لوط عليه السلام قال الله ﷻ: M V W X Y Z [\ ]

^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t

(١) بحوث في قصص القرآن: ٥٩.

(٢) تفسير الطبري: ١٧/٤٥.

u v w x y z | | } ~ ﴿١٧٣﴾ L [الشعراء:١٦٧ – ١٧٣]، ومناسبة ذلك – والله أعلم – أنَّه لما كان في القصة زيادة بسط وإطناب بِذْكر تهديد المكذبين ودعاء الرسل عليهم السلام ونجاة المؤمنين ناسب ذلك التفصيل بذكر نوع العذاب.

أما القصص الأخرى التي يُذْكر فيها تكذيب الأقوام فقط فيلاحظ عليها أنَّه يُكْتفى فيها بذكر الإهلاك والعذاب دون ذكر نوعه، قال الله ﷻ في قصة هـود عليه السلام: M + , L [الشعراء: ١٣٩]، وقال ﷻ في قصة شعيب عليه السلام: M G H I J K M N O P Q R L [الشعراء: ١٨٩]، وقصة صالح عليه السلام من هذا النوع، فإنَّ ثمود لما كذبوا وعقروا الناقة نزل بهم العـذاب، قـال الله ﷻ: M فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ L [الشعراء: ١٥٧ – ١٥٨]، وهذا الإطلاق للعذاب يناسب الإيجاز في القصة؛ لأنَّه لم يُذْكر فيهـا إنجاء المؤمنين ولا دعاء الرسل عليهم السلام.

وكذلك نلحظ أنَّه إذا وُصِفَ يوم العذاب بأنَّه (عظيم) يطلق العذاب ولا يذكر نوعه، قال الله ﷻ على لسان هود عليه السلام: M إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ L [الشعراء:١٣٥]، وفي قصة شعيب عليه السلام قال الله ﷻ: M M N O P Q L [الشعراء:١٨٩]، وكذلك الأمـر في قصة صالح عليه السلام؛ فقد ذكر الله ﷻ أنَّه قـال لقومـه: M وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ L [الشعراء: ١٥٦]، فجاء إطلاق العذاب في قصة صالح عليه السلام متناسبًا مع بقية القصص التي تشترك معها في النهاية الموجزة - والله أعلم - .

وفي سورة القمر قـال الله ﷻ: M5 6 7 8 9 : ; < = L [القمـر: ٣١]، فقيد الصيحة بـ(واحدة)، فدل ذلك على عِظَم الصيحة وهولها، فقد أهلكتهم جميعهم مباشرة في مرة واحدة، فناسب ذلك سياق السورة المشحون بالنذارة والوعيد الشديد؛ وما فيه من إشارة لعظمة العـذاب وهولـه بتكـرار قولـه ﷻ: M i j k l m L [القمر: ١٦، ٢١، ٣٠].

ومن ناحية أخرى؛ فإنَّ الله ﷻ لما أشار في الآية نفسها إلى عظمته سـبحانه بضـمير العظمة في قوله: M5L و M 6 L، ناسب أنْ يُبيِّن حقارة ثمود وضعفهم، وأنَّ الصيحة كانت

(واحدة) فقط؛ فأهلكتهم عن بكرة أبيهم و لم يكن لهم بها طاقة[1]، وأنَّ هذا الأمر المهول العظيم سهل يسير على الله ﷻ، يفعل ويمضي الأمر فيه بصيحة واحدة - والله أعلم - .

ثانيًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة المؤمنون: M **قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾** L [المؤمنون: ٤٠].

٢- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: M **فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾** L [الشعراء: ١٥٧].

فالآية في سورة المؤمنون أفادت قرب وقوع الندم من المكذبين في المستقبل، وفي سورة الشعراء أفاد التعبير سرعة وقوعه وحصوله منهم في الماضي، فما مناسبة كل تعبير في موضعه؟

الجواب: أنَّ سورة المؤمنون جاء الإخبار فيها عن المستقبل القريب؛ لأنَّ ذلك يناسب سياق القصة وسياق السورة أيضًا؛ أما سياق القصة فقد وردت الآية بعد دعاء صالح عليه السلام وتضرعه لربه ﷻ أنْ ينصره، قال الله ﷻ: M **قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾** L [المؤمنون:٣٩]، فاستجاب الله ﷻ دعاءه وطمأنه بوقوع النصر وندامة المكذبين مع تأكيد قربه، فالسياق يناسب التعبير عن وقوعه في المستقبل.

وأما سياق السورة فإننا نلحظ أنَّه يدل على شيء من الإمهال، ففي قصة نوح عليه السلام قال الله ﷻ: M **قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟** à **مُّغْرَقُونَ** â L [المؤمنون: ٢٦ -٢٧]، فَبَيْنَ دعاء نوح عليه السلام وغرق قومه أمور، فقد أمر الله ﷻ نوحًا عليه السلام أنْ يصنع الفلك، وأنْ ينتظر فوران التنور، ثم يسلك فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأهله؛ فلم يأتِ خبر إهلاك قومه مباشرة.

ومن ذلك أيضًا أنَّ الله ﷻ قال لنبيه محمد ﷺ: M ´ µ ¶ ¸ **حِينٍ ﴿٥٤﴾** L [المؤمنون: ٥٤]، قال الطبري: ((يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فدع يا محمد هؤلاء

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٩/١٢٢.

الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرًا M µ ¶ L. يعني: في ضلالتهم وغيهم M ¸ حِينٍ L. يعني: إلى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي))(١)، فدلت هذه الآية على نوع من الإمهال.

وقال الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ أيضًا: M W X Y Z [\ ] [L [المؤمنون: ٩٥]، قال الطبري: ((يقول تعالى ذكره: وإنا يا محمد على أنْ نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم لقادرون، فلا يحزنك تكذيبهم إياك بما نعدهم به، وإنما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله))(٢).

وهكذا يتبين أنَّ قوله ﷻ: M قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ L مع دلالته على وقوع الندم من المكذبين قريبًا؛ فإنَّه يدل على نوع من الإمهال ينسجم مع سياق السورة ويتسق مع جوِّها.

أما في سورة الشعراء فإنَّ (الفاء) والفعل الماضي في قوله ﷻ: M فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ L دلًا على سرعة وقوع الندم وتحققه، وهذا التعبير يناسب سياق القصة وسياق السورة أيضًا.

أما سياق القصة فقد وردت هذه الجملة بعد إخبار الله ﷻ عن ثمود أنهم عقروا الناقة، قال الله ﷻ: M فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ L [الشعراء: ١٥٧]، فكان موجب نزول العذاب قد وقع، ورأوا علاماته التي توعدهم بها صالح ؑ(٣)، وقد توعدهم أيضًا بسرعة نزول العذاب بهم إنْ هم مَسُّوا الناقة بسوء، قال الله ﷻ مخبرًا عن صالح ؑ أنَّه قال لقومه: M وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ L [الشعراء: ١٥٦]، فناسب هنا التعبير بما يدل على سرعة وقوع الندم منهم.

أما الجو التعبيري في سياق السورة فنلحظ عليه تعجيل العقوبة وسرعة نزول العذاب(٤)، يدل على ذلك التعقيب بـ(الفاء)، ومن ذلك قوله ﷻ: M G H I J K L M N O L [الشعراء: ٦]، وقال الله ﷻ عن نوح ؑ: M U V W X Y

(١) تفسير الطبري: ١٧/٦٤ ، وينظر تفسير ابن كثير: ٥/٤٧٩ .

(٢) تفسير الطبري: ١٧/١٠٤ .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/١٧٨.

(٤) ينظر: التعبير القرآني: ١٨٥.

Z [\ ] ^ _ ` L [الشعراء: ١١٩-١٢٠]، وتعجيل العقوبة هنا مستفاد من (الفاء) في قوله: M U L؛ لأنَّ نجاتهم كانت بعد نزول العذاب، و(ثم) في قوله ﷻ: M \ [^ _ L؛ لا تدل على التراخي الزمني، بل على التباين بين المترلتين(١) كما هو الحال هنا بين نجاة المؤمنين وهلاك المكذبين، ومثل ذلك ما ورد في قصة لوط ﵇، فقد ذكر الله ﷻ عن لوط ﵇ أنّه قال: M e f g h i j k l m n o p q r s t u v w L [الشعراء: ١٦٩- ١٧٢]، وفي قصة هود ﵇ قال الله ﷻ: M + , ·L [الشعراء: ١٣٩]، وفي قصة شعيب ﵇ قال الله ﷻ: M G H I J K M N O P Q R L [الشعراء: ١٨٩]، ومن ذلك ما جاء في قصة صالح ﵇ أيضًا، في قول الله ﷻ: M فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ L [الشعراء: ١٥٧-١٥٨]، فجاء التعبير متلائمًا مع السياق العام في السورة الذي يدل على تعجيل العقوبة وسرعة نزول العذاب -والله أعلم- .

ثالثًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة هود: M أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ L [هود: ٦٨].

٢- وقوله ﷻ في سورة المؤمنون: M فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ L [المؤمنون: ٤١].

ففي آية هود افتتحت الجملة بأداة التنبيه (ألا)، وذُكِر قوم هود باسمهم، بينما في آية المؤمنون لم ترد أداة التنبيه، ولم يذكر اسمهم، وَوُصِفُوا بـ (القوم الظالمين).

والذي يظهر — والله أعلم — أنَّ الإتيان بأداة التنبيه (ألا) في سورة هود؛ لما تفيده من توكيدٍ لبعدهم، و((تهويلٍ لأمرهم وتفظيعٍ له، وبعثٍ على الاعتبار بهم، والحذرِ من مثل حالهم))(٢)، وناسب ذلك سياق القصة في سورة هود؛ لأنَّه دَلَّ على هول العذاب الذي نزل بهم وشدته، فإنَّ الله ﷻ قال: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j k l m n o p q r s t u v w x z { | } ~ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ L [هود: ٦٦ – ٦٨]، فالعقوبة كانت مضاعفة فهي عذابٌ

(١) ينظر: الكشاف: ٤٧٦، ٩٦٩، ومعاني النحو: ٣/ ٢١٠.

(٢) الكشاف: ٤٨٩.

وخزيٌ وفضيحة[1]، ثم بَيَّنَ العذاب بأنَّه الصيحة، وَوَصَفَ الله ﷻ حالهم بقوله: M p q r s L، ((والمعنى أنهم أصبحوا جثثًا هامدةً ميتةً على أبشع منظر لميت))[2]، فكأنهم لم يوجدوا ولم يقيموا في دارهم قط[3]، فلما دَلَّ السياق على هول ما أصابهم وشدته؛ ناسب تأكيد بُعْدِهِم بـ (ألا)؛ لأنها لا تقال إلا عند الأمور الهائلة[4].

ثم إنَّ الله ﷻ لما نَبَّه وأكَّد على كفر ثمود بقوله: M z { | } ~ L ناسب بعد ذلك التأكيد على بُعدَهم مجازاة لهم.

وثمة أمر آخر؛ وهو أنَّ الآيات التي أخبرت عن بُعْدِ الأقوام المعذَّبة جاءت كلُّها مُؤَكَّدة بـ(ألا)، قال الله ﷻ عن قوم عاد: M ¶ ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ L [هود: ٦٠]، وقال ﷻ عن أهل مدين: M﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ L [هود: ٩٥]، فجاء التعبير في قصة صالح عليه السلام منسجمًا مع ذلك ومتسقًا معه.

أما في سورة المؤمنون فلم تبلغ شدة العذاب وهوله - على عِظَمِهِ فيها - كما ورد في سورة هود، فإنَّ الله ﷻ قال: M﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ L [المؤمنون: ٤١]، فناسب في السياق الأشدِّ تأكيدُ البُعْد بـ (ألا)، وعدمُ التأكيد فيما هو أقل شدة وهولاً - والله أعلم - .

أما التصريح باسم (ثمود) في سورة هود، ووصفهم بـ (الظالمين) في سورة المؤمنون دون ذِكْرٍ لاسمهم؛ فلأن الله ﷻ في سورة هود ذَكَرهم في بداية القصة وصرح بإرسال صالح عليه السلام إليهم فقال ﷻ: M﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ L [هود: ٦١]، فناسب ذلك التصريح باسمهم.

أما في سورة المؤمنون فلم يُذْكَر في القصة من هم القوم ولا رسولهم، قال الله ﷻ: M B C D E F G H I J K L L [المؤمنون: ٣١ – ٣٢]، فناسب ذلك وصفهم

---

(١) ينظر: تفسير ابن سعدي: ٣٨١.

(٢) التحرير والتنوير: ٨/ق ٢/٢٢٧.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/٢٢٣.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/٣٢٦.

وعدم ذكر اسمهم. واختيار وصف M ¸ L مناسب جدًّا للسياق؛ لأنهم ظلموا أنفسهم بالإشراك ومنعوها من النعيم الأبدي، وظلموا رسولهم صالحًا عليه السلام فوصفوه بالافتراء والكذب على الله عز وجل، فالظلم شيء عاملوا به أنفسهم وعاملوا به غيرهم[1].

رابعًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله عز وجل في سورة الشعراء: M إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ L [الشعراء:١٥٨].

٢- وقوله عز وجل في سورة النمل: M إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ L [النمل: ٥٢].

ففي سورة الشعراء ذُيلت الآية بنفي الإيمان عن أكثرهم بقوله عز وجل: M وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ L، أما في سورة النمل فقد ذُيلت الآية بإثبات أنَّ ما أشير إليه من عاقبة مكر قوم ثمود M لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ L. فلماذا خُصَّت سورة الشعراء بنفي الاعتبار عن الأكثرية، وفي سورة النمل أُثْبِتَ لمن يتصف بالعلم؟

والجواب عن ذلك أنْ يقال: إنَّ المقصودين بقوله عز وجل: M وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ L هم قوم النبي صلى الله عليه وسلم، فيخبر الله عز وجل أنَّ في إهلاك قوم ثمود بعد عقرهم للناقة لعبرة لمن اعتبر، ولكن لن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله عز وجل[2]. ومناسبة ذِكْرِ ذلك في سورة الشعراء أنَّ القصص الواردة في السورة سُرِدت لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مما يجده في نفسه من حزن وأسف على قومه بسبب عدم إيمانهم حتى كاد يُهْلِك نفسَه، فبَيَّن له الله عز وجل أنَّ الرسل قبله قد كُذِّبوا كما كُذِّب هو، فليس في إعراض قومه تقصير منه، بل في سابق علم الله أنَّ أكثرهم لن يؤمنوا، ولذلك تكرر ذكر هذه الجملة في آيات عديدة مبالغة في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم[3].

ثم إننا نلحظ أنَّ قضية الإيمان حاضرة في السورة بشكل كبير، فقد تردد ذكره في عدة آيات، فالنبي صلى الله عليه وسلم يكاد يهلك نفسه حرصًا على إيمان قومه، قال الله عز وجل: M) (* + , - . L [الشعراء: ٣]، وقال الله عز وجل عن السحرة لما رأوا معجزة موسى عليه السلام: M \ [^ _ ` L [الشعراء: ٤٧]، وقالوا أيضًا: M إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) ينظر: درة التأويل: ٣١٦، وملاك التأويل: ٨٧٨/٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٦٢٩/١٧.

(٣) ينظر: الآيات ٨، ٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠.

﴿٥١﴾ L [الشعراء: ٥١]، وقال ﷻ عن المشركين بعد دخول النار أنهم يقولون: M﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ L [الشعراء: ١٠٢]، وقال ﷻ عن نوح عليه السلام أنه قال: N M L K M O P Q R S T L [الشعراء: ١١٨]، وقال الله ﷻ عن مشركي العرب وحالهم مع القرآن الكريم: M﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ¸ ¶ µ ´ ﴿قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾ L [١٩٨ – ٢٠١]، وقال الله ﷻ لنبيه ﷺ: S M T U V W X Y L [الشعراء:٢١٥]، ولما ذكر الله ﷻ الشعراء وذمَّهم استثنى منهم الذين آمنوا فقال: M﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ L [الشعراء: ٢٢٧].

وهكذا نرى أنَّ الإيمان قد تردد ذكره في السورة كثيرًا، فكان من المناسب ورود قوله ﷻ: M a b c d L.

أما سورة النمل فإننا نلحظ أنَّها تدور حول قضية العلم؛ فناسب ذلك ما ورد فيها من قوله ﷻ: M﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ L، فأثبت الاعتبار بما حَلَّ بقوم ثمود لأولي العلم.

قال البقاعي عن سورة النمل: ((فالمقصود الأعظم منها: إظهار العلم والحكمة))(١)، وإذا تتبعنا لفظة (العلم) واشتقاقاتها في السورة نلاحظ أنها وردت في عشرة مواضع، بالإضافة إلى غيرها مما يدل عليها ضمنًا أو ينافيها مثل: (تجهلون) و(لا تشعرون). فالله ﷻ وصف نفسه بالعلم في أول السورة فقال ﷻ: M M N O P Q R S T L [النمل: ٦]، وذكر أنَّه آتى داود وسليمان عليهما السلام علمًا فقال ﷻ: M . / 0 1 2 L [النمل: ١٥]، وأنَّه علم سليمان عليه السلام منطق الطير فقال ﷻ على لسانه: M D E F G H L [النمل:١٦]، وذكر في قصة سليمان عليه السلام فضل الذي عنده علم من الكتاب فقال ﷻ: M [^ _ ` a b c d e f g h i j L [النمل: ٤٠]، وأكد سبحانه أنه لا يعلم الغيب إلا هو فقال ﷻ: M7 8 9 : ; < = > ? @ L [النمل:٦٥]، وقال ﷻ: M﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ L [النمل: ٧٤ – ٧٥]، وسمى نفسه بالعليم فقال: M , - . L [النمل:٧٨]، وقال ﷻ: Mg h i j k L [النمل: ٩٣]، ففي هذا السياق الذي يذكر الله ﷻ فيه

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٢٢/١٤.

العلم عن نفسه أو عبادة أو ينفيه عن القوم الكافرين؛ ناسب أنْ يرد العلم في قولـه ﷻ في قصة صالح ﵇: Mإِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ L، فكان ذلك منسجمًا ومتلائمًا مع موضوع السورة وألفاظها - والله أعلم - .

خامسًا: التشابه اللفظي بين:

١- قول الله ﷻ في سورة هود: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j k L [هود:٦٦].

٢- وقوله ﷻ في سورة النمل: Mوَأَنجَيْنَا الَّذِينَ © وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ L [النمل:٥٣].

ففي سورة هود جاء الفعل M] L على صيغة (فَعَّل)، وقال: M \ ] ^ _ L، وفي سورة النمل جاء الفعل على صيغة (أَفْعَل) فقال ﷻ: Mوَأَنجَيْنَا L، وقال أيضًا: Mالَّذِينَ © L فلم يخصص صالحًا ﵇ بالذكر. فما مناسبة كل تعبير في موضعه ؟

الجواب: أنَّ الفعل M] L الذي جاء على صيغة (فَعَّل) يفيد التكثير والمبالغة(١)، وذلك مناسب لسياق القصة في سورة هود؛ لأنَّ النجاة كانت مضاعفة بالنظر لمن نجاه الله ﷻ، وبالنظر إلى العذاب الذي نُجُّوا منه؛ أما الذين نجاهم الله ﷻ فهم صالح ﵇ والذين آمنوا، وقد أُفرد ذِكْر صالح ﵇ وعطف عليه الذين آمنوا فكانت التنجية هنا مضاعفة.

وأما من حيث ما نُجُّوا منه فقد نجاهم الله ﷻ من العذاب والخزي والفضيحة(٢)، وهذه أمور مجتمعة تكون النجاة منها مضاعفة، فكأنها تنجية بعد تنجية، فناسب ذلك مجيء الفعل M] L على وزن (فَعَّل)؛ لإفادته التكثير والمبالغة.

أما في سورة النمل فلم يُذكر صالح ﵇ منفردًا، بل دخل في عموم المؤمنين، قال الله ﷻ: Mوَأَنجَيْنَا الَّذِينَ © وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ L [النمل:٥٣]، وكان العذاب المذكور

---

(١) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٢٢، وبصائر ذوي التمييز: ١/٢١٢.

(٢) ينظر: تفسير ابن سعدي: ٣٨١.

هو التدمير فقط، قال الله ﷻ: M o p q r s t u v w L [النمل:٥١]، فناسب ذلك ورود الفعل بدون تضعيف، فقال: M وَأَنجَيۡنَا L .

وثمة أمر آخر؛ فقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي أنَّ ((القرآن الكريم كثيرًا ما يستعمل (نجَّى) للتلبث والتمهل في التنجية، ويستعمل (أَنْجَى) للإسراع فيها، فإنَّ (أَنْجَى) أسرع من (نجَّى) في التخلص من الشدة والكرب))(١)، وبناء على ذلك فإنَّ الفعل (أنجينا) ورد في سورة النمل لأنَّ السياق يتطلب ذكر الإسراع بالنجاة بسبب ما يلي:

١- أنَّ قوم ثمود كانوا فريقين يختصمون.

٢- أنَّ الكفرة استعجلوا السيئة قبل الحسنة.

٣- أنَّهم تقاسموا بالله على استئصال صالح عليه السلام وأهله.

٤- أنَّهم مكروا لذلك وأعدوا خطتهم.

ولذلك استدعى الأمر الإسراع في نجاة صالح عليه السلام والمؤمنين، وتدمير أهل الباطل؛ لأنَّ الوقت لم يعد يحتمل الإرجاء والإبطاء، فناسب السياق مجيء الفعل (أَنْجَينا)(٢)، ولم يكن السياق في سورة هود كذلك – والله أعلم –.

ومن ناحية أخرى؛ فإنَّ الفعل M] L في سورة هود مناسب لما ورد فيها في قصة هود عليه السلام بالصيغة نفسها، قال الله ﷻ: M i j k l m n o p q r s t u v w L [هود:٥٨]، وما جاء كذلك في قصة شعيب عليه السلام في قول الله ﷻ: M وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ © r L [هود:٩٤]، فصيغة الفعل تكررت في السورة وهذا من التناسب.

أما الفعل (أنجينا) الذي على صيغة (أَفْعَل) في سورة النمل فهو موافق لما ورد بعده في قصة لوط عليه السلام في قول الله ﷻ: M 3 4 L [النمل:٥٧]، وقوله ﷻ: M ; L

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٧٠.

(٢) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٧٤.

[النمل:٥٨]، وقوله ﷻ: M U L وM Z L [النمل:٦٠]، فإنها كلها على صيغة (أَفْعَــل)[١] — والله أعلم —.

أما التشابه الآخر بين آية هود والنمل فيتمثل في ذكر صالح ؏ في سورة هــود في قول الله ﷻ:M [\ ] ^ _ L [هود:٦٦]، ودخوله في عمــوم المــؤمنين في سورة النمل في قوله ﷻ: Mوَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ © وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ L [النمــل:٥٣]. فمــا مناسبة ذلك في كل موضع؟

يظهر — والله أعلم — أنَّ سورة هود ناسب فيها ذِكْر نجاة صالح ؏ وعطف الذين آمنوا عليه لعدة أمور:

أولاً: أنَّ في تخصيص صالح ؏ بالذكر مبالغة في تسلية الرســول ﷺ وتثبيتــه، وأنَّ الله ﷻ سينصره كما نصر صالحًا ؏ من قبله، وأنَّ الله ﷻ يحفظ أنبيائه ورسله ويرعاهم ويكلؤهم بعنايته، وأنَّ العاقبة لهم، وهذا مرتبط أشد الارتباط بقوله ﷻ: M v x y z L [هود:٤٩]، وقوله ﷻ: M ? @ A B C D E F G H J K L M N O P Q L [هود:١٢٠].

ثانيًا: أنَّ الله ﷻ ذكر عن صالح ؏ أنَّه عصى قومه طاعة لله ﷻ لما وبخــوه علــى دعوته لهم للتوحيد، قــال الله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 4 5 6 7 8 L [هود:٦٣]، وفي هذا إشارة إلى نصرة الله ﷻ له إنْ أطاعه وبلغ رسالته، فناسب التصريح بنصرته ونجاته في قولــه ﷻ: M [\ ] ^ _ L [هود:٦٦].

ثالثًا: ذُكِر آنفًا أنَّ الفعل M [L يفيد التكثير والمبالغة، وأنَّ ذلك مناســب لــذكر صالح ؏ وعطف (الذين آمنوا) عليه.

رابعًا: أنَّ ذلك موافق لما ذكره الله ﷻ في قصص الأنبياء الآخرين في السورة نفســها حيث صرح بنجاتهم، وخصصهم بذكر أسمائهم، قال الله ﷻ في قصة نــوح ؏ : M Q

---

(١) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٩٣، وفتح الرحمن: ٤٦٦.

وقال ﷻ في قصة هود ﷺ: R S T U V W X Y Z [L [هود:٤٨]، وذكر ﷻ في قصة لوط ﷺ أنَّ الملائكة M i j k l m n o p L [هود:٥٨]، قالت له: M يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ L [هود:٨١]، وقال الله ﷻ في قصة شعيب ﷺ: M وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ L [هود:٩٤]، فجاء التعبير في قصة صالح ﷺ مناسبًا لما جاء في القصص الأخرى – والله أعلم –.

أما في سورة النمل فكانت النجاة فيها لعموم المؤمنين، قال الله ﷻ: M وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ © وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ L [النمل:٥٣]، ومناسبة ذلك ما يلي:

أولاً: أنَّ الله ﷻ ذكر في بداية السورة أنَّ القرآن الكريم هدى وبشرى لعموم المؤمنين، قال الله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , L [النمل:١-٢]، ومن البشرى أنْ ينجيهم ﷻ من عذابه ومن مكر الكافرين، فناسب ذلك ما ورد في الآية من نجاة المؤمنين.

ثانيًا: أنَّ الله ﷻ أخبر في بداية القصة أنَّ القوم بعد دعوة صالح ﷺ لهم افترقوا إلى فريقين: مؤمن وكافر، قال الله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . L [النمل:٤٥]، فجاءت نهاية القصة كالنتيجة لهذه الخصومة في صالح ﷺ، فقال ﷻ عن الكافرين: M t u v w x L [النمل:٥١]، وقال ﷻ عن المؤمنين: M وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ © وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ L [النمل:٥٣] – والله أعلم –.

الفصل الثالث

العناصر الفنية في قصة صالح عليه السلام

المبحث الأول: بداية القصة ونهايتها.

المبحث الثاني: الأحداث.

المبحث الثالث: الشخصيات.

المبحث الرابع: الحوار.

مــدخــل

تتميز القصة القرآنية بخصائص لا توجد في غيرها من القصص البشري، فهـي ذات أهداف وغايات سامية؛ عقدية وتشريعية وأخلاقية ووعظية، وهي صدق مطلق لا يخالطها زيف ولا خيال ولا خرافات ولا أساطير، وهي معجزة في نظمها وبلاغتها. وقـد جمعـت القصة القرآنية إلى جانب ذلك كله خصائص فنية راقية ((تحقق الغرض الديني للقصة عـن طريق الجمال الفني؛ إذ إنَّ هذا الجمال يجعل ورودها إلى النفس أيسر، ووقعها في الوجـدان أعمق))(١)؛ فَتُشَوِّقُ وتثير، وتحرك المشاعر، وتنقل القارئ والمستمع إلى قلب الحدث، يـرى شخصيات القصة ويسمع حوارها؛ فيقف على سماتها، ويعرف صفاتها، ويحس بما تفكر بـه وما يدور في خواطرها، فيتأثر بها ويتفاعل معها، فتحقق القصة أهدافها.

وحين نتحدث عن الخصائص الفنية في قصص القرآن يجب ألا يشتط بنـا الـتفكير؛ فتذهب عقولنا إلى الخيال الملفق، أو إلى قياس القصة القرآنية بمقـاييس الفـن القصصـي البشري، وإنما نقصد أنَّ ((الفن في القرآن: إبداع في العرض، وجمال في التنسـيق، وقـوة في الأداء. وشيء من هذا كله لا يقتضي أنَّه يعتمد على الخيال والتلفيـق والاختـراع، مـتى استقامت النفوس وصحت الأفهام))(٢).

لقد سما القرآن الكريم بالأسلوب القصصي من الناحية الفنية، وارتقى بخصائصـه، ولا يزال المتأمل فيه يكتشف من عناصر الجمال والإحكام ما يأخذ بالألباب. وهذا الفصل -إن شاء الله تعالى- سيتناول بعضًا من هذه الخصائص في طريقة العرض، وتصوير الأحـداث، والشخصيات، والحوار، من خلال قصة صالح عليه السلام، وكيف وظفها القصص القرآني لخدمة أغراضه الدينية، وأهدافه السامية؛ لنقف على شيء من جماله وحُسْنِه الذي وصفه الله عز وجل به في قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].

---

(١) التصوير الفني في القرآن: ١٨٠.

(٢) التصوير الفني في القرآن: ٢٥٩.

المبحث الأول

بداية القصة ونهايتها

أولاً: بداية القصة:

بداية القصة هي المشهد الأول الذي يهيئ المتلقي لأحداثها. فللبداية أثر كبير في تشويق المتلقي، وشَدِّ انتباهه، وتهيئته نفسيًّا ليتابع القصة إلى نهايتها.

ونلحظ أنَّ قصة صالح عليه السلام في القرآن الكريم تبدأ بأحد الأساليب التالية:

١ - **أسلوب البداية المباشرة من أول أحداث القصة**(١)؛ وذلك بأنْ تبدأ القصة بالإخبار عن إرسال صالح عليه السلام إلى قوم ثمود، ثم تتوالى الأحداث والمواقف بشكل تصاعدي حتى النهاية وفقًا لمرور الزمن الطبيعي(٢)، وهذا الأسلوب يُشَوِّق المتلقي عن طريق المفاجآت التي تأتي مع تسلسل الأحداث وحيويَّتها، فتجعله أكثر إقبالاً على القصة ومتابعة لها(٣).

ومثال ذلك بداية القصة في سورة الأعراف وهود والنمل، ففي سورة الأعراف وهود بُدِئت القصة بقول الله ﷻ: M**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ** © **قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ** ´ L [الأعراف:٧٣، هود: ٦١]، وهذه البداية في كلتا السورتين فيها قَسَمٌ مقدر، لأنَّ جملة: M**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ** © L معطوفة على جملة: M 5 6 7 8 9 L التي أكدت بالقسم المقدر(٤)، فيكون التقدير: واللهِ لقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا(٥)، وكذلك في سورة النمل؛ فإنَّ القصة تبدأ بقسم من الله ﷻ أنَّه أرسل إلى ثمود أخاهم صالحًا(٦)، ثم تتوالى الأحداث بعد ذلك، قال الله ﷻ: M ! " # $ % & ') ((* + , - L [النمل:٤٥]، وهذا القسم الذي يأتي في بداية القصة يدل على أهمية الخبر الذي

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ١٨٢.

(٢) ينظر: بلاغة السرد القصصي في قصة يوسف عليه السلام: ١٢٦.

(٣) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ١٨٢، والقصص في الحديث النبوي: ١٢٧.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٠/٢٦٠، والكشاف: ٣٦٧.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٠/٢٨٢، وروح المعاني: ٨/ ٥٢٦.

(٦) ينظر: روح المعاني: ١٩/٢٦٩، والتحرير والتنوير: ١٩/٢٧٨.

سيلقى؛ مما يجعل النفوس تتشوق إلى متابعة أحداث القصة، والأسماع تصغي لما سيرد من أمر عظيم، والأذهان تتنبه إلى أهمية ما سوف يأتي من حوار.

٢- **أسلوب البداية المسبوقة بمقدمة تمهيدية**، وهذه المقدمة تتكون من كلمات سريعة في جملة قصيرة، تسبق عرض القصة وسرد أحداثها، بحيث تعطي للمتلقي فرصة يتهيَّأ فيها ذهنه لتلقي أحداث القصة؛ بإثارة جوٍّ مُعَيَّنٍ في نفسه.

وهي لا تُعَدُّ من صميم الحدث، ولا بداية له، ولكنها في الوقت نفسه ليست خارجة عن الهيكل العام للقصة، فهي جزء من البداية وتمهيد لأحداثها(١).

وفي قصة صالح عليه السلام نجد صورتين لهذه المقدمة التمهيدية:

أ- تمهيد باستفهام تقريري، مع الإشارة إلى أهمية القصة، ومثال ذلك القصة في سورة إبراهيم، حيث بُدِئَت باستفهام تقريري في إشارة إلى أهميتها بتسميتها (نبأ)؛ لأنَّ (النبأ) ((خبر ذو فائدة عظيمة))(٢)، وهذا يجعل المتلقي يتحفز ويتهيَّأ لما سُيلقى عليه بإشعاره بعظم القصة التي ستُذكر قبل إيرادها. قال الله ﷻ في سورة إبـــراهيم: Z Y X M

l j i h g e d c a ` _ ^] \ [

} | { z y x w v u t s r q p o n m

~ مُرِيبٍ L [إبراهيم: ٩].

والصورة الثانية من صور المقدمة التمهيدية:

ب- تمهيد برابط زمني يربط القصة بقصة قبلها، ومثال ذلك القصة في سورة المؤمنون؛ حيث ذُكِرَت بعد قصة نوح عليه السلام ورُبِطَت بها زمنيًّا، قال الله ﷻ: E D C BM

L W V T S R Q P O N M L K J I H G F [المؤمنون:٣١-٣٢]، وهذه المقدمة تجعل المتلقي يتساءل: هل اتعظ هؤلاء القوم بما حلَّ بقوم نوحٍ عليه السلام أم لا ؟ فيتشوق إلى سماع القصة، ويتابع أحداثها إلى النهاية.

---

(١) ينظر: القصص في الحديث النبوي: ٩٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٤٨٢.

٣- أسلوب البداية من وسط القصة[١]**، في إشارة إلى تكذيب قوم ثمود، ثم العودة إلى بداية الأحداث وتتابعها إلى النهاية مع التفصيل فيما ابتدئت به،** ((وذلك لبيان أنّ ذلك العنصر المقدم هو محور الحديث، والركن الأساسي في القصة))[٢]، وذلك يُشَوِّق المتلقي لمعرفة تفاصيل ذلك التكذيب وأسبابه وعاقبته.

ونرى هذا الأسلوب في سورة الشعراء والحجر، ففي سورة الشعراء افتتحت القصة بالإخبار عن تكذيب ثمود، ثم عاد السياق إلى ذكر دعوة صالح ﷺ لهم، وكيف أنهم أنكروا رسالته، ثم طالبوه بآية تدل على صدقه، فلما جاءهم الناقة آية لهم عقروها فاستحقوا العذاب، قال الله ﷻ: M > ? @ A B C D E F G H I J K L M N L الآيات [الشعراء: ١٤١- ١٤٣].

وفي سورة الحجر أخبر الله ﷻ عن تكذيب أصحاب الحجر، ثم عاد السياق إلى الوراء حين جاءهم الآيات ولكنهم كانوا عنها معرضين، قال الله ﷻ: M W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b L الآيات [الحجر: ٨٠- ٨٤].

٤- أسلوب البداية من وسط القصة، ثم تتابع أحداثها إلى النهاية من دون عودة إلى بدايتها، ومثال ذلك ما ورد في سورة القمر والشمس، ففي سورة القمر بُدِئَت القصة بالإخبار عن تكذيب ثمود، وكيف كان ذلك التكذيب، وما هي شبهتهم فيه، ثم تتوالى الأحداث إلى النهاية، قال الله ﷻ: M ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾ L الآيات [القمر: ٢٣- ٣٢].

وسورة الشمس بدئت بالإخبار عن تكذيب ثمود وسببه، ثم ذُكِر حدث عقر الناقة وانبعاث أشقاهم لتنفيذ هذه الجريمة، ثم تتوالى الأحداث سريعة إلى النهاية، قال الله ﷻ: M J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e L [الشمس: ١١- ١٥].

(١) ينظر: الجانب الفني في قصص القرآن: ٨٢، وفي الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: ١٩٨.

(٢) الجانب الفني في قصص القرآن: ٨٢، وخصائص القصة الإسلامية: ٨٣.

وينبغي أنْ يُذْكَرَ هنا؛ أنَّ الأساليب السابقة التي بدأت بها القصة تأتي بحسب ما يقتضيه مقصد السورة وموضوعها[١] والسياق الذي وردت فيه، فهي تبدو جزءًا عضويًّا من نسيجها، مما يشير إلى التحام أجزاء السورة وترابط نظمها[٢].

فالقصة التي تبدأ أحداثها بإرسال صالح عليه السلام إلى قومه ودعوتهم إلى التوحيد تأتي في السور التي يكون مقصدها وموضوعها تقرير الحقائق الاعتقادية الأساسية؛ وهي إثبات أنَّ ما جاء به الرسول ﷺ وما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام من قبله حقيقة واحدة موحى بها من الله عز وجل، تقوم على توحيد الله وإخلاص العبادة له، وكيف كان موقف الأمم من هذه الرسالة على مر العصور، فسورة هود – على سبيل المثال – كان مطلعها مبينا لمقصدها وذلك في قوله عز وجل: M d f g h i j k l m n o p q r s u v w x y z L [هود:١-٢]، فهاتان الآيتان فيها ذكر لمصدر الرسالة وأنها من عند الله عز وجل، والمرسَل وهو محمد ﷺ، وفحوى الرسالة وهي (ألا تعبدوا إلا الله)[٣]، وذلك متناسب غاية التناسب مع ما بدأت به قصة صالح عليه السلام وغيرها من القصص في السورة التي تبدأ بذكر الإرسال والرسول والرسالة، حيث قال الله عز وجل: M **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾** L [هود:٦١]. ومثل ذلك أيضًا ما ابتدأت به القصة في سور الأعراف وإبراهيم والمؤمنون والنمل؛ لأنَّ هذه السور من أعظم مقاصدها ترسيخ عقيدة التوحيد وإثبات الرسالة التي كانت الهدف الرئيس للدعوة إبَّان العهد المكي[٤]، فافتتحت القصة بذكر الإرسال أو ما يدل عليه لمناسبة ذلك المقصد والتنبيه إليه.

أما المواضع التي تبدأ فيها القصة من الوسط بالإخبار عن تكذيب قوم ثمود فيكون في السور التي مقصدها الرئيس إنذار المشركين وتهديدهم ببيان مصارع الأمم قبلهم الذين جاءتهم الآيات فكذبوا بها ، أوتسلية الرسول ﷺ وأنّه لا ينبغي أنْ يهلك نفسه ويضيق صدره

---

(١) ينظر: التناسب البياني في القرآن: ٦٧.

(٢) ينظر: في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: ٢٠٠.

(٣) ينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن: ٢٢٦.

(٤) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ١/١٦٦.

بسبب عدم إيمانهم؛ لأنهم قد جاءهم من الآيات ما فيه كفاية لمن أراد الحق والإيمان، ولكنهم ينطلقون في مواقفهم بناء على ما وقر في قلوبهم من التكذيب، كما هو حال الأمم قبلـــهم، ولذلك نجد هذه السور تذكر في مطلعها تكذيب المشركين وتتوعدهم بالعذاب، ففي سورة الحجر – مثلاً – نجد في مطلع السورة تهديدًا شديدًا للكافرين في قوله ﷻ:M (* +
< ; : 9 8 7 5 4 3 2 1 0 / . - ,
= < ? @ A B C D E F G H I J L [الحجر:٢-٥]، وفي سورة الشعراء قال الله ﷻ: M) (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7
M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8
N O L [الشعراء:٣-٦]، وهكذا أيضًا في سورتي القمر والشمس؛ ولذا كان من المناسب لمقصد هذه السور وجوها المشحون بالإنذار والتهديد أنْ تبدأ قصة صالح عليه السلام بالإخبار عن تكذيب ثمود. وفي ذلك دليل على أنَّ طريقة عرض بداية القصة سواء كانت مـــن بدايـــة الأحداث أو من وسطها تأتي لتحقق غرضًا دينيًّا منسجمًا مع مغزى السورة والسياق.

ثانيًا: نهاية القصة:

نهاية القصة جزء مهم في كيانها، فهي تترك الأثـــر النـــهائي في نفـــس القـــارئ والمستمع، وتظل عالقة في ذهنه لقوتها وتأثيرها عليه.

وفي قصة صالح عليه السلام دائمًا يكون المشهد الأخير الذي تنتهي به الأحداث هو إهـــلاك ثمود، مع تصوير حالهم بعد هلاكهم بصورة تُبيِّن مدى هوانهم، وشدة العذاب الذي نـــزل بهم، وعاقبتهم التي انتهى إليها أمرهم، فيثير ذلك المشهد وتلك الصورة في النفس خوفًا ممـــا حلَّ بهم، وعبرة وعظة لمن تدبرها. وهذه نهاية محكمة وختام فني دقيق، يتحقق من خلالهـــا الغرض الديني للقصة القرآنية.

كما أنَّ القرآن في نهاية كل قصة لا يدع المشهد إلا ويعقب عليه بتعليق يناسب العبرة فيها والسياق الذي وردت فيه[1]. وهذا التعليق إما أنْ يكون:

---

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ١٦٩، والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ١٦١.

١ - تنبيهًا لسبب هلاكهم مع الدعاء عليهم:

ففي سورة هود قال الله ﷻ: M l m n o p q r s t u v w x z { | } ~ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ L [هود: ٦٧- ٦٨]، يالها من نهاية رهيبة وصورة مؤثرة، تصف حالهم بعد هلاكهم وهم مُنكَبُّون على صدورهم في الأرض، وقد أصبحوا جثثًا هامدة ميتة على أبشع صورة لميت(١)، فلا حركة ولا اضطراب بل سكون وانقطاع، وكأنهم لم يقيموا في ديارهم ولم يتمتعوا لحظة من اللحظات.

وبعد هذه النهاية المأساوية يأتي التعليق مُبيِّنًا سبب هلاكهم، ومسجلاً عليهم، ومعرضًا بمن هم على شاكلتهم(٢)، مع الدعاء عليهم باللعنة والبعد عن رحمة الله ﷻ؛ ليكون ذلك باعثًا على الاعتبار بهم، والحذر من حالهم(٣).

وصورة أخرى خُتمت بها القصة في سورة المؤمنون، قال الله ﷻ: M فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ L [المؤمنون:٤١]، فهم كغثاء السيل في تلفه، وبلاه، وتكدسه، وذهابه بلا احتفال ولا اهتمام، فلا قيمة لهم أبدًا(٤). وبعد هذه الصورة المهينة لهم؛ يأتي التعليق بالدعاء عليهم دعاء شتم وتحقير بأنْ يُبعَدوا مع بيان سبب لَعْنَتِهم ليحذر كل من تلبس به من الظالمين.

٢ - أو يكون التعقيب بيانًا لقدرة الله ﷻ عليهم، وعجزهم عن رد عقوبته عن أنفسهم:

ففي سورة الحجر قال الله ﷻ: M j k l m n o p q r s L [الحجر:٨٣-٨٤]، نهاية أليمة وخاطفة، فقد هلكوا في وقت قصير من بداية الصباح، ثم يأتي التعليق بأنَّ ما كانوا يكسبون من أموال وحصون وبيوت وثيقة كانوا ينحتونها في الجبال لم تدفع عنهم عذاب الله ﷻ، ولم تنفعهم شيئًا لما أراد الله ﷻ أنْ يهلكهم(٥)، فلا يغتر أحد بقوته وجبروته، فإنَّ الله ﷻ إذا أراد بقوم سوءًا فلا مرد له.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/ ٢٢٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٤/١٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ١٧١/٦.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٩/١٨، وفي ظلال القرآن: ٢٤٦٨/٤.

(٥) ينظر: ينظر: البحر المحيط: ٤٥١/٥، وتفسر ابن كثير: ٥٤٥/٤.

٣- أو يكون حثًّا على الاتعاظ والاعتبار والتذكر:

كما في سورة الشعراء، حيث قـــال الله ﷻ: M فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ à ٱلرَّحِيمُ â L [الشعراء: ١٥٨- ١٥٩]، تنبيهًا على أنَّ ما حلَّ بثمود من عذاب بسبب تكذيبهم رسولهم فيه عبرة لمن اعتبر، وأثر من آثار عـــزة الله ﷻ ورحمته، فإنَّه ﷻ عزيز ينتقم من أعدائه، ورحيم يرحم أولياءه.

وفي سورة القمر يصور لنا القرآن الكريم في نهاية القصة حال ثمود بعد هلاكهم، ومـــا آل إليه أمرهم من ذهاب حسنهم وطراوتهم التي كانوا ينعمون بها في حياتهم(١)، وما حلَّ بهم من الذل والخزي والهوان، حتى أصبحوا كهشيم المحتظر الذي تطؤه الدواب، فـــلا كرامـــة لهم(٢)، قال الله ﷻ: M5 6 7 8 9 : ; < = L [القمر:٣١]، ثم يـــأتي التعقيب بعد ذلك: M > ? @ A B C D E L [القمر:٣٢]، أي: ((فهل من متعظ ومنزجر بآياته))(٣)، فإنَّ هذه هي الثمرة من ذكر مصارع المكذبين.

٤- وقد يكون التعقيب بيانًا لعاقبة المؤمنين وانتصارهم:

ففي سورة النمل لما ذكر الله ﷻ تآمر الرهط على الغدر بصالح ؑ وأهله، بَـــيَّن في نهاية القصة أنَّ عاقبة مكرهم كانت هي الدمار والخراب، وأنَّه ﷻ قـــد حفـــظ رســـوله صالحًا ؑ من مكرهم فأنجاه والمؤمنين، قال الله ﷻ: Mo p q r s t u v w x y z { | } إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ © وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ L [النمل:٥١-٥٣].

٥- وقد يكون التعقيب بيانًا وتذكيرًا بعظمة الله ﷻ وقوته، وهوان المهْلَكِين وذلهم:

ففي سورة الشمس قال الله ﷻ: M Z [\ ] ^ _ ` a b c d e L [الشمس:١٤-١٥]، نهاية رهيبة، فقد أطبق عليهم العذاب كلهم جميعًا، فلم يفلت منهم أحد. ثم يأتي التعقيب في كلمات قليلة، لكنها تحمل معاني تزلزل، فـــالله لا

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤٤/٢٢.

(٢) ينظر: التصوير البياني: ٤٥.

(٣) تفسير الطبري: ١٣٩/٢٢.

يخاف تبعة إهلاكهم؛ لذلهم وهوانهم عليه[1]. نهاية رهيبة، وتعقيب مخيف، يجعل القارئ والمستمع يستشعر عظمة الله ﷻ؛ فيخضع وينكسر، وهي نهاية تناسب المرحلة الأولى من الدعوة؛ لتنذر قريشًا من بطش الله ﷻ .

وإذا كانت قصة صالح عليه السلام دائمًا تنتهي بإهلاك ثمود ثم تعليق على هلاكهم، فإننا نجد في سورة إبراهيم نهاية مختلفة تنقلنا من الدنيا إلى الآخرة، وتصور لنا حال ذلك الجبار العنيد الذي خاب وخسر وهو يُعَذَّبُ في الآخرة في جهنم، ويذوق فيها أصناف العذاب والهوان، قال الله ﷻ: M s t u v w x y z { | } ~ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن © مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ´ L [إبراهيم:١٥-١٧]، وهذه النهاية أشبه ما تكون بالنهاية المفتوحة، فهو في عذاب دائم لا ينقطع، وجحيم مستمر لا نهاية له.

وهكذا نجد أنَّ النهاية في قصة صالح عليه السلام تترك أثرًا في النفس، وتحرك فيها مشاعر الخوف والرهبة، والإيمان واليقين بنصر الله ﷻ لعباده المؤمنين، وكل ذلك تابع لأهداف القصة في القرآن الكريم وأغراضها الدينية.

---

(١) ينظر: حاشية القونوي: ٢٠/٣٠٠، وروح المعاني: ٣٠/٤٦٠ .

المبحث الثاني

الأحداث

تُعد الأحداث أهم العناصر الفنية للقصة بشكل عام؛ لأنَّ القصة في أصلها مكونة من مجموعة من الأحداث، وهي ((مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص))(١).

وعنصر الأحداث في القصص القرآني كغيره من العناصر الفنية يبرز علـــى حســـب مقاصد السياق الذي يوجه أسلوب العرض، وكذلك على حسب الغرض من القصة، فنجده يبرز في القصص التي يُقصد منها التخويف والإنذار والترهيب، بينما يبرز عنصر الشخصيات في سياق تثبيت الرسول ﷺ والمؤمنين بتقديم نماذج للقدوات من الرسل والمستضعفين، ويبرز عنصر الحوار في سياق إقامة الحجة والإقناع والدفاع عن الدعوة والرد على المعـــارض(٢)، وقد يأتي الحدث والشخصية متساويين في الأهمية، فيكمل كلاهما الآخر، ويتناوبـــان علـــى مركز الاهتمام(٣). ومن خلال قصة صالح عليه السلام سنحاول أنْ نـــتلمس بعـــض خصـــائص الأحداث وسماتها في قصص القرآن الكريم، فمن ذلك:

١- توزيع الأحداث في المواضع المختلفة للقصة بما يتناسب مع مقصد السورة والســـياق، فيرد في كل موضع حدث أو جزئية لا توجد في المواضع الأخرى، ولا يمنع ذلك مـــن وجود أحداث ثابتة لابد منها؛ لأهميتها، ولأنها محور الأحداث ومركزهـــا(٤). وهـــذا الانتقاء والاختيار يكون لفائدة تناسب السياق، قال البقاعي: ((فاقتضت حكمتـــه أنْ يكون هذا الذكر جامعًا لكونه ختامًا، وأنْ يكون معجزًا لكونه تمامًا، ونَزَّلـــه علـــى حسب التدريج شيئًا فشيئًا مكررًا فيه ذكر القصص، سابقًا في كل سورة منـــها مـــا يناسب المقصود في تلك السورة، مُعَبِّرًا عما يسوقه منها بما يلائم الغرض مـــن ذلـــك السياق مع مراعاة الواقع، ومطابقة الكائن))(٥).

(١) الأدب وفنونه: ١٠٤.

(٢) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٩٣ وما بعدها، ومنهج القصة في القرآن: ٨١.

(٣) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٩٦.

(٤) ينظر: بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم: ٣٨.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩٦/١٤، وينظر: التحرير والتنوير: ٦٩/١.

ومن فوائد ذلك الانتقاء والاختيار تجنب الإطالة، فيقتصر في كل سياق على موضـــع العبرة منها(١)، وكذلك تشويق النفوس إلى اســـتيفاء بقيـــة عناصـــر القصـــة في المواضـــع الأخرى(٢).

وإذا نظرنا إلى قصة صالح عليه السلام وغيرها من القصص القرآني في مواضعها المختلفة نجد أنَّ ما ورد منها كافٍ وشافٍ في موضعه، وإذا ضُمَّ إلى ما تفرق في بقية المواضـــع ارتفـــع إجماله وتكاملت القصة بذلك، فكل حلقة لا تستغني عن الأخرى؛ لما فيها من تفصـــيلات وجزئيات(٣).

فمثلاً في سورة هود ورد في القصة مشهد دار بين صالح عليه السلام وقومه لم يـــذكر في سورة أخرى، وهو يصور لنا شدة عناد قوم ثمود وتعصبهم لما ورثوه عن آبائهم، ومجيئـــه في سورة هود يناسب سياق السورة الذي يظهر فيه موقف الأقوام من رسلهم عليهم الصـــلاة والسلام وجدالهم معهم، قال الله ﷻ: M قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë وَإِنَّنَا لَفِي Î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ L [هود:٦٢].

وحدث آخر تتفرد بذكره سورة النمل؛ وهو تآمر المفسدين من قوم صالح عليه السلام على قتله و أهله غيلة، قال ابن عاشور: ((و هذا الجزء من قصه ثمود لم يُذكر في غير هذه السورة، وأحسب أنْ سبب ذكره أنَّ نزول هذه السورة كان في وقتٍ تآمر فيه المشـــركون علـــى الإيقاع بالنبي ﷺ))(٤). وكذلك فإنَّ السورة تدور حول موضوع العلم، ولما كان مكر هؤلاء المفسدين خفيًّا ولكنه لا يخفى على الله ﷻ ، فمكر بهم وهم لا يشعرون، ناسب ذلك ورود هذا الجزء من القصة في سورة النمل، قـــال الله ﷻ: M M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w L [النمل:٤٨-٥١].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٩/١.

(٢) ينظر: الإعجاز القصصي في القرآن: ١١٨.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣٥٤/٧، وخصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٣٣٧.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٨٤/١٩.

ومن ذلك أيضًا ماورد في سورة الشعراء، حيث طلب قوم ثمود من صـــالح الطَّيْلاَ أنْ يأتيهم بآية تدل على صدقه، قال الله ﷻ عنهم أنهم قالوا لصالح الطَّيْلاَ: M مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ ´ µ ¶ ¸ ﴿١٥٤﴾ L [الشعراء:١٥٤]، ومناسبة ذلك في سورة الشعراء أنَّ القصص الواردة في السورة سيقت لتسلية الرسول ﷺ مما يجد من حُزْنٍ في نفسه بسبب عدم إيمـــان قومه، وفي ذكر هذا الحدث الذي طلب فيه قوم ثمود من صالح الطَّيْلاَ أنْ يـــأتيهم بآيـــة ثم تكذيبهم بها وعقرها مبالغة في تسليته ﷺ، لبيان أنهم إنما كفروا استكبارًا وجحودًا بعد مجيء الآية، وحال قومه كحال هؤلاء المكذبين، فلا ينبغي أنْ يُهلك نفسه حُزنًا عليهم.

ومن الأحداث الجزئية في القصة التي يكمل بعضها بعضًا ويكشف كل موضع منـــها عن فائدة جديدة حادثة عقر الناقة التي وردت في عدة سور، فإذا نظرنا إلى هذا الحـــدث في سورة الأعراف وهود والشعراء؛ وجدنا أنَّ كل موضع يأتي بإضافة جديدة، فسورة الأعراف تصور لنا حالة القوم وقت ارتكاب الجريمة وما كانوا عليه من تمرد واستكبار، قال الله ﷻ: M ^ _ ` a b c d e f g h i j k l L [الأعراف:٧٧].

وسورة هود أضافت أنَّ صالحًا الطَّيْلاَ قد توعدهم بالعذاب بعد ثلاثـــة أيـــام، قـــال الله ﷻ: M K L M N O P Q S T U V W L [هود:٦٥].

وفي سورة الشعراء أضيف إلى الحدث أمر آخر؛ وهو حالهم بعد عقر الناقة ونـــدمهم على ذلك بعدما رأوا أمارات العذاب الذي توعدهم به صالح الطَّيْلاَ، قال الله ﷻ: M فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ L [الشعراء:١٥٧][(١)].

ومن خلال النظر إلى هذا الحدث في مواضعه الثلاثة المذكورة سلفًا نجـــد أنَّ ســـورة الأعراف وهي الأولى في الترتيب قد عرضت زاوية منه، وهي زاوية يُرى منها حال القـــوم أثناء عقر الناقة وبعده؛ إذ عتوا عن أمر الله ﷻ وتحدوا صالحًا الطَّيْلاَ، ثم جاءت سورة هـــود لتعرض علينا زاوية أخرى سلطت الضوء على الطرف الثاني، وهو صالح الطَّيْلاَ، في صـــورة تفيض بمعاني الثقة بالله ﷻ، والقوة في الحق؛ لتتكامل الزاويتان في تصوير طرفي الصـــراع؛ طرف متكبر معرض عن الحق بقوة مادية، وطرف قويٌّ بإيمانه وثقته بربه؛ لينتظر القارئ بقية

(١) ينظر: قضايا التكرار في القصص القرآني: ١١٧.

الحدث الذي جاء في سورة الشعراء في إيجاز شديد مُبَيِّنًا حال المتكبرين: M فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ L.
إنَّ هذه الجزئيات من الأحداث تمثل مشهدًا متكاملاً تتيح للقارئ أنْ يشاهد جزءًا منـــه في سورة الأعراف، وجزءًا ثانيًا في سورة هود، وجزءًا أخيرًا في سورة الشعراء، فتكتمل صورة المشهد وتفاصيله؛ فالقوم المستكبرون عتوا عن أمر الله ﷻ فعقروا الناقة، ثم تحـــدوا صـــالحًا ﷺ وقالوا بصلف وعناد: هذا فعلنا فأتنا بما تعدنا إنْ كنت من المرسلين، بما تفيده (إنْ) من التشكيك والارتياب واستبعاد العذاب. وإزاء أولئك القوم يقف صالح ﷺ وحيدًا فريـــدًا واثقًا من وعد ربه فتوعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام. وحينما رأوا أمارات العذاب وعلمـــوا صدق صالح أصبحوا نادمين؛ وأي حال أنكى وأقسى من حال صـــار فيهـــا المتجـــبرون المستكبرون نادمين آسفين ؟!

٢- ومن سمات الأحداث في قصة صالح ﷺ؛ أنها تتنامى بشكل تصاعدي وفقًـــا لمـــرور الزمن الطبيعي المتجه إلى الأمام دائما[(١)(٢)]، فللقصة بداية، ووسط، وقمـــة، ونهايـــة، وأحداثها مترابطة متسلسلة، وكل حدث له دوره في إبراز مقاصد القصة، والأحداث يكمل بعضها بعضًا؛ فالحدث الثاني لاحق للأول ونتيجة له، ولا يمكن أنْ يستغني عنـــه في جوِّ القصة، فهي أحداث واقعية، ومتكاملة، ومتناسقة، نتائج ومقدمات[(٣)].

وفي قصة صالح ﷺ نجد الأحداث غالبًا تبدأ بإرسال صالح ﷺ إلى قومـــه وقيامـــه بدعوتهم إلى التوحيد وتذكيرهم ووعظهم، ثم في وسطها يكون تكذيب قومه لـــه، ومجـــيء الناقة آية على صدقه، ثم تتأزم الأحداث وتصل إلى الذروة بعقر الناقة، ثم النهايـــة بـــإهلاك الله ﷻ المكذبين وإنجاء المؤمنين. أحداث متسلسلة مترابطة تشوق القارئ والمستمع ((بطريقة منطقية طبيعية يتقبلها العقل، ويألفها الوجدان))[(٤)].

---

(١) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ٨٧، وبلاغة السرد القصصي في قصة يوسف ﷺ: ١٢٦.

(٢) ذكر في مبحث (بداية القصة ونهايتها) أنَّ القصة قد تبدأ من الوسط ثم تعود إلى البداية، وهذا لا يتعارض مع مـــا ذكر هنا؛ لأنَّ البداية من الوسط مجرد إشارة، والبداية الفعلية لتسلسل الأحداث تأتي من أول أحداثها.

(٣) ينظر: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم: ١٣٣، ١٣٤.

(٤) الجانب الفني في قصص القرآن الكريم: ١٠١.

ولنأخذ مثالاً على ذلك، فالقصة في سورة الأعراف تبدأ بإرسال صالح عليه السلام إلى قومه ثمود ودعوتهم إلى التوحيد، ووعظهم وتحذيرهم من التعرض للناقة بســوء، ونهـيهم عـن الإفساد في الأرض، قال الله ﷻ: M وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ © ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
´ ¶ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ! " # $ % & ' ( ) *
+ , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : L
[الأعراف:٧٣-٧٤]، ثم تأتي مرحلة الوسط بإعلان المستكبرين كفرهم وسخريتهم بـــالمؤمنين، قـــال الله ﷻ: M < = > ? @ A B C D E F G
H I J K L N O P Q R S T U V W X Y
Z [\ ] L [الأعـــراف:٧٥-٧٦]، ثم تتصاعد الأحداث فتصل إلى الذروة بعتوهم وعقرهم الناقة وتحديهم لصالح عليه السلام بأنْ يأتيهم بالعذاب الذي توعدهم به، قـــال الله ﷻ :
M ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m L
[الأعراف:٧٧]، وهنا تأتي النهاية بترول العذاب وهلاك ثمود، قال الله ﷻ: M n o
p q r s t L [الأعراف:٧٨].

وفي سورة النمل تبدأ القصة بإرسال صالح عليه السلام إلى ثمود فيـــدعوهم إلى عبـــادة الله وحده، فيؤمن فريق ويكفر فريق، قال الله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( )
* + , - . L [النمل:٤٥]، ثم تتنامى الأحداث فيسألون صالحًا عليه السلام أنْ يترل عليهم العذاب تحديًّا وتكذيبًا له، فيقول لهـــم: M / 0 1 2 3 4 5 7
8 9 : ; < = > ? @ A C D E F H I J K
L L [النمـــل:٤٦-٤٧]، ثم تستمر الأحداث في الصعود حتى تتأزم الأمور وتصل إلى القمـــة بتآمر الرهط المفسدين على قتل صالح عليه السلام وأهله وتقاسمهم على ذلـــك، قـــال الله ﷻ :
M M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ]
^ _ ` a b c d e L [النمل:٤٨-٤٩]، فتأتي النهايـــة بتـــدميرهم وقومهم ونجاة المؤمنين، قال الله ﷻ: M g h i j k l m n o

p q r s t u v w x y z { | } ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ © وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ L [النمل:٥٠-٥٣].

ونوع آخر من الأحداث في سورة إبراهيم تحمل طابع القص الجماعي الذي يشـــمل عددًا من الرسل عليهم الصلاة والسلام، تختلف في الجزئيات والتفاصيل ولكنـــها تســـير في الخط نفسه؛ بداية ووسط وقمة ثم النهاية، أما البداية فمجيء الرسل بالبينـــات، وتكـــذيب أقوامهم وإعلان كفرهم، قال الله ﷻ: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a
c d e g h i j l m n o p q r s t
u v w x y z { | } ~ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ L [إبراهيم:٩]، ثم تتنـــامى الأحـــداث وتتصاعد في صراع بالحجة والبرهان، فيندحر الكفار ويتخذون سبيلاً آخر وهو إيذاء الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال الله ﷻ: Mقَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ © وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ ´ µ ¸ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ! " # $ % & ' ( ) *
+ , - . / 0 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = >
? @ A B C D E F G H I K L M N P Q R
S L [إبراهيم:١٠-١٢]، فلما رأى الذين كفروا أنَّ إيذاء الرسل عليهم السلام لا يجـــدي نفعًا، وإنما يزيدهم صبرًا وتوكلاً على الله ﷻ وثباتًا على طريق الدعوة؛ لجؤوا إلى التهديـــد والوعيد، وهنا تتأزم الأحداث وتبلغ الـــذروة، قـــال الله ﷻ: M U V W X
Y Z [\ ] ^ _ L [إبراهيم:١٣]، فتأتي النهاية وتنفرج الأزمة، قال الله ﷻ: M a b c d e f g h i j l m n
o p q r s t u v w x L [إبراهيم:١٣-١٥].

وقد رأينا في النماذج الثلاثة السابقة كيف أنَّ وتيرة الأحداث تتصاعد فيتصاعد معها مؤشر التشويق والإثارة، حتى إذا بلغت الأحداث ذروتها وبلغت القلوب الحنـــاجر جـــاءت النهاية ولحظة الانفراج، فوقعت القصة في النفس بمكان، وأصابت هـــدفها، إنْ ترهيبًـــا أو ترغيبًا، فيتحقق بذلك الغرض الديني لها.

٣- ومن سمات عرض الأحداث في قصة صالح ﷺ: الإيجاز، وطيٌّ ما يقتضيه الكلام الوارد وما يفهم من السياق ويدل عليه النظم(١)، فيكثر فيها الحذف، والإجمال، واختصـــار الأحداث والمشاهد البدهية التي تعرف بالضرورة، ويكتفى بذكر ما يقتضيه الســـياق منها، وهذا الحذف والاختصار لا يضر بترابط الأحداث ونموها وتسلسلها(٢)، بـــل إنَّ تلك الفجوات بين المشهد والآخر تجعل القارئ والمستمع يملؤها بخياله، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق واللاحق(٣)، فيحثه ذلك على التدبر والتفكر في المشـــاهد المطوية؛ لتتصل أطراف القصة في ذهنه، فيتصورها مرتبة كما حدثت في الواقع.

ومن فوائد ذلك الإيجاز والطي في القصة أنْ يكون شَبَهُهَا بالتذكير أقوى من شَـــبَهِهَا بالقصص، ارتفاعًا بها عن وهدة السرد المعتاد(٤)، فهي تساق للوعظ والاعتبار والتذكير.

ومن المواضع التي طويت فيها بعض أحداث القصة: ما ورد في ســـورة الأعـــراف في قوله ﷻ: M وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ © قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ¶ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ L [الأعراف:٧٣]، فَبَيْنَ إرسال صالح ﷺ وقيامه بأعباء الدعوة وبين مجيء الناقة أحداث ومواقف وحوارات دارت بينه وبين قومه، من ذلك: طلبهم الآية، وقسمة الماء بينهم وبين الناقة، لكن هذه الأحداث وغيرها لم تذكر في هذا الموضع.

كما نجد في القصة انتقالاً إلى حوار دار بين الملأ الذين استكبروا وبين الذين استضعفوا من المؤمنين، وهذه النقلة تطوي حدثًا مهمًا فُهم من السياق، وهو أنَّه بعد دعوة صالح ﷺ لقومه آمنت طائفة واستكبرت طائفة(٥).

وكذلك قُبَيل عقر الناقة لم يُذكر في سورة الأعراف نبأ تدافعهم لهذا الأمر العظيم، ثم مناداتهم لصاحبهم الذي تولى عقرها، بل نجد السياق ينقلنا من الاستكبار إلى العقر مباشرة.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١/٦٥، وخصائص النظم في قصة إبراهيم ﷺ: ٤٥٠.

(٢) ينظر: بلاغة السرد القصصي في القرآن: ١٠١، وفي الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: ١٩٦.

(٣) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ١٨٧.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١/٦٥، وقصص القرآن الكريم: ٤٩.

(٥) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/١٣١٣.

ونلاحظ أنَّ كل ما حُذِف من مواقف ومشاهد لم يؤثر على ســـير الأحـــداث، ولم يُحدِث خللاً في ترابطها وتسلسلها، بل جاءت في غاية الإحكام مع السياق الذي يستهدف استعراض دعوة الرسل عليهم الصلاة السلام، وبيان عاقبة المكذبين(١).

وكذلك في سورة النمل نجد صورة من صور طيِّ الأحداث، وفجوة يملأهـــا التفكـــر والتدبر، فقد نقلتنا القصة من حدث دعوة صالح ﷺ لقومه وجهده معهم إلى انقســـامهم فريقين يختصمون؛ فريقًا مؤمنًا، وفريقًا كافرًا، وهذه الفجوة تدل على أنَّ من قومه من آمن وصدق به، ومنهم من كذَّب وكفر، ثم تخاصموا فيه، ولما كان ذلك مفهومًا مـــن الســـياق حُذِف، قال الله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) (* + , - L [النمل:٤٥].

ويكشف السياق أيضًا عن فجوة أخرى ندرك منها أنَّ المكذبين المعرضين اســـتعجلوا عذاب الله الذي أنذرهم به صالح ﷺ، بدلاً من أنْ يطلبوا هدى الله ﷻ ورحمته، فـــأنكر عليهم صالح ﷺ ذلك، قال الله ﷻ عن صـــالح ﷺ: M / 0 1 2 3 4 5 7 8 9 : ; < L [النمل:٤٦](٢).

ومن الإيجاز في عرض الأحداث: اختزالها وعرضها عرضًا سريعًا يُلْمَحُ فيه إلى القصـــة تلميحًا يُستغنى به عن الإطالة مع عدم الإخلال بالمعنى(٣).

ونرى ذلك في قصة صالح ﷺ التي وردت في ســـورتي الحجـــر والشـــمس، قـــال الله ﷻ في سورة الحجر:M W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s L [الحجر:٨٠-٨٤].

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/١٣١٣.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/٢٦٤٤.

(٣) ينظر: من بلاغة القرآن: ٢٧٧، وروائع الإعجاز القصصي في القرآن: ٣١٢.

وفي سورة الشمس قـــال الله ﷻ: M J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e L [الشمس:١١-١٥].

ففي الموضعين السابقين نجد قصتين متكاملتين؛ مكونتين من بداية ووسط ونهايـــة، في عرض موجز مقتضب يناسب الغاية من إيرادهما، والموضع الذي وردت فيه، وهـــو بمعونـــة المواضع الأخرى يكفي لفهم القصة، ويمثل إيجازًا بديعًا لأحداثها.

٤- ومن سمات عرض الأحداث في قصة صالح ﷺ إبراز الحدث وإحياء المشهد عن طريق ما يلي:

أ- الوصف الدقيق المصور(١):

من ذلك ما جاء في قوله ﷻ على لسان صالح ﷺ وهو يخاطب قومه ويذكرهم بنعم الله ﷻ عليهم: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 L [الأعراف:٧٤]، صورة حية لهذه النعمة، وكأننـــا نـــراهم ينـــون القصور وينحتون البيوت في الجبال بما دل عليه الفعلان المضارعان (تتخذون) و (تنحتـــون) من استحضار الصورة واستمرار العمل، وهي صورة لحدث ماضٍ أعـــاده العـــرض حيًّـــا باستخدام هذين الفعلين.

وفي سياق تكذيب ثمود لصالح ﷺ ولآيات الله ﷻ نجد في بعض المواضع تصـــويرًا ووصفًا دقيقًا يدل على مبلغ ذلك التكذيب والعناد، من ذلك ما جاء في سورة إبراهيم، قال الله ﷻ: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e g h i j l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ مُرِيبٍ L [إبراهيم:٩]، وصفٌ دقيق للحدث من خلال حركة تُبَيِّن مدى تغيظ الكافرين، وسخريتهم، واستهزائهم، وتطاولهم على رسل الله ﷻ، وقد تكلم المفسرون عن

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٣٥٠.

هذه الآية وذكروا أقوالاً كثيرة فيها(١)، والذي يهمنا هنا أنَّ القصة تُبْرِز الحدث بالوصــف والصورة اللتين تغنيان عن كثير من الجمل والكلمات.

وفي سورة الحجر يقول الله ﷻ عــن ثمــود: M] ^ _ ` a b L [الحجــر:٨١]، صورة تصف تكذيب قوم ثمود بآيات الله ﷻ وعدم التفاهم إليها وابتعــادهم عنها من خلال وصفهم بالإعراض، وهو إظهار الجانب للمُعْرَضِ عنه وعدم استقباله بالوجه تركًا له ورغبة عنه(٢).

وصورة أخرى تُبرز إعراض صالح عليه السلام عن قومه وتوبيخه وتقريعــه لهــم لكفــرهم وتمردهم على الله ﷻ(٣)، وهي تحمل من معاني الغضب وعدم الاكتراث بهم الشيء الكثير، وذلك في قول الله ﷻ عن صالح عليه السلام بعد هلاك قومه: M u v w x y z { | } ~ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ L [الأعراف:٧٩].

وكذلك في مشهد نزول العذاب بقوم ثمود، نرى تصويرًا، ووصفًا دقيقًا، وحركــة في الحدث؛ فالعذاب إما يأخذهم أو يُرْسَل عليهم، والقارئ والمستمع يستحضر شدة العذاب، وهوله، وإحاطته بهم، وتمكنه منهم، ثم يجد وصفًا لهم بعد هلاكهم وما آل إليه أمرهم، جاء ذلك في عدة آيات منــها قــول الله ﷻ: M n o p q r s t L [الأعــراف: ٧٨]وفي سورة هــود قــال الله ﷻ: M l m n o p q r s t L [هود:٦٧]، وفي سورة المؤمنون قــال الله ﷻ: Mفَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً L [المؤمنون:٤١]، وفي سورة القمــر قــال الله ﷻ: M5 6 7 8 9 : ; < = L [القمر:٣١].

وهذا الحدث المتعلق بالمكذبين بعد هلاكهم قد عاد حيًّا، وأضحى مشــهدًا واقعًــا، وصورة مُتَابَعَة، وهو حدث بارز ومهم في سياق القصة؛ لأنَّه يصور نهايتها، وقد تــآزرت هذه المواضع مجتمعة لترسم للقارئ صورة الهول والعذاب الذي حل بهم؛ فقد أرسل الله ﷻ

(١) ينظر: ص ١١٢ من هذا البحث.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٨/٥.
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٣/٣.

عليهم صيحة واحدة حقيقية مرعبة، ارتجفت لها الأرض، بعد أنْ طغا صوتها من السماء، فأصبح القوم في ديارهم التي كانت مصدر قوتهم وعزهم جاثمين، كغثاء السيل في البلى والتكدس والحقارة، وكهشيم الحضائر في مهانتهم.

وفي سورة النمل أيضًا؛ نجد تصويرًا لما حل بهم وبيوتهم من خراب ودمار، قال الله ﷻ: M o p q r s t u v w x y z { | } ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ L [النمل:٥١-٥٢].

ب- المعاني المعبرة عن المشاعر، والانفعالات، والأحوال النفسية(١):

من ذلك قول الله ﷻ عن ثمود: M ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m L [الأعراف:٧٧]، فهذه الآية أظهرت حالتهم النفسية وقت عقر الناقة، وما كانوا عليه من العتو والاستكبار والغطرسة، الأمر الذي دفعهم لعقرها وعصيان أمر الله ﷻ.

وفي قوله ﷻ: M ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ L [الشعراء:١٥٧]، وصف لشعور الندم الذي لازمهم بسبب عقر الناقة ورؤيتهم بوادر العذاب الذي توعدهم به صالح ؑ، ففي الآية ذِكْر للحدث وما نشأ عنه من شعور نفسي.

ونجد في قوله ﷻ: M ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ L [القمر:٢٦] فضحًا لشعورهم الذي اقترن بتكذيبهم لصالح ؑ وجعلهم يأنفون من اتباعه، ألا وهو شدة البطر والكبر والتجبر الذي رموا به صالحًا ؑ(٢).

وفي قوله ﷻ: M + , - . / L [القمر:٢٩]، تصوير لما كان عليه عاقر الناقة من الجسارة والجرأة حين عقرها، وأنَّه تعاطى هذا الأمر العظيم غير مكترث به(٣).

---

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٣٥٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢/١٤٠.

(٣) ينظر: الكشاف: ١٠٦٧، وتفسير ابن كثير: ٧/٤٧٩.

ومثل ذلك قوله ﷻ: M N O P Q L [الشمس:١٢]، فلفظة (انبعث) كشـــفت ذلك الحرص والرغبة الشديدة التي تختلج في نفسه أثناء قيامه بهذه الفعلة الشنيعة(١).

جـــ- الانتقال من أسلوب الحكاية عن الماضي إلى الحديث عن الزمن المستقبل:

ومثال ذلك ما جاء في سورة القمر؛ فإنَّ القصة كانت تحكي خـــبر تكـــذيب ثمـــود لصالح عليه السلام ، قال الله ﷻ: M **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾** L [القمـر:٢٣-٢٥]، وبينما يجري الســـياق علـــى أسلوب الحكاية لقصة غبرت في التاريخ، يلتفت فجأة وكأنما الأمر حاضـــر، والأحـــداث جارية، فيتحدث عما سيكون بأسلوب فيـــه تهديـــد: M **سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾** L [القمر:٢٦]. وهذه إحدى طرق العرض القرآنية للقصص، وهي طريقة تـــنفخ روح الحيـــاة الواقعية في القصة، وتحيلها من حكاية تحكى إلى واقعة تعرض على الأنظار، يترقب المتلقـــي أحداثها الآن، وفي مُقْبل الزمان(٢).

وهكذا رأينا كيف أنَّ إبراز الأحداث في قصة صالح عليه السلام من خلال الطرق المذكورة آنفًا تنفي عنها صفة الجمود، وتجعلها نابضة بالحركة والحياة(٣).

٥- ومن سمات الأحداث في قصة صالح عليه السلام احتواؤها على المعجزات والخوارق؛ لأنَّ من سنن الله ﷻ أنَّه يؤيد رسله بالآيات والمعجزات الدالة على صدقهم، ومن سننه كذلك أنَّه يهلك المكذبين وينجي رسله والمؤمنين، وقصة صالح عليه السلام فيهـــا مـــن المعجـــزات والخوارق ما أحدث دويًّا هائلاً، وأثار زلزلة عاتية، فانقلب بها وجه الأحداث وتحـــول سيرها أو توقف.

ولا شك أنَّ هذه المعجزة والخارقه من تدبير الله ﷻ وصنعه وتقديره؛ فمنها ما كـــان تأييدًا لرسوله صالح عليه السلام مثل آية الناقة التي طلبها قومه منه في قولهم الذي حكـــاه الله ﷻ عنهم: M µ ¶ ¸ ´ **فَأْتِ بِـَٔايَةٍ** ﴿١٥٤﴾ L [الشعراء:١٥٤]، جاء في تفسير الإمام الطبري: أنَّ

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ١٩٨٣.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٦/٣٤٣٢.

(٣) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٣٥٠.

قوم صالح عليه السلام طلبوا منه أنْ يُخرج لهم من صخرة كانت منفردة في ناحية الحجـــر ناقـــة تكون آية على صدقه، فدعا صالح عليه السلام ربه عز وجل أنْ يخرجها لهم، فتمخضت الصخرة كمـــا تتمخض الحامل، ثم انفرجت، فخرجت من وسطها الناقة(١).

ومن هذه الخوارق ما يكون مفاجئًا ومباغتًا لا يتوقعه أحد ممن يشتركون في الصراع، ومثال ذلك ما جاء في سورة النمل لما نجى الله عز وجل صالحًا عليه السلام والمؤمنين من التسعة الرهط الذين عزموا على قتل صالح عليه السلام وأهله، فدبروا مكيدهم وأعَدُّوا خطتهم، ولكـــن الله عز وجل مكر بهم، قال الله عز وجل: M g h i j k l m n L [النمل:٥٠]، ذكر المفسرون أنَّ هؤلاء الرهط كَمَنُوا لصالح عليه السلام في كهف يريدون قتلـــه وهـــو ذاهـــب إلى مصلاه، فبعث الله عز وجل عليهم صخرة فخشوا أنْ تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم، ولا يدرون ما فُعِل بقـــومهم، فعـــذب الله هؤلاء ههنا، وهؤلاء ههنا، وأنجى الله صالحًا عليه السلام ومن معه(٢).

وقد يكون الأمر الخارق معلوم الوقت والزمان، كما توعـــد صـــالح عليه السلام المكـــذبين بالعذاب بعد ثلاثة أيام في قول الله عز وجل: M K L M N O P Q S T U V W L [هود:٦٥].

والذي يجدر التنبيه إليه هنا أنَّ هذه المعجزات والخوارق الواردة في القصة هي عنصـــر من العناصر الفاعلة فيها؛ لما تثيره من تلك الانفعالات القوية الحادة التي تملك على الإنســـان أحاسيسه ووجدانه؛ لأنها حق وصدق من صنع الله القدير، الأمر الذي لا يمكن أنْ نجده في غير القصص القرآني، فإنْ وجدناه فهو خيال وتلفيق وأساطير، لا يقيم له الناس مكانًـــا في الواقع(٣).

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٠/٢٨٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٨/٩٤، وتفسير ابن كثير: ٦/٢٠٠.

(٣) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ١٤٨.

وكذلك إذا نظرنا إلى الأحداث المعجزة والخارقة من حيث طبيعتها وجوهرها؛ وجدنا فيها قيمًا روحية تكشف عن العناية الإلهية بأوليائه بما تفضي إليه من نتائج هي من تـــدبيره المحكم وعدله المطلق سبحانه وتعالى(١).

٦- ومن سمات الأحداث في قصة صالح عليه السلام ربطها بالزمان والمكان إذا كان في ذلك فائدة، فالزمان والمكان هما الوعاء الذي يقع فيهما الحدث، والقرآن الكريم كثيرًا ما يَعــرض الحدث مجردًا عن ذكر الزمان والمكان اللذين وقع فيهما إلا إذا كان لهما أو لأحـــدهما تأثير في سير الحدث أو إبراز ملامحه فُيذكر لتعلق الغرض لذلك(٢).

وفي قصة صالح عليه السلام نجد ذكرًا لزمن بعض الحوادث لأنَّ في ذكره فائدة وتأثيرًا عليها، فمن ذلك تحديد زمن أحداث القصة بشكل عام، وذلك بذكر العصر الذي عاش فيه قـــوم ثمود و أنهم قوم أنشأهم الله عز وجل بعد قوم نوح عليه السلام، قال الله عز وجل بعد ذكر قصة نوح عليه السلام: M B C D E F G H L [المؤمنون:٣١]، وفي آية أخرى يرد الزمن أكثر تحديدًا وأنهـــم بعد قوم عاد، قال الله عز وجل على لسان صالح عليه السلام: M ! " # $ % & ' L [الأعراف:٧٤]، وفائدة ذلك أنَّ القصص سيقت لبيان دعوة الرسل إلى الله عز وجل وموقف الأمم المكذبة منهم وعاقبتهم على مر العصور، ففي ذكر زمن القصة عبرة وعظة وامتنان على قوم ثمود بأنهم خَلفوا قوم عاد الذين أهلكهم الله عز وجل فعليهم أنْ يحذروا بما حلَّ بهم .

وفي القصة كذلك ذكر أزمنة لأحداث بعينها، ففي قوله عز وجل عن صالح عليه السلام: M **قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾** L [المؤمنـــون:٣٩-٤٠] بيانٌ أنَّ النصر سيأتي بعد زمن قريب جدًّا، وذكر الزمن و قلته هنا مهم لتأكيد إجابة دعوة صالح عليه السلام وإشعاره بالطمأنينة لقرب نصر الله عز وجل له.

وفي ذكر الناقة نجد تحديدًا للوقت الذي ترد فيه الماء والذي يرده قوم ثمود، فلها يـــوم ولهم يوم، قال الله عز وجل عن صـــالح عليه السلام : M **قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾** L [الشعراء:١٥٥]، فتحديد الوقت هنا ضروري لكي لا يتعدوا على شِربها ونوبتها.

---

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٣٥٢.

(٢) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٣٤٨، والإعجاز القصصي في القرآن: ٨٣.

ومن الأحداث التي رُبطت بزمن معين ما تقاسم عليه الرهط المفسدون من قتل صالح الْعَلِيْهِ وأهله، فقد حكى الله ﷻ عنهم قولهم: M [\ L [النمل:٤٩]، فتحديد وقت القتل بالليل يدل على حرصهم على إخفاء الجريمة بتنفيذها في وقت لا يراهم فيه أحد، ويدل كذلك على مكرهم واتصافهم بالغدر وفي ذلك ذم لهم.

ومن ذلك أيضًا ما توعدهم به صالح الْعَلِيْهِ من نزول العذاب بهم بعد ثلاثة أيام، قال الله ﷻ: M K L M N O P Q S T U V L [هود:٦٥]، فحدد لهم وقت نزول العذاب، وفي ذلك بيان أنَّ الله ﷻ قد جعل موعدًا لهلاك الأمم، لا يستقدمون عنه ساعة ولا يستأخرون؛ وفيه أيضًا بثٌ للرعب في نفوسهم، فماذا سيكون حالهم وهم ينتظرون نزول العذاب بهم بعد ثلاثة أيام وهم يرون علاماته؟

أما نزول العذاب بقوم ثمود، ذلك الحدث الجلل الذي فيه عبرة وموعظة لمن ألقى السمع وهو شهيد، فقد ذكر الله ﷻ أنَّه نزل بهم في وقت الصباح، قال ﷻ: M j k l m L [الحجر:٨٣]، وأفاد ذكر وقت نزوله هنا؛ تصديق صالح الْعَلِيْهِ في وعيده لهم، وأنَّ نزوله في ذلك الوقت كان أشد ألما ووقعًا عليهم.

ومن الأحداث في القصة ما يتجاوز الزمن الدنيوي إلى عالم الآخرة، ففي القصة الواردة في سورة إبراهيم تنقلنا الآيات من أحداث الدنيا إلى أحداث الآخرة وما يلاقيه الجبار العنيد من عذاب في جهنم جزاء تجبره وعناده، قال الله ﷻ: M s t u v w x y z { | } ~ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ © ´ L [إبراهيم:١٥-١٧].

وهكذا رأينا كيف أنَّ عنصر الزمان في قصة صالح الْعَلِيْهِ يُذكر ويُنص عليه؛ لما يضيفه من فائدة مؤثرة في سير الحدث.

وكذلك عنصر المكان فإنَّه يُذكر إذا كان له تأثير في الحدث، ففي سورة الحجر نجد أنَّ الله ﷻ نسب ثمود إلى مكان عيشهم، قال ﷻ: M W X Y Z [\ L [الحجر:٨٠]، وفي ذلك تذكيرٌ لقريش بقربهم منهم، وتنبيه على أنَّه ينبغي لهم أنْ يعتبروا ويتعظوا بما حل بهم؛ لأنهم يعرفون ديارهم ويمرون بها في رحلاتهم التجارية.

وفي موعظة صالح ﷺ لقومه وتذكيرهم بآلاء الله ﷻ عليهم قال لهم فيمـــا حكـــى الله ﷻ عنه: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 L [الأعراف:٧٤]، فذكر مكان اتخاذ القصور ومكان نحت البيـــوت، لأنهما جزء من الأرض التي بوأها الله لهم، ولما في طبيعتها من تأثير على ذلك، فلـــولا أنَّ الله جعلها سهلة لما استطاعوا أنْ يتخذوا منا القصور، ولولا أنَّ الله منحهم القوة لما استطاعوا أنْ ينحتوا الجبال، ففي ذكر المكان إبراز لتلك المعاني.

ومن الأحداث التي كان لذكر المكان فيها دلالة خاصة، ما جاء في قول الله ﷻ على لسان صالح ﷺ وهو يحذر قومه من التعرض للناقة بســـوء: M**فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ** L [الأعراف:٧٣، هـــود:٦٤]، ففي ذكر المكان هنا تأكيد على مطلق حريتها، فهي تأكل مـــن أي أرض شاءت، وليس لهم أنْ يمنعوها.

وكذلك ورد ذكر (الأرض) في آيات أخرى، من ذلك ما جاء في قوله ﷻ على لسان صالح ﷺ: M y z { | } ~ **يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ** L [الشـــعراء:١٥١-١٥٢]، وقوله ﷻ: M M N O P Q R S T U V W L [النمل:٤٨]، ففي ذكر (الأرض) إشارة إلى عظم إفسادهم واتساعه وانتشاره، وكأنَّه قد عَمَّ الأرض، فكـــان لذكر المكان دور في إبراز إفسادهم.

كما نجد في آية النمل ذكرًا آخر للمكان وهو (المدينة) في قـــول الله ﷻ: M M N O L [النمل:٤٨]، وذلك لبيان أنَّ هؤلاء الرهط قريبون من قوم ثمود، ومعروفون بينـــهم، وأنَّ الفساد قد ضرب بأطنابه في هذه المدينة التي اجتمع فيها تسعة رهط يفســـدون فيهـــا إفسادًا لا يخالطه إصلاح.

وفي قول الله ﷻ عن ثمود بعد هلاكهـــم: M n o p q r s L [الأعراف:٧٨]، وقوله ﷻ: M l m n o p q r s L [هـــود:٦٧]، كان لذكر (الدار) و (الديار) دور في رسم صورهم بعد هلاكهم وهم جثـــوم في بلـــدهم ومنازلهم لا حراك بهم، مما يجعل لتلك الصورة تأثيرًا أعمق في النفس.

ومن ذلك أيضًا؛ الإشارة إلى بيوتهم بعد تـــدميرها، قـــال الله ﷻ: M y z { | } إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ L [النمل:٥٢]، فالإشارة إلى المكان يبعث شعورًا بالرهبة مما أصابهم من التدمير، إذ لم يبق فيه سوى بيوت خالية متهدمة ساقطة، فقد استأصلهم العذاب و لم يبق لهم أثر يذكر.

ومن خلال ما ورد من أمثلة وشواهد على ربط الحدث بالزمان والمكان يتأكد لنا مـــا ذُكِر آنفًا من أنَّ القصة في القرآن الكريم تَذْكُرُهُما أو أحدَهما لما في ذلك من أثر على ســـير الحدث أو إبراز لملامحه.

المبحث الثالث

الشخصيات

الشخصيات من أهم العناصر الفنية في القصة، فمنها تصدر الأحداث فتؤثر فيها وتتأثر بها، وبينها يكون الحوار، وتتفاعل فيما بينها، فتملأ القصة حركة وحيوية، وتسير بها نحو النمو والاكتمال.

وفي قصص القرآن الكريم نجد أنَّ للشخصية إلى جانب الوظيفة الفنية وظيفةً أخرى موضوعيةً؛ فهي تُستَخدم في القصة كوعاء للمعاني والأفكار التي تسعى القصة إلى تصويرها وتجسيدها أمام السامع أو القارئ، وذلك يثري قضية التعبير عن القيم المعنوية في القصة؛ من خير وشر وكفر وإيمان، فهي تمثل نماذج بشرية في طباعها واتجاهاتها وعواقبها(١).

ولذا نجد القصة في القرآن لا تُعنى برسم السمات الشكلية للشخصية وإبراز ملامحها الخارجية؛ لأنَّ ذلك لا يخدم الغرض الديني للقصة، وإنما تُعنى بالكشف عن صفاتها الداخلية، ودوافعها، وانفعالاتها، وسلوكها؛ ليتمثل لنا نموذجًا إنسانيًّا نتأسى به أو ننفر منه(٢).

وقصة صالح عليه السلام تعرض علينا نموذجين من الشخصيات الإنسانية وما دار بينها من صراع؛ نموذج مؤمن موحد يتمثل في صالح عليه السلام والذين آمنوا معه، ونموذج كافر مشرك يتمثل في قومه المكذبين المستكبرين، ثم تعرض علينا مصير كل فريق وما آل إليه أمره.

١ - أنواع الشخصيات:

تتنوع الشخصيات في قصة صالح عليه السلام من حيث ذاتها وطبيعتها، وتتفق من حيث وصفها وتكوينها:

١ - من حيث ذاتها وطبيعتها تنقسم إلى نوعين:

أ- **شخصيات بشرية**: ويمكن حصرها في الشخصيات الآتية:

(١) ينظر: القصص في الحديث النبوي: ٢٩٥، قصص القرآن الكريم في منطوقه ومفهومه: ٤١.

(٢) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٣٦٠.

١ - صـــالح عليه السلام :

وهو أبرز الشخصيات وأهمها على الاطلاق في القصة، وكثيرًا ما يُذكر باسمه صراحة، فقد ذُكِر في ثمانية مواضع، وتعيينه باسمه من قِبَل الله عز وجل في القصة فيــه إظهــار لفضــله وكرامته إذ خصه الله عز وجل بالرسالة[١]، كما أنَّ ذلك أدعى إلى الاقتداء بما يصدر عنــه مــن مواقف؛ باعتبار أنَّ إسناد موقف إلى شخصية نبوية معروفة يُعطي أهمية للموقفِ، والــرأيِ الذي تبناه؛ فيكون المتلقي أكثر إقبالاً وتقبلاً لما يصدر منه، وأكثر إيمانًا به ومحبــة لــه، وفي ذلك أيضًا تعريف به وتزويد لنا بمعلومات عن شخصيته الكريمة، فهو رسول يتلقى الــوحي من الله عز وجل، ولذكر اسمه أثر في الاقتداء به عليه السلام[٢].

وقد يكون ذكر اسمه في حكاية لقول المكذبين كما جاء في سورة الأعراف وهــود؛ ومقصدهم من ذلك السخرية والاستنقاص والتحدي، فيكون في ذلك إشارة لما كان يلقــاه منهم من أذى وكيف صبر عليهم، وهذه كلها جوانب اقتداء تُبَيِّن أثر ذكر الاسم من هذه الناحية.

وقد لا يأتي اسم صالح عليه السلام صريحًا، بل يوصف بأنَّه (رسول الله) كمــا في ســورة المؤمنون والشمس، وفي ذكر الوصف دون الاسم عنايةٌ بالحدث والموقــف، ففــي ســورة المؤمنون كان التركيز في القصة على موقفِ الكافرين المترفين تجاه الرسالة، وحججِهــم في إنكارها، وفي سورة الشمس كان الاهتمام بتكذيب ثمود وعقرهم الناقة ثم إهلاكهم، كمــا أنَّ ذِكْر الوصف يدل على ما كان ينبغي عليهم تجاهه من الطاعة والاتباع.

وأيضًا قد لا يُعَيَّن صالح عليه السلام باسمه؛ لأنَّ القصة تتحدث عن مجموعِ الرسلِ كمــا في سورة إبراهيم، فقد عُبِّر عنهم بالرسالة، وهو داخل ضمنهم.

٢ - عــاقر الناقــة:

ولم يذكر اسمه، بل وُصف بــ(صاحبهم) و (أشقاها)؛ لأنَّ ذِكر اسمه لا يتعلــق بــه فائدة؛ بل الفائدة في الوقوف على عمله ونتائجه، وما يشتمل عليه كيانه من قوى، وما لهذه

---

(١) ينظر: خصائص القصة الإسلامية: ٧٦.

(٢) ينظر: القصص في الحديث النبوي: ٢٥٣.

القوى من أثر في مجرى الحدث الذي تعرضه القصة[١]، وكذلك لِدلالة كلٍّ وصفٍ على معنى مُعَيَّن؛ فوصفه بـ(صاحبهم) يدل على أنَّه معروف لديهم بالجرأة وتعاطي الأمور العظيمة، ووصفه بأنَّه أشقى قبيلة ثمود؛ لما ترتب على فعله من شقائه وشقاء قومه.

٣- الجماعات والجماهير:

ويقصد بها الشخصيات التي تُذكر في القصة بصيغة الجمع أو ما في معناه. وهي تشكل فئة ذات شخصية خاصة[٢]، وهم الذين آمنوا والمستضعفون وثمود وأصحاب الحجر، ومنهم الذين استكبروا والذين كفروا والذين ظلموا والتسعة الرهط.

وهذه المجموعات قد يُذكرون منسوبين إلى مكانهم؛ للتذكير وتحريك بواعث العظة والعبرة بهم مثل (أصحاب الحجر)، وقد تُذكر بوصف مُعَيَّن؛ لأنَّ العناية والاهتمام بعملها، وما تتبناه من آراء، وما تلتزمه من مواقف، أو لشيء آخر يضاف إلى ذلك؛ كمدحها وبيان سبب نجاتها من العذاب حين توصف بالإيمان في (الذين آمنوا)، أو لأنَّ في ذكر وصفها تثبيتًا للمؤمنين المغلوبين على أمرهم في كل زمان، مثل وصف بعض من آمن بصالح عليه السلام بـ(الذين استضعفوا)، أو لذمهم وبيان سبب تكذيبهم أو هلاكهم مثل (الذين كفروا) و(الذين استكبروا) و (الذين ظلموا)، وقد يكون السبب بيان عددهم وأنهم مجموعة متآمرة مثل (تسعة رهط).

فالقصة في القرآن الكريم ليست رواية تاريخية لابد لها من السرد الكامل، والتحديد الواضح للأشخاص بالأسماء، وإنما هي قصة ذات هدف، تأخذ من حقائق الأحداث الجانب الذي يحقق لها الغاية، ويصل بها إلى الغرض، فإنْ كان ذلك يتحقق من خلال التعرف على اسم الشخص ذُكر اسمه كما ذكر صالح عليه السلام باسمه، وإنْ كان يتحقق من خلال التعرف على سجاياه وصفاته عُرِّف بها وترك ما عدا ذلك كما ذُكِرت بقية الشخصيات[٣].

(١) ينظر: قصص القرآن الكريم في منطوقه ومفهومه: ١٠٠.

(٢) ينظر: القصص في الحديث النبوي: ٢٧٥.

(٣) ينظر: روائع الإعجاز القصصي في القرآن: ٧٠.

ب- شخصيات غير بشرية:

وتتمثل في الناقة التي أخرجها الله ﷻ آية لصالح عليه السلام، وقد جاءت تسميتها بـ(ناقة الله)؛ لتشريفها وبيان مكانتها، و(ناقةٌ) بالتنكير؛ لتعظيم أمرها وحالها. وهذه الشخصية وإن كانت غير بشرية إلا أنَّ لها دورًا في الأحداث، فقد ساهمت في تغيير وجهتها، وكانت سببًا في نزول العذاب على ثمود حين اعتدوا عليها.

٢- نوع الشخصية من حيث تكوينها:

الشخصيات في قصة صالح عليه السلام هي شخصيات ذات جانب واحد، تختاره القصة وتركز عليه، وهو الجانب المهم في الشخصية[١]، الذي يتعلق بالغرض الديني لها.

فصالح عليه السلام كان التركيز على شخصيته من جانب الرسالة والقيام بأعبائها وما يلحق ذلك من تفاصيل، وعند الحديث عن شخصيات المؤمنين والمستضعفين كان التركيز على جانب الثبات على العقيدة في مواجهة المستكبرين، ومع الكفار والمكذبين كان التركيز على جانب تكذيبهم وأسبابه ومظاهره، وعلى ذلك سارت الشخصيات في جميع المواضع فلا نرى تَغَيُّرًا لها في المواقف والأفكار، وذلك راجع إلى أنها تمثل نماذج إنسانية للإيمان والكفر، والخير والشر.

٢- رسم الشخصيات وحيويتها في القصة:

أ- التعرف على سمات الشخصيات:

قصة صالح عليه السلام كبقية القصص القرآني تصور الشخصية من الجانب الذي يحقق الغرض الديني، وذلك برسم سماتها الشخصية ودوافعها وانفعالاتها وسلوكها من خلال الوصف، أو الأحداث، أو الحوار[٢]، بطريق مباشر أو غير مباشر.

---

(١) ينظر: السرد القصصي في القرآن الكريم: ٥٥.

(٢) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٣٦٠، الإعجاز القصصي في القرآن: ٩٢.

فمن الوصف المباشر قـــول الله ﷻ: U T S R Q P O N M M V L [النمل:٤٨]، وقوله ﷻ: M< = > ? @ A B C D E F L [الأعراف:٧٥].

وقد ترسم القصة لنا سمات شخصياتها بطريق غير مباشر؛ بالحوار أو بالأحداث، وتترك لنا التعرف عليها، والكشف عن أخلاقها ومزاجها وطريقة تفكيرها وما يدور في خواطرها(١). ومثال ذلك في الحوار قول الله ﷻ: M U V W X Y Z [\ ] L [الأعراف:٧٦]، فهذا الجزء من الحوار يكشف لنا جانبًا من جوانب شخصية المستكبرين؛ وهو البغي والعناد والمخالفة للمؤمنين.

ومن الأحداث التي كشفت لنا جانبًا من جوانب الشخصية؛ عقر الناقة، فقد كَوَّنَ هذا الحدث صورة عن عاقرها ومدى كفره وتجبره وجرأته.

كما أنَّ الشخصيات في قصة صالح عليه السلام تُعرض عرضًا دقيقًا محكمًا يُعرِب عن حقيقتها إعرابًا تامًا، ويوضح ملامحها بكل يسر وسهولة، بعيدًا عن الجانب الخيالي والإيحائي والرمزي الذي نراه في القصص البشري(٢).

ب- ارتباط الشخصيات وتفاعلها:

لكل شخصية من الشخصيات في قصة صالح عليه السلام دور بارز فيها وهي تتفاعل تفاعلاً تامًّا مع سائر الشخصيات الأخرى، فتحس أنَّ هناك سلكًا منتظمًا يجمع هذه الشخصيات، وهو الشخصية الرئيسة المتمثلة في صالح عليه السلام التي ترتبط بجميع الشخصيات ارتباطًا وثيقًا وحولها يكون الثقل(٣).

فإننا نجد حوارات دارت بين صالح عليه السلام وقومه، وحوارات بين المكذبين أنفسهم، وأيضًا بين المستكبرين والمستضعفين من المؤمنين. والناقة وهي إحدى شخصيات القصة جاءت آيةً على صدق صالح عليه السلام وفتنةً لقوم ثمود، ثم صالح عليه السلام يحذر قومه من التعرض لها

(١) ينظر: الإعجاز القصصي في القرآن: ٩٢.

(٢) ينظر: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم: ١٢٦.

(٣) ينظر: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم: ١٢٨.

بسوء، وثمود تتقاسم الماء وتتناوب معها عليه، ثم يعقرونها. وهناك التسعة الرهط الذين يخططون لقتل صالح عليه السلام وأهله، ولكن الله عز وجل ينجيه ومن آمن معه ويعذب الظالمين.

أحداث وحوارات تتفاعل فيها كافة الشخصيات حول موضوع القصة الرئيس الذي هو التوحيد ورسالة صالح عليه السلام، فكل شخصية لها مشاركة ودور في الأحداث والمواقف، والصراعُ دائر بينها من بداية القصة إلى نهايتها على حسب ورودها في كل موضع، في ترابط وثيق بعضه متصل ببعض، وذلك ولا شك أكسب الشخصيات حركةً وحيوية.

وأيضًا مما يضفي على الشخصيات حركة وحيوية أنها لا تقف عند اتجاه معين، بل يتمثل فيها عنصر الاستجابة لما حولها من ظروف وملابسات تحيط بها(١). فصالح عليه السلام - مثلا - بدأ دعوته بالرفق واللين والتودد لقومه، ثم لما كذبوه وعقروا الناقة توعدهم بالعذاب. والمستضعفون من المؤمنين يجابهون المستكبرين واثقين بربهم مستمسكين بعقيدتهم. والمكذبون انتقلوا من التكذيب بالقول إلى الفعل، فآذوا صالحًا عليه السلام، وأرادوا طمس الآية التي جاء بها؛ فعقروا الناقة، ومكروا لقتل صالح عليه السلام انتقامًا منه لأنَّه هددهم بنزول العذاب.

وهكذا تستجيب الشخصيات لتطور الأحداث وتناميها، فيشعر القارئ والمستمع أنَّه يراها ويتفاعل معها لما فيها من حركة وحيوية.

٣- تحليل الشخصيات وسماتها:

ومن خلال رسم القرآن الكريم للشخصيات عن طريق الوصف والحوار والأحداث سنذكر أهم سمات شخصيات القصة، لنلقي الضوء على دقة القرآن الكريم في تصويرها والكشف عنها.

١- صالح عليه السلام:

تمتاز شخصية صالح عليه السلام أنها من الشخصيات التي تمثل الكمال الإنساني لأنَّ رسل الله عز وجل هم صفوة الخلق وأفضلهم، قال الله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ [الأعراف:٧٣، هود:٦١]، واختيار الله عز وجل لصالح عليه السلام يدل على أنَّه يملك صفاتٍ تمكنه من القيام بأعباء

(١) ينظر: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم: ١٣١.

الدعوة وتحمل المسؤولية العظيمة الملقاة على كاهلة، وأنَّه ذو همة عالية تؤهله لذلك، وهذا ما كان منه ؛ فمنذ أنْ أرسله الله وهو يبلغ رسالة ربه بما أوتي من قوة، قال الله :

Mوَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ © قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ¶ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ L الآية [الأعراف:٧٣]، وقال : Mوَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ L [هود:٦١].

ومن صفات صالح التي تتعلق بشخصية أنَّه كان شديد الخوف من الله ، فقد أسخط الناس جميعًا في طاعة الله ورضاه، وقال لقومه فيما حكي الله عنه: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 4 5 6 7 8 L [هود:٦٣].

ومن سمات شخصية صالح التي صورها لنا القصة كمالُ علمه ويقينه بالله ، فقد كان يدعو قومه إلى التوبة والاستغفار وهو موقن بإجابة الله ، قال الله على لسانه: Mفَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ L [هود:٦١].

وكان متواضعًا لله أشد التواضع حيث جعل الرسالة والنبوة مِنَّةً خالصة من الله ، يتضح ذلك من قول الرسل عليهم الصلاة السلام الذي حكاه الله عنهم: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L [إبراهيم:١١](١).

وفي دعائه الله بقوله : Mرَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ L [المؤمنون:٣٩]، يظهر كمال تأدبه مع الله مع هضم نفسه، فقد جعل سبب استنصاره تكذيب قومه وتعديهم على شرائع الله ، وليس إيذاءه والسخرية منه(٢).

ومن وصفات شخصيته أنَّه كان قدوة في دعوته، غيورًا مهتمًّا بتغيير الباطل السائد في قومه من الشرك وغيره، حريصًا على إخراجهم مما هم فيه من ضلال، يدل على ذلك سرعته ومبادرته بدعوتهم استجابة لأمر الله لما أرسله، فبلغهم رسالة ربه في سرعة

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ٣٧/٥.

(٢) ينظر: حاشية القونوي: ١٧٤/١٣.

ونشاط دون تأخير أو تباطؤ، قال الله ﷻ: M﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ L [الأعراف:٧٣، هود:٦١].

ومن صفاته ﷺ الصدق والأمانة، فقد ذكر الله ﷻ عنه أنَّه قال لقومـــه: M J K L M N L [الشعراء:١٤٣]، وكان مخلصًا لله في دعوته، متجردًا في ذلك، لا يريد عرضًـــا من الدنيا، ولاحظًّا من حظوظها، متنزهًا عن مطامعها بالكلية(١)، أعلن لقومه أنَّه لا يرجـــو من وراء دعوته لهم إلا ما عند الله ﷻ، فقال لهـــم: M S T U V W Y Z [\ ] ^ L [الشعراء:١٤٥]، ولما لوَّح له قومه بالرئاسة والسيادة في قول الله ﷻ: M﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ à كُنتَ â فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ﴾ L [هود:٦٢] لم يكترث بثنائهم وإغرائهم ومناصبهم(٢)، بل رد عليهم ردًّا يقطع كل مطمع فيه، ويُبيِّنُ لهم أنَّه لن يتزحزح قيد أنملة عما أمره الله ﷻ به، يُستنبط هذا من قوله لقومه: M - . / 0 1 2 4 5 6 7 8 L [هود:٦٣].

ومن صفاته ﷺ أنَّه معروف لدى قومه بطيب الخصال، وكريم الفعال، ورجاحـــة العقل(٣)، فهو شخصية قيادية فذة، حتى أنَّ قومه كانوا يرجونه لسيادتهم وقيـــادتهم، وقـــد اعترفوا بذلك بأنفسهم، فقد ذكر الله ﷻ أنهم قالوا لصالح ﷺ: M﴿يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَـٰذَآ﴾ L [هود:٦٢].

ومما رسمه القرآن الكريم لنا عن شخصية صالح ﷺ أنَّه فيما يبدو كـــان ينتمـــي إلى جماعة قوية لها مكانة اجتماعية مرموقة، أجبرت المتآمرين على قتله أنْ يأخذوها بالحســـبان؛ فَيُخْفُوا جريمتهم خوفًا منهم(٤)، قال الله ﷻ عن الرهط المفسدين: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f L [النمل:٤٩].

(١) ينظر: روح المعاني: ١٩/١٤٢.

(٢) ينظر: قصص القرآن الكريم: ٢٤٠.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٤٥٤.

(٤) ينظر: الشخصيات القرآنية: ٣٣.

ومن مميزات صالح عليه السلام أنَّه ذو شخصية قوية مؤثرة، أحدثت تغـــييرًا في الواقـــع، وجعلت قومه ينقسمون إلى فريقين يختصمون فيه(١)، قال الله عز وجل: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . L [النمل:٤٥].

وكان عليه السلام ناصحًا لقومه، فقد قال لهم: M { ~ L [الأعراف:٧٩]، ومن نصحه لقومه أنَّه كان رفيقًا بهم، لينًا معهم، يتودد إليهم، ويشعرهم أنَّه قريب منهم، فقد كان كثيرًا ما يفتتح خطابه ودعوته لهم بقوله: M**يَٰقَوۡمِ** L، ويكررها مرارًا مُعْلِنًا لهم أنَّه منهم؛ فهم قومه وعشيرته وهو يحب لهم الخير ويريد لهم النجاة، يرجو بذلك أنْ يســـتميل قلـــوبهم فتنفـــتح مغاليقها لعلهم يتأثرون(٢).

ومن نصحه لقومه أنَّه بالغ في تحذيرهم، نستشف ذلك من قوله لهم وهو يحذرهم من التعرض للناقة كما أخبر الله عز وجل عنه: M**وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾** L [الأعراف:٧٣]، وقوله: M D E F G H I J L [هود:٦٤].

وكان صالح عليه السلام داعية ناجحًا، خبيرًا بأحوال مدعويه، يُنَوِّع لهم الأساليب بحســـب ما يقتضيه المقام، فتارة يرغبهم، كما في قوله الذي حكاه الله عز وجل عنه: M**فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾** L [هود:٦١]. وتارة يرهبهم فيقول لهم: M**وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾** L [الأعــراف:٧٣]، M D E F G H I J L [هــود:٦٤]، M**وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾** L [الشعراء:١٥٦]. وتارة يذكرهم بنعم الله عز وجل عليهم: M ! " # $ %& ' ( ) * + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; L [الأعراف:٧٤].

ومما تتميز به شخصية صالح عليه السلام التَّمَكُنُ من المحاورة، والقدرة على الاقناع بالحجـــة والبرهان والاستدلال بالآيات الظاهرة التي لا ينكرها أحد، فيجعل الخصم يُذعن ويُسَلِّم(٣)، فقد ذَكر الله عز وجل عن الرسل الذين حاوروا أقوامهم وهو من ضمنهم: M**قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ**

(١) ينظر: الشخصيات القرآنية: ٣٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/١٨٨.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٦/٤١٤.

شَكٌّ فَاطِرِ © وَٱلْأَرْضِۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ ´ µ L [إبراهيم:١٠].

وكان عليه السلام عالما بأساليب المناظرة وتبكيت الخصوم وإفحامهم، ففي مناظرة الرسل مع أقوامهم ما يدل على ذلك، قـــال الله عز وجل: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L [إبراهيم:١١]، فقد أوهموهم بالموافقة بادئ الأمر ثم كَـــرُّوا علـــى حجتهم فأبطلوها(١).

ومِن حُسْن جداله عليه السلام أنّه كان يتترل مع خصمه وينصفه، قال الله عز وجل عنـــه: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 4 5 6 7 L [هود:٦٣]، فأتى بحرف الشك (إنْ) مع أنّه عليه السلام كان على يقين من أمره؛ اعتبارًا لحال المخاطبين الجاحدين(٢).

وكان عليه السلام صابرًا مصابرًا قوي العزيمة متوكلاً على ربه في تبليغ رسالته وفي تحمـــل أذى قومه(٣)، قال الله عز وجل عن رسله وهو منـــهم: M K L M N P Q R S T L [إبـــراهيم:١٢]، فقد لقي من قومه أصناف الأذى والسخرية والاحتقار، ولكنه أصبح صابرًا مترقبًا طاعة لأمر الله عز وجل إذ قاله له: M â وَٱصۡطَبِرۡ ﴿٢٧﴾ L [القمر:٢٧]، يلجأ إلى الله عز وجل عند المدلهمات ويناجيه ويستنصر به، قال الله عز وجل عنه: M قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ L [المؤمنون:٣٩]، وقال عز وجل: M s t u v w x L [إبراهيم:١٥].

وإذا أردنا أنْ نُلَخِّص شخصية صالح عليه السلام؛ فيمكن أنْ نقول: إنها شخصـــية تتصـــف ((بصفات النبوة الثابتة؛ يدعو إلى الله عز وجل، ويصطبر على دعوته، وعلى قومه، ولا ييأس مـــن هدايتهم، هذه وظيفته، يؤديها واثقًا بالحق الذي يدعو إليه، مطمئنًا بالله الذي أرسله))(٤).

(١) ينظر: الإيضاح: ١٢٨.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤٨٩، وتفسير أبي السعود: ٤/٢٢١.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥/٣٨، و روح المعاني: ١٣/٢٥٤.

(٤) بلاغة السرد القصصي في القرآن: ٦٨.

٢ - المؤمنون:

تتسم شخصية المؤمنين بصفات الجماعة المسارعة للإيمان، المبادرة للاستجابة لـــدعوة الحق ونداء الفطرة، المتحررة من ربقة التبعية والجمود والتعصب لدين الآباء والأجداد، فمنذ أنْ دعاهم صالح عليه السلام إلى التوحيد آمنوا به واتبعوه، قال الله عز وجل: M ! " # $ % & ' ( ) (* + , - . L [النمل:٤٥].

كما تتميز شخصية المؤمنين بقوة الإيمان، والثقة بالله عز وجل، والثبات علـــى المبـــادئ، والصرامة في دين الله عز وجل[1]، فلا مطمع في تشكيكهم، وأصـــبحوا يجـــاهون المســـتكبرين، ولا يأبهون بتخويفهم وتهديدهم، ولا يكترثون بسخريتهم واستنكارهم، نلمس ذلك كله من خلال هذا الحوار الذي دار بينـــهم وبـــين المســـتكبرين، قـــال الله عز وجل: M < = > ? @ A B C D E F G H I J K L N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] L [الأعراف:٧٥-٧٦]، فلقد أغاظوا المستكبرين بما أظهروه من قوة وثبات علـــى الحـــق وثقـــة بالله عز وجل .

ومن صفاتهم أيضًا تقوى الله عز وجل والخوف منه، فاستحقوا بسبب إيمانهم وتقواهم رحمة الله عز وجل لهم، فنجاهم الله عز وجل مع صالح عليه السلام، وأصبحوا مثلاً يضرب للمؤمن القوي المـــوقن بنصر الله عز وجل له، قال الله عز وجل: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j k L [هود:٦٦]، وقال عز وجل: M وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ © وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ L [النمل:٥٣].

لقد كان في شخصية المؤمنين نموذجٌ للفئة المؤمنة الصابرة التي لا يزعزعها الإرهـــاب والتهديد، بل يزيد إيمانها قوة، وعقيدتها رسوخًا، ومبادئها ثباتًا.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٧٢٠.

٣- قـــوم ثمـــود:

لقد رسم القرآن لنا صورة عن شخصية قوم ثمود؛ مرة على وجه العموم، ومرة لطبقة معينة منهم وهم الملأ والوجهاء والرؤساء، وسوف يكون الحديث عنهم بشكل عام لأنهـــم يمثلون نموذجًا واحدًا؛ نموذج الكفر والطغيان في الطبيعة البشرية.

فأول صفة تقابلنا عنهم هي صفة التكذيب، فقد كذبوا صالحًا ﷺ وبما جاء به من الآيات والنذر، قال الله ﷻ عنهم: M < ? @ A L [الشعراء:١٤١]، وقـــال ﷻ : M كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ L [القمـــر:٢٣]، وقـــال ﷻ: M W X Y Z [\ L [الحجر:٨٠]. ومن صفاقم الكفـــر والطغيـــان، قـــال الله ﷻ: M z { | } ~ L [هود:٦٨]، وقال ﷻ : M J K L M L [الشمس:١١] .

ومن سمات شخصيتهم المكر والغدر والكذب، فقد عزموا على قتل صالح ﷺ وأهله غيلة ثم إنكار الجريمة، قال الله ﷻ: M M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f L [النمل:٤٨-٤٩].

ولقد أطلعنا القرآن على أسباب تكذيب ثمود وكفرهم وطغيانهم؛ إنها أســـباب تـــدل على نقص في العقول، وغشاوة على القلب، وعمى في البصيرة؛ فمن تلك الأســـباب؛ أنَّ شخصيتهم تتصف بتعظيم الآباء والأسلاف، والتعصب المقيت لما ورثوه عنهم، وتقليدهم في طريقتهم الضالة(١)، ولو كان ذلك على حساب مخالفة الفطرة وتعطيل العقول، قال الله ﷻ حاكيًا مقالتهم لصالح ﷺ: M أَتَنْهَـٰنَآ ç è é ê ë L [هود:٦٢]، وهذا من أهم أسباب كفرهم.

فلما أغلقوا قلوبهم وعطلوا عقولهم امتلأت بالشبهات الواهية، فكـــان مـــن أســـباب كفرهم أيضًا شبهةٌ كان يرددها الكفار من قبلهم، فقد حكى الله ﷻ عنهم قولهم: M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٨/١٨.

أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ L [المؤمنون:٣٣-٣٥]، وقال ﷻ: M فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ L [القمر:٢٤]، فالرسول على حسب تفكيرهم لا يمكن أنْ يكون بشرًا، بل لا بد أنْ يكون ملكًا؛ ((فالكافرون لا يدركون رقي الإنسان وأهليته لخطاب الحق، والتلقي عنه))(١).

ومن صفاهم التي دعتهم إلى الكفر الحسدُ(٢)، فقد ذكر الله ﷻ عنهم أهم قالوا: M أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ L [القمر:٢٥]، فحسدوا صالحًا عليه السلام على ما تفضل الله ﷻ به عليه وأكرمه به من الرسالة والنبوة، وحقَّروا شأنه، فكيف يُوحى إليه وفيهم من هو أحق منه؟ وذلك بحسب مدارك عقولهم الجاهلة التي تقيس الأمور بمقاييس أفهامهم القاصرة، فتنظر إلى الماديات ولا تدرك ما وراء ذلك(٣).

ومن صفات شخصية قوم ثمود الجبروتُ والتعاظمُ الشديد بالتكبر والعناد والإعراض عن الحجة، فقد وصفهم الله ﷻ بذلك فقال: M s t u v w x L [إبراهيم:١٥]، وقال عنهم: M] ^ _ ` a b L [الحجر:٨١]. فَمِن شدة عتوهم واستكبارهم عن أمر الله ﷻ، أنهم استخفوا بآياته، فعقروا الناقة، ثم تحدوا صالحًا عليه السلام أنْ يأتيهم بالعذاب، قال الله ﷻ: M ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m L [الأعراف:٧٧].

ومن سمات شخصية قوم ثمود التَّقَلُّبُ واتباعُ الهوى، قال الله ﷻ: M قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ à كُنتَ فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ L [هود:٦٢]، فقد كان قبل أنْ يدعوهم إلى الله ﷻ ممن يرجى له السيادة والمكانة، ولكنهم بعد ذلك اتهموه بالكذب فقالوا: M بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ L [القمر:٢٥]؛ وذلك لأنهم كانوا لخفة عقولهم وقلة فهمهم لا يحبون من ينصح لهم؛ لأنَّه يخالف هواهم، فكانوا كما قال صالح عليه السلام: M وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ L [الأعراف:٧٩].

ومما دعاهم إلى الكفر والاستكبار وإنكار البعث الترفُ في الدنيا، والانغماسُ في حبها، وشدةُ النظر إليها والكسبُ منها، والولعُ بالشهوات واللذاتِ الحسية(٤)؛ وذلك لأنَّ ((ثروتهم

(١) دلالات التراكيب: ١٢١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١٧٩٣.

(٣) ينظر:التحرير والتنوير: ١٩٧/٢٧.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١٠٧٩، والتفسير الكبير: ٩٧/٢٣

ونعيمهم تغريهم بالكبر والصلف؛ إذ أَلِفوا أنْ يكونوا سادة لا تبعًا))(١)، قال الله ﷻ : M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e L [المؤمنون:٣٣].

ومن صفاتهم الكفر بالنعمة وعدم شكرها، ولذا قال لهم صالح ﷺ فيما حكى الله ﷻ عنه: M ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ L [الشعراء:١٤٦-١٥٢]، ((إنهم ليعيشون هذا المتاع الذي يصوره لهم أخوهم صالح ﷺ ولكنهم يعيشون في غفلة عنه؛ لا يفكرون فيمن وهبهم إياه، ولا يتدبرون منشأه ومأتاه، ولا يشكرون المنعم الذي أعطاهم هذا النعيم))(٢). وقال الله ﷻ على لسان صالح ﷺ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; L [الأعراف:٧٤]، فقد مَنَّ الله ﷻ عليهم بالقوة التي تمكنهم من نحت الجبال وعمارة الأرض، ولكنهم كفروا نعمة الله ﷻ، وكانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فهم ما بَيْنَ مُفسد أو مُطيع له، فقال لهم صالح ﷺ كما ذكر الله ﷻ : M y z { | } ~ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ L [الشعراء:١٥١-١٥٢].

ومن سمات شخصية قوم ثمود أنهم مجتمع طبقي، فيه فئة سماهم القرآن الكريم بـ (الملأ)، لها مكانة ليست كغيرهم من السيادة والعظمة، فاستكبروا عن اتباع الحق خوفًا على مكانتهم الاجتماعية وأنْ يُطاح بزعامتهم، ولم يترلوا عن السلطان الذي في أيديهم فيسمعوا لواحد منهم، كانوا يحسون أنَّ الألوهية الواحدة والربوبية الشاملة تعني أول ما تعني نزع السلطان من أيديهم(٣). كما أنَّ استكبارهم ذلك حملهم على مخالفة المستضعفين من المؤمنين، قال الله ﷻ عنهم: M U V W X Y Z [\ ] L [الأعراف:٧٦].

(١) التحرير والتنوير: ٥٢/١٨.

(٢) في ظلال القرآن: ٢٦١١/٥.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ١٣٠٦/٣.

ومن صفات شخصيتهم ضعف الحجة، فهم لا يقدرون على مجابهة صالح عليه السلام بالدليل والبرهان، وإنما يراوغون بطلب الآيات مكابرة وعنادًا وتعجيزًا، قال الله عز وجل عن مكذبي الأمم ومنهم ثمود أنهم قالوا لرسلهم لما أُفْحِمُوا وانقطعت حجتهم وتهافتت شبهتهم: M فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ L [إبراهيم:١٠].

ومن صفاتهم التشاؤم والتطير بصالح عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فإنهم لما أصابهم القحط والمصائب M = > ? @ A L [النمل:٤٧]، ((وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة، فإنَّ الشدائد ترقق القلوب، وتذلل العرائك، إذ لم يؤثر فيهم مشاهدة الآيات، بل زادوا عندها عتوًّا وانهماكًا، فجعلوا الخير المحض شرًّا، وسببًا لإصابة الشر))(١).

ومن صفاتهم أيضًا انتكاسُ فطرتهم وانقلابُ المفاهيم لديهم، فمِنْ فَرْطِ ضلالهم عَدُّوا الهدى ضلالاً، والانحراف استقامة، وذلك في قولهم الذي حكاه الله عز وجل عنهم: M s t u v w x y z L [المؤمنون:٣٤]، ((انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم إلى سعادة الدارين خسرانًا دون عبادة الأصنام التي لا خسران وراءها، قاتلهم الله أنى يؤفكون!))(٢)، ومن ذلك أيضًا قولهم: M أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ L [القمر:٢٤].

ومن صفات شخصية قوم ثمود محاربةُ الدعوة، والعمل على إسكات صوت الحق بالإغراء تارة وبالإرهاب تارة أخرى، فقد حاولوا - بزعمهم - استمالة صالح عليه السلام وإغراءه، فلوحوا له بالرئاسة والسيادة كي يتنازل عن دعوته، قال الله عز وجل: M قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ L [هود:٦٢]، فلما رأوا أنَّ ذلك لا يجدي نفعًا؛ تحولوا إلى الإيذاء والقمع والتهديد، فكان رد صالح عليه السلام عليهم كما حكى الله عز وجل عن الرسل عليهم الصلاة السلام: M K L M N L [إبراهيم:١٢]، فلما رأوا أنَّ ذلك أيضًا لا يجدي شيئًا، بل يزيد صالحًا عليه السلام قوة وصلابة وتوكلاً على الله عز وجل هددوا وتوعدوا، قال الله عز وجل: M U V W X Y Z [\ ] ^ _ L [إبراهيم:١٣].

(١) حاشية القونوي: ١٤/٤٠٦.

(٢) تفسير أبي السعود: ٦/١٣٣.

ومن مجاهتهم للدعوة ومحاربتهم لها أنهم كـــانوا يـــؤذون صـــالحًا ‌عليه السلام بالاســـتهزاء والسخرية، مثل قولهم: M f g h i j k l m n o p q L[المؤمنون:٣٣]، ويجترئون عليه ويلصقون به التهم، فقالوا عنه: Mبَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ L [القمر:٢٥]، وقـــالوا: M إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا L [المؤمنـــون:٣٨]، ورموه ‌عليه السلام بالسحر كذبًا وبهتانًا فقالوا: M إِنَّمَا أَنتَ ©الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ L [الشعراء:١٥٣].

كما حاولوا أنْ يصدوا الذين آمنوا عن الإيمان، وأخذوا يخوفونهم، ويسخرون منـــهم، ويستهزئون بهم، قال الله ‌عز وجل: M < = > ? @ A B C D E F G H I J K L N O P Q R S T L [الأعراف:٧٥].

فلما فشلت كل محاولاتهم تلك لثني صالح ‌عليه السلام عن دعوته والمؤمنين عن دينهم؛ عزموا على النكاية والإغاظة لصالح ومن آمن معه بالاعتداء على الناقة وعقرهـــا، ومقصـــدهم أنْ يزيلوا آية صالح ‌عليه السلام لئلا يزيد عدد المؤمنين به؛ لأنَّ مشاهدة آية نبوءته سالمة بينهم يثير في نفوس كثير منهم الاستدلال على صدقه ‌عليه السلام(١).

ولقد كان قوم ثمود من أجهل الناس بالله وحكمته، فإنهم يحسبون أنَّ تصريف الله ‌عز وجل كتصرفات الخلق، فإذا أرسل رسولاً ولم يصدقه المرسَلُ إليهم؛ غضب الله ‌عز وجل وانـــدفع إلى إنزال العقاب إليهم، ولا يعلمون أنَّ الله ‌عز وجل يمهل الظالمين ثم يأخذهم متى شـــاء(٢)، قـــال الله ‌عز وجل عنهم: M ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m L [الأعراف:٧٧].

هؤلاء هم قوم ثمود، لقد رسم القرآن الكريم شخصيتهم بكل دقة، وكشف لنا ما فيها من خصال ذميمة، وعرضها علينا عرضًا جعلنا نطلع عليها وحقيقتها؛ لتكون نموذجًا بشريًّا للكفر والشر ننفر منه ونعتبر به.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/٢٢٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ق٢/٢٢٦.

٤ - عاقر الناقة:

أما عاقر الناقة فشخصيته تَنِمُّ عن رجل شديد الكفر والعتوِّ، فقد كان معروفًا بين قومه بالجرأة وقلة المبالاة(١)، متعاطيًا للأمور العظيمة التي يتدافعها الناس، ولذلك انتـدبوه لعقـر الناقة، وأغروه بذلك، فباشر فعل الجريمة بنفسه، قال الله ﷻ: M + , - . / L [القمر:٢٩]، فاستحق بذلك وصف القرآن له بأنَّه (أشقاها)، قـال الله ﷻ: M N O P Q L [الشمس:١٢]، كما أنَّه أقدم على عقر الناقة بكل حرص ونشاط(٢)، مما يـدل علـى غروره وطيشه وعدم مبالاته بعواقب الأمور، فقد اعتدى على ناقة الله وآية من آياته، فكان سببًا مباشرًا في هلاكه وهلاك قومه.

٥ - النـاقة:

تمثل الناقة آية من آيات الله ﷻ التي أيَّد بها صالحًا ﷺ، أرسلها الله ﷻ فتنة واختبارًا لقوم ثمود، قال الله ﷻ: M إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ à لَّهُمۡ â وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧ L [القمر:٢٧]. وكانت ناقة غير عادية، لها صفات تخصها، فقد شرفها الله ﷻ بإضافتها لاسمه، وخلقت بغير واسـطه، ولا مالك لها سوى الله ﷻ(٣)، وكانت حرة؛ تأكل من أرض الله ﷻ، وتشرب من الماء في يومها ثم تدر لهم لبنًا(٤).

ومما يبين عظمتها ومكانتها أنَّ صالحًا ﷺ هدد قومه وحذرهم من التعرض لها بسوء، ورتب نزول العذاب على الاعتداء عليها. ولأنها آية عظيمة وفيها دلائـل علـى صـدق صالح ﷺ حرص المكذبون على القضاء عليها فعقروها، فكان ذلك موجبًا لهلاكهم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠١/٢٧.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١٩٨٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٦٣/١٤.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٤٣/٢٢.

المبحث الرابع

الحوار

يُقصد بالحوار ((ما يدور من حديث بين الشخصيات في القصة))(١)، وللحـــوار أهميـــة كبيرة في بناء القصة عمومًا وفي بناء القصة القرآنية، إذ هو قسيم السرد في عرض أحداثها، فهو يحرك الأحداث ويبعث فيها نوعًا من الحركة والحياة، ويجعل المتلقي يعيش في الحـــدث الواقع، ويصور الشخصيات فكأننا نراها ونسمعها بكل ما تحمله كلماتهـــا مـــن مشـــاعر وانفعالات، وهو كذلك مُوصِل إلى الصراع، ومُؤَدٍ إلى الهدف، ومُظْهر للمغزى(٢).

والقصص القرآني يغلب عليه أسلوب الحوار، خاصة بعد أنْ تقدمت الـــدعوة، فـــإنَّ الملاحظ أنَّ ما نزل من القصص في بداية الدعوة كان غالبًا ما يمتـــاز بالإيجـــاز في عـــرض الحدث، ثم لما تطورت الدعوة ودخل الناس في دين الله ﷻ واحتدم الخصام واشتد صـــراع المكذبين مع رسول الله ﷺ برز فيها عنصر الحوار، وأصبحت أكثر طولًا؛ لما يحمله الحوار من دفاع عن الدعوة، وإثارة للتفكير والتأمل والتروية فيما جرى على الأمم من قبل(٣).

ورواية الحوار في القصص القرآني على لسان شخصياته عبر لفظة (قال) أو (قالوا) أو نحو ذلك دليلٌ وعلامةٌ على الصدق الذي لا يلتبس به تمويه، أو يدخل عليه لون من ألـــوان الخداع والتخييل الذي لا يليق بمقام القرآن الكريم(٤).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ القرآن حين ينقل أقوال الشخصيات المحكـــي عنـــها فإنَّـــه يتصرف في حكايتها فيصوغها على ما يقتضيه أسلوب إعجازه لا على الصيغة التي صدرت فيها؛ لأنَّ الذي يجب اعتباره في نقل الكلام إنما هو أصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيـــده، وأما كيفية إفادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل، ولا يقدح في أصل الكلام تجريده من ألفاظه، بل قد يرُاعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المـــتكلم أصـــلًا، فجميـــع المقالات المنقولة في القرآن الكريم إنما تُحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها

(١) أسس بناء القصة في القرآن الكريم: ٢١١.

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ٣٦، والتعبير الفني في القرآن: ٢٢١.

(٣) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٩١،٩٢.

(٤) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ٨٠.

من تكلم بها حتمًا؛ وإلا لأمكن صدور الكلام المعجز عن البشر، وذلك بلا شك لا ينـــافي الصدق المطلق في قصص القرآن الكريم(١).

والحوار في قصة صالح عليه السلام له أنواع وسمات وأساليب مختلفة سنتناولها فيما يلي:

أولًا: المتحاورون في القصة:

تتعدد الشخصيات - كما سبق بيانه - في قصة صالح عليه السلام، وحيث إنَّ الحوار هو ما يدور بين شخصيات القصة من حديث؛ فإنَّ القارئ يدرك ولا شك أنَّ الحوار أقيم في هذه القصة بين شخصياتها المختلفة، واتسم كل حوار بين طرفين بسمات تتـــواءم مـــع طبيعـــة الشخصيات المتحاورة. ولعلنا نقف مع كل منها فيما يلي:

١ - حـــوار بين صالح عليه السلام وغيره:

ومن هذا النوع من الحوار ما هو دعاء وتضرع ومناجاة من صـــالح عليه السلام لربـــه عز وجل، وهو مشحون بالعواطف الروحية المتدفقة رغم قصره وإيجازه، يَظهر فيه الافتقار إلى الله عز وجل والتبرؤ من الحول والقوة، ويُلمس فيه استشعار صالح عليه السلام قربَ الله عز وجل واليقين بحصـــول المطلوب، ومثال ذلك ما دعا به عليه السلام حين أعلن الملأ الـــذين كفـــروا كفـــرهم واتهمـــوه بالكذب، فطلب صالح عليه السلام النصر من الله عز وجل، قال الله عز وجل: M **قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾** L [المؤمنون:٣٨- ٣٩]، كما أنَّ في جواب الله عز وجل له بشارة تبعث على الراحة والطمأنينة بإجابة الدعاء وقرب حصول النصر.

ومثال آخر يثبت الله عز وجل فيه رسله ويعدهم بنصره، ومنهم صالح عليه السلام، فإنَّه لما هـــدد الكفار بإخراج الرسل عليهم الصلاة والسلام من أرضهم، طمـــأنهم الله عز وجل بـــأنَّ العاقبـــة لهم، قال الله عز وجل: M U V W X Y Z [\ ] ^ _ a

b c d e f g h i j l m n o p q

r L [إبراهيم:١٣- ١٤].

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ٣/٢١٨، والتحرير والتنوير: ١/١٢٠.

كما نجد حوارات دارت بين صالح الطَّيْلاً وقومه، وفي هذا النوع من الحوار نلاحظ أنَّ خطاب صالح الطَّيْلاً مليءٌ بمعاني الرحمة والشفقة والعطف والتودد والخـــوف علـــيهم مـــن عذاب الله ﷻ، أما جواب الذين كفروا ففيه الشدة والغلظة وســـوء الأدب؛ لمـــا بلـــغ في نفوسهم من نقمة وغضب على صالح الطَّيْلاً، ومثال ذلـــك قـــول الله ﷻ: M وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë وَإِنَّنَا لَفِى î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ L [هود:٦١-٦٢].

وقوله ﷻ: M / 0 1 2 3 4 5 7 8 9 : ; < = > ? @ A C D E F H I J K L [النمل:٤٦-٤٧].

وقال ﷻ عن القوم الكافرين: M s t u v w x y z { | } ~ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ © وَٱلْأَرْضِۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ µ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ L [إبراهيم:٩- ١٠].

٢- حوار بين الكافرين والمؤمنين:

وهذا الحوار تظهر فيه نبرة التعالي والاستكبار والسخرية والاستهزاء، ويحمل في طياته تهديدًا وتخويفًا من قِبل الذين استكبروا، أما المؤمنون ففي ردهم يقـــين بـــالله ﷻ، وإيمـــان راسخ، وثبات على العقيدة واستمساك بها، قـــال الله ﷻ: M < = > ? @ A B C D E F G H I J K L N O P Q R S T U V W X Y Z [\ L [الأعراف:٧٥-٧٦].

٣- حوار بين الكافرين أنفسهم:

وهذا الحوار يقصدون به تثبيت أنفسهم وأتباعهم من قومهم على الكفر؛ خوفًا مـــن سريان تأثير دعوة صالح الطَّيْلاً في نفوسهم، وهو حوارٌ مليءٌ بالشبهات الواهيـــة والحجـــج الضعيفة التي كان يقولها المكذبون من قبلهم، وهدفها الصد عن سبيل الله ﷻ وعن الإيمـــان

بما جاء به صالح عليه السلام، فمن ذلك قـــول الله ﷻ: M Y Z [\ ] ^ _ `
a b c d e f g h i j k l m n o p q r s
t u v w x y z { | } ~ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ
هَيْهَاتَ © تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ´ µ ¶ ¸ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ L [المؤمنون:٣٣-٣٨].

وفي سورة القمر، قال الله ﷻ: M فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ L [القمر:٢٤- ٢٥].

ومن الحوارات التي دارات بين الكافرين ما دار بين التسعة الرهط المفســـدين وهـــم يحيكون مؤامرتهم لقتل صالح عليه السلام وأهله، وهو حوار يقطر مكرًا وغـــدرًا وغيظًـــا علـــى صالح عليه السلام، قال الله ﷻ: M M N O P Q R S T U V W X
Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e L [النمل:٤٨- ٤٩].

ثانيًا: تنوع أساليب الحوار:

تتنوع أساليب الحوار في قصة صالح عليه السلام على حسب ما يقتضيه المقـــام والغـــرض والسياق والشخصية التي صدر منها الحوار، فمن تلك الأساليب:

١ - أسلوب التقرير:

وذلك بعرض الحقائق على الخصم وكأنها من المسلمات البديهية التي لا تقبل الإنكـــار أو الجدل(١)، ويظهر ذلك غالبًا إذا كان الحوار يتعلق بقضية الألوهية(٢)، أو الامتنان بالنعم، وذلك - والله أعلم - لأنَّ هذه الأمور موافقة للفطرة ويُقِرُّ بها كل أحد بالضرورة.

ففي مقام إثبات الألوهية قال الله ﷻ: M وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ © ª قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ´ L [الأعراف:٧٣، هود:٦١].

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٤١٥.
(٢) ينظر: أسلوب الحوار في القرآن الكريم: ١٢٣.

وفي مقام الامتنان بالنعم قال الله ﷻ على لســـان صـــالح ﷺ: M ! " #
$ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 3
4 5 6 7 8 9 : ; L [الأعراف:٧٤].

٢ - أسلوب المحاجة:

((وذلك بإقامة البرهان عن طريق التحاكم إلى العقل، أو القضايا التي لا تكلف الإنسان في إدراكها سوى الرجوع إلى الحس والتجربة))(١)، مثل قـــول الله ﷻ : M**قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ** © **وَٱلۡأَرۡضِ** L [إبراهيم:١٠]، وقول الله ﷻ على لسان صالح ﷺ : M**هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ** L [الأعراف:٧٣]، فيكفي النظر إليها لإدراك عظمتها وأنها معجـــزة مـــن الله ﷻ .

ومن ذلك التترل مع الخصم، مثل قول الله ﷻ عن صـــالح ﷺ: M ! " # $
% & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 4 5 6 7 L [هود:٦٣]، فأتى بحرف الشك (إنْ) مع أنّه ﷺ كان على يقين من أمره؛ اعتبـــارًا لحـــال المخـــاطبين الجاحدين(٢).

٣ - أسلوب الترغيب والترهيب:

فالترغيب يكون بتذكير صالح ﷺ قومه بسعة رحمة الله ﷻ ومغفرته وفضله وما أنعم به عليهم، وهو في ذلك لينٌ معهم، رفيقٌ بهم، قد امتلأ حواره محبة وشفقة وعطفًا علـــيهم، قال الله ﷻ على لسان صالح ﷺ : M**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١** L [هود:٦١].

وفي آية أخرى قـــال الله ﷻ: M**قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ** © **وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ** ´ µ L [إبراهيم:١٠].

---

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٤١٧.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤٨٩، وتفسير أبي السعود: ٤/٢٢١.

ومن التذكير بالنعم قول الله عز وجل على لسان صالح عليه السلام: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; L [الأعراف:٧٤].

وقوله عز وجل: M ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t L [الشعراء:١٤٦- ١٤٩].

أما الترهيب فيكون بتخويفهم من عذاب الله عز وجل، ومنه قول الله عز وجل على لسان صالح عليه السلام لما حذرهم من التعرض للناقة ورهبهم من ذلك: M وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ L [الأعراف:٧٣]، وفي آية أخرى: M D E F G H I J L [هود:٦٤]، وفي آية: M وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ L [الشعراء:١٥٦].

ومن ذلك أيضًا أمْرُهم بتقوى الله عز وجل، مثل قول صالح عليه السلام لهـــم: M V W X L [المؤمنون:٣٢]، وتكرير صالح عليه السلام لقوله لهم: M O P Q R L [الشعراء:١٤٤].

وهذه الأساليب الثلاثة الماضية لم ترد على لسان الكافرين، وإنما ظهـــر في حـــوارهم أساليب أخرى، وهي:

٤ - أسلوب التبرير للصد عن الدعوة:

وذلك بإلقاء الشبه التي تبرر كفرهم وتكذيبهم للإبقاء على وضعهم وصَدِّ قومهم عن الإيمان، والتخلص مما يدعوهم إليه صالح عليه السلام[1]، ويكون ذلك إما بإنكار النبوة لشـــبهة أنَّ صالحًا عليه السلام بشر مثلهم، كما قـــال الله عز وجل: M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z L [المؤمنـــون:٣٣- ٣٤]، وقول الله عز وجل: M ¸ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا L [إبراهيم:١٠]، وقول الله عز وجل: M فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴿٢٥﴾ L [القمر:٢٤- ٢٥].

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٤١٨.

أو أنَّ ما جاء به صالح العَلِيْكِلاْ مخالف لما كان عليه آباؤهم، قال الله ﷻ: M قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë وَإِنَّنَا لَفِى î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ L [هود:٦٢]، وأخبر الله ﷻ في آية أخرى أنَّ المكذبين قالوا للرسل عليهم الصلاة والســـلام: Mإِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا L [إبراهيم:١٠].

وفي قضية البعث والنشور برروا إنكارهم لذلك بأنَّه أمر بعيد، فكيف يكون ذلك وقد فنيت العظام واستحالت ترابًا!، فقالوا كما حكى الله ﷻ عنهم: M { | { ~ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ © تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ´ µ ¶ ¸ L [المؤمنون:٣٥- ٣٧].

٥- أسلوب الازدراء والاستخفاف والاتهام:

وذلك يدل على استكبار قوم ثمود وعتوهم، فإنهم تارة يستخفون بما توعدهم به صالح العَلِيْكِلاْ ويتحدونه، كما قال الله ﷻ: M ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m L [الأعراف:٧٧].

وتارة يزدرونه ويُهَوِّنُون من شأنه، كما قال الله ﷻ عنهم أنهم قالوا: Mf g h i j L [المؤمنون:٣٣]، وقالوا: M أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا L [القمر:٢٥].

وتارة يسخرون من المؤمنين كما ذكر الله ﷻ أنهم قالوا لهـــم: M G H I J K L L [الأعراف:٧٥].

وتارة يلفقون التهم على صالح العَلِيْكِلاْ للصد عن سبيل الله ﷻ، قال الله ﷻ: M قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ © ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ L [الشعراء:١٥٣]، وقالوا أيضًا: M إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ L [المؤمنون:٣٨]، وقالوا: Mبَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ L [القمر:٢٥].

٦- أسلوب التهديد والوعيد:

وذلك لإخافة صالح العَلِيْكِلاْ وأتباعه من المؤمنين وصرفهم عن دينهم(١)، فقد قال الله ﷻ عنهم: M U V W X Y Z [\ ] ^ _ L [إبراهيم:١٣].

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٤١٩.

٧- أسلوب المكر والغدر:

وذلك بالتآمر على قتل صالح الطَّيْلاِ وأهله ثم إخفاء الجريمة، قــال الله ﷻ: N M M
_ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O
` a b c d e f L [النمل:٤٨- ٤٩]، حيث نلمس المكر في اختبائهم، وما حمله حوارهم من تواصٍ وعزم واتفاق على موقفهم بعد الجريمة.

تلكم هي أهم الأساليب التي وردت في حوار القصة، وهو كما رأينا حوار غنيٌّ بالمعاني المتنوعة التي تخدم أهداف القصة وأغراضها في كل موضع.

ثالثًا: سمات الحوار في القصة:

١- تنوع أساليب الحوار:

وهذا كما ظهر لنا في الصفحات السابقة؛ حيث جاء فيه أســاليب مختلفــة فرضــها السياق، وأوجبتها أغراض السورة، وطبيعة الشخصيات، وقد مر بنا من الأمثلة ما يغني عن تكراره هنا.

٢- تنمية الأحداث:

للحوار في قصة صالح الطَّيْلاِ أهمية كبيرة في تطور الأحداث، فكل جملة حوارية هــي تطور جديد للحدث، تدفعه إلى الأمام لبعث موقف جديد، وهكذا إلى أنْ تصل القصة إلى نهايتها(١).

فالقصة في سورة الشعراء - مثلًا – تعتمد على الحوار، تبدأ بدعوة صالح الطَّيْلاِ لقومه، ثم إنكارهم لرسالته واتهامه بأنَّه مسحور، ثم طلبهم آية على صدقه، فتجيء الآية ويحــذرهم صالح الطَّيْلاِ من التعرض لها بسوء، فيعقرونها فيترل عليهم العذاب، والتطــور الحاصــل في الأحداث ناتجٌ عن الحوار القائم بين صالح الطَّيْلاِ وقومه، قال الله ﷻ على لسان صالح الطَّيْلاِ: M u v w x y z { | } ~ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ ©

---

(١) ينظر: السرد القصصي في القرآن الكريم: ٩٠، والقصص في الحديث النبوي: ٣١٩.

ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ ´ µ ¶ ¸ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ L [الشعراء:١٥٠- ١٥٦].

وفي سورة إبراهيم مثال آخر؛ حيث إنَّ تطور الأحداث كان عبر الحوار، فَمِن المناظرة والمحاجة بين الرسل عليهم الصلاة والسلام والكافرين إلى التهديد والوعيد ثم نزول العـــذاب على الذين كفروا، قال الله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x L [إبراهيم:١١- ١٥].

٣- تجسيد الحدث وإضفاء الواقعية على القصة:

فالحوار يبعث الحركة ويلونها وينوعها في القصة، فنرى الشخصيات تتبادل مواقفهـــا، وتزايل أماكنها، وتبدل أحوالها وأشكالها، فتتجسد لنا المواقف، ونشعر وكأننا نرى الصراع الدائر بين شخصيات القصة وهم أمامنا، ونحن حاضرون معهم(١). وهذا ينطبق على كـــل الحوارات التي جرت في القصة، وذلك يغني عن ذكر الأمثلة.

٤- رسم معالم الشخصيات الإنسانية في القصة:

وذلك بالتعبير عن خواطرها النفسية، وانفعالتها، وآرائها ومواقفها، ويصورها لنـــا(٢). فالحوار يجعلنا ((نتلقى الكلمات من فم أصحابها حية نابضة بالمشاعر والأحاسيس، فلا نسمع الكلمات حتى نجد صاحبها معها، ينطق بها محملة بخلجاته، ونبرات صوته، وما انطبع علـــى وجهه من آثار))(٣).

---

(١) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ١١٩، والإعجاز القصصي في القرآن: ١١٠.

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ١٩٥، وسيكولوجية القصة في القرآن: ٤١١.

(٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ١٣٠.

فإننا إذا قرأنا أو سمعنا قول الله ﷻ: Mقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ L [هود:٦١]، شعرنا بما يحمله قلب صالح ؈ لقومه من حبٍ وشفقةٍ وعطفٍ مع لفظة: Mيَٰقَوۡمِ L.

وإذا تلونا قول الله ﷻ: M u v w x y z { | } ~ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ L [الأعراف:٧٩]، أدركنا ما في قلب صالح ؈ من الحزن والحسـرة والحرقة على قومه أنْ لم يؤمنوا.

وإذا قرأنا قول الله ﷻ فيما حكاه عن الكافرين أنهم قالوا عن صالح ؈: Mf g h i j L [المؤمنون:٣٣]، فإننا نحس بما يحمله هؤلاء الملأ من كبر وغطرسة واحتقار وازدراء لصالح ؈ لدرجة أنهم لم ينطقوا باسمه ؈، كما أنهم استكثروا عليه أنْ ينال مترلة ترفعه عن مترلتهم.

وإذا نظرنا إلى قول الله ﷻ: M Y Z [\ ] ^ _ ` L [إبراهيم:١٣]، أدركنا مدى الغضب والحقد الذي يحمله الكفار على رسل الله ﷻ، بما تحمله كلماتهم مـن إصرار وعزم وتأكيد.

ومن ذلك أيضًا ما حكاه الله ﷻ عن الذين كفـروا في قـولهم: M [\ L [النمل:٤٩]، فنلمس فيه العزم والتصميم على فعل الجريمة.

أما قولهم: M e f g h i j k l m L [الأعراف:٧٧]، فنرى فيـه مدى التحدي والعتو.

فالقرآن الكريم حين يُنطق شخصياته فإنما يحمل على لسانها ما يدور في خواطرها وما تكنه صدورها من مشاعر، بلا تكلف أو افتعال، فطبيعته الحوار في القصة أنَّـه ((لا يوضـع على ألسنة الشخصيات، وإنما ينطلق منها انطلاقًا طبيعيًا أو تلقائيًا دون أنْ يحـس القـارئ بشيء من آثار الصنعة أو التكلف))(١).

(١) التعبير الفني في القرآن الكريم: ٢٢١.

٥ - انتقاء الحوار باختيار اللقطات الموحية، والعناصر الحية التي تخدم الغرض[(١)]:

فالحوار الذي يرد في القصة يأتي مناسبًا لسياق السورة والغرض منها، ففـــي ســـورة إبراهيم – مثلًا – نجد أنَّ القصة تتحدث عن موقف الأمم الموحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام بشكل مجمل، فجاء الحوار معبرًا عن ذلك، ففيه التصريح بالكفر: M s t u v w x y z { | } ~ مُرِيبٍ ⑨ L [إبراهيم:٩]، وفيه إلقاء الشبه: M ¸ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا L [إبراهيم:١٠]، وفيه طلب الآيات على وجه التعنت والتعجيز: Mفَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ⑩ L [إبراهيم:١٠]، وفيه الإيذاء والتهديد والوعيد: M U V W X Y Z [\ ] ^ _ L [إبراهيم:١٣]، فجاء من الحوار ما يصور ذلك الموقف الموحد والصراع المتكرر بين الرسل عليهم الصلاة والســـلام وأممهم.

وفي سورة المؤمنون التي من أغراضها ذِكر أسباب عدم إيمان مَن كَفَـــر مـــن الأمـــم السابقة، نجد أنَّ القصة ركزت في حوارها على تلك الشبه في إنكار الرســـالة والبعـــث في الحوار الذي دار بين الملأ الذين كفروا وأتباعهم، قـــال الله ﷻ: M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ㉟ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ © تُوعَدُونَ ㊱ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ´ µ ¶ ¸ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ㊳ L [المؤمنون:٣٣- ٣٨].

ولما كانت سورة هود تتحدث عن موقف الأمم من الرسل عليهم الصلاة والسلام وما جاؤوا به من الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، نجد أنَّ الحوار في قصة صالح عليه السلام كان منصبًّا على ذلك، قال الله ﷻ: Mوَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ㊶ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë وَإِنَّنَا لَفِى î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ㊷ ! "

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: ٤١١.

$ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 4 5 6 7

8 L [هود:٦١- ٦٣].

وهكذا نلاحظ أنْ الحوار في كل قصة أتى موافقًا لمغزاها، ومعـــبرًا عـــن غرضـــها، وملتحمًا مع سياق السورة.

٦- إثراء القصة بوصف المكان والزمان:

فنجد في الحوار وصفًا للمكان والزمان، فهو يأتي على لسان الشخصيات أثناء الحوار منسجمًا معه، وموحيًا بمعانٍ أخرى إضافية تُفهم من ذلك الوصف.

ففي سورة الأعراف قال الله ﷻ على لسان صالح ﷺ: M ! " # $

% & ' ( ) * + , - . / 0 1 3 4 5

6 7 8 9 : ; L [الأعراف:٧٤]، ففي حوار صالح ﷺ مع قومه مؤشرٌ علـــى الزمان الذي عاشوا فيه، وتصوير للمكان الذي سكنوه، فهم بعد قوم عاد، وديارهم مليئـــة بالقصور والبيوت المنحوتة في الجبال، مما يدل على قوتهم وتحضرهم.

وفي سورة الشعراء أيضًا نجد وصفًا لديار ثمود، قال الله ﷻ على لسان صـــالح ﷺ:

M ` a b c d e f g h i j k l m n o p q

r s t L [الشعراء:١٤٦- ١٤٩]، فهذا الوصف الذي أتى خلال الحوار يكشف لنا جمال المكان الذي كان يعيش فيه قوم ثمود، والنعم التي يرفلون فيها من الجنات والبساتين والعيون، كل ذلك من خلال بضع جمل وردت في الحوار.

٧- التنوع من حيث الطول والقصر:

نجد في حوار قصة صالح ﷺ تنوعًا من حيث طوله وقصره، ففي بداية القصة في مقام الدعوة والمحاجة والامتنان بذكر النعم نلمس نوعًا من الطول والبطء في الحوار، ولكـــن إذا اشتد الصراع واحتدم الخصام مال الحوار إلى القصر، وجاءت الجمل سريعة وقوية ومتقطعة، وكأنها تحكي ما يغلي في الصدور من انفعالات ومشاعر متوقدة(١).

ففي سورة الأعراف – مثلًا – نجد أنَّ بداية القصة فيها شيء من الطول، قال الله ﷻ:

Mوَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ © ª قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ´ ¶ ¸ بَيِّنَةٌ مِّن

(١) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ١٣٣.

رَبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

/ . - , + *) (' & % $ # " !

[الأعراف:٧٣- ٧٤]. L : 9 8 7 6 5 4 3 1 0

ثم يشتد الصراع بين المستكبرين والذين آمنوا فتأتي الجمل قصـــيرة وســـريعة، قـــال الله ﷻ: M < = > ? @ A B C D E F G H

Z Y X W V U T S R Q P O N L K J I

l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [

L m [الأعـــراف:٧٥- ٧٧]. فنلاحظ أنَّ الجمل التالية: M G H I J K L L،

وM O P Q R S L، وM X Y Z [\ L، وM e f g h

i j k l L؛ جمل قصيرة وسريعة بالنسبة لبداية القصة وما قاله لهم صالح ؏ في مقام الدعوة.

وفي سورة إبراهيم أيضًا نجد أنَّ القصة تبدأ بمحاجة بين الرسل عليهم الصلاة الســـلام وبين المكذبين، وكان في الحوار نوع من الطول قـــال الله ﷻ: Mقَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ © وَٱلْأَرْضِۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ ´ µ ¸ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ! " # $

% & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9

: ; < = > ? @ A B C D E F G H I K L M

N P Q R S L [إبراهيم:١٠- ١٢]. ثم لما اشتد الأمر وحمي الصراع نجـــد أنَّ الجمل في الحوار أصبحت أكثر قصرًا وأسرع، ولنتأمل ذلك في قـــول الله ﷻ: M U V

W X Y Z [\ ] ^ _ a b c d e f

g h i j l m n o p q r L [إبراهيم:١٣- ١٤]. فلننظر إلى الجمل التالية ونقارن بينها وبين الآيات السابقة في مقام المحاجة: M Y Z [

\ ] ^ _ L فإننا نجد فيها قِصَرًا يناسب الانفعالات التي تتوقد في نفـــوس الـــذين كفروا، وفي وعـــد الله ﷻ للرســـل علـــيهم الســـلام في قولـــه: M d e f

g h i j L، ما يناسب شدة الحاجة إلى سرعة نزول النصر.

الخـاتمـة

قام هذا البحث على تتبع المواضع التي وردت فيها قصة نبي الله صالح ، واستعرض أهم أسرارها البلاغية، وخصائصها التعبيرية، من خلال تحليل هذه الآيات، وتلمس أوجه البلاغة القرآنية في المتشابه اللفظي منها، محللاً لعناصرها الفنية التي تحدث عنها العلماء، ومفيدًا مما جاء في كتب النقد من عناصر القصة بشكل عام.

وفي هذه الخاتمة أشير إلى أبرز نتائج هذا البحث:

١- من خلال البحث في مفهوم النظم اتضح أنَّ علم البلاغة قد نما وترعرع في ظل القرآن الكريم والبحث عن وجوه إعجازه وبلاغته، وقد أسهمت الدراسات التي قام بها العلماء الأوائل وما ضمنوها من إشارات بلاغية في تطور هذا العلم حتى تكامل.

٢- أنَّ القصة في القرآن تتميز بخصائص لا توجد في غيرها من القصص؛ فهي ربانية المصدر، ومعجزة في نظمها وبلاغتها، وكلها صدق مطلق، ولها أهداف سامية.

٣- أنَّ إطلاق مصطلح التكرار على بعض قصص القرآن ليس على إطلاقه، فقد نفى وجوده بعض العلماء والباحثين؛ لأننا نجد في كل موضع وردت فيه القصة إضافة جديدة تتناسب مناسبة تامة في معانيها وألفاظها وتراكيبها مع مقصد السورة والسياق والغرض من سوقها.

٤- أحداث القصة لا تُعرض كلها في موضع واحد، بل يُنتقى منها ما يناسب مقصد السورة والسياق، وهذه ميزة لا توجد في غيرها من القصص، وإذا ضُمَّت الأحداث الواردة في المواضع المختلفة إلى بعضها تكونت صورة كاملة ومفصلة للقصة.

٥- التصوير البياني ظاهر في القصة، وله أثره ووقعه على النفس.

٦- رجَّح بعض العلماء أنَّ القصة الواردة في سورة المؤمنون هي قصة صالح ، لمرجحات ذكروها في موضعها، وهذا ما يميل الباحث إليه.

٧- دراسة المتشابه اللفظي تعين الدارس على الوقوف على شيء من إعجاز القرآن وبلاغته ودقة تعبيره، ففي كل مقام يُعبَّر بأسلوب مطابق لمقتضى الحال.

٨- عنصر التشويق بارز في القصة، ومن ذلك التنويع في طريقة عرض بدايتها.

٩- غالبًا ما تُختم القصة بتعليق ينبه إلى جانب العبرة فيها ويترك أثرًا في النفس.

١٠- الشخصيات في القصة تمثل نماذج إنسانية للاقتداء بها في جانب الإيمان والخير، والتنفير منها في جانب الكفر والشر، والقصة تصورهم من خلال الأحداث والحوار، مما يجعل لها حيوية وظهورًا.

١١- الحوار عنصر أساسي في القصة ينقله القرآن لنا بكل صدق عن طريق الرواية لأقـوال المتحاورين بالأسلوب الذي تقتضيه بلاغة القرآن وإعجازه، وهو وسيلة من وسـائل تنمية الأحداث وتتابعها.

١٢- ذكر الزمان والمكان له أهميته في عرض الحدث، ويدل على معانٍ إضافية لها أثر عليه.

١٣- قصة صالح مثال على أنَّ قصص القرآن يبعث في النفس التفاؤل ويحثها على التوكـل على الله ﷻ ويؤكد أنَّ النصر والعاقبة للمؤمنين.

وبعد ذلك فإن البحث قد خرج بجملة من التوصيات التي يأمل أنْ يقيض الله ﷻ من يُفَعِّلُها:

١- أنْ يلتفت الباحثون نحو دراسة القصص القرآني بتخصيص كل قصة منـه بدراسـة مستقلة ومستفيضة تكشف عن جوانبها البلاغية والفنية.

٢- ينبغي أنْ يُخصَّص لكل عنصر من العناصر الفنية في قصص القرآن دراسة تطبيقيـة مستقلة، تفيد من الدراسات السابقة وتضيف عليها ملاحظـات جديـدة بشـكل أعمق.

٣- من الأهمية بمكان أنْ يُعتنى بدراسة سور القرآن دراسة تقف عند الموضوع المفصـلي لكل سورة منها، ومناسبة ذلك الموضوع لما يرد فيها من جزئيات وقصص وألفـاظ وتراكيب.

٤- المتشابه اللفظي ميدان رحب ينبغي أنْ يستثمر في إبراز بلاغة القرآن وبيان إعجازه.

٥- لا بد من إضافة شواهد جديدة على الدرس البلاغي في كافة المباحث؛ بـدلاً مـن تكرار شواهد معينة ترد في كتب البلاغة.

٦- أنْ تتولى جهات متخصصة وموثوقة من أهل العلم والاختصاص بيان ما يجوز إطلاقه من المصطلحات الفنية والنقدية على قصص القرآن وما لا يجوز؛ حماية لجناب القرآن ولكي يكون الباحث على بصيرة من أمره.

٧- وأخيرًا فلا بد من تقريب القصص القرآني للأمة، فهي بحاجة ماسة إلى استخراج ما فيه من عبر ودروس تربوية في العقيدة والأخلاق والسلوك وغيرها.

وختامًا أحمد الله تعالى وأثني عليه الخير كله، وأسأله سبحانه أنْ يجعل هـــذا العمـــل المتواضع خالصًا لوجهه الكريم، وأنْ يتقبله ويبارك فيه، وأنْ يتجاوز عن الخطـــأ والنســـيان والتقصير والزلل إنَّه غفور رحيم.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه إلى يـــوم الدين.

ثبت المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

٢. **الأدب وفنونه**، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣. **الأزهية في علم الحروف**، علي بن محمد النحوي الهروي، تحقيق: عبدالمعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤. **أسئلة بيانية في القرآن الكريم**، د. فاضل صالح السامرائي، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٥. **أسرار البلاغة**، عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٦. **أسلوب الحوار في القرآن الكريم**، إدريس أوهنا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م.

٧. **إصلاح الإيضاح**، د. عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر، دار زدني، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٨. **الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم**، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩. **إعجاز القرآن**، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: محمود محمد مزروعة، دار كنوز المعرفة، جدة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٠. **إعجاز القرآن البياني النظرية والتطبيق**، د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١١. **الإعجاز القصصي في القرآن**، د. سعيد عطية علي مطاوع، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

١٢. **الإعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام في القرآن الكريم**، د. عودة الله منيع القيسي، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٣. **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، محيي الدين الدرويش، دار اليمامة، دمشق، ط٩، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٤. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١٥. **الإيضاح في علوم البلاغة**، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦. **البحر المحيط**، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

١٧. **بحوث في قصص القرآن**، السيد عبدالحافظ عبدربه، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.

١٨. **بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية**، جمعه: يسري السيد أحمد، راجعه: صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.

١٩. **البرهان في ترتيب سور القرآن**، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٢٠. **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة.

٢١. **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٢٢. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروزآبادي، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣. **البلاغة تطور وتاريخ**، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٨، ١٩٩٢م.

٢٤. **بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، د. علي أبو القاسم عون، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٥. **بلاغة السرد القصصي في القرآن**، د. محمد مشرف خضر، دار العواصم، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٢٦. **بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام نموذجًا**، د. إبراهيم عبدالمنعم إبراهيم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩ — ٢٠٠٨م.

٢٧. **البلاغة فنونها وأفنانها**، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط٧، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٨. **بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار وأثره في الدراسات البلاغية**، د. عبدالفتاح لاشين، دار الفكر العربي.

٢٩. **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م..

٣٠. **بيان إعجاز القرآن**، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

٣١. **البيان والتبيين**، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٢. **تأويل مشكل القرآن**، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: د. السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٣. **تاج العروس**، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: إبراهيم الترزي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٤. **التبيان في إعراب القرآن**، محب الدين أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري، بيت الأفكار الدولية، عمان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٥. **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، د. وليد قصاب، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٦. **التصوير الفني في القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٩، ٢٠٠٧م.

٣٧. **التعبير القرآني**، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط٥، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣٨. **التعبير الفني في القرآن الكريم**، د. بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م.

٣٩. **التعريفات**، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.
٤٠. **تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)**، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٤١. **تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل)**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وزميليه، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.
٤٢. **تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، عبدالله بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٤٣. **تفسير التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
٤٤. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٤٥. **التفسير الكبير**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٦. **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ.
٤٧. **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
٤٨. **تفسير المنار**، السيد محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، ط٢، ١٣٦٦ه- ١٩٤٧م.
٤٩. **التلخيص في علوم البلاغة**، الخطيب القزويني، ضبطه وشرحه: عبدالرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط٢، ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م.
٥٠. **تلخيص المفتاح**، الخطيب القزويني، تحقيق: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٨م.
٥١. **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار التوحيد، ط١، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

٥٢. **التناسب البياني في القرآن**، أحمد أبو زيد، كلية الآداب، الرباط، ١٩٩٢م.

٥٣. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبدالعظيم محمود، وراجعه محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٥٤. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥٥. **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني**، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.

٥٦. **جامع البيان في تأويل القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٧. **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥٨. **الجانب الفني في قصص القرآن الكريم**، د. عمر محمد عمر باحاذق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥٩. **الجملة العربية والمعنى**، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٦٠. **الجنى الداني في حروف المعاني**، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦١. **جواهر البلاغة**، السيد أحمد الهاشمي، تعليق: سليمان الصالح، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٦٢. **حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي**، دار صادر، بيروت.

٦٣. **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، محمد بن علي الصبان، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

٦٤. **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٥. **حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٦٦. **الحيوان**، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

٦٧. **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: عبدالحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية.

٦٨. **خصائص التراكيب**، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٨، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٦٩. **خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام**، د. الشحات محمد أبو ستيت، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٧٠. **دراسات في البلاغة العربية**، د. عبدالعاطي غريب علام، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٧م.

٧١. **دراسات قرآنية**، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٧٢. **دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل**، د. محمد فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٧٣. **درة التنزيل وغرة التأويل**، الخطيب الإسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ.

٧٤. **دروس في علم الصرف**، أبو أوس إبراهيم الشمسان، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧٥. **دلائل الإعجاز**، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٧٦. **دلالات التراكيب**، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٧٧. **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، أحمد بن عبدالنور المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق.

٧٨. **روائع الإعجاز في القصص القرآني**، محمود السيد حسن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

٧٩. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، محمود الألوسي البغدادي، تحقيق: د. السيد محمد السيد وسيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٨٠. **زاد المسير في علم التفسير**، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي ـ دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٨١. **زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها في البلاغية في القرآن الكريم**، د. هيفاء عثمان فدا، مكتبة القاهرة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٨٢. **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥ه.

٨٣. **السرد القصصي في القرآن الكريم**، ثروت أباظة، دار نهضة مصر، القاهرة.

٨٤. **سيكولوجية القصة في القرآن**، د. التهامي نفرة، الشركة التونسية، تونس، ١٩٧٤م.

٨٥. **الشخصيات القرآنية**، د. نزيه محمد اعلاوي، دار صفاء، عمان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٨٦. **شذا العرف في فن الصرف**، أحمد الحملاوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٧. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٨. **شرح الرضي على الكافية**، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات قار يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.

٨٩. **شرح المفصل**، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، المطبعة المنيرية، مصر.

٩٠. **شرح مواهب الفتاح على تلخيص المفتاح**، ابن يعقوب المغربي، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٩١. **الصحاح**، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

٩٢. **صحيح مسلم**، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

٩٣. **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، يحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٣٢هـ.

٩٤. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، لبنان، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٩٥. **الغريبين في القرآن والحديث**، أبو عبيدة أحمد بن محمد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٩٦. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، للإمام احمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار المعرفة، بيروت.

٩٧. **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن**، أبو يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق: عبدالسميع محمد أحمد حسنين مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.

٩٨. **الفروق اللغوية**، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

٩٩. **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم**، د. فتحي أحمد عامر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٠٠. **في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم**، د. وليد قصاب، دار القلم، دبي، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠١. **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٢٣، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٠٢. **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٠٣. **القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن**، محمد قطب، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٠٤. **القصص في الحديث النبوي دراسة فنية وموضوعية**، د. محمد بن حسن الزير، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٠٥. **قصص القرآن الكريم**، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٦. **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، د. عبدالكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م.

١٠٧. **قضايا التكرار في القصص القرآني**، د. القصبي محمود زلط، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م.

١٠٨. **قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية**، د. عبدالعزيز عبدالمعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٠٩. **القول المفيد على كتاب التوحيد**، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: د. سليمان أبا الخيل ود. خالد المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

١١٠. **الكشاف عن حقائق التتزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١١١. **كشف المعاني في المتشابه المثاني**، بدر الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، الرياض، ط٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١١٢. **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، اعتنى بها: أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١١٣. **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١١٤. **لمسات بيانية في نصوص التنزيل**، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط٥، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١١٥. **مباحث في علوم القرآن**، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٩٩٥م.

١١٦. **المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي**، د. رشيد الحمداوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

١١٧. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٢.

١١٨. **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١١٩. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٢٠. **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

١٢١. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبدالحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٢٢. **المدح والذم في القرآن الكريم**، د. معن توفيق دحام الحيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٢٣. **المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة**، د. محمد بن علي الصامل، كنوز إشبيليا، الرياض، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٢٤. **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٢٥. **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، برهان الدين أبي السيد إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: د. عبدالسميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٢٦. **معاني الأبنية في العربية**، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٢٧. **المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم**، د. عبدالفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٤، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٢٨. **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٢٩. **معاني القرآن الكريم**، أبو جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٣١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٣٠. **معاني القرآن وإعرابه**، الزجاج أبي إسحاق إبراهيم السري، تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٣١. **معاني النحو**، د. فاضل السامرائي، دار الفكر، عمان، ط٤، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٣٢. **معجم علوم القرآن**، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٣٣. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر.

١٣٤. **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، القاضي أبو الحسن عبدالجبار الأسد آبادي، تحقيق: أمين الخولي، دار الكتب، القاهرة، ط١، ١٣٨٠ه-١٩٦٠م.

١٣٥. **مفتاح العلوم**، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد المعروف بالسكاكي، تحقيق: حمدي محمدي قابيل، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

١٣٦. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط٥، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٣٧. **المقتضب**، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٣٩٩م.

١٣٨. **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: د. سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٣٩. **من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب**، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٤٠. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٤١. **من بديع لغة التنزيل**، د. إبراهيم السامرائي، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٤٢. **من بلاغة الدعاء في القرآن الكريم**، د. يحيى بن محمد بن إبراهيم عطيف، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٤٣. **من بلاغة القرآن**، د. أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٤٤. **منهج القصة في القرآن**، محمد شديد، عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٤٥. **الموافقات**، إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار بن عفان، الخبر، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٤٦. **النبأ العظيم**، د. محمد عبدالله دراز، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٤٧. **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد ابن الأنباري، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٤٨. **نظرية النظم عند الشيخ عبدالقاهر الجرجاني**، د. نجاح بنت أحمد الظهار، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٤٩. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الركن، الهند، ط١، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٥٠. **النقد الأدبي الحديث**، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر.
١٥١. **الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية**، د. رفعت فوزي عبدالمطلب، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

الرسائل العلمية:

١. **أسس بناء القصة من القرآن الكريم**، محمد عبدالإله عبده دبور، رسالة دكتوراه، كلية اللغة الغربية، المنوفية، جامعة الأزهر، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
٢. **خصائص القصة الإسلامية**، مأمون فريز جرار، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٣. **(ما) الموصولة في النظم القرآني**، علي بن خليفة بن علي السلطان، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٣هـ.
٤. **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه**، محمد بن راشد البركة، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ.

الفهـــارس

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
ســورة البقرة		
﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾	٢٣	٢٣١
﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا ﴾	٣٥	٢٣١
﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾	٥٨	٢٣١
﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾	٦١	٢٣١
﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾	٨٠	٢٣١
﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾	١٢٩	٢٣١
﴿ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾	١٧٠	٢٣١
﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾	١٧٩	١٣
ســورة آل عمران		
﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾	٢١	٢٣١
﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾	٢٤	٢٣١
ســورة الأنعام		
﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾	٤٢	٢٣١
ســورة الأعراف		
﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾	٢	٥٠
﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧) ﴾	٧	٢٣٢
﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) ﴾	٩	٢٦٠
﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (١٠) ﴾	١٠	٢٧٠
﴿ فَكُلَا ﴾	١٩	٢٣١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾	٢٤	٢٧٠
﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾	٣٥	٢٦٠
﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾	٣٦ – ٣٧	٢٦٠
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾	٤٠	٢٦٠
﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾	٥١	٢٦٠
﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾	٥٦	٢٧٠
﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾	٥٩	٣٢
﴿ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾	٦٤	٢٦١
﴿ وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾	٧٢	٢٦١
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾	٧٣	٢٣٢، ٢٣٩، ٣١٨
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾	٧٣	٢٨٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٣
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾	٧٣	٣٠٢
﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴾	٧٣	٢٦٠، ٢٦١
﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾	٧٣	٣٣٥
﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ ... ﴾	٧٣ – ٧٤	٢٤٠، ٢٦٤، ٣٠٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)﴾	٧٤	٣٣٣
﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	٧٣	٢٦٧
﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾	٧٣	٢٧٠، ٣١١
﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٧٣	٢٦٤، ٣٢١
﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ...﴾	٧٣ – ٧٤	٣٤١
﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ...﴾	٧٣ – ٧٩	٤٩
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾	٧٤	٣١١، ٣٢١، ٣٢٦
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾	٧٤	٣٠٩
﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾	٧٤	٢٤٢
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)﴾	٧٤	٢٦٩، ٣٠٤، ٣٣٥، ٣٤١
﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾	٧٥	٢٤٩
﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥)﴾	٧٥	٣٢٨
﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾	٧٥	٣٣٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾	٧٥ – ٧٦	٣٠٠، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٣٢
﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ... ﴾	٧٥ – ٧٧	٣٤٢
﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾	٧٦	٣٢٦
﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾	٧٦ – ٧٧	٢٦٤
﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ ﴾	٧٧	٢٦٦
﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾	٧٧	٢٦٧، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٣٩
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾	٧٨	٢٦٩، ٣٠٠، ٣٠٥
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾	٧٨ – ٧٩	٢٩٣
﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾	٧٩	٣٠٥، ٣٣٩
﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾	٧٩	٣٢٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾	٧٩	٣٢١
﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	٨٥	٢٦١
﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١)﴾	٩١	٢٧٠
﴿يَضَّرَّعُونَ﴾	٩٤	٢٣١
﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)﴾	١٠٠	٢٧٠
﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١)﴾	١٠١	٣٣
﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾	١٠١	٢٦٠
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾	١٠٣	٦١
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) ...﴾	١٤٦ – ١٤٧	٢٦١
﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾	١٦١	٢٣١
﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾	١٧٦	٣٤، ٢٤٨
﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧)﴾	١٧٧	٢٦١
﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣)﴾	١٨٢ – ١٨٣	٢٦١
سورة هود		
﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢)﴾	١ – ٢	٢٩١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	٨١
﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾	٢	٨٢، ٢٧٢
﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾	٣	٨٢
﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	٥	٨٢
﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾	٧	٨٢
﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾	٨	٨٢
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾	١٢	٢٥٠
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾	١٢	٨٢
﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾	١٢	٨٤
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾	١٣	٨٢
﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾	١٤	٨٣
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٢٧٢
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	٨٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	٨٣
﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾	٢٤	٨٣
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	٢٣٩
﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ ﴾	٢٥ – ٢٦	٢٧٢
﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾	٣٧	٢٧٢
﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ ﴾	٤٨	٢٨٥
﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ ﴾	٤٩	٢٦، ٣٢
﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾	٤٩	٣٣
﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾	٤٩	٢٥٠، ٢٨٤
﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ ﴾	٥٠	٢٧٢
﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ ﴾	٥٨	٢٨٣، ٢٨٥
﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴾	٥٩	٢٧٩
﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴾	٦٠	٢٧٩
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ ﴾	٦١	٢٧٩
﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ﴾	٦١	٣٣٩
﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ ﴾	٦١	٢٤٠، ٢٩١، ٣١٩، ٣٣٢، ٣٣٤
﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ ﴾	٦١	٣٢١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ... ﴾	٦١ – ٦٣	٣٤٠
﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾	٦٢	٢٥١، ٢٩٧، ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٣٢
﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾	٦٢	٣٣٦
﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾	٦٢	٢٥٠، ٢٥٣، ٣٢٤
﴿ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾	٦٢	٢٤٥، ٢٥٢
﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾	٦٣	٢٨٤، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٣٤
﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾	٦٤	٢٦١
﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾	٦٤	٢٦٤، ٣٢١
﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾	٦٤	٢٦٠
﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾	٦٤	٣٣٥
﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾	٦٥	٢٦٦
﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾	٦٥	٢٦٤، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣١٠
﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾	٦٦	٢٨٢، ٣٢٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾	٦٦	٢٨٤، ٢٨٤
﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾	٦٦	٢٧١
﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨)﴾	٦٦ – ٦٨	٢٧١، ٢٧٨
﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ (٦٧)﴾	٦٧	٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٣٠٥، ٣١١
﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨)﴾	٦٧ – ٦٨	٢٩٣
﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾	٦٨	٢٧٨، ٣٢٤
﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾	٨١	٢٨٥
﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)﴾	٨٢ – ٨٣	٢٧٢
﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾	٩٤	٢٨٣، ٢٨٥
﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠)﴾	١٠٠	٢٣٢، ٢٧٢
﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)﴾	١٠٠ – ١٠١	٨٤، ٢٧٣
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾	١٠٢	٨٤، ٢٧٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾	١١٦ – ١١٧	٢٧٣
﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴾	١٢٠	٢٥٠
﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾	١٢٠	٣٣، ٨٤، ٢٣٢، ٢٨٤
ســورة يوسف		
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾	٣	٢٣، ٢٦، ٣٠، ٣١، ٢٨٧
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٣٢
﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾	١١١	٢٦، ٣٤
ســورة إبراهيم		
﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾	٢ – ٣	٢٥٢
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾	٤	١٠٦
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾	٧	١٠٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾	٩	٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٤
﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾	٩	٢٥٤
﴿ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ ﴾	٩	٢٤٨
﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾	٩	٢٤٥، ٢٥٢
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ ﴾	٩	٢٥٣
﴿ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٣٤٠
﴿ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ... ﴾	٩ – ١٠	٣٣١
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ ... ﴾	٩ – ١٧	١٠٥، ١١٠
﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٠	٣٣٤
﴿ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾	١٠	٢٥٤، ٣٣٥
﴿ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾	١٠	٢٥٢، ٣٣٦، ٣٤٠
﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾	١٠	٢٥٠
﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾	١٠	٢٤٦، ٢٥٤، ٢٥٦، ٣٢٧، ٣٤٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾	١٠	٣٢٢، ٣٣٤
﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠) ...﴾	١٠ – ١٢	٣٠١، ٣٤٢
﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾	١١	٣١٩، ٣٢٢
﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) ...﴾	١١ – ١٥	٣٣٨
﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾	١٢	٢٥٤، ٣٢٢، ٣٢٧
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾	١٣	٣٠١، ٣٢٧، ٣٣٦، ٣٤٠
﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾	١٣	٢٥٤، ٣٣٩
﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾	١٣	٢٥٤
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) ..﴾	١٣ – ١٤	٣٣١، ٣٤٢
﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥)﴾	١٣ – ١٥	٣٠١
﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥)﴾	١٥	٢٥٤، ٣٢٢، ٣٢٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ ... ﴾	١٥ – ١٧	٢٤٧، ٢٩٥، ٣١٠
﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ ﴾	٢٢	٢٤٨
﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾	٤٢	١٠٧
﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾	٥٢	١٠٧
ســورة الحجر		
﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ... ﴾	٢ – ٥	٢٩٢
﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ... ﴾	٢ – ١٥	٢٣٤
﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾	٣ – ٥	١٣٩، ٢٤٤
﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾	٤ – ٥	٢٧٣
﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ ﴾	٦	١٣٨
﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ ﴾	٧ – ٨	١٣٩
﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ ﴾	٨	١٣٧
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٩	١٣٨
﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ ﴾	١١	٢٣٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	١٤ – ١٥	١٣٨
﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	١٣٨
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	١٣٨
﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾	٤٩ – ٥٠	٣٤، ١٣٨
﴿ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾	٥٠	٢٧٣
﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾	٦٥ – ٦٦	٢٧٣
﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾	٧٢ – ٧٣	٢٤٤
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾	٧٣	٢٧٣
﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾	٧٦	٢٣٦
﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾	٧٩	٢٣٦
﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾	٨٠	٢٣٣، ٢٣٥، ٣١٠، ٣٢٤
﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾	٨٠ – ٨٤	١٣٧، ٢٩٠، ٣٠٣
﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ ﴾	٨١	٣٠٥، ٣٢٥
﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾	٨١ – ٨٢	٢٤٣
﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾	٨٢	٢٤٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾	٨٢ – ٨٤	٢٤٣
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾	٨٣	٢٦٩، ٢٧٣، ٣١٠
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾	٨٣ – ٨٤	٢٩٣
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾	٨٧	١٣٩
سورة الإسراء		
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾	٨٨	٣٠
سورة الأنبياء		
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾	٩٢	٣٢
سورة المؤمنون		
﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾	١	١٤٨
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾	١٠ – ١١	١٤٥
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	١٤٦
﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	١٤٦
﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾	٢٤	٢٥٥
﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾	٢٦ – ٢٧	٢٧٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	٣١	٣٠٩
﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	٣١ – ٣٢	٢٧٩، ٢٨٩
﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ... ﴾	٣١ – ٤٠	١٤٥
﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾	٣٢	٢٣٢
﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾	٣٢	٢٣٩
﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	٣٢	٢٤٢
﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	٣٢	٢٤١، ٣٣٥
﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٣٣	٢٥٧
﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾	٣٣	٢٥٧، ٣٢٨
﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾	٣٣	٢٥٤، ٣٣٦، ٣٣٩
﴿ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾	٣٣	٢٥٥
﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٣٣	٣٢٦
﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ... ﴾	٣٣ – ٣٥	٢٤، ٣٣٥
﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ .... ﴾	٣٣ – ٣٨	٣٣٣، ٣٤٠
﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾	٣٤	٢٥٧، ٣٢٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾	٣٥ – ٣٦	٢٥٧
﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ... ﴾	٣٥ – ٣٧	٣٣٦
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾	٣٨	٢٥٦، ٣٢٨، ٣٣٦
﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾	٣٨	٢٥٧
﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾	٣٩	٢٧٦، ٣٠٩، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٣١
﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾	٤٠	٢٧٦، ٢٧٧، ٣٠٩، ٣٣١
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ ﴾	٤١	٢٦٩، ٢٧٤
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾	٤١	٣٠٥
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾	٤١	٢٧٩، ٢٩٣
﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾	٤١	٢٧٨
﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ... ﴾	٤٢ – ٤٤	٢٣٣
﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾	٥٤	٢٧٦
﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴾	٩٥	٢٧٧
﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾	١١٧	١٤٨
ســورة الشعراء		
﴿ طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾	١ – ٢	١٦٦
﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٣٣، ٢٨٠
﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾	٣ – ٤	١٦٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (٣) إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين (٤) وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين (٥) فقد كذبوا فسيأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزءون (٦) ﴾	٣ – ٦	٢٩٢
﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية ﴾	٤	٢٤٨
﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين (٥) فقد كذبوا فسيأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزءون (٦) ﴾	٥ – ٦	١٦٧، ٢٣٤
﴿ فقد كذبوا فسيأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزءون (٦) ﴾	٦	٢٧٧
﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٨) ﴾	٨	٢٤٨
﴿ إن هذا لساحر عليم (٣٤) ﴾	٣٤	١٦٧
﴿ قالوا آمنا برب العالمين (٤٧) ﴾	٤٧	٢٨٠
﴿ إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين (٥١) ﴾	٥١	٢٨٠
﴿ فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون (٦١) قال كلا إن معي ربي سيهدين (٦٢) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (٦٣) وأزلفنا ثم الآخرين (٦٤) وأنجينا موسى ومن معه أجمعين (٦٥) ثم أغرقنا الآخرين (٦٦) ﴾	٦١ – ٦٦	٢٧٤
﴿ فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين (١٠٢) ﴾	١٠٢	٢٨١
﴿ كذبت قوم نوح المرسلين (١٠٥) ﴾	١٠٥	٣٣
﴿ قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (١١٦) قال رب إن قومي كذبون (١١٧) فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين (١١٨) فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون (١١٩) ثم أغرقنا بعد الباقين (١٢٠) ﴾	١١٦ – ١٢٠	٢٧٤
﴿ فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين (١١٨) ﴾	١١٨	٢٨١
﴿ فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون (١١٩) ثم أغرقنا بعد الباقين (١٢٠) ﴾	١١٩ – ١٢٠	٢٧٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣)﴾	١٢٣	٣٣
﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)﴾	١٣٥	٢٧٥
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾	١٣٩	٢٧٥، ٢٧٨
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١)﴾	١٤١	٢٣٣، ٣٢٤
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣)﴾	١٤١ – ١٤٣	٢٩٠
﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٤٢	٢٤١
﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣)﴾	١٤٣	٣٢٠
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤)﴾	١٤٤	٣٣٥
﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٤٥	٣٢٠
﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠)﴾	١٤٦ – ١٥٠	٢٤٣، ٢٤٤، ٣٣٥، ٣٤١
﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) ...﴾	١٤٦ – ١٥٢	٣٢٦
﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩)﴾	١٤٩	٢٤٢
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) ...﴾	١٥٠ – ١٥٦	٣٣٧
﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾	١٥١ – ١٥٢	٣١١، ٣٢٦
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣)﴾	١٥٣	٣٢٨، ٣٣٦
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤)﴾	١٥٣ – ١٥٤	٢٥٥، ٢٥٦
﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾	١٥٤	٢٥٤
﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤)﴾	١٥٤	٢٩٨، ٣٠٧
﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	١٥٤	٢٤٦، ٣٠٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ ﴾	١٥٥	٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٥، ٣٠٩
﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦ ﴾	١٥٦	٢٦٤، ٢٧٥، ٢٧٧، ٣٢١، ٣٣٥
﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧ ﴾	١٥٧	٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩٨، ٣٠٦
﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾	١٥٧ – ١٥٨	٢٧٥، ٢٧٨
﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾	١٥٨	٢٦٩، ٢٧٤
﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾	١٥٨	٢٤٧
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾	١٥٨	٢٨٠
﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٥٩ ﴾	١٥٨ – ١٥٩	٣٩٤
﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ١٦٨ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٧٠ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٧١ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٧٢ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ١٧٣ ﴾	١٦٧- ١٧٣	٢٧٤
﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٧٠ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٧١ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٧٢ ﴾	١٦٩ – ١٧٢	٢٧٨
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٨٩ ﴾	١٨٩	٢٧٥، ٢٧٨
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾	١٨٩	٢٧٥
﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١ ﴾	١٩٨ – ٢٠١	٢٨١
﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢ ﴾	٢١٠ – ٢١٢	١٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾	٢١٥	٢٨١
﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾	٢٢٤	١٦٨
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	٢٢٧	٢٨١
ســورة النمل		
﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾	١ – ٢	١٩٢، ٢٨٥
﴿ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾	٢	١٨٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ ﴾	٤	١٨٩
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾	٦	١٨٩، ٢٨١
﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	١٩٠
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ ﴾	١٥	٢٨١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ ﴾	١٦	٢٨١
﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴾	٤٠	٢٨١
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا ﴾	٤٥	٢٣٢
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾	٤٥	٢٣٩، ٢٤١، ٢٨٥، ٢٨٨، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٢١، ٣٢٣
﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾	٤٦	٣٠٣
﴿ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾	٤٦	٢٤١
﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ... ﴾	٤٦ – ٤٧	٣٠٠، ٣٣٢
﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾	٤٧	٣٢٧
﴿ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾	٤٨	٣١١، ٣١٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) ﴾	٤٨ – ٤٩	٣٢٤، ٣٣٣، ٣٣٧
﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) ... ﴾	٤٨ – ٥٠	٢٩٧، ٣٠٠
﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) ﴾	٤٩	٣٢٠
﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾	٤٩	٣١٠، ٣٣٩
﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) ... ﴾	٥٠ – ٥٣	٣٠٠
﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) ﴾	٥٠	٣٠٨
﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٥١	٢٨٣، ٢٨٥
﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) ﴾	٥١ – ٥٢	٣٠٦
﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) ... ﴾	٥١ – ٥٣	٢٩٤
﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) ﴾	٥٢	٣١٢
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	٥٢	٢٨٠
﴿ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾	٥٣	٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٥٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾	٥٧	٢٨٣
﴿ وَأَمْطَرْنَا ﴾	٥٨	٢٨٣
﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾	٥٩	١٩١
﴿ وَأَنزَلَ ﴾ و﴿ فَأَنۢبَتْنَا ﴾	٦٠	٢٨٤
﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾	٦٥	٢٨١
﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾	٦٩	١٩١
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾	٧٤ – ٧٥	٢٨١
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾	٧٨	٣١١
﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٧٨	٢٨١
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٩٣	١٩٢، ٢٨١
ســورة القصص		
﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾	١١	٢٣
ســورة لقمان		
﴿ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ ﴾	٢١	٢٣١
ســورة الصافات		
﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾	٦٥	٨
ســورة الذاريات		
﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾	٥٢ – ٥٣	٣٣
ســورة الطور		
﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾	٣٤	٣٧

الآية	رقمها	الصفحة
سـورة القمر		
﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ①﴾	١	٢٠٦
﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ⑤﴾	٢ – ٥	٢٠٧، ٢٣٤
﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ⑤﴾	٤ – ٥	٢٣٧
﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ⑥ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ⑦ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ⑧﴾	٦ – ٨	٢٠٧
﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾	١٥	٢٦٦
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ⑯﴾	١٦	٢٣٧، ٢٧٥
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ⑱﴾	١٨	٢٣٧
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ㉓﴾	٢٣	٢٣٣، ٢٣٧، ٢٥٨، ٣٢٤
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ㉓ ...﴾	٢٣ – ٣٢	٢٠٦، ٢٩٠
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ㉓ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ㉔ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ㉕﴾	٢٣ – ٢٥	٣٠٧
﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾	٢٤	٢٥٤
﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ㉔﴾	٢٤	٢٥٦، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٣
﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ㉔ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ㉕﴾	٢٤ – ٢٥	٣٣٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) ﴾	٢٥	٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٦
﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦) ﴾	٢٦	٣٠٦، ٣٠٧
﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) ﴾	٢٧	٢٦٧، ٣٢٩
﴿ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) ﴾	٢٧	٣٢٢
﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) ﴾	٢٨	٢٦٥
﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) ﴾	٢٩	٢٦٦، ٣٠٦، ٣٢٩
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾	٣١	٢٦٩
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) ﴾	٣١	٢٧٥، ٢٩٤، ٣٠٥
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢) ﴾	٣٢	٢٩٤
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) ﴾	٣٣	٢٣٧
﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) ﴾	٣٩	٢٣٧
﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) ﴾	٤١	٢٣٧
﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) ﴾	٤٣	٢٠٧، ٢٣٧، ٢٦٦
﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦) ﴾	٤٥ – ٤٦	٢٠٨
﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣) ﴾	٥١ – ٥٣	٢٠٨
﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾	٥٤ – ٥٥	٢٠٨
سورة الجمعة		
﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾	٢	٢٣١

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الشمس		
﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾	٨	٢٢٣
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾	٩ – ١٠	٢٢٣
﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ ﴾	١١	٢٢٣، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٣٢٤
﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ ... ﴾	١١ – ١٥	٢٢٢، ٢٩٠، ٣٠٤
﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	٣٠٧، ٣٢٩
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾ ﴾	١٤ – ١٥	٢٩٤

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة..	١ – ٦
تمهيد..	٧ – ٤٣
١- مـفـهـوم النظـم..	٨
● **نشأة نظرية النظم وتطورها**..	٨
١- أبوعبيدة معمر بن المثنى..	٨
٢- عمرو بن بحر الجاحظ..	٩
٣- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة..	١١
٤- علي بن عيسى الرماني..	١٣
٥- أبوسليمان الخطابي..	١٥
٦- أبوبكر الباقلاني..	١٦
٧- القاضي عبدالجبار الأسد آبادي..	١٨
٨- عبدالقاهر الجرجاني..	١٩
٢- مفهوم القصة في القرآن..	٢٣
● **الفروق بين القصة القرآنية والقصة البشرية**..	٢٤
١- الاختلاف في الغاية والهدف..	٢٤
٢- الصدق المطلق..	٢٦
٣- الإعجاز في البلاغة وحسن النظم والأسلوب..	٣٠
● **أغراض القصة القرآنية**..	٣٢
١-إثبات الوحي والرسالة وصدق نبوة الرسول ﷺ	٣٢
٢-بيان وحدة الدين والرسالة..	٣٢
٣-تسلية النبي ﷺ مما يلقاه من أذى المشركين وتكذيبهم..	٣٣
٤-تثبيت قلب النبي ﷺ والمؤمنين	٣٣

الموضوع	الصفحـــة
٥-الترغيب والترهيب....................	٣٤
٦-بث العبرة والموعظة والتوجيه والإرشاد	٣٤
٣- تكرار القصة في القرآن....................	٣٦
١- إظهار بلاغة القرآن في أعلى مراتبها....................	٣٦
٢- قوة الإعجاز والتحدي....................	٣٧
٣- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة والقوم الذين توجه لهم.	٣٨
٤- الاهتمام بشأن القصة....................	٣٨
٥- إضافة فوائد ومعان جديدة خلت عنها المواضع الأخرى....................	٣٩
٤- مواضع ورود قصة صالح عليه السلام في القرآن....................	٤٢
الفصل الأول **خصائص النظم في قصة صالح عليه السلام**	٤٣
مدخل عن علم المناسبات....................	٤٤
المبحث الأول: قصة صالح عليه السلام في سورة الأعراف....................	٤٩
أولاً: الغرض العام للسورة....................	٤٩
ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها....................	٥٠
ثالثًا: المعنى العام للآيات....................	٥٣
رابعًا: بلاغة النظم في القصة....................	٥٤
قوله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ...﴾ [٧٣]..........	٥٤
قوله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ ...﴾ [٧٤]....................	٦٣
قوله عز وجل: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ ...﴾ [٧٥].	٦٨
قوله عز وجل: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [٧٦]...	٧٢
قوله عز وجل: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ...﴾ [٧٧]....................	٧٣
قوله عز وجل: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [٧٨]..........	٧٦

الموضوع	الصفحة
قوله ﷻ: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ... ﴾[٧٩].........	٧٨
المبحث الثاني: قصة صالح عليه السلام في سورة هود..................	٨١
أولاً: الغرض العام للسورة...	٨١
ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها.......................................	٨١
ثالثًا: المعنى العام للآيات..	٨٤
رابعًا: بلاغة النظم في القصة..	٨٥
قوله ﷻ: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ... ﴾[٦١]............	٨٥
قوله ﷻ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ... ﴾[٦٢]..................	٨٩
قوله ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً ... ﴾[٦٣]	٩٣
قوله ﷻ: ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ... ﴾[٦٤]....................	٩٧
قوله ﷻ: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ... ﴾[٦٥]............	٩٨
قوله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ... ﴾[٦٦].........	٩٩
قوله ﷻ: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٦٧]...	١٠٢
قوله ﷻ: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٦٨]....	١٠٣
المبحث الثالث: قصة صالح عليه السلام في سورة إبراهيم............	١٠٥
أولاً: الغرض العام للسورة.......................................	١٠٥
ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها......................................	١٠٦
ثالثًا: المعنى العام للآيات...	١٠٨
رابعًا: بلاغة النظم في القصة.......................................	١٠٩
قوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ... ﴾[٩]	١٠٩
قوله ﷻ: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾[١٠].....	١١٧
قوله ﷻ: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ... ﴾ [١١]	١٢١
قوله ﷻ: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ ... ﴾[١٢]........	١٢٤

الموضوع	الصفحة
قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ ... ﴾[١٣]....	١٢٦
قوله ﷻ: ﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ... ﴾[١٤].....................	١٢٩
قوله ﷻ: ﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿١٥﴾ ﴾[١٥]...............	١٣٠
قوله ﷻ: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ ﴾[١٦]................	١٣٢
قوله ﷻ: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ ... ﴾[١٧]	١٣٣
المبحث الرابـع: قصة صالح عليه السلام في سورة الحجر....................	١٣٧
أولاً: الغرض العام للسورة	١٣٧
ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها	١٣٧
ثالثًا: المعنى العام للآيات..	١٤٠
رابعًا: بلاغة النظم في القصة..	١٤٠
قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[٨٠]....................	١٤٠
قوله ﷻ: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[٨١]....................	١٤١
قوله ﷻ: ﴿ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[٨٢]....................	١٤٢
قوله ﷻ: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٨٣]..........................	١٤٣
قوله ﷻ: ﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[٨٤]........................	١٤٤
المبحث الخامس: قصة صالح عليه السلام في سورة المؤمنون....................	١٤٥
أولاً: الغرض العام للسورة...	١٤٥
ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها...	١٤٥
ثالثًا: المعنى العام للآيات..	١٤٨
رابعًا: بلاغة النظم في القصة..	١٤٩
قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٣١]........................	١٤٩
قوله ﷻ: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ... ﴾[٣٢]......................	١٤٩

الموضوع	الصفحة
قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ... ﴾[٣٣]............	١٥١
قوله ﷻ: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٣٤]..................	١٥٤
قوله ﷻ: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٣٥]............	١٥٥
قوله ﷻ: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٣٦]..............................	١٥٦
قوله ﷻ: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٣٧]..........	١٥٧
قوله ﷻ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[٣٨].......	١٥٨
قوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾[٣٩]..............................	١٦٠
قوله ﷻ: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[٤٠]..............................	١٦٢
قوله ﷻ: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ... ﴾[٤١]....................	١٦٣
المبحث السادس: قصة صالح ﷺ في سورة الشعراء....................	١٦٦
أولاً: الغرض العام للسورة..	١٦٦
ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها...	١٦٦
ثالثًا: المعنى العام للآيات..	١٦٩
رابعًا: بلاغة النظم في القصة...	١٧٠
قوله ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[١٤١]..............................	١٧٠
قوله ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[١٤٢]......................	١٧٠
قوله ﷻ: ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[١٤٣]..............................	١٧١
قوله ﷻ: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ ﴾[١٤٤]..............................	١٧٢
قوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[١٤٥]..........	١٧٣
قوله ﷻ: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَـٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[١٤٦].........................	١٧٤
قوله ﷻ: ﴿ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ ﴾[١٤٧]..............................	١٧٥
قوله ﷻ: ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾[١٤٨].........................	١٧٦
قوله ﷻ: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[١٤٩]......................	١٧٦

الموضوع	الصفحة
قوله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾ [١٥٠]................................	١٧٧
قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [١٥١].........................	١٧٧
قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [١٥٢]..............	١٧٩
قوله ﷻ: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [١٥٣]..........................	١٨٠
قوله ﷻ: ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [١٥٤]......	١٨١
قوله ﷻ: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [١٥٥].............	١٨٢
قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [١٥٦]...............	١٨٣
قوله ﷻ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [١٥٧]..........................	١٨٤
قوله ﷻ: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ...﴾ [١٥٨]..........................	١٨٤
قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ [١٥٩]..........................	١٨٦
المبحث الســـابـــع: قصة صالح عليه السلام في سورة النمل.............	١٨٨
أولاً: الغرض العام للسورة..	١٨٨
ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها...	١٨٩
ثالثًا: المعنى العام للآيات..	١٩٢
رابعًا: بلاغة النظم في القصة..	١٩٣
قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ...﴾ [٤٥]............	١٩٣
قوله ﷻ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ...﴾ [٤٦]...............	١٩٤
قوله ﷻ: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ...﴾ [٤٧].............	١٩٥
قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [٤٨]	١٩٧
قوله ﷻ: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ...﴾ [٤٩].........................	١٩٨
قوله ﷻ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [٥٠]..........	٢٠٠
قوله ﷻ: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ...﴾ [٥١]...............	٢٠١

الصفحة	الموضوع
٢٠٣	قوله ﷻ: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ... ﴾[٥٢]........................
٢٠٤	قوله ﷻ: ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[٥٣]........................
٢٠٦	**المبحث الثامن: قصة صالح عليه السلام في سورة القمر**........................
٢٠٦	أولاً: الغرض العام للسورة........................
٢٠٦	ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها........................
٢٠٨	ثالثًا: المعنى العام للآيات........................
٢٠٩	رابعًا: بلاغة النظم في القصة........................
٢٠٩	قوله ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ﴾[٢٣]........................
٢٠٩	قوله ﷻ: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢٤]........................
٢١١	قوله ﷻ: ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[٢٥]........................
٢١٤	قوله ﷻ: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾[٢٦]........................
٢١٤	قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ﴾[٢٧]........................
٢١٦	قوله ﷻ: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[٢٨]........................
٢١٧	قوله ﷻ: ﴿ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٢٩]........................
٢١٨	قوله ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣٠]........................
٢١٩	قوله ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾[٣١]........................
٢٢١	قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[٣٢]........................
٢٢٢	**المبحث التاسع: قصة صالح عليه السلام في سورة الشمس**........................
٢٢٢	أولاً: الغرض العام للسورة........................
٢٢٢	ثانيًا: مناسبة القصة في سياقها........................
٢٢٣	ثالثًا: المعنى العام للآيات........................
٢٢٤	رابعًا: بلاغة النظم في القصة........................
٢٢٤	وله ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾[١١]........................

الموضوع	الصفحة
قوله ﷻ: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ ﴾[١٢]................................	٢٢٤
قوله ﷻ: ﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ ﴾[١٣]....................	٢٢٥
قوله ﷻ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ ﴾[١٤]	٢٢٦
قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥ ﴾[١٥]................................	٢٢٧
الفصل الثاني **أسرار التشابه اللفظي في قصة صالح عليه السلام**	٢٢٨
مدخل..	٢٢٩
مفهوم المتشابه اللفظي..	٢٣٠
أنواع المتشابه اللفظي..	٢٣١
المبحث الأول: أسرار التشابه اللفظي في افتتاحية القصة................	٢٣٢
أولاً: التشابه اللفظي بين ما ورد في................................. ١- قول الله ﷻ في آيتي الأعراف وهود: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا ﴾ [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١]. ٢- وقوله ﷻ في سورة المؤمنون: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ [المؤمنون: ٣٢]. ٣- وقوله ﷻ في سورة النمل: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا ﴾ [النمل: ٤٥].	٢٣٢
ثانياً: التشابه اللفظي بين ما ورد في: ١- قول الله ﷻ في سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠ ﴾ [الحجر: ٨٠]. ٢- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١ ﴾ [الشعراء: ١٤١]. ٣- وقوله ﷻ في سورة القمر: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣ ﴾ [القمر: ٢٣]. ٤- وقوله ﷻ في سورة الشمس: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ ﴾ [الشمس: ١١].	٢٣٣
المبحث الثاني: أسرار التشابه اللفظي في مقام دعوة صالح عليه السلام لقومه.....	٢٣٩

الموضوع	الصفحة
أولاً: التشابه اللفظي بين	٢٣٩
١- قول الله ﷻ في سورتي الأعراف وهـــود: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١].	
٢- وقوله ﷻ في سورة المؤمنـــون: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢].	
٣- وقوله ﷻ في سورة النمـــل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾[النمل: ٤٥].	
ثانيًا: التشابه اللفظي بين..	٢٤١
١- قول الله ﷻ في سورة المؤمنون: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٢].	
٢- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤٢].	
ثالثًا: التشابه اللفظي بين..	٢٤٢
١- قول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ﴾ [الأعراف: ٧٤].	
٢- وقوله ﷻ في سورة الحجـــر: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الحجر:٨٢].	
٣- وقوله ﷻ في ســـورة الشـــعراء: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء:١٤٩].	
المبحث الثالث: أسرار التشابه اللفظي في ردِّ قوم صالح عليه السلام عليه........	٢٤٥
أولاً: التشابه اللفظي بين..	٢٤٥
١- قول الله ﷻ في سورة هود: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].	
٢- وقولـــه ﷻ في ســـورة إبـــراهيم: ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩].	
ثانيًا: التشابه اللفظي بين..	٢٤٦
١- قول الله ﷻ في سورة إبراهيم: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم:١٠].	

الموضوع	الصفحة
٢- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الشعراء:١٥٤].	٢٤٦
ثالثًا: التشابه اللفظي بين .... ١- قول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦]. ٢- وقوله ﷻ في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٩].	٢٤٨
رابعًا: التشابه اللفظي بين .... ١- قول الله ﷻ في سورة هود: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦٢]. ٢- وقوله ﷻ في سورة إبراهيم: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].	٢٥٠
خامسًا: التشابه اللفظي بين.. ١- قول الله ﷻ في سورة إبراهيم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]. ٢- وقوله ﷻ في سورة المؤمنون: ﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٣٣]. ٣- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الشعراء: ١٥٤]. ٤- وقوله ﷻ في سورة القمر: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [القمر: ٢٤].	٢٥٤
سادسًا: التشابه اللفظي بين.. ١- قول الله ﷻ في سورة المؤمنون: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٨]. ٢- وقوله ﷻ في سورة القمر: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝٢٥﴾ [القمر: ٢٥].	٢٥٦
المبحث الرابع: أسرار التشابه اللفظي في ذكر الناقة.....................	٢٦٠
أولاً: التشابه اللفظي بين..	٢٦٠

الموضوع	الصفحة
١- قول الله ﷻ في سورة الأعراف فيما يحكيه عن صالح الطَّيِّلاً أنَّه قال لقومه: ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ [الأعراف: ٧٣]. ٢- وقوله ﷻ في سورة هود: ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ [هود: ٦٤]. ٣- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٥٥].	٢٦٠
ثانيًا: التشابه اللفظي بين.. ١- قول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف:٧٣]. ٢- وقوله ﷻ في سورة هود: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: ٦٤]. ٣- وقوله ﷻ في سورة الشعراء: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الشعراء:١٥٦].	٢٦٤
ثالثًا: التشابه اللفظي بين.. ١- قول الله ﷻ فيما حكاه عن صالح الطَّيِّلاً في سورة الشعراء أنَّه قال لقومه: ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الشعراء: ١٥٥]. ٢- وقوله ﷻ في سورة القمر: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القمر: ٢٨].	٢٦٥
رابعًا: التشابه اللفظي بين.. ١- قول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ ﴾ [الأعراف: ٧٧]. ٢- وقوله ﷻ في سورة هود والشعراء والشمس: ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ [هود: ٦٥، الشعراء: ١٥٧، الشمس: ١٤]. ٣- وقوله ﷻ في سورة القمر: ﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [القمر: ٢٩].	٢٦٦

الموضوع	الصفحة
المبحث الخامس: أسرار التشابه اللفظي في ذكر عذاب قومه ونجاة المؤمنين.	٢٦٩
أولاً: التشابه اللفظي بين.. ١-قول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٨]. ٢-وقوله ﷻ في سورة هود: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [هود: ٦٧]. ٣-وقوله ﷻ في سورة الحجر: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الحجر:٨٣]. ٤-وقوله ﷻ في سورة المؤمنون: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ ﴾ [المؤمنون: ٤١]. ٥-وقوله ﷻ في سورة الشعراء: ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ [الشعراء: ١٥٨]. ٦-وقوله ﷻ في سورة القمر: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [القمر: ٣١].	٢٦٩
ثانيًا: التشابه اللفظي بين.. ١-قول الله ﷻ في سورة المؤمنون: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٠]. ٢-وقوله ﷻ في سورة الشعراء: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٥٧].	٢٧٦
ثالثًا: التشابه اللفظي بين.. ١-قول الله ﷻ في سورة هود: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴾ [هود: ٦٨]. ٢-وقوله ﷻ في سورة المؤمنون: ﴿ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤١].	٢٧٨
رابعًا: التشابه اللفظي بين.. ١-قول الله ﷻ في سورة الشعراء: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:١٥٨]. ٢-وقوله ﷻ في سورة النمل: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥٢].	٢٨٠

الصفحة	الموضوع
٢٨٢	خامسًا: التشابه اللفظي بين........................ ١-قول الله ﷻ في سورة هود: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦ ﴾ [هود:٦٦]. ٢-وقوله ﷻ في سورة النمل: ﴿ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٣ ﴾ [النمل:٥٣].
٢٨٦	**الفصل الثالث** **العناصر الفنية في قصة صالح عليه السلام**
٢٨٧	مدخل....................................
٢٨٨	**المبحث الأول: بداية القصة ونهايتها**.......................
٢٨٨	أولاً: بداية القصة..
٢٩٢	ثانيًا: نهاية القصة..
٢٩٦	**المبحث الثاني: الأحداث**..............................
٢٩٦	١-توزيع الأحداث..
٢٩٩	٢-تنامي الأحداث..
٣٠٢	٣-الإيجاز، وطيٌّ ما يقتضيه الكلام..........................
٣٠٤	٤-إبراز الحدث وإحياء المشهد............................
٣٠٧	٥-المعجزات والخوارق....................................
٣٠٩	٦-ربط الحدث بالزمان والمكان............................
٣١٣	**المبحث الثالث: الشخصيات**............................
٣١٣	١- **أنواع الشخصيات**..................................
٣١٣	- من حيث ذاتها وطبيعتها................................
٣١٣	أ- شخصيات بشرية.......................................
٣١٤	١- صالح عليه السلام ....

الموضوع	الصفحة
٢- عـــاقر الناقـــة..	٣١٤
٣- الجماعات والجماهير..	٣١٥
ب- شخصيات غير بشرية..	٣١٦
- نوع الشخصية من حيث تكوينها..................................	٣١٦
٢- رسم الشخصيات وحيويتها في القصة	٣١٦
أ- التعرف على سمات الشخصيات...................................	٣١٦
ب- ارتباط الشخصيات وتفاعلها	٣١٧
٣- تحليل الشخصيات وسماتها......................................	٣١٨
١- صـــالح عليه السلام	٣١٨
٢- المؤمنون..	٣٢٣
٣- قـــوم ثمـــود..	٣٢٤
٤- عاقر الناقة..	٣٢٩
٥- النـــاقة..	٣٢٩
المبحث الـــرابـــــع: الحوار.....................................	٣٣٠
أولًا: المتحاورون في القصة......................................	٣٣١
١-حـــوار بين صالح عليه السلام وغيره.............................	٣٣١
٢-حوار بين الكافرين والمؤمنين....................................	٣٣٢
٣-حوار بين الكافرين أنفسهم.......................................	٣٣٢
ثانيًا: تنوع أساليب الحوار.......................................	٣٣٣
١-أسلوب التقرير...	٣٣٣
٢-أسلوب المحاجة..	٣٣٤
٣-أسلوب الترغيب والترهيب..	٣٣٤
٤-أسلوب التبرير للصد عن الدعوة...................................	٣٣٥
٥-أسلوب الازدراء والاستخفاف والاتهام...............................	٣٣٦

الموضوع	الصفحة
٦-أسلوب التهديد والوعيد..	٣٣٦
٧-أسلوب المكر والغدر..	٣٣٧
ثالثًا: سمات الحوار في القصة.......................................	٣٣٧
١-تنوع أساليب الحوار...	٣٣٧
٢-تنمية الأحداث..	٣٣٧
٣-تجسيد الحدث وإضفاء الواقعية على القصة.......................	٣٣٨
٤-رسم معالم الشخصيات الإنسانية في القصة.......................	٣٣٨
٥-انتقاء الحوار..	٣٤٠
٦-إثراء القصة بوصف المكان والزمان..............................	٣٤١
٧-التنوع من حيث الطول والقصر...................................	٣٤١
الخـــاتمـــة..	٣٤٣
ثبت المصادر والمراجع..	٣٤٧
الفهارس..	٣٦١
فهرس الآيات القرآنية..	٣٦٢
فهرس الموضوعات..	٣٨٨